



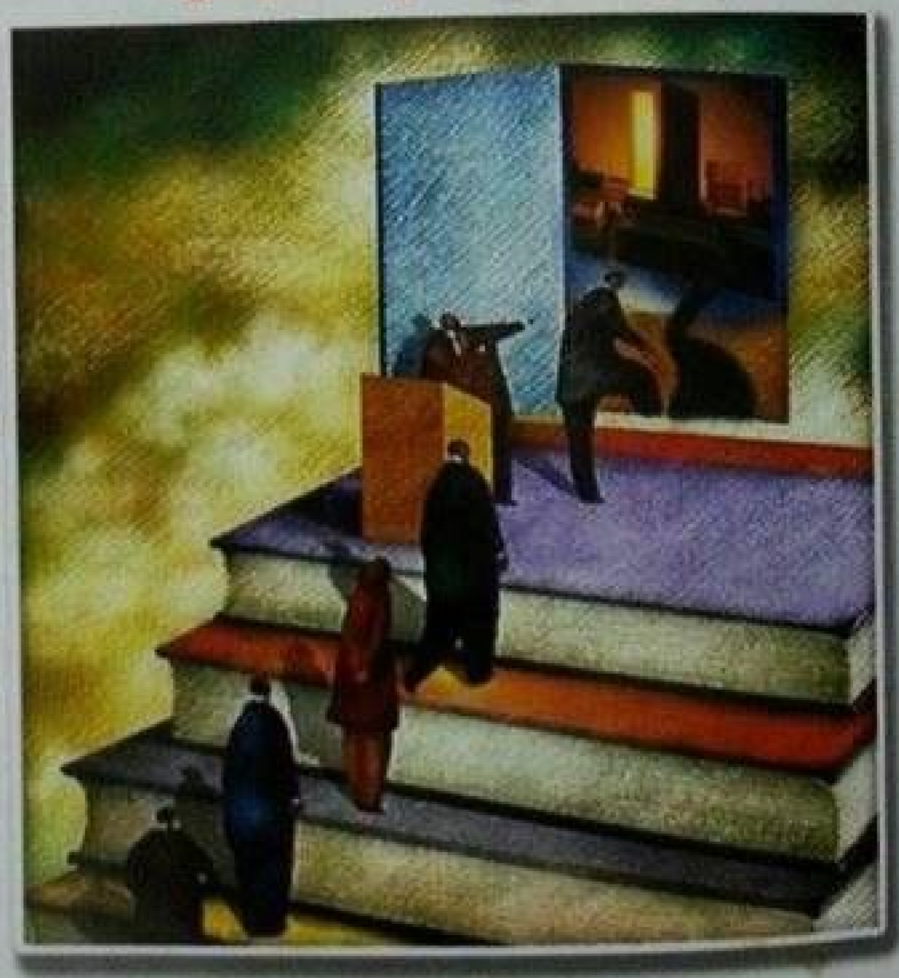
دراسات

164

المثقف والسلطة في العراق

1921 - 1958

دراسة إجتماعية - سياسية



د. رهبة اسودي حسين

المثقف والسلطة في العراق
١٩٢١ – ١٩٥٨
دراسة إجتماعية سياسية

عنوان الكتاب/المثقف والسلطة في العراق ١٩٢١- ١٩٥٨
دراسة إِجتماعية سياسية
المؤلف/ د. رهبة اسودي حسين

الطبعة الأولى- بغداد- ٢٠١٣

الطباعة الالكترونية والتصحيح والاخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة



العنوان :
وزارة الثقافة- العراق – بغداد – شارع حيفا- هاتف ٥٣٧٣٣٠٧
البريد الالكتروني baghdad 2013 @mocul. gov. iq
البريد الالكتروني dar _ iraqculture@ mocul.gov .iq

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٣٣ لسنة ٢٠١٣



المثقف والسلطة في العراق

١٩٢١ - ١٩٥٨

دراسة إجتماعية - سياسية

د. رهبة اسودي حسين

الطبعة الاولى – بغداد - ٢٠١٣
من اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)

صدق الله العظيم

سورة المائدة (٢٧- ٣٠)

الاهـــداء:

الى

شهداء

العراق

المؤلفة

المقدمـــة

تقوم هذه الدراسة على أسس سبق ان ارستها دراسة سابقة ، فمهدت لها الطريق،ورسمت لها المنهج، متناولة علاقة المثقف العراقي بالسلطة ١٩٦٨ــ ٢٠٠٤[*]، ومن هنا تعد هذه الدراسة اساساً لسابقتها، بشكل او باخر، واذا كان الواقع يحدد بداية الحقبة الزمنية التي تتناولها هذه الدراسة التي تشكل بحد ذاتها تاريخ تأسيس الدولة العراقية وقيام العهد الملكي في سنة ١٩٢١ ونهاية العهد الملكي واستمرار الدولة العراقية في سنة ١٩٥٨. إن صعوبة الدراسة تكمن في طرح طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة بمسميات واقعية بعيدة عن الدراسات الكثيرة التي تناولت العلاقة من الوجهة النظرية فقط، فعلى الرغم من كثرة الدراسات العربية منذ عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وعقد الندوات وافراد محاور كثيرة في المجلات المتخصصة الا أن جميع الدراسات كانت تدور في اطار (ماينبغي على العلاقة أن تكون) فلم تحظَ العلاقة بين المثقف والسلطة بدراسة نماذج عملية، خصوصاً أن معظم الدراسات ركزت على طبيعة العلاقة في ظل الانظمة الشمولية بعد الاستقلال، دون التطرق لاسم أحد من افراد السلطة أو التطرق الواقعي لطبيعة علاقة المثقف بالسلطة. فجاءت دراسات (محمود امين العالم وسعد الدين ابراهيم وهشام شرابي وغسان سلامة وسماح ادريس وحسن حنفي واحمد خليل) وغيرهم الكثير، فاهتمامات هذه الدراسات تركزت على الاطر النظرية للعلاقة. أما الدراسات العراقية فجاءت الريادة فيها لموضوعات متنوعة ومتناثرة بين موضوعي الدراسات التاريخية والادبية، فلم تفرد لهذه الدراسة عناوين مستقلة على مدى تاريخ

[*] رهبة أسودي حسين: المثقف والسلطة .... أنموذج العراق ١٩٦٨ــ ٢٠٠٤، رسالة (ماجستير غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦.

العراق الحديث والمعاصر وعلى الرغم من كثرة الموضوعات التي تطرقت الى دراسة السلطة ضمن احداثها التاريخية المتنوعة الا أن الكتابات التي تناولت مرحلة التأسيس لم تخرج عن اطار دراسة (ايرلاند) القيمة (العراق ... دراسة في تطوره السياسي)، فضلا عن رسائل (المس بيل)، وتبقى هناك كتب قيمة لمؤلفين عراقيين في اختصاصات متنوعة تناولت الموضوع بشكل غير مباشر، واسهمت بشكل كبير في التعرف على طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة من خلال العمل على الربط والمزاوجة بين موضوعي الدراسات التاريخية والدراسات الادبية،ففي المجال التاريخي كانت كتب السيد (عبد الرزاق الحسني) في مختلف اختصاصاتها نعم المعين في دراسة تاريخ العراق الحديث، فضلاً عن المذكرات الشخصية وتأتي في مقدمة هذه المذكرات ماكتبه (ناجي شوكت) في (سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ـ ١٩٧٤)، والدراسة المتميزة للدكتور (سامي عبد الحافظ القيسي) التي تناولت مرحلة مهمة من تاريخ العراق الحديث وهي (ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية ١٩٢٢ـ ١٩٣٦)، ودراسات الدكتور (مجيد خدوري) وكذلك دراسات الدكتور (علي الوردي) المختلفة، أما الدراسات الادبية فكتب (جعفر الخليلي) (هكذا عرفتهم) مكنتنا من معرفة فئات المثقفين من ذوي الدراسات التقليدية،ودراسات (ابراهيم الوائلي)، (الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر) و(ثورة العشرين في الشعر العراقي)، كما كانت سلسلة كتب الدكتور(عبد الاله احمد) (نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨ـ١٩٣٩)، و(الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية) بجزأيه الاول والثاني من المصادر المهمة التي اهتمت بالعامل السياسي ومدى تأثيرة في الحياة الثقافية في العراق. واخيرا لابد ونحن في صدد تحليل مصادر البحث من الوقوف على اسمين من مؤلفينا العراقيين كانت لهما الصدارة في تناول موضوعات المثقف العراقي بشكل مقتضب ولكنها متميزة وهما: الدكتور (يوسف عزالدين) الذي كانت لدراساته التاريخية والادبية المختلفة نماذج متميزة عن بقية الدراسات الاخرى؛ لما

جاء فيها من موضوعات لم تطرح من قبل ولاسيما في كتبه المميزة (الـشعر العراقـي في القرن التاسع عشر أهدافه وخصائـصه)، و(الـشعر العراقـي الحـديث وأثـر التيـارات السياسية والاجتماعية فيه)، و(تطور الفكر الحـديث في العـراق). والاسـم الثـاني هـو الدكتور (سيار الجميل) فعلى الرغم من أن مانشره اقتصر على البحوث في بعض المجلات الا أن هذه البحوث جاءت بدراسات تطبيقية لاسماء كثيرة من المثقفـين العراقيين،فلـه الفضل في اثارة بعض النقاط التي توسعتُ فيها خـلال البحـث.كمـا كـان مـن الـسهل الرجوع الى دواوين الشعراء عند الاستشهاد بالكثير من اشعارهم، ولكني فضلت الرجوع الى مادونته اقلام أصحاب الاختصاص في الدراسات النقدية والادبية لتمحيـصهم أبيـات الشعر التي ضمتها دراستهم وتأتي في مقدمة هذه الدراسات دراسـة الـدكتورة (عربيـة توفيق لازم) (حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث منـذ ١٨٧٠ حتـى قيـام الحرب العالمية الثانية)، و(محاضرات عن الـشعر العراقـي الحـديث) لــ(عبـد الكـريم الدجيلي) ودراسة (عباس توفيق) (نقد الـشعر العربـي في العـراق مـن ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨)، ودراسة (الشعرالعراقي الحر منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨) لـ(يوسف الصائغ).

لاتختلف أسباب تناولنا لهذا الموضوع عن اسـباب تناولنـا للدراسـة الـسابقة التـي تتلخص في عدم تناول الموضوع في الدراسات الاكاديمية أو الدراسـات الخاصـة بـصورة مفصلة، الا أن بحث هذا الموضوع شَكّلَ مجازفة كبيرة فقد كان واضحاً أن الحقبة التـي ندرسها، شهدت نشاطا ادبيا كبيرا، كما شهدت اتجاهات فكرية عديدة فضلاً عـن أنهـا قد شهدت على مدى تاريخها احداثا سياسية كثيرة غيرت من واقـع العـراق الـسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي.

تقوم فرضية الدراسة على أن للمثقفين ادورا كثيرة في العهد الملكي جاءت على خلفية التنوع في فئاتهم،فقد أسهم الانحدار الطبقي والمعيار التعليمي اسهاما كبـيرا في التنـوع الفئوي للمثقفين فخلقت لنا مثقفا تنحصر رغبته بالسلطة من خـلال اتبـاع الوسـائل

المختلفة للاستحواذ عليها، ومثقفا ترجم علاقته بالسلطة من خلال أنماط صراعية، فقد إتخذت هذه العلاقة صورا مختلفة نتعرف عليها خلال الدراسة.

أن طبيعة المنهج الذي اعتمد في الدراسة هو منهج يحاول أن يجمع بين المنهجين التأريخي والمقارن من خلال تقصي نقاط التشابه والاختلاف، الا أن كلا المنهجين يقف موقفاً حذرا من الدراسة، لاننا نحاول أن ننظر الى طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة نظرة نسبية، تسعى الى أن تستوعب واقع المرحلة والظروف الموضوعية التي أملت على المثقف تأطير صور علاقته بالسلطة.

وبقدر تعلق الامر بمحتويات الدراسة، فان الاهتمام كان على الموضوعات الاتية:

الفصل التمهيدي: (الاطار النظري لعلاقة المثقف بالسلطة) من خلال تقسيمه على ثلاثة مباحث اساسية تناول الاول: الثقافة والمثقف وتناول الثاني السلطة السياسية في حين جاء المبحث الثالث في تحديد طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة.

الفصل الاول: ويتناول (المثقف العراقي والسلطة العثمانية) وهذا الفصل يتفرع الى مبحثين، تناول الاول: الاحوال السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية في ظل السلطة العثمانية. وتناول المبحث الثاني: العوامل السياسية والثقافية المؤثرة في تكوينات المثقف العراقي.

الفصل الثاني: بحث الفصل الثاني في (المثقف والسلطة في العهد الملكي)، فتناول مبحثه الاول: التعرف على المثقف العراقي، في حين حمل مبحثه الثاني: السلطة السياسية في العهد الملكي.

واخيراً بحث الفصل الثالث: (المراحل التاريخية لعلاقة المثقف بالسلطة)، وهذا الفصل يتفرع الى ثلاثة مباحث، تناول المبحث الاول: تعددية التأسيس ١٩٢١ــ ١٩٣٣، في حين تناول مبحثه الثاني: النهضة المضطربة ١٩٣٣ـ ١٩٤٦، وجاء المبحث الثالث: حاملا عنوان المرحلة الراديكالية ١٩٤٦ــ ١٩٥٨.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة وخاتمة.

الفصل التمهيدي

الاطار النظري لعلاقة المثقف بالسلطة

يتضمن هذا الفصل التعرف على المفاهيم التي هي محـور دراسـتنا وهـي الثقافـة، والمثقف، والسلطة فضلا عن التعـرف عـلى الاراء التـي تناولـت طبيعـة علاقـة المثقـف بالسلطة.

المبحث الاول

الثقافة والمثقف

للثقافة والمثقف مفاهيم كثيرة نتعرف عليها من خلال مناقشة النقاط الاتية:ـ

المطلب الاول: الثقافة: لم ترد مفردة ثقافة في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية، كما لم ترد في نصوص العرب، واشعارهم .[1] تناولت معاجم اللغة العربية مفردة الثقافة بمعنى أن يقال"ثقف الشيء ـ وهي سرعة التعلم . وثقف الشيء حذقـه، وثقـف الرجـل ثقافة أي صار حذقا خفيفا ومنه المثقافة وتأتي العمل بالسيف".[2] و"ثقف الرجل صار حذقا خفيفا . والمثاقفة ما تسوى به الرماح وتثقيفها تسويتها".[3] فالثقافـة بـالمعنى العربي للكلمة تعني سرعة التعلم والحذق والفطنة وثبات المعرفة . وغالبا ما تقرن كلمة

[1] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ندوة مالك بن نبي، بيروت، ١٩٧١، ص ٢٠.

[2] محمد بن مكرم أبن منظور: لسان العرب، مجلد ٩، دار صادر، بيروت،١٩٥٦، ص ١٩ ـ ٢٠.

[3] أبو بكر عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧، ص ٨٤ ـ ٨٥.

ثقافة بكلمة (culture) مكتوبة بحروف لاتينية،ومعنى ذلك أن هذه الكلمة لم تكسب في العربية قوة التحديد .[٤] وفي الواقع ان مفردة (ثقافة)هي ثمرة من ثمار عـصر النهـضة الأوروبية عندما شهدت اوروبا في القرن السادس عشر المـيلادي انبثـاق مجموعـة مـن الاعمال الجليلة في مختلف المجالات الفنية والادبية والفكرية، فقد ارتبطت هـذه المفـردة بجذر مفردات زراعية، فعودة بسيطة لجذور مفردة الثقافة (culture) اللاتينية لن نجد قواسم مشتركة بينها وبين ما اهتم به لاحقا، فهي مشتقة مـن(colere) بمعنـى زرع، وهو معنى تقني ومادي وهو استصلاح الحقول والأراضي لحصد الحبوب والثمار ومـن كلمة (colere) اشتقت كلمة (culte) أو (cultuo) وتعني الإجلال والعبادة .[٥]

وعلى الرغم من أن كلمة (culture) لاقت رواجا في عصر التنوير الأوروبي ولاسيما في المانيا، الا أن الفضل في اشاعة كلمـة (culture) يعـود الى الـشاعر والفيلـسوف الالمـاني (يوهان هيودير) فقد نظر الى الثقافة عـلى أنهـا أداة تعـويض عـن الـنقص الفيزيقـي للانسان في صراعه من أجل البقاء .[٦] لقد أخذت المعـاجم الأوروبيـة الاهتمـام بتعريـف مفردة (الثقافة) فعرفها معجم (المجمع الفرنسي) أنها "الجهد المبذول في سبيل تحـسين العلوم والفنون وتنمية المواهب الفكرية ومواهب العقل والذكاء".[٧] فهي اذن وسـيلة في اكتساب العلوم والفنون وتنميتها. أما الموسوعة البريطانية فعرفت الثقافة أنها "اللغـة والافكار والمعتقدات والطقوس الدينية والاعمال الفنية . فالتطور الثقافي يقوم على قدرة الانسان على إكتساب المعارف ونقلها للأجيال اللاحقـة"[٨]. لقـد جـاء التعريـف جامعـا

[٤] مالك بن نبي: مصدر سابق، ص ١٩

[٥] لويس دوللو: الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، ترجمة: عادل العوا، منشورات عويدات، بـيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص ٢١.

[٦] عدنان المبارك: متاهات المفاهيم عند تعريف الثقافة، مجلة المثقف العربي، العدد ٦٣، تموز /١٩٧٢،ص ٢٧.

[٧] لويس دوللو: مصدر سابق، ص٣٣.

(8) The new Encyclopedia Britannica: 15 thEd, Vol13 p.784.

لمظاهر عديدة للثقافة، فقد حاول التعريف أن يلقي مهام التطور الثقافي عـلى الانـسان. ويذهب معجم أكسفورد في تعريفه للثقافة الى أنها "طريقة الحياة الخاصة لشعب مـن الشعوب متميّزٍ في نمط تفكيره ومعتقداته وسلوكه وعاداته وتقاليده وطقوسه وملبسه ولغته وموسيقاه وادبه وفنه".[٩] فالتنوع هو من الميزات الاساسية للثقافة.

ان تعريف الثقافة يعاني مسألة الاقتراب الشديد من تعريف الحـضارة، فـالحـضارة "نتاج بشري مرتبط بالجهد الانساني والعمل الدؤوب والزمن التاريخي وتقوم الحضارة على مقومين بارزين: مقوم مـادي يتمثـل في التكنولوجيـا، ومقـوم معنـوي يتجـسد في الثقافة. ولتحقيق الحضارة لابد من صيرورة عملية وانتاجية وابداعية مكثفة مـستمرة عبر التاريخ لجني الثمار المادية والمعنوية".[١٠] فالثقافة تعنى بكل ما هو روحي وفكري وعلمي بينما تدل الحضارة على المعنى التقني (المادي)، والثقافة هي جزء من الحضارة، فالحضارة أشمل من الثقافة لأنها تختص جملـة مـن الثقافـات التـي يـرتبط بعـضها ببعض بصلات معينة ويتداخل تعريف الثقافة مـع تعريـف التقـدم، فالتقـدم مـرتبط بالاتجاهات الفلسفية التي بدأت منذ عـصر النهـضة الاوروبيـة وتجـسدت في مظـاهر الثورات الصناعية، ويتميز التقدم بأنه مفهوم نسبي يقوم عـلى تقـدير مـدى تغيـير في الحركة الانسانية[١١]. لقد تعـددت المفـاهيم المطروحـة لتعريـف الثقافـة تبعـا للاطـر الليبرالية والماركسية فضلا عن بعض المفاهيم التي طرحها العرب، فالمفاهيم الليبراليـة ترى عموما أن الثقافة هي ثمرة فكر الفرد، فهـي مفـاهيم محـددة بـالظروف العامـة الناتجة عن الحضارة الغربية . ومنها مفهوم (تيلور) الذي عرف الثقافة "هي ذلك الكـم

(9).Asimpson &Eseweiner: The oxford dictionary, London, 1991, p.121.

[١٠] د.حسين مؤنس: الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلـسلة عـالم المعرفـة، رقـم ٢٣٧، الكويت ، ١٩٨٩، ص ١٥ ـ١٦.

[١١] محمد الميلي وآخرون: الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة، تـونس، ١٩٩٦، ص ١٨ ـ ١٩.

المركب من المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والاعراف وكل مـا إكتـسبه الفـرد بوصفه عضواً في مجتمع ما".[١٢] لم يكن هذا المفهوم يحمل تحلـيلا في طـرق اكتـساب هذه المعارف، فالعضوية في المجتمع هـي العامـل الاسـاس في اكتـساب المعـارف فقـط، فالطابع الوصفي هو الغالب على هذا المفهوم وفي الواقع هناك الكثير من المفاهيم ضمن هذا الاطار يغلب عليها الطـابع الوصـفي. وتـذهب (دوثـي لي) في تعريفهـا الثقافـة الى انها"نسق من الرموز بواسطته يعطي الافراد معنى لكل ماهو موجود حولهم، فالسلوك الانساني كما تحدده الثقافة نسق يربط الفرد بعالمه سواء أكان ذلك العالم هو المجتمـع أو الطبيعة أو الكون أو الحقيقة المطلقة، وأن سلوك الفرد في أي موقف اجتماعي مـاهو إلا تعبير عن هذه العلاقة . فالثقافة تضع القوانين المنطقية والمبادىء الفكرية والحـدود الثابتة لسلوكهم".[١٣] وضمن هذا المفهوم تقوم الثقافة بوضع النسق الذي يحدد علاقة الفرد بمجتمعه. وقد قدم (فرويد) مفهوماً للثقافة من خلال التحليل النفـسي المعـروف بابراز الغرائز وما تحت الشعور، وأبرز في الوقت نفسه أخطار سيطرتها وجعل الثقافـة أداة لتضييق الغرائز، فعرف الثقافة "أنهـا منظومـة موانـع قوامهـا تحويـل الاهـداف الغريزية بالتدريج وتضييق دوافعها".[١٤] ومن خلال التعارض بين الثقافـة والحـضارة يذهب (أوزالد شبنغلر) في مفهومه للثقافة. أن الثقافة تشيخ وتصبح حضارة، فمعايير التفرقة بين الثقافات هي المُثل الحياتية والانظمة الاخلاقية والاراء العلمية والفلـسفية، وتبرز القيم الروحية أهميتها فهي (روح الثقافة)، ان التعارض يحدث بين طـور النمـو أي (الثقافة) وطور التدهور أي (الحضارة) . فهما طوران متعاقبـان والحـضارة هـي المصير المحتوم لكل ثقافة .[١٥]

---

(12) E.N.Taylor: primitive culture, J.M.CO. , London, p. 2.

(13) Dorothy lee: freedom and culture, free press, N.Y, 1965, P.13.

(١٤) لويس دوللو: مصدر سابق، ص ٩٠ ـ ٩١.

(15) O.Spngler ,The Decline of the west ,London ,J.M.CO,1967,pp,69-73.

ويقسم (رالف لنتـون) مـستويات الثقافـة عـلى مـستويين، الاول يوجـد في مجـال العموميات، فهي الارض التي تمتد فيها جذور الحياة الثقافية للمجتمـع، وهـي الـدين، واللغة، والتقاليد ففيها يُحدد نوع العقلية الخاصة بالنموذج الاجتماعي، فهـو نمـوذج شائع في صور جميع الافـراد المنتمـين الى ذلـك المجتمـع الـذي يطبـع حيـاتهم بـسلوك اجتماعي معين. أما المستوى الثاني فهو مستوى الافكار الخاصة الناتجة عن التخصص المهني، التي على أسسها تكمن التفرقة بين الافـراد لكـل مجتمـع.[١٦] ويـُحدد (وليـام أوجبرن) مفهوم (الثقافة) من خلال مجالين هما: المجال المادي وهـي الوسـائل الماديـة للعمل التي يخلقها الانسان، أما المجال الثـاني فهـو المجـال الاجتمـاعي مثـل العقائـد والتقاليد والعادات والافكار واللغة والتعليم الذي يظهر في سلوك الانسان.[١٧] وفي الواقـع يعد كتاب (الفرد كروبر) و(كلايد كلوكن) (مفاهيم الثقافة وتعريفها) ملخصا عـشرات المفاهيم التي تجاوزت (١٦٠) مفهوما. لقد جاء الكتاب ملخصا تعـاريف وضـعت مـن قبل علماء النفس والاجتماع والانثربولوجيا، فوضعا ستة مجـاميع رئيـسية فـشملت هذه المجاميع التعاريف الوصفية، والتاريخية، والمعيارية، والـسايكولوجية، والبنيويـة، والتكوينية. واهتمت التعاريف الوصفية بالتركيز على ميزة واحدة للتعريـف، فقـد يقـع الاختيار على الميزة الاجتماعية أو الاقتصادية. وقد أكدت التعاريف المعيارية وحدة أسلوب الحياة المميزة لهذه الثقافة أو تلك،أمـا التعـاريف الـسايكولوجية فاهتمـت بالعمليـات النفسية التي تسهم في تشكيل الثقافات المختلفة، واهتمت التعاريف البنيويـة بـالترابط الداخلي للثقافة، وأخيرا جاء اهتمام التعاريف التكوينية في البحث والتقصي عـن نـشوء الثقافات المختلفة.[١٨] لقد اهتمت التعاريف ضمن الاطار الليبرالي بالجانب الوصفي مـن

(16) R.Linton , The Tree of culture, free press, New York, 1955, p.p 22 -37

(١٧) مالك بن نبي: مصدر سابق، ص ٣٠ ـ ٣١.

(18)J. Gold and W. Kolbl: Adictionary of social Science U.N.N.Y, P.P 66-67.

خلال التركيز على محورين هما: الجانب الجماعي المتعلق بجملة الاديان والعقائد والعادات والتقاليد التي يكسبها الفرد بوصفه عضوا في الجماعة الاجتماعية، وتملي على الانسان سلوكا جمعيا. والمحور الثاني الجانب الفردي للثقافة الذي يجعل الفرد متميزا عن المجموعة الاجتماعية التي ينتمي اليها بحكم المهارات الفردية التي قادته الى ان يكون متميزا في ميادين المعرفة المختلفة.

أما المفاهيم ضمن الاطار الماركسي فيقوم المفهوم الماركسي للثقافة على أن الثقافة ليست مجرد طرائق للسلوك أو الحياة، بل الثقافة تعبير عن فهم واع للحياة، واغتراف مستمر من المعارف والعلوم الفلسفية، فللثقافة دور واضح في القدرة على الاجابة وطرح الحلول للتناقضات ومشكلات الحياة اليومية وهذه القدرة تتولد من خلال الوعي المتقدم الذي يوفره الاطلاع (النظري)، اي ممارسة عملية (التثقف) المستمر، ومن خلال التطبيق(العملي) للافكار.[١٩] لقد ميز(ماركس) بين نوعين من البنى: البنى الفوقية التي يمثلها المثقفون (أصحاب الايديولوجية)، والبنى التحتية التي تتمثل بالجانب المادي الذي يحدد وعي أصحاب الايديولوجية ومنطلقاتهم الفكرية والاجتماعية. فالعقائد والمذاهب والتصورات الجماعية والمؤسسات والثقافات ليست الا مفاهيم تمثل الطبقات فهي من المجتمع في بنيانه الفوقي ولئن كان البنيان الفوقي يؤثر في القاعدة، فهذا التأثير ثانوي ويوضح ذلك من خلال "أن البشر يدخلون في علاقات محددة، وضرورية مستقلة عن ارادتهم . وهي علاقات انتاج تناسب درجة محددة من تطور قواهم الانتاجية المادية، وجملة علاقات الانتاج هذه تكون البنية الاقتصادية للمجتمع، أي القاعدة الملموسة هي التي تبنى عليها بنية فوقية قانونية وسياسية وهي التي تناسبها أشكال معينة من الوعي الاجتماعي. ان نمط إنتاج الحياة المادية يكيف صيرورة الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بصفة عامة وليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم

(19)International Encyclopedia of Social Sciences, VoI.7, Free Press, N.Y, 1972, p69.

ووعيهم".[٢٠] وفي الواقع لاتختلف الطروحات الماركسية الاخرى التي تناولت مفهوم الثقافة عما طرحه (ماركس) فمن خلال تساؤلات عديدة عن مصادر الافكار عند الفرد يعبر (ماوتسي تونغ) عن أهمية الممارسة الاجتماعية عندما يذكر في تساؤلاته"من أين تأتي الافكار السديدة؟ هل تنزل من السماء؟ لا. هل هي فطرية في عقل الانسان؟ لا. انما هي تأتي من الممارسة الاجتماعية بانواعها الثلاثة: النضال من أجل الانتاج، والصراع الطبقي، والتجربة العملية . ان الوجود الاجتماعي للانسان هو الذي يحدد تفكيره . وما أن تستوعب الجماهير الافكار السديدة التي تتميز بها الطبقة المتقدمة حتى تتحول هذه الافكار الى قوة مادية تبدل المجتمع وتبدل العالم"[٢١]. وعلى وفق الاسس المحورية للنظرية الماركسية فكل ثقافة من ادب وفن ... ينتمي الى طبقة معينة ويتبع خطا سياسيا محددا وعلى هذا فالثقافة انعكاس لمجتمع معين . والثقافة ضمن هذا الاطار هي"المجموع الكلي المحدد تاريخيا للعادات والمعرفة والافكار والافعال لدى الناس والمرتبطة عضويا بتطور الصراع الطبقي وبتطور العمل ووسائله، مع التركيز على الجانب المادي وعلى وسائل الانتاج كمستويات أساسية وجوهرية مؤثرة في الثقافة"[٢٢]. فالبنى المادية هي الفاعل الرئيس في خلق الثقافة، فالافكار والنظريات هي انعكاس للواقع الموضوعي للمجتمع، كما أن وحدة الثقافة هي الاساس في كل مجتمع فهناك رفض للتعددية الثقافية في المجتمع الواحد، ان الاصرار على وحدة الثقافة التي يولدها الواقع الموضوعي في المجتمع يشكل تجاهلا واضحا للثقافات الثانوية في كل مجتمع، فلايمكن لاي مجتمع أن يمتلك ثقافة واحدة، مهما كان هذا المجتمع بسيطا في مكوناته.

---

[٢٠] كارل ماركس: نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة محمد عيتاني، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٦، ص٨٧.

[٢١] ماوتسي تونغ: أربع مقالات فلسفية، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، ١٩٦٨، ص ١٣٩.

[٢٢] أوسيبرف.ج: قضايا علم الاجتماع، ترجمة، أحمد فرج، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٠، ص١٢٦.

اذا كان هناك سمات ميزت المفاهيم الليبرالية عن المفاهيم الماركسية فلم تُظهر المفاهيم العربية عند تناولها اسسا واضحة يمكن أن تميزها عن المفاهيم السابقة، وعلى الرغم من ذلك يعد (مالك بن نبي) من أول المفكرين العرب الذين اهتموا بتعريف الثقافة، فقد عرف الثقافة أنها"مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتنظم لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه باسلوب الحياة والوسط الذي ولد فيه"[٢٣]. فالثقافة تسهم في تشكيل الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يكسبها الفرد منذ ولادته، كما تنظم العلاقة بالوسط الاجتماعي الذي ينتمي اليه الفرد . ولا يختلف هذا المفهموم عن المفهوم الذي طرحه (تيلور) ضمن الاطار الليبرالي، وماطرحه (الطاهر لبيب) عن مفهوم (تيلور) أيضا في تعريفه للثقافة فقد عرفها أنها "المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والاخلاق والتقاليد وكل القابليات والتطبيقات الاخرى التي يكسبها الانسان كعضو في مجتمع ما"[٢٤]. فهي تشمل المعطيات الفكرية والعاطفية والمادية. وفي الواقع هناك العديد من المفاهيم التي لاتخرج عن الاطار الليبرالي في تعريف الثقافة التي لاتضيف ابعادا جديدة لمفهوم الثقافة. وهذا ما نجده في مفهوم (عبدالله العروي) الذي عرف الثقافة "مجموع الرموز التي تعكس الحياة الجماعية . إنعكاساً مباشرا، لذا يكون كل عضو من أعضاء المجتمع حامل ثقافة على الرغم من وجود أفراد متخصصين كالشاعر أو القاص أو الطبيب أو الساحر"[٢٥]. ويحصر (محمد مبارك) مفهوم الثقافة في المفهوم المثالي ويشمل العقائد والاداب والفنون والقيم والمعايير العامة في التفكير والسلوك، والمفهوم المادي الذي يقوم على حركة المجتمع التأريخية في مرحلة معينة وما يسبب من

---

[٢٣] مالك بن نبي: مصدر سابق، ص ٣٢..

[٢٤] الطاهر لبيب: سوسيولوجيا الثقافة، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٦٨، ص٧.

[٢٥] د. عبد الله العروي: أزمة المثقف العربي، دراسات في التاريخ والسياسة والقانون، الندوة الدبلوماسية الثامنة لعام ١٩٨٠، دولة الامارات العربية، ص١٠٥.

إنعكاس في ايديولوجية ذلك المجتمع[٢٦]. يقترب هذا المفهوم قليلا من المفاهيم الماركسية فقد جعل الحركة التاريخية سببا في تأثير صياغة ايديولوجية مجتمع ما.

وبهذا أعطت الأطر الثلاثة مفاهيم للثقافة أكدت الاولى منها أهمية الجهد الفردي في صياغة المنجز الثقافي المميز الذي يشكل إضافة الى الحضارة الانسانية في مجالاتها المادية والروحية. وأكدت المفاهيم الماركسية أن الثقافة إنعكاس للواقع الموضوعي في المجتمع، فالثقافة صدى للعلاقات المادية في كل مجتمع، وتشكل الثقافة وسيلة تغيير في المجتمع وترفض التعددية الثقافية فهي تؤكد على الوحدة الثقافية لكل طبقة. وقد جاءت المفاهيم العربية صدى للمفاهيم الليبرالية في جوانبها الوصفية، فلم تبرز مفاهيم تشكل إضافة جديدة للفكر الانساني .

المطلب الثاني: المثقف: ان مفردة المثقف مفردة مستحدثة في اللغة العربية شاع استخدامها في الادبيات الاجتماعية والسياسية، ولفظة مثقف مشتقة من فعل (ثقف) بمعنى حذق وفهم وادرك[٢٧]. استخدمت اللغات الأوروبية الحديثة مفردات عديدة للاشارة الى مفردة المثقف منها المتعلم (Educated)، والدارس المتمرس (Scholar)، والمثقف المطلع (Cultured)، والمفكر النشط (Intellectual)، وتختلط في اللغات الأوروبية كلمتا المفكر النشط (Intellectual)، وانتلجنسيا (Intelligentsia) في الكثير من الكتابات فمفردة انتلجنسيا لها مدلول تأريخي - اجتماعي محدد يشير الى المتعلمين تعليما جامعيا من الاطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين والصحفيين والكتاب والعلماء في روسيا القيصرية سواء اكانوا مشتغلين بالفكر أم غيره وسواء أكانت لهم

[٢٦] محمد مبارك: مقاربات في العقل والثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط١ ٢٠٠٤، ص ١٦١ ـ ١٦٣.

[٢٧] أحمد الموصلي ولؤي الصافي: جذور أزمة المثقف في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢، ص ٨٥.

إهتمامات عامة خـارج مهنـتهم وتخصـصاتهم أم لـم تكـن[٢٨]. وغالبـا ماتـستخدم مفـــردة (Intellectual) للدلالة على كل من يستخدم فكره مقابل مفـردة (اليـدوي) التي تدل على من يقوم بعمل يدوي وهذا ماذهب اليه (روجيـه غـارودي)، فهـو يطلـق بوجه الاجمال (العمل اليدوي) على الفعل الذي يتحكم بالاشياء، و(العمل الفكري) عـلى العمل الذي يتحكم بالبشر أو الذي يتحكم بالاشياء من خلال الـتحكم بالبـشر[٢٩]. ومـن خلال تساؤلات عديدة للتمييز بين القول (الفكر) والفعل (العمل) يطرح (حليم بركـات) هذه التساؤلات "هل المثقفون هم من يتعـاملون بالكلمـات فنميـز حينئـذ بـين القـول والفعل فنقول ان المثقفين هم الـذين يقولـون ولا يفعلـون او يفعلـون مـالا يقولـون، ويقولون ما لايفعلون"[٣٠]. وعلى الرغم من استشهاد (حليم بركات) بتـساؤلات مـستلة مـن كتـاب (ملاحظـات مـن العـالم الـسفلي) لـــ(دوستوفـسكي) لتـدعيم فكرتـه، فـ(دوستوفسكي) يقول "اقسم أيها السادة أن شدة الوعي مـرض .... ومـن هـو الـذي يستطيع أن يفخر بمرضه ... وفيما يتعلق بنا نحن الذين نفكر، وبالتالي لانفعل شـيئا ... نادرا ما نثق بأنفسنا .... هل تعرفون ياسادة، وربما أعد نفسي انسانا ذكيا فقط لانني لم اتمكن طوال حياتي أن ابدأ أو اكمل أي شيء"[٣١].

تخرج المقارنة هنا عن التمييز بين العملين الفكري واليدوي، وتدخل ضمن تناقضات إستثنائية يعيش فيها المثقف الا أن من الممكن توظيفهـا في إهتمامـات المثقـف بالعمـل الفكري الذي يبعده عن واقع الممارسة الفعلية لما يفكر به . فاذا كان هناك مـن يفـصل بين العمل الفكري والعمل اليدوي، ويرجح إهتمامات المثقف في العمـل الفكـري فقـط،

---

[28] A. K. Gella: The Intelligentsia and the Intellectuals ; Theory , Method ,and case study , New York , 1976, p.p 9- 18.

[٢٩] روجيه غارودي: البديل، ترجمة جورج طرابيشي، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٢، ص١٤٧.

[٣٠] حليم بركات: المثقفون في المجتمع العربي: ملاحظات حول أصولهم وإنتماءاتهم الطبقية، مجلة المنار، العدد ٢٩، السنة الثالثة، مايو / ١٩٨٧، ص ٦٧.

[٣١] المصدر السابق نفسه، ٦٨..

يرفض (غرامشي) فكرة حصر العمل الذهني في فئات المثقفين ويرى "يبدو من الخطأ المنهجي الاكثر شيوعا هو النظر الى قاعدة التمايز هذه ضمن اطار الفعاليات الفكرية نفسها بدلا من دراسة مجمل تركيب العلاقات الاجتماعية وبالتالي تنظيم الفئات .... فيستحيل عزل الانسان العالم عن الانسان العامل .... اذ كلاهما يستخدم فكره على نحو أو آخر"(٣٢). وعليه يجد (غرامشي) "أن جميع الافراد مثقفون مع الاستدراك، أن جميع الافراد لايمارسون وظيفة المثقفين في المجتمع"(٣٣). فعموم الافراد يبقون حاملين حيازة من المعرفة التي يكسبونها بوصفهم أعضاء في مجتمع ما. ولكن ادوار المثقفين تختلف من خلال التميز الفردي الذي يؤهل صاحبه التمتع بادوار قيادية في المجتمع. ويرفض (سارتر) أيضا التمايز على أساس العمل الذهني لانه"لايمكن تصور عمل لايحتاج الى الفكر، فقد يكون الجراح مثقفا مع أن عمله يدوي، فالمهنة القائمة على هذا التقسيم لا يمكن وحدها أن تصنف ما يطلق عليه أسم المثقفين"(٣٤). وفي الواقع أن محاولة التمييز بين العمل الذهني واليدوي تبقى قاصرة، فمن المستبعد أن يطلق على المثقف أن مهنته هي (التفكير)، فربما تطلق هذه التسمية على فلاسفة اليونان مثلا فحوارات جمهورية أفلاطون خير مثل على ذلك، أما في العصر الحديث، فتسمية المثقف أخذت تقترن بالممارسة العملية، من خلال نشاطات كثيرة حاول فيها المثقف ترجمة أفكاره، فمنهم من أصاب في ترجمة هذا الفكر وكثير منهم قد خاب في نقل مايفكر به الى الواقع. فمفردة المثقف أخذت تخرج عن هيمنة لفظة المفكر (Intellectual) المشتقة من لفظة (Intellect) أي الفكر لتقترب من نشاط عملي (Active)، للفرد الذي يطلق علية لفظة

---

(٣٢) انطونيو غرامشي: قضايا المادية التاريخية، ترجمة فواز طرابلسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١، ص ١٣٠.

(٣٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣٤) جان بول سارتر: دفاع عن المثقفين، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٣، ص ٩٣.

المثقف المطلع (Cultured)، فالممارسة أضحت هي السمة الغالبة على من يطلق علـيهم (مثقفون).

فهناك اختلاف في المفاهيم الليبرالية، والماركسية فضلا عن بعض المفـاهيم العربيـة، فمفهوم المثقف ضمن الاطار الليبرالي ينطلق من خلال تحديد السمات العامة للمثقفـين وتأكيد النزعة الفردية التي تؤهل المثقف للقدرة على اكتساب المعرفة، هذه القدرة التـي تمكنهم على تحقيق انجازات ثقافية. فقد عرف (ماكس فيبر) المثقفين أنهم"مجموعـة من الاشخاص الذين تمكنهم صفاتهم الخاصة من النفاذ الى منجزات لها قيمـة ثقافيـة كبرى"[٣٥]. ويجد (روبرت ميشل) أن للمثقفين القدرة على صياغة أحكـام عـلى المواقـف المختلفة من خلال مفهومه للمثقف الذي يقول فيه المثقفون"هم أولئك الاشخاص الذين يمتلكون المعرفة الموضوعية ومع تأملاتهم الذاتية يصوغون أحكامهم عن الواقـع، دون أن يستمدوا هذه المعرفة من خبراتهم الحسية"[٣٦]. أما (جوليان بند) فيعـرف المثقفـين "أنهم الذين لايهدف نشاطهم أساسـا الى أغـراض عمليـة، فهـم ينـشدون الـسعادة في ممارسة فن ما، أو علم ما"[٣٧]. فيبعد (جوليان بند) الاغـراض العمليـة عـن نـشاطات المثقف الفكرية والفنية. ويعرف (ت . ب بوتومور) المثقفين من خلال تعدد هـذه الفئـة الصغيرة التي تمثل (صفوة المجتمع) فهم "الذين يؤلفون الفئة الصغرى في المجتمع التي تسهم اسهاما مباشرا في خلق الافكار وانتقالها ونقدها وهـذه الفئـة تـشمل الكتـاب، والفنانين، والعلماء، والفلاسفة، والمفكرين الدينيين (علماء الدين)، وأصحاب النظريات الاجتماعية."[٣٨] ويقصر (ريمون آرون) إهتمامات المثقفين عـلى الإهتمامـات الفكريـة

---

[35] A.K.Gella:op.cit, p.18.

[36] Ibid, p. 27.

[٣٧] نقلاً عن: أدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة غسان غـصن، دار النهـار للنـشر، بـيروت، ط٣، ١٩٩٧، ص٢٢.

[٣٨] ت. ب بوتومور: النخبة والمجتمع،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٢، ص٧١.

فيعرف المثقف"هو رجل الافكار ورجل العلوم وهو الـذي يـؤمن بنظريـة معينـة تجـاه الانسان والفكر"[٣٩]. وأخيرا نقف عند مفهوم (جان بول سارتر) الـذي يجـد في مثقفـه الفرد الواعي الذي يعلن معارضته للايديولوجية الـسائدة في المجتمـع وذلـك مـن خـلال تعريفه للمثقف الذي يقول فيه"هو الانسان الذي يدرك ويعي التعارض القـائم فيـه وفي المجتمع بين بحثه عن العلمية وبين الايديولوجية السائدة، وما هذا الوعي سـوى كـشف النقاب عن تناقضات المجتمع الجوهرية"[٤٠]. وبهـذا جـاءت المفـاهيم الليبرلية لتؤكـد ما يأتي:

اولا: يشكل المثقفون فئة صغيرة، فهي صفوة المجتمع تحمل هـذه الـصفوة تـسميات عديدة، فهم الكتاب، والفنانون، وعلماء الدين، وأصحاب النظريات الاجتماعية.

ثانيا: تبقى إهتمامات المثقفـين، إهتمامـات فكريـة تحـدد مـواقفهم تجـاه الانـسان والمجتمع .

ثالثا: يحمل مفهوم المثقف النظرة الرومانسية، والرومانسية هنا بمعنى الفردية فيمـا يتعلق في التحصيل المعرفي في مختلف العلوم، والتمييز الفردي في تحقيق انجازات ذات قيمة تشكل إضافة الى الفكر الانساني .

رابعا: ان تحقيق السعادة الذي حمله مفهوم (جوليان بند) يدخل ضمن مفهوم تحقيق (الخير العام)، في محاولة تغييرية نحو (الافضل) في الاعمال العلمية والفنية .

خامسا: ان التمـرد سـمة مـن سـمات المثقـف، مهمـا حـاول أن يبتعـد عـن إثـارة (المشاكسات) التي يسجل فيها اعتراضه تجاه قضايا انسانية عامة، ويعلن مواقفـه المعترضه تجاه هذه القضايا .

---

[٣٩] ريمون آرون: أفيون المثقفين، ترجمة، عادل زيتوني، المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢١٧.

[٤٠] جان بول سارتر: مصدر سابق، ص ٢٣.

سادسا: يشكل مفهوم المثقف في الاطار الليبرالي نتيجة طبيعية لمفهوم الثقافة في الاطار نفسه،فعلى الرغم من تعدد النقاط المذكورة أعلاه، فالنقطة الجوهرية التي تبقى خلف هذه النقاط هي الفردية التي تلتقي مع الفردية في الثقافة فضلا عن التعددية والاختلاف .

أما مفهوم المثقف في الاطار الماركسي فلا يختلف مفهوم المثقف عن مفهوم الثقافة، في الاطار نفسه، فاذا كانت البنى المادية هي الفاعل الاساس في خلق الثقافة، فالمثقفون"هم نتاج الطبقات السائدة في المجتمع، فيعملون على خلق ايديولوجية طبقاتهم التي تعكس نمط تفكير وأسلوب حياة هذه الطبقات"[٤١]. فالمثقف عند (لينين) هو الشخص الذي يتحالف مع القوى الاجتماعية المهيأة تاريخيا من أجل تحقيق التغيرات الكبرى في المجتمع. فمثقف (لينين) يتجسد في المثقف الثوري فهو ليس ذلك المثقف المنتمي الى الطبقة المضطهدة، ولا ذلك المعدم اقتصاديا مادام الاغتراب (الانسلاخ) الطبقي وارداً بحكم التثقف وقد يتبنى فرد من طبقة ما فكر طبقة أخرى، ولو مضادة لانتمائه وهذا مايمكن تسميته بتبادل (الاغتراب)[٤٢]. ويعد (غرامشي) منظر المفهوم الماركسي للمثقف، الذي يجد أيضا أن البنى الفوقية كتلة تاريخية فالمجموع المركب المتناقض للبنى الفوقية هو"انعكاس لمجمل علاقات الانتاج الاجتماعية، فكل طبقة اجتماعية تولد فيها شريحة أو شرائح من المثقفين يزودونها بتجانسها وبوعيها لوظيفتها الخاصة لا في الميدان الاقتصادي فحسب، بل في الميدان السياسي والاجتماعي ايضا"[٤٣]. ويعطي (غرامشي) مفهوما للمثقف من خلال التمييز بين المثقف (العضوي) والمثقف (التقليدي)، فالمثقف (العضوي) هو المثقف التقدمي الذي يدعو الى التقدم

---

[٤١] كارل ماركس: مصدر سابق، ص ٩٧.

[٤٢] ف. أ. لينين: في الثقافة والثورة الثقافية، دار التقدم، موسكو، ١٩٦٨، ص ٣٧.

[٤٣] انطونيو غرامشي: مختارات من كراسات السجن، ترجمة، عادل غنيم، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٨٧.

والسير نحو الامام ويحقق (المثقف العضوي) ارتباطه بطبقته عن طريق تنظيم سياسي، وهو الحزب، فالحزب هو (المثقف الجماعي). أما المثقف (التقليدي)، فهو المثقف الذي يدافع عن الطبقات المنقرضة أو التي أوشكت على الانقراض، لايأتي المثقف التقليدي بشيء جديد، فهو يواصل فعل الاشياء نفسها من جيل الى جيل مثل الكهنة والمدرسين والاداريين[٤٤]. ويجد (ماوتسي تونغ) في مثقفه ضرورة استيعابه للماركسية ـ اللينينية، وأن يندمج تدريجيا مع العمال، والفلاحين، وأن يدركوا صيرورة التقدم وعدم التقهقر، وتقوية العمل الفكري والسياسي من خلال دراسة الاحداث السياسية لان الانسان اذ لم يتسلح بوجهات نظر سياسية أصبح (جسد بلا روح)[٤٥] وبهذا فقد أكدت هذه المفاهيم النقاط الآتية:

اولا: المثقف هو نتاج العلاقات المادية في المجتمع، فكل طبقة تخلق مثقفيها، ويمكن الاستفادة من المثقف خارج حدود طبقته، بفعل عملية (التثقف) التي تولد الانسلاخ الطبقي لمثقف ينتمي لطبقة مضادة لانتمائه الطبقي الاصلي.

ثانيا : يتولى المثقف (الثوري) الذي يستوعب النظريات السياسية التغييرية ويتحالف مع العمال والفلاحين لقيادة التغيرات الكبرى في مجتمعه .

ثالثا: يبقى مفهوم المثقف هو نتاج المفهوم الماركسي للثقافة، فافكاره ونظرياته هي انعكاس للواقع الموضوعي للمجتمع، فوحدة الثقافة تخلق بالضرورة وحدة (المثقف) .

واخيرا حملت المفاهيم العربية خليطا من المفهومين السابقين الليبرالي والماركسي، وان غلب على هذه المفاهيم المفهوم الماركسي ، فقد عرف (محمد عابد الجابري) المثقف هو "ذلك الشخص الذي يتجاوز العوائق التي تحول دون نظام اجتماعي أفضل، نظامٍ

[٤٤] المصدر السابق نفسه، ص ٩٧ـ ٩٨.

[٤٥] ماوتسي تونغ: مصدر سابق، ص ١١١ـ ١١٤.

أكثر فاعلية، نظامٍ أكثر إنسيابية، وأكثر عقلانية"[٤٦]. فيحمل هذا المفهوم تحقيق نظام أكثر إنسيابية، اكثر عقلانية من خلال اجتياز المثقف العوائق التي تقف حائلا دون ذلك . أما (أحمد مجدي حجازي)، فيعرف المثقف "ذلك الشخص الذي نـال قـدرا مـن المعرفـة واهتم بأمرها في مجالات الفكر والعلم والادب"[٤٧]. ويبقى الاهتمام المعرفي مـن اولويـات إهتمامات المثقف. ويذهب (هشام شرابي) في تعريفه للمثقف بانه"المستوعب للثقافـة، وانه يتميز بصفتين هما: الوعي الاجتماعي الذي يُمكن الفرد من رؤية المجتمع وقضاياه من زاوية شاملة، وتحليل القضايا على مستوى نظري متماسك . الدور الاجتماعي الـذي يُمكن أن يلعبه وعيه الإجتماعي، فضلا عن القدرات الخاصـة التـي سيـضيفها عليـه اختصاصه المهني أو كتاباته الفكرية"[٤٨]. لقد جعـل (هـشام شرابـي) الـوعي الـدور الاساس الذي يميز الشخص المثقف عن غيره. ويجد (هادي العلوي) درجة الوعي ايـضا العامـل الـرئيس في تـشخيص المثقـف فدرجـة الـوعي الاجتمـاعي"جعـل مـن بعـض الشخصيات مثقفة ولعل الشخصيات الاسلامية أمثال (أبو ذر) و(سلمان الفارسي) خير مثال على ذلك"[٤٩]. ويوظف (عزيز الـسيد جاسـم) الـوعي ايـضا في تعريفـه للمثقـف فالمثقف هو"محبذ الوعي الى المسافات البعيدة خارج حدود القناعات السهلة والموافقات الكسولة والتثاؤب ازاء أحداث لا يمكن الا أن يكون مـشاركا فيهـا أو ضـدها بـشكل أو بأخر"[٥٠]. وبهذا جاءت المفاهيم العربية للمثقف مؤكدة على أهمية المعرفة مـن خـلال

[٤٦] محمد عابد الجابري: المثقفون في الحضارة العربيـة، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت،ط٢، ٢٠٠٠،ص ٢٥.

[٤٧] احمد مجدي حجازي: المثقف والالتزام الايديولوجي، مجلة المـستقبل العربـي، العـدد ٢٨١، تمـوز / ١٩٨٥، ص ٩.

[٤٨] هشام شرابي: مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٧، ص ١٠٠.

[٤٩] هادي العلوي: المرئي واللامرئي في الادب والسياسة، دار المدى، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣، ص ١٨.

[٥٠] عزيز السيد جاسم: مقالات، منشورات دار النهضة، بغداد، ط١، ١٩٧٣، ص ١٤٣.

الاهتمام بفروعها العلمية والادبية، كما أكدت الوعي الـذي يجعـل المثقـف أكثـر ادراكـا لقضايا المجتمع، وعلى الدور الذي يضطلع المثقف فيه من أجل خدمة مجتمعه .

فالأطر الثلاثة للمثقف تُظهر بصورة واضحة سعي المثقـف الـدائم في أن يُخـضع واقعه الموضوعي الذي يعيش فيه الى ذاته الواعية، فهناك سلطة غـير معنونـة يمـارس المثقف من خلالها (نفوذه) مصدر هذه السلطة المعرفة التي يتحلى بها، ووسيلته الـدور الذي يمارسه، وهدفه التغيير.

المبحث الثاني

السلطة السياسية

نتعرف على ماهية السلطة السياسية مـن خـلال مناقـشة النقـاط الآتية: ـ

المطلب الاول: مدلول السلطة السياسية: ان مفردة الـسلطة في اللغـة العربيـة تعني"المُلك، والقدرة"[٥١]، فهذه المفردة مشتقة مـن "الـسلاطة: أي القهـر"[٥٢] ومفـردة السلطة تعريب للمصطلح الانكليـزي (Authority)، والمفـردة الانكليزيـة مـشتقة مـن اللفظة اللاتينية (Auctoritas) وترتبط هذه المفردة بالمفردة اللاتنية (Aucter)، وتعنـي (المؤسس)، و(الملهم)، و(الجد)، فهي مبعث تفوق وسمو فـصاحب الـسلطة (Auctor) صاحب سمو وتفوق، ولكن هذا السمو والتفوق يبتعد عن إمارات الطاعـة أو الـسيطرة عـلى الغـير فتقـترن الـسلطة بالمؤسـسين، أو الاوصـياء، أو الزعمـاء، أو الحكمـاء، أو الاجداد[٥٣]. وتقترب هذه المفردة من سمة روحية أكثر من اقترانها بسمة مادية فمبعـث السلطة طاعة إختيارية تجاه صاحب الـسلطة، تتجـسد مـن خـلال احـترام وقداسـة لصاحب السلطة، فهي تؤطر هذه العلاقة صفة غير رسـمية . فمفـردة الـسلطة هنـا تقترب من قوة النفوذ الذي يمارسه صاحب السلطة . ومـن مفـردات الـسلطة القـدرة (power) وهي"الحق في اجبار الاخرين للامتثال الى الاوامر"[٥٤]. ولمفردة الـسلطة معـانٍ أخرى وهي النفوذ، والقوة، والاجبار ألا أن معنى السلطة يختلف عن هذه المعاني بعـدد

[٥١] المنجد في اللغة والاعلام: دار المشرق، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٤٤.

[٥٢] أحمد بن علي الفيومي المغربي: المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧، ص١٠٨.

[٥٣] ناجي صادق شراب: السياسة دراسة سوسيولوجية، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٤، ص ١٥٠.

[54] J.Asimposon&E.winer: op. cit,p.798.

من المميزات، فالسلطة تدور في اطار شبكة محددة ذات مراتب متسلسلة تتمثـل في ادوار عدة منها: الاب ـ الابن، والمعلم ـ الطالب، والحاكم ـ المحكوم . فهناك إطـار مؤسـساتي تدور ضمنه السلطة. كما تتميز السلطة بأنها احدى الوسائل المفضلة في الحـصول عـلى موقع رسمي يمارس فيه صاحب الـسلطة سـلطته. وتبقـى ممارسـة الـسلطة تـدور ممارستها في اطار الشرعية التي يتمتع بها صاحب السلطة(٥٥). فالسلطة هـي"امـتلاك الفرد لميزة اعطاء الأوامر بسبب العلاقة غير المتكافئة بين شخصين الاول يتمتع بـالقوة والثاني يفتقر لهذه الميزة"(٥٦).فميزة اعطاء الأوامر مصدرها شبكة التراتـب الاجتمـاعي والاطار المؤسساتي والشرعية التي تخول صاحب السلطة ميزة اعطاء الاوامـر. يتطـور معنى السلطة الى الحق في اتخاذ القرارات وفرض العقوبات عـلى مـن يخـالف القـرارات المتخذة فالسلطة عند (ماليوفـسكي) هـي"القـوة الـشرعية لإقامـة الانظمـة واتخـاذ القرارات واجبار الاخرين على تنفيذها من خلال فرض العقوبات"(٥٧). ويـشهد مفهـوم تعريف السلطة تطورا آخر من خلال أن السلطة هي وسيلة لتنظـيم جهـود وفعاليـات أفراد المجتمع فالدكتور (احسان محمد الحسن) يعرف السلطة"شكل من أشكال القوة التي توجه وتقود جهود وفعاليـات الأفـراد نحـو تحقيـق الاهـداف الخاصـة والعامـة للمجتمع"(٥٨).وبهذا فقد تعددت معاني السلطة بـين القهـر والملـك الى معنـى القداسـة والسمو الى التقارب مع القدرة والنفوذ والقوة الا أن حيثيات السلطة من شرعية وتراتب اجتماعي جعلت السلطة تتميز عن هذه المفردات ضمن هذه المفاهيم، ثم تغـدو وسـيلة لتحقيق أهداف خاصة وعامة للمجتمع .

(55) David L. Silis:International Encyclopedia of the Social Science, T.M.CO,N.Y, 968,P.474. OP.Eid,p.474

(56) op. Eid. P. 473.

(57) J.Gold&W.olbl:Ibid,p.53

(٥٨) د. أحسان محمد الحسن: علم الاجتماع السياسي، مطبعة الجامعة، الموصل، ١٩٨٤، ص ١٢٤.

أما مفردة السياسة في اللغة العربية فهي"القيام على الشيء بما يصلحه: فيقال هو من يسوس الدواب ـ اذا قام عليها، واراضها؛ والوالي يسوس رعيته"[٥٩]. ومفردة السياسة عند الإغريق (Polis) تعني دولة ـ المدينة أو أجتماع مواطني دولة ـ المدينة، كما تعني مفردة سياسة (Tkenehne) أي فن تدبير الادارة لدولة ـ المدينة، وبهذا تكون المفردة اليونانية (polieteia) تعني دولة ـ المدينة، والدستور، والنظام السياسي[٦٠]. وتجمع المعاجم الانكليزية على أن مفردة السياسة هي"علم وفن الحكم الذي يهتم بشكل وتنظيم وادارة دولة ما"[٦١]. ولاتختلف المعاجم الفرنسية في القول أن مفردة السياسة تعني"فن حكم الدولة،والعناية بالشؤون المتعلقة بالدولة، كما تعنى بكيفية قيادة وادارة الدولة ."[٦٢] وبهذا لاتخرج مفردة سياسة عن فن حكم وادارة الدولة،فمعنى السياسة العام هو القيادة والادارة والقيام على الشيء بما يقومه ويعمل على اصلاحه، أما المعنى الخاص فهو قيادة جماعة من البشر من موقع السلطة في هذه الجماعة باستخدام وسائل السلطة العامة .

وعلى وفق إهتمامات علم السياسة بموضوع السلطة السياسية، اقترنت (السلطة) بـ(السياسة)، ومن هنا جاءت مفاهيم السلطة السياسية، فقد عرف د.(عبد الرضا الطعان) السلطة السياسية أنها "نوع من السلطة الاجتماعية التي تظهر في المجتمعات المدنية الاجمالية وتتمتع بخاصية السيادة إزاء كل السلطات الاجتماعية الأخرى التي توجد ضمن اطار هذه المجتمعات المدنية الاجمالية"[٦٣]. فوجود السلطة مرتبط بوجود

---

[٥٩] محمد بن مكرم أبن منظور: مصدر سابق، ج٦، ص ١٠٨.

[٦٠] د. أسماعيل علي سعد: المجتمع والسياسة.... دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكنرية، ط١، ١٩٨٣، ص ١٦.

[61] A.S.Hornby:Oxford Advanced Learners English ,O.U.P,London,1975,p.656.

[٦٢] محمد الشافعي أبو راس: نظم الحكم المعاصرة....دراسة مقارنة في أصول الحكم، ج١، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٨، ص١٦.

[٦٣] د. عبد الرضا الطعان ود. صادق الاسود: مدخل الى علم السياسية، مطابع الجامعة، الموصل، ١٩٨٦، ص٩٢.

المجتمعات المدنية فهي ظاهرة إجتماعية مرافقة لتطور المجتمعات المدنية فهي"عملية (Process) من عمليات النظام الاجتماعي (Social Order) إذ تتضمن التعاون وحل التناقضات بين الافراد والجماعات المختلفة في المجتمع باستخدام السلطة السياسية (Political Authority)، وان دعا الامر الى استخدام الإجبار لضبط سلوك الافراد بما يتلاءم ومصالح الجماعة أو المجتمع ككل"[٦٤]. وعلية فالسلطة السياسية ظاهرة اجتماعية ارتبط وجودها بتطور المجتمعات البشرية، وتستخدم السلطة السياسية وسيلة لتنظيم مصالح الجماعات والافراد، كما تتميز السلطة السياسية باستخدام وسائل الاجبار لضبط سلوك الافراد. لقد شهدت ممارسة السلطة السياسية تطورات تاريخية نتعرف عليها من خلال الصفحات التالية .

المطلب الثاني: التطور التاريخي لممارسة السلطة السياسية:

ان عملية الانتقال من مرحلة السلطة الشخصية التي يتمتع بها الحاكم على أنها ملك له ومرتبطة بشخصه الى مرحلة السلطة المجردة التي تجد مصدرها، وأساسها في الجماعة، لم يتم دفعة واحدة، فاشكال السلطة عند (ماكس فيبر) شهدت تطورا تبعا لتطور المجتمعات من مجتمعات بسيطة الى مركبة، فقد عرفت في صور عديدة منها: السلطة التقليدية وهي السلطة القائمة في مجتمع بسيط يعيش على التقاليد والاعراف، والسلطة الكارزماتية التي تتلخص بجوانب (الجاذبية) لشخصية الحاكم الذي تؤهله للحكم، وأخيرا السلطة الشرعية (القانونية) وهي ثمرة نشاطات المجتمعات الحديثة التي جعلت ممارسة السلطة تأتي على وفق القواعد القانونية[٦٥]. نتعرف على أشكال ممارسة السلطة من خلال مناقشة النقاط الآتية:ـ

---

[٦٤] د. اسماعيل علي سعد: مصدر سابق، ص ١٧.

[65] J.Gold&W.Kolbl: Ibid, p. 43-47

اولا: السلطة الثيوقراطية: تعد السلطة الثيوقراطية اقدم أشكال السلطة، فالحاكم من طبيعة آلهية، فهو (الإله)، فقد عرفت المدنيات القديمة في مصر وبلاد فارس والهند هذا الشكل من أشكال السلطة، فقد نظر الناس الى الملوك والاباطرة أنهم (آلهة) صاحب ظهور الديانة المسيحية تطورٌ مهمٌ في التغيير من ممارسة السلطة بموجب (التفويض الآلهي المباشر)[66]، الى ممارسة السلطة ضمن مفهوم (التفويض الآلهي غير المباشر)، فالحاكم لايستمد سلطانه من الله مباشرة، ولكن (يرتب) الله ليتولى فرد معين في زمن معين أمور الحكم، فمصدر السلطة (آلهي)، وهي مطلقة، فالحاكم ليس مسؤولا أمام أحد من البشر وليس على الافراد الا الخضوع لتلك السلطة ذات المصدر الآلهي[67]. فمفهوم السلطة يخضع الى إرادة وادارة سماوية تفوق ادراك البشر مادامت السلطة مستمدة من سلطة الإله، فأعمال الحاكم لارقيب عليها الا الله ولن يكون مسؤولا عما يقوم به أمام أية هيأة، وقد إستمرت ممارسة السلطة هذه في العصور الوسطى الى العصر الحديث.

ثانيا: السلطة الديمقراطية الليبرالية: كانت الليبرالية خليطا فريدا من النثرية والطوباوية والمثالية والعلمية، فقد صورها بعضهم مآل التاريخ، ومرجعا أعلى للاخلاق، عمليا اتخذت الليبرالية اتجاهين فعلى الصعيد السياسي إنحسرت مطاليبها في (الاقتراع العام .... وحرية التجمع .....) وغيرها من المطاليب الاخرى المتضمنة حل جميع المصاعب التي ترافق ممارسة السلطة، وعلى الصعيد الاخر شكلت حضانة للنهضة الصناعية وعملية تطور المنافسة الدولية[68]. اعتمدت الليبرالية على المدارس الفكرية التي ضمت نظريات

---

(66) د.ثروت بدوي: النظم السياسية، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(67) د. محمد طه بدوي وطلعت الغنيمي: النظم السياسية والاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٥، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(68) جان توشار وآخرون: تاريخ الفكر السياسي، ترجمة، د.علي مقلد، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

الحقوق والحريات الطبيعية والعقد الاجتماعي ومبدأ المنفعة وقد ترعرعت الليبرالية في القرن السابع عشر وهو قرن المدرسة النفعية، والقرن الثامن عشر الذي يمثل عصر الاستنارة الأوروبية، لقد شهدت الليبرالية تطورا كبيرا بعد توسع مفاهيمها لتجعل الحقوق والحريات التي دافعت عنها تشمل كل المواطنين، وبهذا فقد (دمقرطت) الليبرالية[٦٩]. وجاء المبدأ الاساس لممارسة السلطة في النظام الليبرالي في أن السلطة لاتظهر ممارستها الا في نطاق اطر مؤسساتية محددة، كما أن ممارسة السلطة ترتبط بمبدأ المصلحة الذاتية للفرد[٧٠]. وتتجلى ممارسة السلطة في الترتيب المؤسسي الذي من خلاله يصل الافراد والجماعات الى السلطة عن طريق تنافسي على الاصوات فتختلف صور ممارسة السلطة من بلد الى آخر ومن زمن الى آخر، فقد يمارس الشعب السلطة بنفسه وهنا يكون لدينا نظام الديمقراطية المباشرة، أو يختار الشعب نوابا عنه يمارسون السلطة باسمه ونيابة عنه فيطلق على هذا النظام (الديمقراطية النيابية) أو (الديمقراطية غير المباشرة)، وقد يعتنق الشعب نظام الديمقراطية النيابية مع الرجوع اليه في القضايا المهمة، فيكون لدينا نظام مختلط من النظامين المباشر والنيابي[٧١]. فسيادة حكم القانون الذي يوصف بالحيادية، كما ينطبق حكمه على الحاكم والمحكوم، ويتميز القانون بعقلانيته وعموميته فضلا عن قدرته على معالجة القضايا المستقبلية[٧٢]. وتبقى الانتخابات الوسيلة الديمقراطية لاسناد السلطة، فلا قيام للديمقراطية ما لم تكن الانتخابات وسيلة الاختيار الوحيدة لاختيار الحاكم، فضلا عن

---

[٦٩] علي الدين هلال: مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث، من كتاب أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٣٨ ـ ٣٩.

[٧٠] د. سعيد ناصر: المجتمع والسلطة في نظريات العقد الاجتماعي، ج١، مكتبة طرابلس، طرابلس، ١٩٩٦،ص ٩٢.

[٧١] د. محمد الشافعي أبو راس: مصدر سابق، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

[٧٢] سعيد زيداني: إطلالة على الديمقراطية الليبرالية، مجلة المستقبل العربي، العدد ١٣٥، مايو / ١٩٩٠، ص ١٠ ـ ١٢

وجود عدد كبير من الجماعات والتنظيمات الوسيطة القـادرة عـلى التـأثير في القـرارات المتخذة[٧٣]. ويشكل مبدأ فصل السلطات وعدم جمع مختلف السلطات في يد شـخص أو هيأة واحدة بل توزع أعمالها بين هيئات مختلفة، ووضع كل سلطة في اليد المختصة بها، و المراقبـة بـين الـسلطات أساسـاً للتعـاون بينهـا والحيلولـة دون ممارسـة الظلـم والاستبداد[٧٤] . ويبقى مبدأ فصل السلطات نسبيا ومرنا، يسمح بوجود بعـض التعـاون والمشاركة في الاختصاصات بين الهيئات العامة المختلفة، وبدرجـة تتفـاوت مـن نظـام سياسي الى نظام سياسي آخر، دون أن يصل الى حـد الغـاء الفواصـل والحـدود وتركيـز السلطة في يد واحدة أو تمكين احدى الهيئات من السيطرة على باقي الهيئات واخضاعها لارادتها[٧٥]. وبهذا جاءت هذه الـسلطة لـتعلن أهـم مبادئهـا وهـي أن الـشعب مـصدر السلطات، وسيادة حكم القانون، والانتخابات هي الوسيلة للوصول الى السلطة، والاخـذ بمبدأ فصل السلطات.

ثالثا: السلطة الشمولية (التوتاليتارية)، تقوم السلطة الشمولية على إخضاع الفرد للدولـة وعلى السيطرة الصارمة عـلى جميـع مظـاهر حيـاة الافـراد، عـلى أسـاس افتراضـات ايديولوجية وذلك بوجود عقيدة رسمية مثل الماركسية والنازية والفاشية والكثـير مـن الانظمة الفردية (الديكتاتورية) التي تعتمد على صيغ دستورية معينة وحـزب رسـمي وشرطة سرية ودعاية واسعة[٧٦]. يمكن عد المفهوم الماركسي للسلطة الاساس في الكثـير من الانظمة الشمولية، فالسلطة ليست ظاهرة طبيعية، وانما ظـاهرة تاريخيـة تمثـل انعكاسا لعلاقات الانتاج في المجتمع، فالتاريخ لايتكون من الوقائع السياسية، فكل حياة سياسية هي وهم[٧٧]. فـترفض الايـدلوجيات الـشمولية مبـدأ الفـصل بـين الـسلطات

---

[٧٣] د. ناجي صادق شراب: مصدر سابق، ص ٦٧ ـ ٦٨.

[٧٤] عبد الكريم غلاب: سلطة المؤسسات بين الـشعب والحكـم....، دراسـة دسـتورية سياسـية، مطبعـة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧، ص ٦٨ ـ ٦٩.

[٧٥] د.ثروت بدوي: مصدر سابق، ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

[76] David L. Silis: op. cib, p. 479.

[٧٧] جان توشار وآخرون: مصدر سابق، ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨.

إنسجاماً مع فكرة الاجماع، ولأخذ بمبدأ جماعية السلطة فضلا عن ضمانها الحقوق والحريات ضمن المفهوم الليبرالي فتعدها شكلية وصورية، فتحقيق ضمان الحقوق والحريات عن طريق اقامة نظام اقتصادي ـ إجتماعي يضمن المساواة بين الجميع[٧٨].
ان السمات العامة للسلطة الشمولية تتلخص بوجود ايديولوجية رسمية واحدة وفكرة فصل السلطات غير مقبولة والسلطة السياسية محتكرة من قبل حزب واحد، واحتكار وسائل الاتصال الجماهيري وتوجيه مركزي للاقتصاد ووجود خط فاصل بين القادة وغير القادة والاهتمام بالتعبئة الجماهيرية وعدم شرعية الصراع السياسي والرعب والارهاب وسيلة السلطة لفرض الطاعة والامتثال للسلطة ، الا أن هناك تباينا في مدى ارتكاز هذه السلطة على احدى السمات أكثر من غيرها، فبعضها يرتكز على القمع في فرض الطاعة،أو احتكار وسائل الاتصال الجماهيري من أجل التعبئة الجماهيرية أو اللجوء الى وسائل أخرى[٧٩]. فممارسة السلطة تظهر بوضوح في تجاهل الرأي العام المعارض انسجاما مع فكرة الاجماع، والتغيير لن يتم الا من داخل الحزب الحاكم وعلى أساس أن القيادات الادنى هي التي تختار القيادات الاعلى .
وبهذا جاءت ممارسات السلطة بهذه الاشكال الثلاثة، فيعد المصدر الالهي للسلطة دافعا لاختيار الحاكم والطاعة هي الاساس في صيغة السلطة الثيوقراطية، والشكل الثاني يظهر حرص السلطة على اشاعة تمتع الفرد بحقوقه، وحرياته من كل قيد أو شرط ويبدو الامر مثاليا حتى في حدوده الدنيا، فيما كان في الشكل الشمولي للسلطة تجاهل واضح لحقوق الافراد وتعظيم السلطة على حساب الافراد. قد تحمل ممارسة السلطة تسميات متعددة خارج هذه المسميات وفي الواقع لاتخرج هذه المسميات عن أشكال السلطة الثلاثة .

---

[٧٨] د. محمد طه بدوي: أمهات الافكار السياسية الحديثة وصداها في نظم الحكم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، ص ١٤ ـ ١٥.

[٧٩] د. ناجي صادق شراب: مصدر سابق، ص ٦٨ ـ ٦٩.

المبحث الثالث

طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة

نتعرف على طبيعة علاقة المثقف بالسلطة من خلال مناقشة النقاط التالية:

المطلب الاول: الخلفية التأريخية لادوار المثقفين: ان لكل مجتمع مثقفيه، فالمجتمعات البدائية عرفت مثقفيها بأشكال مختلفة فهم تارة سحرة وكهنة، وتارة أخرى مغنون متجولون ورواة سير وأنساب. فالروائع الملحمية التي تشكل تراث الانسانية يقف خلفها مثقفون من كتاب وشعراء فقد طرق مثقف العراق القديم موضوعات متعددة منها أصل الخليقة و الكون والوجود وقصص الطوفان، وأساطير عالم مابعد الموت وأدب المفاخرة والمناظرة وادب الغزل والرثاء و تدمير المدن وسقوط السلالات الحاكمة والصلوات والابتهالات[٨٠] . ولعل ملحمة (كلكامش) تقف في مقدمة الملاحم البشرية العظيمة، وعلى الرغم من مجهولية المؤلف فيها، فهناك مثقف (سلطة) يقف خلفها فهو الذي راح يمجد الملك (كلكامش) ولاسيما في محاولة اظهار مظالمه في رعيته فقد جاء في الملحمة:

"هو الذي رأى كل شيء فغني بذكره يابلادي

وهو الذي عرف جميع الاشياء وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكل شيء

لقد أبصر الاسرار وكشف عن الخفايا

[٨٠] طه باقر: ملحمة كلكامش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٥، ١٩٨٦، ص١٦ ـ ١٧.

....

من ذا الذي يضارعه في الملوكية؟

من غير كلكامش من يستطيع أن يقول: أنا الملك !

......

على ضربات الطبول تستيقظ رعيته

لازم أبطال (اوروك) حجراتهم ناقمين مكفهرين

لم يترك (كلكامش) ابنا طليقا لابيه

لم تنقطع مظالمه عن الناس ليل نهار"[٨١]

وبهذا عرفت حضارة العراق قبل (٤٠٠٠) سنة ادوارا مختلفة لتسميات متعددة لاتختلف كثيرا عما يمكن تسميته بالمثقف شاعراً وكاتبا وغيرها من التسميات الاخرى .

وتضمنت دعوة (أفلاطون) (الفضيلة هي المعرفة) دورا للمثقف في أن خيرا موضوعيا يمكن معرفته والوصول اليه بالفحص العقلي أو المنطقي أكثر مما هو بالبداهة أو الحدس، فالفرد الذي تتوفر له المعرفة، سواء أكان فيلسوفا أو معلما أو عالما ينبغي أن يتمكن من الاستحواذ على سلطة نافذة وأن يكون مؤهله الوحيد لتلك السلطة هو المعرفة[٨٢]. فدعوة أفلاطون (النظرية) في تنصيب الفيلسوف على رأس السلطة السياسية، ناجم عن اعتقاده بأن أفضل أنواع الحكم هو حكم (الفيلسوف).

وقد استطاع المثقفون تحقيق مكانة في بعض المجتمعات الى درجة تقارب النخبة الحاكمة ففي الصين شكل (رجال العلم) حقبا طويلة من تاريخ الصين (طبقة حاكمة) ولم تكن هذه الطبقة وراثية مغلقة، فالدخول فيها كان يتم بواسطة امتحانات تنافسية عامة، ولكن يبقى مصدر هذه الطبقة من أفراد الاسر الاقطاعية الغنية ذات

---

[٨١] المصدر السابق نفسه، ص ٧٣ ــ ٧٧.

[٨٢] جورج هــ سباين: تطور الفكر السياسي ج١، ترجمة، حسن جلال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٥٠.

المكانة المرموقة . وفي الهند لايختلف الامر كثيرا فطبقة (البراهمة) كانت تـشكل طبقـة حاكمة من (رجال العلم) غير أن وضع هؤلاء يختلف اختلافا بـارزا عـن الوضـع الـذي عرف في الصين، فـ(طبقة البراهمة) كانت طبقة وراثية مغلقة، مـصدر ثقافتهـا دينـي ليس ادبيا[٨٣]. أما دور المثقف في الحضارة العربيـة الاسـلامية فقـد شـكلت إسـهامات المثقف اغناء تراث الفكر العربي الاسلامي في شتى مجـالات المعرفـة الاسـلامية، فـدور المثقف كان في عالم الفعل الديني ـ السياسي وعلى مـسرح الاحـداث الـساخنة بالدرجـة الاولى وليس منحصرا في مستوى التنظير الأصـولي والـسياسي، فمـع المعرفـة الواسـعة بالقرآن الكريم، واحاديث الرسول (ص)، ومـع تطـورات الاحـداث، والمواقـف الفكريـة الرائدة لمجموعة مميزة من الرجالات الاسلامية يقف في مقدمتهم الامـام عـلي بـن أبـي طالب (ع) وثلة من الشخصيات الاسلامية الاخرى مثل عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحجر بن عـدي الكنـدي وسـعيد بـن المـسيب والحسن البصري وواصل بن عطاء والامام علي بن الحسين زين العابدين (ع)[٨٤]. في حين أن هناك أدوارا اخرى للمثقف في الحضارة العربية الاسلامية وهو دور(فقهاء السلاطين) التي شكلت داعمة للسلطات الجائرة، وقد تنوعت هذه الفئات بـين الكتـاب والمـؤرخين ورجالات (دين) وشعراء مجالس الانس، فشكلت هذه الفئة أدوات الهيمنة على المجتمـع الاسلامي[٨٥]. ويذهب (علي أو مليل) في تحديد دور بعض الفقهاء المسلمين التي تـتلخص في إضفاء الشرعية أو نزعها عن السلطة السياسية في مـدى مطابقتهـا للـشريعة، فقـد أصر بعض الفقهاء على ضرورة ايجاد واقع التمايز بين السلطتين العلميـة والـسياسية لكي يهيىء لنفسه القيام بدور الرقيب على السلطة السياسية وهذا مادفع الحكـام الى

---

[٨٣] ت. ب. بوتومور: مصدر سابق، ص ٧١ ـ ٧٣.

[٨٤] د. الحبيب الجنحاني: المفكر والسلطة في التراث العربي الاسـلامي، مجلـة المنـار، العـدد ٢٩، مـايو / ١٩٨٧، ص ١٢٣ ـ١٢٤.

[٨٥] محمد عابد الجابري: مصدر سابق، ص ٢٠.

استتباع الفقهاء، بالترغيب أو الترهيب وبحسب ضرورة الموقف[٨٦]. وبهـذا اختلـف دور المثقف في الحضارة العربية الاسلامية من خلال تعاظم دور الفعـل الـسياسي ـ الـديني، الذي جاء مقترنا بشخصيات اسلامية متميزة على الصعيدين الفكري والعملي ومن خلال المشاركة الفعالة في معارضتها لسلطة الحاكم الجائر في مختلف مراحل الدولـة العربيـة الاسلامية. وجاءت جماعة (فقهاء السلاطين) التي ضمت جميع مسميات المثقفين مـن شعراء وكتاب يقـف في مقـدمتهم رجـال (الـدين ـ الـدنيوي) لاضـفاء الـشرعية عـلى ممارسات السلطة. وحاولت فئات أخرى أن تلعب دور المثقف المحايد في تقويم الـسلطة من الناحية الشرعية الا أن السلطة لم تسمح أن توسع دور هذه الفئـات، فاسـتخدمت معها وسائل الترغيب أو الترهيب.

شـهد عصر النهضة الأوروبية انتقالا جديدا في دور المثقـف فمـع الرغبـة في تقويـة نفوذ الدولة الوضعية برز دور مثقف الامير (ميكافيلي)[*] الـذي وضـع اسـس تـدريب الامير على كيفية ممارسة السياسة من خلال اهتمام الامير بافضل حصونه التـي هـي (محبة) شعبه من خلال تسخير هذا (الشعب)، لخدمـة مـشروعه في دولتـه الوضـعية فيصبح النفاق واجبا وسياسته معيارا من العنف والرياء وبحسب الظروف .

وفي العصر الحديث ومع تطورات نشوء الرأسمالية ونمو الطبقـة البرجوازيـة الـذي شكل بلورة مفهوم جديد لدور المثقف فمنذ اواخر القرن التاسع عشر تبلورت فئات من المثقفين وتعاظم دورها كنتيجة حتمية للأزمات الرأسـمالية وتـصاعد حـدة اضرابـات العمال. فتعاظم دور المثقف في المجتمعات الصناعية، فكان ضمن عملية ممارسة النقـد للنتائج السلبية الناجمة من التناقضات التي عاشـتها المجتمعـات الـصناعية، فكانـت

[٨٦] علي أو مليل: السلطة الثقافية والسلطة الـسياسية، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت، ط٢، ١٩٩٨، ص١١.

[*] أنظر كتاب الامير لنيقولا ميكافيلي: فاروق سعد: تراث الفكر السياسيي قبل الامير وبعـده، دار الآفـاق، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

بريطانيا مركزا للتيارات الفكرية الإشتراكية والاصلاحية (الفابية)، فقد أسهمت العملية السياسية (الليبرالية) في توفير وسائل النقد التي عبر المثقفون بها عن حجم التناقضات التي تعيشها المجتمعات الصناعية[٧٨]. وعلى الرغم من ذلك فان (بوتومور) يجد أن مثقفي بريطانيا لم يكونوا يمتلكون دورا كبيرا، فلم تستطع الفئات المثقفة جذب اهتمام الرأي العام بشكل قوي، ولاسيما بعد ظهور الحركة الاصلاحية (الفابية)[٨٨]. وبذلك أسهمت التناقضات التي رافقت الثورة الصناعية في بلورة دور المثقف على الرغم من اختلاف الرؤى حول قدرة المثقف في جذب إهتمام الرأي العام .

تبقى قضية الضابط اليهودي (دريفوس) الذي اتهم بالخيانة والتعامل مع العدو، ما أدى الى محاكمته وتجريده من رتبته العسكرية والحكم بإعدامه، لقد شكلت هذه القضية بلورة دور جديد للمثقف في فرنسا ولاسيما بعد أن تبنى هذه القضية نخبة من المثقفين المتميزين وعلى رأسهم الاديب الفرنسي (اميل زولا)، الذي كتب في (١٤كانون الثاني /١٨٨٩) مقالا بعنوان (اني أتهم) في جريدة الفجر الذي عرف بـ(بيان المثقفين)، وذيل بتواقيع عدد كبير من المثقفين[٨٩]. وقد اثمرت جهود المثقفين عن براءة الضابط (دريفوس)، كما قادت الى بلورة موقفين للمثقفين داخل فرنسا فيما بعد وهما: موقف يمثله (ريمون آرون) الذي يرى أنْ ليس من شأن المثقف التدخل في القضايا المجتمعية، لانه يميل الى طرح الموضوعات بصورة تجريدية من خلال طرح حلول غير واقعية متجاهلا الامور الاساسية ومختلقا مشكلات زائفة[٩٠]. في حين حمل الموقف الثاني (سارتر) الذي يرى ضرورة أن يلعب المثقف دورا مميزا من خلال العمل ضد الايديولوجية

---

[٧٨] افرام داود شبيرا: دور المثقفين في التحولات الاجتماعية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية القانون والسياسة، بغداد، ١٩٧٩، ص ٥٨ ـ ٥٩.

[٨٨] ب. ت.بوتومور: مصدر سابق، ص ٧٧.

[٨٩] محمد عابد الجابري: مصدر سابق، ص ٢٣ ـ ٢٤.

[٩٠] ريمون آرون: مصدر سابق، ص ١٧٧.

السائدة في المجتمع وتأهيل أصحاب المعرفة وضمهم الى صفوف الطبقة العاملة، وأن يجعل المثقف نفسه ضد كل سلطة بما في ذلك السلطة السياسية، فالمثقف التقني الذي ينحصر دوره في عمل تقني معين كعالم الذرة ولن يكون مثقفا إلا إذا أضاف الى عمله فعلا سياسيا أو إجتماعياً يجعله جزءاً من الرأي العام الذي يوجه السلطة السياسية[٩١]. وبذلك تمتع مثقفو فرنسا بصيت اجتماعي كبير مقارنة بمثقفي الدول الاخرى، فقد كانت فرنسا ميدان التمهيد لتحطيم النظام الاستبدادي في الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ووضع مبادىء شروط العقد الاجتماعي وشرعية النظام السياسي، فقد أوجدت هذه الاحداث الارضية التي يتحرك عليها المثقف بحرية أكبر .

أما عن دور المثقفين في روسيا القيصرية فقد اغنى المثقفون الادب الروسي بالمضامين التي عبروا فيها عن سخطهم ازاء التناقضات الاجتماعية في المجتمع الروسي، وتقف مسألة (تحرير الاقنان) في مقدمة هذه التناقضات، فقد تركت بصماتها القوية على الحياة الثقافية، وطبعتها بطابعها، فلم يستطع اي مثقف على الرغم من انحدار كثير منهم من طبقة النبلاء أن يغض الطرف عن المآسي الانسانية الفاجعة التي يولدها (نظام القنانة)، لذلك تصدى المثقفون بمختلف تسمياتهم من شعراء وروائيين الى معالجتها، بشكل وآخر كل حسب فلسفته الحياتية ومنطلقاته الفكرية والفنية إبتداءً من(بوشكين)، واسلافه حتى (مكسيم غوركي) لذلك تميزت الحركة الثقافية بالصراع بين مختلف التيارات والكتل الادبية، واتسمت بالبحث المتواصل الدؤوب لايجاد حلول للقضايا الاجتماعية ولاسيما القضية الفلاحية التي استأثرت باهتمام المثقفين واغتنت بمضامين اجتماعية هامة ومحتوى فكري عميق يسوده طابع النقد الشديد للاوضاع القائمة والدعوة للاصلاح والتغيير[٩٢]. وفي الواقع شكل تناول مثقفي (روسيا) الاوضاع

[٩١] جان بول سارتر: مصدر سابق، ص٢٧ ـ ٣٠.

[٩٢] د.حياة شرارة و د. محمد يونس: مدخل الى الادب الروسي في القرن التاسع عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٨، ص ٥ ـ ١١.

العامة في روسيا عاملا قويا في إثارة السخط على المظالم الاجتماعية وتدهور الحياة الاقتصادية ـ الاجتماعية لعموم الفئات الفقيرة في المجتمع الروسي التي مهدت لاحداث سياسية كبيرة، والامر الجدير بالملاحظة هو أنْ تبنى هذه القضايا المثقفون من أبناء الطبقات الغنية من نبلاء وغيرهم في تجسيد هذه المآسي شعرا أو نثرا . ولا يمكن تحديد العامل الاساس في هذا التبني سوى العامل الشخصي الرافض لهذه الاوضاع. فنحن أمام مثقف يحمل إحساساً قويا بنبذ هذه الاوضاع ولاسيما مع المقارنة بدول أخذت تتخلى عن أنظمة القنانة أو السعي الى احداث اصلاحات في نظمها الاقتصادية والاجتماعية .

أما دور المثقف العربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فقد شكل الاحتلال العثماني والاحتلالات الأوروبية فيما بعد عاملا قويا في فرز عدد كبير من المثقفين، منهم من قاد عمليات الاصلاح السياسي ـ الاجتماعي ومنهم من سعى الى تغيرات جوهرية نتعرف عليها ضمن موضوعات قادمة. ولايختلف هذا الدور عن دور المثقف في عموم (دول العالم الثالث) ويتمثل هذا الدور في هضم ثقافة المستعمر ومن ثم مرحلة القلق التي يمر فيها، التي تغريه بالعودة الى ذاته، وأخيرا مرحلة المعركة وهي المرحلة التي يستحيل فيها المثقف الى موقظ للشعب فينتج أدبا ثوريا، فهو يسعى الى تغيير الواقع[٩٣] .

وبهذا فهناك إختلاف في أدوار المثقفيين تبعا لاختلاف المجتمعات وهذا يظهر من خلال النقاط التالية:

اولا: يعد البعد الحضاري في كل مجتمع عاملا مهما في بلورة دور المثقف،فمثقف المجتمعات البدائية تجسد في سحرتها ومغنيها وكهنتها ورواة انسابها، أما مثقف العراق القديم فاثاره الحضارية كانت شاهدا على إهتمامات متعددة جاءت مع موضوعات

---

[٩٣] فرانز فانون: معذبو الارض، ترجمة، سامي الدروبي وجمال الاتاسي، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٧٠، ص ٤٦ ـ ٤٨.

عالم ما بعد الموت، وسقوط السلالات الحاكمة، واحداث الطوفان، وغيرها من الموضوعات وتبقى ملحمة (كلكامش) من أهم الاثار الحضارية الخالدة لهذا الاهتمام. وقد مثلت دعوة افلاطون الى أن (الفضيلة هي المعرفة) وعلية يجب أن يكون الفيلسوف على رأس السلطة السياسية، ودور طبقة (رجال العلم) في الصين و(البراهمة) في الهند درجات متقدمة للبعد الحضاري في هذه المجتمعات .

ثانيا: تميز دور المثقف في الدولة العربية الاسلامية بقوة الفعل على صعيد الاحداث، فقد افرزت هذه المشاركة ثلاثة أدوار منها دور المعارضة للسلطة قادتها أسماء إسلامية متميزة على الصعيد الفكري والعملي، وفئات يطلق عليها بـ(فقهاء السلاطين) الذي عملوا على تبرير ممارسات السلطة وشكلوا الدعامة الرئيسة في مساندة السلطة،وفئات حاولت أن تلعب دور المثقف المحايد فعملت على نقد السلطة من خلال مدى موافقتها للشريعة الاسلامية، ولكنها فشلت في مجابهة وسائل السلطة وهي وسائل الترغيب أو الترهيب .

ثالثا: الحاجة العملية للمثقف خلقت لنا المثقف (المستشار) الذي تجسد في شخصية (ميكافلي) وكتابه (الامير)، الذي يصبح نموذجا لمثقفين كثيرين على مر التاريخ، فلايمكن لاي سلطة كانت أن تتخلى عن الحاجة للمثقف (المستشار).

رابعا: قادت تطورات الاحداث المرافقة للثورة الصناعية، وتدهور الاوضاع الاقتصادية ـ الاجتماعية الى بلورة دور فكري للمثقف ولعل كتاب (رأس المال) لماركس والمولفات الفلسفية الاخرى مع انجلز والعديد من المؤلفات الاخرى لكتاب اخرين خير دليل على دور البعد الفكري للمثقف فضلا عن بلورة فلسفة (الفابية) داخل بريطانيا .

خامسا: اسهمت قضية (دريفوس) في فرنسا في بلورة دورين مهمين للمثقف دور يبعد اهتمام المثقف عن الامور العملية واقتصار إهتماماته في العمل التنظيري ـ الفكري، فيما يجد الدور الاخر ضرورة مشاركة المثقف في القضايا المجتمعية الهامة.

سادسا: أسهم المثقفون الروس في اثارة السخط على الاوضاع الاقتصادية ـ الاجتماعية المتدهورة في روسيا مما ادى الى اثارة السخط العام على السلطة وفرز أحداث سياسية ذات أبعاد عالمية .

سابعا: مثل مثقف العالم الثالث التعدد المرحلي في اكتساب ثقافة المستعمر والعمل على توظيفها في مرحلة معركته مع المستعمر نفسه .

ثامنا: واخيرا وعلى الرغم من تعدد ادوار المثقف أعلاه، يبقى الدور الرئيس للمثقف على الصعيد الفكري ـ النظري، وان تخلل هذه الادوار المشاركة الفعلية في بعض الاحداث المجتمعية الكبيرة، على وفق الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحجم الارث الحضاري الذي يشكل الدور الاكبر في تحديد المدى الذي يتحرك المثقف خلاله.

المطلب الثاني: فئات المثقفين: ـ هيمنت ثلاثة مفاهيم على تصنيفات فئات المثقفين العربية الحديثة وهي: مفهوم المثقف الثوري عند (لينين) الذي يتحالف مع القوى الاجتماعية المهيأة تاريخيا من أجل تحقيق التغيرات الكبرى في مجتمعه. ومفهوم المثقف التقليدي والمثقف العضوي عند (غرامشي)، فالمثقف التقليدي هو الذي يواصل ويكرر فعل الاشياء نفسها من جيل الى آخر مثل المدرسين والكهنة، والمثقف العضوي هو الذي يحقق ارتباطه بطبقته عن طريق الحزب السياسي الذي يسميه بالمثقف الجماعي. ومفهوم المثقف (التقني) وهو الذي ينحصر دوره في عمل تقني معين كعلماء القانون وعلماء الذرة ولن يكون هؤلاء مثقفين إلا إذا أضافوا الى عملهم فعلا سياسيا أو إجتماعياً يجعلهم جزءاً من الرأي العام الذي يوجه السلطة السياسية. تقضي التصنيفات الثلاثة ضرورة أن يلعب المثقف دورا في مجتمعه إنطلاقاً من هيمنة الافكار الماركسية عليها التي ترى أن مهمة الفكر ليست تفسير العالم بل تغييره، فضلا عن الافكار الوجودية المتضمنة أهمية التزام العمل الثقافي فقد لعبت مقالات (سارتر) في مجلته (الازمنة الحديثة) دورا في شيوع أفكار الادب والاديب الملتزم. وعليه جاءت

مجموعة من التصنيفات العربية المتأثرة بالمفاهيم الثلاثة السابقة في حين حاولت بعض التصنيفات الابتعاد عن هذه المفاهيم التي نحاول التعرف عليها في هذه الصفحات.

الفئة الاولى: وهي الفئة التي رأت تصنيفاتها ضرورة أن يلعب المثقف دورا في مجتمعه، كما يظهر في تصنيفاتها التأثر الواضح بالمفاهيم الثلاثة المتقدمة وهذا ما نحاول توضيحه ادناه:

١- يجد (ادوارد سعيد) أن من الصعوبة تجاهل دور المثقف الى مهنة محضة، لايهتم إلا باداء عمل معين، فان الموهبة الحقيقية للمثقف تمكنه من توضيح رسالة، أو موقف أو فلسفة، بالفاظ واضحة لجمهور ما، ونيابة عن هذا الجمهور، كما تجد السلطة والجهات الاخرى الصعوبة في استيعاب المثقف الذي يؤمن بالمبادىء العمومية التي هي من حق البشر ومحاربة الانتهاكات التي تقف ضد هذه المبادىء وعليه جاء تصنيفه لفئات المثقفين بالتفريق بين المثقف (الهاوي) والمثقف (المحترف)، فرغبة المثقف (الهاوي) في النشاط الفكري بعيدا عن الربح أو المكافأة، فدافعه الأساس الشغف والاهتمام، ويرفض التقيد الحصري بحقل اختصاص معين، وبالحرص على الافكار والقيم على الرغم من القيود التي تفرضها المهنة، اما المثقف (المحترف)، فيعمل ضمن مايطلق عليه بـ(الاحترافية) لقد شكلت الاحترافية عائقا يقف امام المثقف، وتتمثل هذه العوائق بمسألة التخصص، فسلبيات التخصص تكمن في الاقتصار على احدى فروع المعرفة والتوقف عن التفكير في امر خارج الحقل المباشر للاختصاص، فالالتزام والانحياز لموضوع الاختصاص يوصد الباب في وجه المجالات الاخرى، كما تشكل هيمنة السلطات المختصة على المثقف (الخبير) سلطة مانعة فهي تحدد اللغة المناسبة،والاستشهاد بالمراجع المناسبة، والعمل في المنطقة المحددة، و يشارك المثقف مشاركة طوعية في تحقيق أهداف الحكم وليس العلم، ويبتعد عن أي شكل من أشكال المعارضة كتوجيه الاسئلة أو الطعن في الحكم ليحصل على

الامتيــازات التــي يتمتــع بهــا المثقــف، فالــسلطة لاتمــنح الامتيــازات ألا في ضــوء مقتضياتها[٩٤]. ويلعب مفهوم (الاحترافية) الدور الاساس في تصنيف (ادوارد سعيد)، اذ يمكن الاشارة هنا الى اقتراب مفهــوم (الاحترافيــة) مــن مفهــوم (التقنيــة) عنــد سارتر، فاذا كانت (التقنية) تجعل المثقــف عبــدا لاختــصاصه، فالاحترافيــة تجعــل المثقف عبدا للسلطة . وعلية فمفهوم (الالتزام) عند (ســارتر) يظهــر واضــحا عنــد (ادوارد سعيد) من خلال التمييز بين المثقف (الهاوي) والمثقف (المحترف).

٢ـ ويوحد د.(خليل أحمد خليل) المثقفين ويمنحهم الحرية والوحدة العقلية مــن خــلال تصنيفاته ويسميهم المثقف (الحاكم) وهو المثقف الذي يجمــع الرياســتين العلميــة والسياسية، والمثقف (الثوري) وهو المعارض للسلطة الذي ينتظم عضويا في جماعة تغييرية، مثل الاحزاب والتنظيمات والجماعات الراغبة في تجديد المجتمــع والــسلطة. والمثقف المحكوم الذي يسعى للدفاع عن ســلطانه الثقــافي، فيواجــه قــدره مــسجونا ومقيدا بوظيفة يعتاش عليها أو منفيا داخل وطنه أو خارجه[٩٥]. يظهر واضحا أن تصنيفاته تحمل مفهوم التأثر الواضح في فكرة (الفيلسوف) الحاكم عند(افلاطــون) والمثقف الثوري عند (لينين) والمثقف (العضوي) عند (غرامشي) .

٣ ـ ويقسم (هشام شرابي) المثقفين على أربع فئات وهــي: فئــة المثقفــين(الملتــزمين) ويتوفر لدى هؤلاء الوعي الكامل مع الممارسة الكاملة، ولايمكن التفريق بين حياتهم الشخصية والعامة ويمثلون الطليعة المثقفــة التــي يقــع التغيــير الاجتمــاعي عــلى عاتقها، ولاينتمون الى طبقة واحدة، وانما الذي يجمعهم هوالوعي الكامل لقضاياهم والممارسة الواحدة. وفئة (أنصاف الملتزمين) وهــم يعملــون بالكلمــة لا. بالممارســة ويتمثلون في الادباء والكتاب والمفكرين ولهم تأثير في الوعي الحماهيري العام وفئــة

---

[٩٤] ادوارد سعيد: مصدر سابق، ص ٢٨ ـ ٢٩، ٨٨، ٨٢.

[٩٥] د. خليل أحمد خليل ود. محمد علي الكبسي: مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة، دار الفكر، دمــشق، ط١، ٢٠٠١، ص ٥٣ ـ ٥٦.

العاملين في (حقل التعليم) كالمعلمين، والاساتذة الذين يمارسون العمـل الاجتمـاعي دون الانخراط المباشر في صراعات المجتمع . واخيرا فئـة (التكنـوقراط) المهتمـين في الصناعة والادارة والخدمات وهم الاكثر بعـدا عـن الـوعي الايـديولوجي والـسياسي والتزامهم مهني محض[٩٦]. فالوعي الاجتماعي للمثقف بقـضايا المجتمـع والـدور الاجتماعي هما الاساس في تصنيفات (شرابي)، فهـذان المفهومـان لايخرجـان عـن اطار مفهوم (التقنية) عند (سارتر) .

وهناك تصنيفات أخرى لاتختلف عن هذه الفئات، وبهذا كان أسس هذه التـصنيفات الوعي بقضايا المجتمع والدور الذي يضطلع به المثقف، فالتأثر الواضح كان في مفـاهيم المثقف الثوري، والمثقف العضوي، والمثقف التقني .

الفئـة الثانيـة: وهي التصنيفات التي حاولت الابتعاد عن التصنيفات الثلاثة التـي مر ذكرها وتتمثل في:

١ ـ يقسم (حسن حنفي) فئات المثقفين من خلال التطور التـاريخي لادوار المثقـف الى: المثقف (الديني) الذي وعيه التاريخي اكثر حضورا من الوعي السياسي بالحاضر أو المستقبل، وتفضيل الماضي على الحـاضر. والمثقـف (العلمـاني) الـذي يتجـه نحـو المستقبل رافضا الماضي ويمثل الغرب في نظره نموذجا رائعا للحـضارة والتقـدم . والمثقف (الليبرالي) ويعمل على بناء الحاضر على أسس الـترات الاسـلامي وتأصـيل الحداثة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية والشعر العربي. واخيرا المثقف (الوطني) الذي يعيش في حاضره ويكشف ماضيه ومستقبله فيه من خلال المزاوجة بين ثقافة الماضي والحاضر[٩٧]. تعكس هذه التصنيفات التطور التـاريخي لمـسميات المثقـف التي عرفتها المجتمعات العربية .

---

[٩٦] هشام شرابي: مصدر سابق، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

[٩٧] حسن حنفي: هموم الفكر والوطن. الفكر العربي المعاصر، ج٢، دار قباء، القـاهرة، ١٩٩٨، ص ١٣١ ـ ١٤٥.

٢ ـ نقف عند تصنيفات د.(سماح ادريس) فمن خلال معالجته للشخصيات الروائية وعلاقاتها بالسلطة متخذا التجربة (الناصرية) انموذجا لتصنيفاته، فتعكس التصنيفات فئات المثقفين في مرحلة مابعد الاستقلال في ظل النظام (الشمولي)، فتصنيفه يتضمن المثقف (الموالي ولاءً مطلقا) يرفض هذا المثقف الإقرار بسلبيات الثورة (١٩٥٢) في مصر، فالسلبيات أمرُ طبيعي ينسجم مع مرحلة التطور، فالفساد الذي خلفته الثورة سيختفي يوما مخلفا نظاما مثاليا، وتشكل التهديدات الخارجية دافعا ومبررا للولاء المطلق بـ(القائد) ومؤسسات السلطة. والمثقف (الاعتذاري) الذي يتبنى أفكار الثورة متخليا عن جذوره الاقطاعية والحزبية السابقة، فيعمل على تنظيم الحجج والمبررات العقلية دفاعا عن مواقفه .والمثقف (الموالي ولاء نقديا أو الموالي بتحفظ)، يتلخص موقفه في الحديث عن حرية التعبير دون الاهتمام بالتعددية الحزبية، والتعلق بـ(الكبرياء الوطنية) من خلال الحديث عن التهديدات الخارجية، والتأرجح بين تأييد السلطة وتأيد المعارضة. والمثقف (الرافض) الذي يهاجم أسس السلطة الاخلاقية وجهاز دعايتها واستراتجيتها العسكرية، فيميل الى الانتماء للمنظمات المعارضة. والمثقف (الانتهازي) الذي يقدم قلمه وعقله للسلطة مقابل مشاركة رجالات السلطة في مغانم الثورة، فهو يساوم على المبادىء طمعا في السلامة والعيش الرغيد. والمثقف (الهروبي أو المتراجع) الذي يتصف بالتلكؤ في اتخاذ المواقف الحاسمة، ايمانا بفشل المعارضة في ظل سلطة قمعية (شمولية). واخيرا المثقف (المستعدي) تناؤىء السلطة المثقف الذي ترى أنه وقف يوما ضدها على الرغم مما يبديه من استعداد للتعاون معها[٩٨]. وبهذا تظهر قوة السلطة في تحديد هذه الفئات، فالسلطة هي الاساس في النشاط الثقافي، فهي

[٩٨] د. سماح إدريس: المثقف العربي والسلطة... بحث في روايات التجربة الناصرية، دار الاداب، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص ٦٨ ـ ٩٠، ١٢٤ـ ١٢٨، ١٣٠ـ ١٤٥.

قادرة على تغيير وجوه المثقفين حتى اولئك المتعـاونين معهـا بـشكل متكـرر، لانهـا دائمة الشك بولاء المحيطين بها من فئات المثقفين المختلفة، وعليه ضمت تـصنيفات المثقف الذي يبحث عن حرية التعبير فيتخذ سـبيل المعارضـة، ومثقفـا آخـر وظـف موهبته في خدمة السلطة لتحقيق كسب مادي ومعنوي وآخر حاول الاعتزال.

٣ ـ يأخذ (محمد علي الكبسي) بمنطق المتغيرات العالمية الجديدة، فيحاول أن يضفي على مثقفه منطق هذه المتغيرات من خلال تصنيفه الاتي: وهو المثقـف (الكـوني) الـذي يتجاوز محليته بتجدد المشاعر المشتركة والاحساس بالمصير المـشترك مـن اعطائنـا انطباعا بان العالم أسرة واحدة، فيتفاعل المثقف الكوني مع تسميات تثير إهتمامه، مثل الديمقراطية، وحقوق الانسان، والمجتمع المدني، والتعددية، وحقوق الاقليات ... الخ مما يؤدي الى ضمور الهويات المحلية، فضلا عن المتغيرات الدولية الجديـدة مثـل سهولة انتقال رؤوس الأموال والبضائع وتكسير الحدود والاندماج السريع للاقتصاد العالمي، خلقت شعورا بان المجتمعات مفتوحة عبر وسائل تقنيـة متقدمـة، فهنـاك فرصة لنشر الافكار والقيم[٩٩]. يحمل مفهومه للمثقف نظـرة متفائلـة لمـا تحملـه جملة المتغيرات التي جاءت مع مفهوم (العالم الجديـد)، وتبنـي المثقـف (الكـوني) قضايا عالمية لاتتحدد بمجتمع معين، مثل تبني الدفاع عن حقوق الانسان، وقـضايا المجتمع المدني وحقوق الاقليات وغيرها من القضايا الاخرى .

وبهذا اتسمت فئات المثقفين بالتنوع على الرغم من التأثر الواضح بالمفاهيم الرائـدة في مجالات تصنيفات المثقفين، فهناك قدرة في الاطلاع وتوظيف هذه الافكـار عـلى وفـق متطلبات الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات العربيـة . ويمكـن تلخيص فئات المثقفين بين الباحث عن حرية الرأي والحرية، واخر جعل نفسه في خدمـة السلطة واخر فضل الاغتراب داخل وطنه أو خارجه .

[٩٩] د. احمد خليل أحمد خليل ، محمد علي الكبسي: مصدر سابق، ص ١٠١ ـ ١٠٣.

المطلب الثالث: طبيعة العلاقة بين المثقف والسلطة:

ان تحديد طبيعة علاقة المثقف بالسلطة يخضع لثلاثة منطلقات أساسية قد مرت معنا وهي طبيعة السلطة السياسية،و الدور الذي يلعبه المثقف، وفئات المثقفين. فالعلاقة بين المثقف والسلطة احد مظاهر الثقافة السياسية. فالثقافة السياسية هي جزء من الثقافة السائدة في مجتمع معين، غير انها تنطوي على طبيعة سياسية،فهي تتضمن الاتجاهات الفردية نحو السلطة بتوجهاتها الادراكية (Cognitive Orientations) وهي مجموعة المعارف الثابتة او المتغيرة التي يكون الفرد قادرا على تكوينها عن الفاعلين في منظومة السلطة وقواعد عملها، والتوجهات العاطفية (Affective Orientations) وهي مشاعر التعلق بالمواضيع السياسية والانخراط فيها او نبذها، واخيرا التوجهات التقييمية (Evaluative Orientations) وهي القدرة على اصدار احكام حول مايجري من مواضيع واحداث سياسية[١٠٠] .

فهذه التوجهات تتضمن تفاعل الفرد مع مؤسسات، وقواعد، وقيم، وسير عمل السلطة فضلا عن قراراتها، ونظرة الفرد الى اختلاف الاراء السياسية في الصراع او التنافس، وفي القوى السياسية التي تحرك الحياة السياسية، وفي اسهامه في النشاط السياسي .

ان فاعلية الاتجاهات السابقة ترتبط إرتباطاً قوياً مع طبيعة المجتمعات ففي المجتمعات التقليدية القائمة على اساس القرية والاسرة والجماعة الأثنية تكون توجهات الفرد نحو المواضيع السياسية ضعيفة للغاية فهو لايرتبط بأية طريقة ايجابية بالمؤسسات السياسية،ولا الى قضايا السياسة الوطنية، اذ يشعر بأنه غير مؤثر فيها . فالثقافة (التقليدية) هي النتيجة الحتمية لتلك المجتمعات. اما اذا كان الفرد

[١٠٠] فليب برو: علم الاجتماع السياسي، ترجمة، د. محمد عرب صاصيلا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

واعيا على نحو قوي بالسلطة وما يصدر عنها من اعمال قـد يحبهـا الفـرد او يكرههـا ولكن ليس له الا شعور ضئيل التطور بالمؤسـسات التـي تأخـذ عـلى عاتقهـا تحقيـق المطاليب الاجتماعية، وكذلك شعور مجرد بفعاليته الـسياسية شخـصيا .فالمؤسـسات السياسية ضئيلة الاستجابة ازاء حاجات الفرد فثقافة (الخضوع) هي الـسائدة في تلـك المجتمعات . واذا كان الفرد على مستوى عال من الوعي بالأمور السياسية ويقوم بـدور فعال فيها، ويؤثر في السلطة بطرق مختلفة كاسهامه في الانتخابـات او المظـاهرات، او تقديم الاحتجاجات، فضلا عن ممارسة نشاط سياسي من خلال عضوية حزب سياسي او جماعة فثقافة (المساهمة) هي سمة تلك المجتمعات[١٠١]. فالثقافة (التقليدية) هـي وليدة السلطة (التقليدية) ضمن مجتمعات ضيقة تكاد تنحصر في مجتمعات القرية او الجماعة الاثنية. اما ثقافة (الخضوع) فهي وليدة السلطة الـشمولية باشـكالها كافـة حيث تعطل الحرية الفكرية واسهامات الفرد في التعبير عن ارائـه وتنعـدم المؤسـسات الوسطية التي يعبر الفرد فيها عن ارائه السياسية المختلفة. وتأتي ثقافة (المـساهمة) نتيجة وعي الفرد اهمية دوره في الحياة السياسية وتوفر وسائل التعبير الوسـيطة مـن تنظيمات حزبية وصحفية في المجتمع .

فتحتل طبيعة السلطة من خـلال دورهـا وحجـم ممارسـتها في الحيـاة الثقافيـة، الاساس في تحديد العلاقة مع المثقفين فالنموذج (الشمولي) للسلطة يقـوم عـلى أسـاس وضع الاهداف الرئيسة (العامة)، والاهداف الجزئية (الثانوية) للثقافة التي تتطابق مـع أهداف السلطة العامة دون مراعاة المقتضيات الثقافية، فـضلا عـن التـدخل الكامـل في جميع ميادين الثقافة، فتجعل السلطة ممثليها الحزبيين أو موظفيهـا البيروقـراطيين، حكاما على ماهو مقبول أو مرفوض في الميدان الثقافي. أما النموذج (الليـبرالي) للـسلطة،

[١٠١] د. صادق الاسود: علم الاجتماع السياسي اسسه وابعاده، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٤٤ـ ٣٥٤.

فيستبعد دور السلطة عن الشؤون الثقافية، فالمؤسسات الثقافية في الاغلب تدار من قبل مؤسسات خاصة تستهدف الربح، فيخضع النتاج الثقافي لشروط ومواصفات المؤسسات الخاصة، وتبقى اعتبارات السوق (العرض ـ الطلب) هي العامل الاساس في تسويق الانتاج الثقافي[١٠٢].

فيشكل هامش الحرية الفكرية في السلطة الشمولية بعدا ضيقا فمن الصعوبة على المثقف الذي يعمل ضمن الخطة العامة للسلطة أن تتطابق خططه الخاصة مع (تعليمات) و(توجيهات) و(تقييدات) السلطة. في حين تحقق السلطة الليبرالية على وفق مميزات السلطة القائمة من (الحياة الدستورية، وفصل السلطات، وسيادة حكم القانون مدى يتحقق خلالها الحرية الفكرية بدرجات معينة (فالامر ليس مثاليا) ولكن هناك افقا يستطيع المثقف أن يتحرك خلاله .

هناك صور متعددة طرحها الكتاب العرب ترسم طبيعة علاقة المثقف بالسلطة نتعرف عليها من خلال مناقشة النقاط التالية:

اولا: يطرح (نديم البيطار) وجهة نظر تبريرية لتدخل السلطة في الحياة الثقافية وذلك لـ(حاجة التجربة الثورية) الى هذا التدخل من أجل خلق نظام جديد، فمن حق (الدكتاتورية الثورية) ممارسة (العنف الثوري)[١٠٣]. تظهر دعوته التأثر الواضح بالمد (الثوري) الذي رافق الثورات التحررية من أجل الاستقلال، وتسلم السلطة من قبل(الفئات العسكرية) التي أخذت تدريجيا بممارسة مظاهر(السلطة الشمولية)، والعمل على تحجيم دور المثقفين .

ثانيا: وهناك بعض الدعوات المعتدلة ومنها دعوة د.(محمود أمين العالم)، الذي يجد أن السلطة ليست جهازا مركزيا، فهناك الهياكل السياسية، والاقتصادية،

---

[١٠٢] د. فؤاد زكريا: بحث في (المبادىء الاساسية للتخطيط الثقافي من زاوية عربية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٢، ص ٨ ـ ١٢.

[١٠٣] نديم البيطار: المثقفون والثورة: الانتلجيسيا كظاهرة تاريخية، دار بيسان، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص ١٢ ـ ٢٠.

والاجتماعية، والتعليمية، فبامكان العديد من المثقفين العمل داخل (السلطة - المجتمع) على الرغم من رغبة السلطة في العمل على تهميش دور المثقف[١٠٤]. فالعمل في الاجهزة الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية تدخل ضمن خدمة المجتمع، فعمل المثقف ضمن الاجهزة الخدمية يبتعد عن الخدمة في أجهزة السلطة الايديولوجية. ويدعو د.(محمد برادة) الى تنظيم عمل المثقف ضمن تنظيم حزبي ليكون صوتا أقوى واقدر على التأثير في المجتمع[١٠٥]. فتحتاج دعوة الدكتور(محمد برادة) الى أسس تنظيم العملية السياسية. وتبقى من الدعوات المعتدلة هي دعوة (التجسير) التي دعا اليها د.(سعد الدين ابراهيم) من خلال اقامة ثلاثة جسور بين المثقف والسلطة، وهي (الجسر الذهبي)، يتحقق هذا الجسر من خلال سعي السلطة الى بناء الشرعية الحقيقية، وتمكين كل القوى الاجتماعية من تنظيم نفسها في كيانات سياسية، ووقف جميع أشكال القهر التي تمارسها السلطة ضد المثقف. و(الجسر الفضي) القائم على أساس إحترام السلطة لحرية المثقف، ويقدم المثقف المشورة للسلطة على صورة التورية على طريقة (كليلة ودمنة)، والجسر الخشبي وفيه تستمر السلطة بحماية المثقف، ويستمر المثقف بتقديم (النصيحة) إذا ما طلبت السلطة المشورة[١٠٦]. تتلخص دعوة (التجسير) في اقامة العلاقة بين المثقف (المستشار) والسلطة. فميزات (الجسر الذهبي) ليس (مِنة) من السلطة، فتنظيم الحياة السياسية ضمن اطر التنافس والتعاون وسيادة القانون تفرض على السلطة احترام حرية الرأي .

---

[١٠٤] د. محمود امين العالم: إشكالية العلاقة بين المثقف والسلطة، من كتاب المعرفة والسلطة في الوطن العربي، معهد الانماء العربي، بيروت،١٩٨٨، ص ٤٠١ ـ ٤٠٢.

[١٠٥] د. محمد برادة: ندوة المثقف والسلطة في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد٧٤، نيسان / ١٩٨٥، ص ١٣٩.

[١٠٦] د. سعد الدين ابراهيم: تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب، منتدى الفكر العربي، عمان، ١٩٨٤، ص ٣٤ ـ ٤٠.

ثالثا: ترفض مجموعة من الاراء اقامة علاقة مع السلطة، لتحجر عقلية رجالات السلطة الذين لا يعبأون بمشكلات المجتمع قدر تعلقهم ودفاعهم عن (ملكية) السلطة. فيطرح د.(مصطفى التير) فكرة عدم ضرورة وجود علاقة بين المثقف والسلطة، فاشكال العلاقة ان وجدت فهي شكلية وغير مهمة ففي ظل (القائد الاوحد)، الذي يحتفظ لنفسه بعملية اتخاذ القرارات، فجميع (القضايا) بسيطة وسهلة الفهم ولاتحتاج الى الكثير من عناء البحث والدراسة، فتتخذ القرارات دون أن تكون مبنية على المعطيات والنتائج، فليس هناك ادنى اهتمام بالبحوث ونتائجها وتوصياتها التي يعدها (الخبراء)[١٠٧]. ولاتختلف دعوة د. (أمين عز الدين) التي تتلخص في مقاطعة (الخبراء) للسلطة فعلى الرغم من بذلهم الجهود في البحوث والندوات والمؤتمرات حول المشكلات التي يعانيها المجتمع لكن هذه البحوث تبقى حبيسة ملفات الصمت والاهمال المريبين من قبل رجالات السلطة. كما يرى د.(نادر فرجاني) أن السلطة تقرب المثقفين الذين لايتطرقون الى أمور تتناقض جوهريا مع التوجه الاجتماعي ـ والسياسي للسلطة القائمة، والذين يهتمون بطرح الحلول الجزئية والتجميلية التي تخدم السلطة. كما يجد د. (عبد الرزاق حسن) أن السلطة تسعى الى شراء (الخبراء) الذين يخدمون مصلحة السلطة، فليس هناك علاقة سوية مع السلطة . وتتلخص هذه الاراء برفض اقامة أي شكل من اشكال العلاقة مع السلطة ولاسيما المثقفون (الخبراء) الذين تتجاهل السلطة جهودهم في القدرة على تقديم الحلول لمشكلات المجتمع، وفي الواقع أن تنظيم العلاقة بين المثقف والسلطة لا يخضع الى الاهواء الشخصية لرجالات السلطة بقدر

---

[١٠٧] د. مصطفى التير: الود المفقود بين الباحث وصانع القرار... ملاحظات حول علاقة الموظف بالسلطة، من كتاب المعرفة والسلطة في الوطن العربي، مصدر سابق، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

خضوعه الى صيغة يحكمها تنظيم طبيعة النظام السياسي الذي يبعد السلطة عن ممارسة الاضطهاد الفكري .

وبذلك يمكن تلخيص الدعوات التي تحدد طبيعة علاقة المثقف بالسلطة من خلال: ـ

اولا: دعوتان متطرفتان في تحديد علاقة المثقف بالسلطة تجد الاولى منها ضرورة خضوع الحياة الثقافية و(السلطان) الثقافي لسيطرة السلطة، وذلك لمقتضيات مرحلة (مابعد) الاستقلال وسيادة السلطات الشمولية بمختلف تسمياتها على شؤون المجتمع، والملاحظ على هذه المرحلة أنها لم تقتصر على مرحلة محددة فقد تجاوزات في بعض المجتمعات العربية (نصف قرن) وربما أكثر .وتمثل الدعوة المتطرفة الثانية انفصام العلاقة بجميع اشكالها مع السلطة ولاسيما المثقف (الخبير) لعدم جدوى تجسير (الفجوة) مع السلطة لعدم جديتها في الاهتمام بحل مشكلات المجتمع في مختلف المجالات .

ثانيا: حملت الدعوة الاخرى فكرة الاعتدال في التعامل مع السلطة من خلال العمل في أجهزة السلطة الخدمية لخدمة المجتمع، أو من خلال تنظيم العلاقة بين المثقف والسلطة من العمل التنظيمي (الحزبي)، أو العمل على اقامة (جسور) مختلفة مع السلطة .

وفي الواقع أن تنظيم العلاقة بين المثقف والسلطة يحتاج الى اعادة تنظيم الحياة السياسية، والدستورية واطر مؤسساتها التي تكفل حرية الرأي للمثقف وتعمل على تنظيم صيغ العلاقة التي يكفلها القانون، فالمشكلة لاتكمن في تنظيم العلاقة الثنائية (المثقف ـ السلطة) بقدر ما تحتاج الى اعادة النظر في الصيغ السياسية التي تجعل العلاقة ثنائية (فقط)، فالمثقف جزء من المجتمع فمتى ماتم تنظيم العملية السياسية التي تكفل الحرية لكل أفراد المجتمع تحققت العلاقة الذاتية بين المثقف والسلطة بصورة تلقائية، فان تميِّزت العلاقة ببعد واحد فقط وهو (المثقف ـ السلطة) نعود بهذه

العلاقة الى (شاعر البلاط)، و(فقيه السلطان) الذي يسعى الى كسب ود السلطة بمختلف الوسائل، والى طلبات السلطة التي تحث فيها المثقف على المزيد من التبعية والخضوع، بالترهيب تارة والترغيب تارة اخرى .

الفصل الاول

المثقف العراقي والسلطة العثمانية

نتعرف في هذا الفصل على الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عاشها العراق في ظل السلطة العثمانية،فضلا عن المؤثرات السياسية والثقافية التي اسهمت في تكوينات المثقف العراقي.

المبحث الاول

الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في ظل السلطة العثمانية.

افرز الاحتلال العثماني الطويل للعراق مشكلات عديدة نحاول ايجازها من خلال استعراض الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

المطلب الاول : الحالة السياسية: لقد اتسمت مرحلة الاحتلال العثماني للعراق، التي امتدت أربعة قرون (١٥٣٤ـ ١٩١٧)، بسمات عديدة منها ماهو متعلق باشتداد الصراع والتناحر بين الصفويين والعثمانيين على احتلال العراق، والاستئثار بحكم عاصمته بغداد فضلاً عن سيطرة الجند الانكشاري على حكوماته ولعبهم بمقدراته من دون أن تتمكن حكوماته من أن تسيطر سيطرة بسيطة ومعقولة على شؤونه وأحواله كذلك استيلاء المماليك على الحكم في العراق،والذين أستطاعوا أن يستقلوا بالعراق عن

سيطرة الباب العالي.[1] لقد كان الوالي هو الحاكم المطلق الذي يدبر سياسة الولاية، فبيد الوالي الرأي الاول في شوؤن الولاية وكانت سيطرته تشمل الرياسة العامة على الجماعات مثل رياسة البلدان والمدن والامراء والجيش والقبائل. أما السياسة الخارجية فقد كانت جزءاً من سياسة الدولة العثمانية العامة التي تدار من قبل الاستانة مباشرة.[2] فالوالي هو الرأس الاعلى للولاية، يدبر شؤونها ويهيمن على جميع قضاياها وكان له حق الحبس والحكم بالموت على الناس وسوق الجيوش لاخماد الثائرين، فهو دكتاتور يفرض ما يريده على الولاية فان "كان صالحا ـ وما أقل الصالح ـ استقامت شوؤن البلاد. وإن كان فاسدا، وهو الأكثر، عم البلاد الفساد والانحلال والفوضى و الاضطراب ".[3] حتى أن الاصلاحات التي قام بها بعض الولاة مثل اصلاحات داود باشا(١٨١٧ ـ ١٨٣١)، ومدحت باشا(١٨٦٩ ـ ١٨٧٢)، قد أهملت بل طمست.[4] تبقى حقبة الاصلاحات الدستورية التي عرفتها الدولة العثمانية، وقد أضحت بعض مدن العراق ميدانا لها، فقد رحبوا بوفود (الاتحاد والترقي) التي حملت لواء الحركة الدستورية العثمانية،وفي السعي الى لعب دور مميز في شد ازر وتأييد هذه الحركة المتمثلة في سقوط السلطان العثماني عبد الحميد (١٩٠٩) وإعلان الدستور.[5] لقد ناصر المثقفون العراقيون حركة اعلان الدستور ولكن لم تمضِ مدة حتى صار طلاب الحرية من الاتراك لايقصدون الا حرية ممتلكاتهم وسعيهم الى الحفاظ على سطوتهم ونفوذهم، ولا يهتمون بالشعوب الاخرى، بل عملوا على تقوية هذة السطوة، وساروا على سياسة عنصرية وهي أن لاتعد

---

[1] جعفر الخياط: صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١، وزارة الاعلام، بغداد، ط١، ١٩٧١، ص ١١.

[2] د.يوسف عز الدين:الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٠، ص ١٣.

[3] د.يوسف عز الدين: داود باشا ونهاية المماليك في العراق، مطبعة الشعب، بغداد، ط٢، ١٩٧٦، ص ١١.

[4] عبد الكريم الدجيلي: محاضرات عن الشعر العراقي الحديث، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٩،ص ١٢ ـ ١٣.

[5] أنيس المقدسي: الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، دار العلم، بيروت، ط٤، ١٩٦٨، ص ٥١ ـ ٥٢.

المملكة عثمانية بل تركية ولا يُنظر الى الشعوب الاخرى إلا بنظر من يحاول الانفـصال أو من يدعو الى فك العلاقة مع الدولة العثمانية.لقد انحصرت المطاليب العراقية في استخدام اللغة العربية، والاشتراك بالادارة والتساوي بالتوظيف في الولايات العراقيـة، و أن ينـالوا الثقافة اللائقة، كما نالها الاتراك فتكون لهم مؤسسات علميـة و أدبيـة لاتختلـف عـن المؤسسات التركية.[٦] لقد تجاهل الاتـراك هـذه المطاليـب وسرعـان ماتبـدلت الاحـوال، وتبددت الامال، فلقد وطد حـزب (الاتحـاد والترقـي) حكمـه ونـادى بالطورانيـة التـي تستهدف التتريك.[٧] ولعل شهوة الـسلطة وحـب الحكـم اعميـاهم عـن الوعـود التـي اطلقوها والمتمثلة بـ(الحرية والمساواة) مـع الـشعوب الاخـرى. ان العثمـانيين فتحـوا الولايات العراقية التي "إشتهرت خصوبتها في التاريخ مرة وثانية وبعد أن تمـسكوا بهـا مدة قرون أربعة باسم السلطان تركوهـا وهـي لاتـزال متـأخرة جاهلـة، وظلـت غـير مستثمرة، تعمها الفوضى وهي ساخطة ولم توجّه الى أي من طـرق التقـدم. ولـم يجـد السياح في أي ولاية تركية، غير الولايات العراقية بلادا تكثر فيها القدرات الكامنـة التـي ظلت مهملة، كما أنهم لم يجدوا في غيرها سـوء الحكـم وهـو آسـن لايتبـدل".[٨] لقـد إستعملت في مرحلة الاحتلال العثماني الطويل جميـع شرور الحكـم القـاسي المتـضمنة سياسة البطش والارهاب والبعيدة عن الرقابة المباشرة من الـسلطة المركزيـة والخاليـة أيضاً من ادنى رغبة من الحكام في اسعاد الرعية والعمـل عـلى رسـم الخطـط الكفيلـة بترقيـة الـبلاد والعمـل عـلى رفاهيـة الـسكان ولهـذا سـاد واسـتفحل امـر (الهياتـة

[٦] عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، ج٨، وزارة المعارف، بغداد، ١٩٥٦، ص ١٦٢ ـ١٦٣.

[٧] فيليب ويلارد آيرلاند: العراق... دراسة في تطوره السياسي، ترجمة: جعفر الخياط، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٩، ص ٤٧.

[٨] ستيفن همسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحـديث، ترجمـة: جعفـر الخيـاط، مطبعـة التفيض الاهلية، بغداد، ١٩٤٧، ص ٣٥١.

والضباطية)[*] فيه.[٩] فكانت الرعايا تعيش من أجل مصلحة الحكام ومجدهم، كما أن الولاة العثمانيين لم يكن بوسعهم أن ينسوا خلال نشاطهم السياسي أنهم أخذوا زمام الحكم بالفتح، فكان ذلك شديد الوطأة على الشعب العراقي، كما أن تباعد الشقة مابين القوانين الوضعية وتطبيقها، كان عاملا آخر يبعد محاولات الاصلاح عن الاستمرار فيها، فقد وضعت في كل حركة اصلاحية قوانين وأنظمة جديدة وان افتقار الادارة الى استيعاب هذه القوانين شكل عقبة رئيسة في طريق الاصلاح فلم يكن ممكناً تبدل الادارة أو القدرة على تنفيذ القوانين وما تتطلب من التدابير اللازمة.[١٠]

وانتشارالتفسخ وانتهاك حرمة العدالة الذي لايخرج عن نطاق شراء الذمم بالنفوذ والمال التي يعترف بها الجميع فضلا عن تلاشي الخدمات العامة من مهام الحراسة والحماية وتنظيف الشوارع وتجهيز الماء والضياء واصلاحات الجسور.[١١] فقد سئم العراقيون الاضطراب في البلاد فقد كان الانسان لا يأمن على نفسه وأمواله ومقتنياته، فلم تتمكن السلطة في العراق من أن تسيطر في يوم من الايام سيطرة تامة على البلاد فتفسخ الولاة الذين يخربون ولايصلحون من خلال تسليط فئة على فئة وعشيرة معتقدين أن ذلك هو الطريق السوي لقمع الاضطرابات والفوضى.[١٢] ويصف مدحت باشا الوضع قائلاً "ان المناصب تعهد لمن يقدم ويدفع أكثر من غيره ولوكان جاهلا أميا".[١٣] فالوالي العثماني نفسه يساوم على المناصب التابعة لولايته لكي يستعيد الهبات التي قدمها للصدر الاعظم، فياخذ الموظف مرة أخرى ماقدمه للوالي من الأبناء التي

---

[*] الهايتة والضابطية كلمتان تركيتان تطلق على قوة الجندرمة غير النظامية التي يستخدمها الحاكم المحلي لقاء أجور وكانوا من العنصر الالباني. المصدر: جعفر الخياط، مصدر سابق، ص ٣٦٤.

[٩] جعفر الخياط: مصدر سابق، ص ١٢.

[١٠] فيليب ويلارد آيلرلاند: مصدر سابق، ص ٤٨.

[١١] ستيفن همسلي لونكريك: مصدر سابق، ص ٣٤١ ـ٣٤٢.

[١٢] د.يوسف عزالدين: داود باشا....، مصدر سابق، ص ٢٩ ـ ٣١.

[١٣] مدحت باشا: مذكرات مدحت باشا، ترجمة: يوسف كمال، مطبعة أمين، القاهرة، ط١، د.ت، ص ٢٣٤.

خضعت لحكمه وهنا يسأل د.يوسف عزالدين: "كيف يمكن بعد هذا مطالبة الموظفين بالامانة والاخلاص؟ وهل نطالبهم أن يكونوا في طهر الملائكة وعفة الانبياء؟ وأنهم يرون سادتهم يرتعون ببحبوحة العيش ويغرقون حتى الاذان في ابتزاز الاموال ويغتصبون من الناس ممتلكاتهم. ويبيعون المناصب ويشترونها فليس عند هؤلاء الموظفين الا عرقلة مصالح الفقراء والمساكين من الناس الذين يحتاجون الى الدولة في تمشية امر من الامور".[١٤] والى جانب الموظفين الذين لاهم لهم سوى جمع المال وشراء المناصب ونهب الناس وسرقة الدولة دون رادعٍ أو عقاب، جنود يحملون البنادق لارهاب الناس الذين لا قانون يحميهم منهم،وقضاة يعبثون وينهبون ويشيدون الدور من أموال الارامل واليتامى، فقد بلغ التزاحم على الوظائف أشده وصار الموظفون يأكل بعضهم بعضا ويرتشون ثم يقدمون مانهبوا لموظفي الباب العالي طمعا في منصب أعلى ووظيفة كبرى وصارت الابواب مفتوحة لكل من يقدم أكثر من غيره حتى غدت القرعة هي فيصل اختيار الوالي والموظفين الاخرين.[١٥]

وبهذا فان الوضع السياسي والاداري كان في أقصى درجات الانحطاط والفوضى والسوء، فالوالي العثماني في العراق تقاس كفاءته باربعة أمور هي[١٦] :

١- القدرة والقوة على محاربة الدولة الايرانية وصد هجماتها.
٢- قدرته على تأديب القبائل الثائرة أو المدن المتمردة داخل العراق.
٣- قدرته على جمع أكبر مبالغ من المال بمختلف الوسائل، عن طريق الضرائب أوالغرامات والمصادرات من اجل ارسالها الى البيت العالي في استنابول.
٤- التظاهر بمظهر الورع والتقوى بتشييده المساجد والمدارس الدينية فضلا عن القيام بالشعائر الدينية.

---

[١٤] د. يوسف عز الدين: داود باشا.....، مصدر سابق، ص ١٣ ـ ١٤.

[١٥] مدحت باشا: مصدر سابق، ص ٢٣٣ ـ٢٣٤.

[١٦] د.علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مكتبة السيدة المعصومة، قم، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٣١.

المطلب الثاني: الحالــة الاقتــصادية: يعتمــد الحكــم العثمــاني اســلوبا بــدائيا في اللامركزية القائمة على أساس نظــام الولايــات، مكتفيــا بحــصيلة الكمــارك والمكــوس والضرائب.لذا كانت الضرائب تؤلف نسبة عالية من ايرادات الخزينة حتى أواخــر العهــد العثماني.فالضرائب تؤلف على مختلف أنواعها مالايقل عن (٧٢%) من مجمــوع ايــراد الخزينة في العراق، وكان العبء الاكبر من هذه الضرائب يقــع عــلى عــاتق المــزارعين. ان ضريبة العشور التقليدية كانت تؤلف(٣/ ٤٥%) من المجموع الكلي لايرادات الضرائب في تلك المرحلة.[١٧] لقد كانت الوسيلة التي تجبى بها الضرائب هي الالتــزام و تعتمــد عــلى تفويض موظفين صغار يقومون بجباية ضريبــة خاصــة مــن الــضرائب، لقــد كانــت التقديرات غير ثابتة الا في النادر، فهي تعتمد على التقدير أو بتعــدد الاشــياء كــل ســنة، وكانت الضرائب تجبى عن الحيوانات والمزروعات ولم يكن هناك موظف دائــم مــسؤول عن نزاهة الجابي في كل منطقة من المناطق، فقــد كــان الجهــاز يغــري العــاملين فيــه بالاختلاس والفساد.[١٨] أما عن رواتب الموظفين في جهاز الضريبة فهــي قليلــة ولاتــدفع بصورة منتظمة، لذا فان فرص الاختلاس وسوء التصرف نادرا ماكانت تفــوت، وكانــت تدفع مبالغ جسيمة قد تزيد عن مجموع الرواتب السنوية من أجل الحصول على وظيفة الحكومة.[١٩] أما الزراعة فهي مصدر الخــصومات والنزاعــات الكثــيرة مــابين العــدوين الوريثين : الملاك ابن المدينة والفلاح العشائري.[٢٠] فالملاك يحصل على صافي جهد الفــلاح الذي يعيش في حالة مزرية، في حين يتمتع الملاك ابــن المدينــة بــالعيش الرغيــد والــوفرة الاقتصادية، ولم تكن الزراعة أفضل من الاحوال الاخــرى في العــراق، فاضــمحلال طــرق

[١٧] د.صالح يوسف عجينة: ضريبة الدخل في العراق من الوجهة الفنية والاقتصادية، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٥ ـ٦.

[١٨] المس بيل:فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١، ص ٢١.

[١٩] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص٤٨.

[٢٠] المس بيل: فصول من تاريخ......مصدر سابق، ص٢٤٠.

الري القديمة، التي اضحت بعيدة عن اصلاحات الولاة العثمانيين، فضلاً عن انهيار نظام الري، فقنوات الري التي حفرها الفلاحون كانت سببا في تخريب الارض لانها تستوعب من الماء الزائد الكثير مما يزيد نسبة الملوحة في الارض التي هي عرضة لاختلال شؤون البزل والتصريف ومن تكوين المستنقعات الواسعة.[٢١] ان وضع الانهار في العراق يحتاج الى عناية مستمرة من حيث تطهيرها وكريها، فالتهاون في ذلك يؤدي الى ترسب الغرين في قعر المجرى على توالي الايام وهذا بدوره يؤدي الى استفحال خطر الفيضان من جهة، والى تغيير مجاري الانهار من الجهة الاخرى.[٢٢] فمن طبيعة نهري دجلة والفرات حملهما نسبة عالية من الرواسب التي تؤدي غالباً وفي حالات كثيرة الى غلق وانسداد مجاري الانهار الصغيرة.[٢٣] ولم تسهم دائرة الطابو (تسجيل الاراضي) التي أسسها مدحت باشا الرامية الى اسكان العشائر في تغيير الواقع الزراعي كثيرا، فلم تملك مثل هذه الدوائر الخرائط، فضلا عن عدم امتلاكها مساحين، ولا موظفين نزهاء، وبهذا ضاعت الدقة بين غموض سجلاتها وإرتشاء موظفيها، فكانت الدائرة تمنح سندات التملك لأراض، يمتلكها الغير، أو اراض يشك في موقعها الحقيقي، أو ليس لها حدود معلومة، فأدت هذه الحالة الى صعوبات جسيمة أسهمت في تأخر الواقع الزراعي.[٢٤] وأن سنين القحط من الظواهر المألوفة في العراق فغالبا مايعم القحط سنين متعاقبة بسبب قلة الامطار، وبروز المحتكرين الذين يتحكمون بالناس الامر الذي دعا الحكومة أن تمنع تصدير الطعام الى خارج العراق بسبب مارأته من التجار في إستغلالهم الوضع، وشرائهم

---

[٢١] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ٨٤.

[٢٢] د.علي الوردي:دراسة في طبيعة.....، مصدر سابق، ص ٢٩.

[٢٣] أحمد سوسة: فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٦٣، ص ١٤٧ ــ ١٤٨.

[٢٤] ستيفن هميسلي لونكريك: مصدر سابق، ص ٣٤٣ ــ ٣٤٤ ؛ والكسندرأداقوف: ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة، هاشم صالح التكريتي، شركة دار الوراق للنشر، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٠٠ ومابعدها.

كل الاطعمة.[٢٥] ويمكن عد الجندية والضرائب من أهم العوامل المدمرة للواقــع الزراعــي ومن الاسباب الرئيسة في تمردات العشائر الكثيرة في العراق. ومثال على هذا الواقع المرير، قوانين الجندية وهي (كثيرة جدا)، منها قانون صدر في (رجب / ١٣٢٧ هـــ / ١٩٠٩ م) الذي أعلن في الجرائد المحلية، فقد تضمن اجبار كل عثماني أن يؤدي الخدمة، مــسلما أو غير مسلم، بلغ ٢١ عاما، يخدم (٢٥) ســنة، منهــا (٣) ســنوات نظاميــة، (٥) ســنوات احتياط، و(١٢) سنة رديفية، و(٥) ســنوات مــستحفظة، هــذا في الجــيش الــبري، أمــا الخدمة في الجيش البحري فمدتها (٢٠) عاما باسقاط مدة المــستحفظة منهــا.[٢٦] لقــد طرأ تغير في الواقع الزراعي بفعل العامل الخارجي فقد ارتبط باندفاع أوروبــا (الغربيــة) صوب الشرق على أثر الانقلاب الصناعي الكبير فيها، وقد ساعد افتتــاح قنــاة الــسويس عام (١٨٦٩)على إستكمال مستلزمات ذلك الاندفاع الى حد كبير، فكان ذلك بداية ارتبــاط العراق بعجلة العالم الرأسمالي. فزادت صــادرات العــراق الزراعيــة منــذ (١٨٦٥) زيــادة كبيرة، ثم تضاعفت هذه الصادرات أضعافاً في السنين اللاحقة، على أثر ذلك تغيرت نظــرة الجميع الى الارض، حيث بدأ الفلاح ينتج من أجل السوق للحصول على النقد الذي أصبح ضرورة ملحة تستوجبها الحياة الجديدة. ومع هذا التغيــير في نمــط التفكــير (الانتــاج الزراعي) من أجل السوق العالمية، شــهد مــيلاد طبقــة وســطى مهمــة، تولــت مهمــة الاستيراد والتصدير والحاجات الجديدة التي فرضت نفسها بالارتباط معها.[٢٧]

ولم يصاحب هذا التغيير الاقتصادي /الزراعي / التجاري، تغيير الواقــع الاقتــصادي لعامة الشعب، فالمعيشة البسيطة في الريف والمدن، والتخلــف الملحــوظ في شــتى مرافــق الحياة، الجهل المسيطر على السكان،ولم يكن غريبا أن تكثــر المجاعــات وتفتــك الاوبئــة بسكان العراق، حتى عد الطاعون شيئا مألوفا عند النــاس، ولــم تخــلُ أي حقبــة مــن

(٢٥) عباس العزاوي: تاريخ العراق..... ج٨، مصدر سابق، ص ١٤.

(٢٦) المصدر السابق نفسه، ص ١٨١.

(27) k.m.longley: the industraltion of Iraq, combrige, 1966, pp11, 22.

الحقب من إنتشاره. فالعراقي يعيش بين كوارث المجاعة و كوارث الفيضان و أوبئة الطاعون وغيرها من الامراض.

المطلب الثالث :الحالة الاجتماعية: يقسم المجتمع العراقي من الناحية الاجتماعية على ثلاثة أقسام العشائر البدوية (المتوطنة)، وسكان المدن، فقد سكن البدو العرب الصحراء في القسم الغربي والجنوبي الغربي من العراق ويعتمدون في معيشتهم على الغزو. فلم يكونوا عنصرا منتجا، بل كانوا يشكلون عقبة أمام نمو التجارة البرية وخطرا على الامن وتحديا لاي حكومة مركزية. أما تشكيلة سكان الريف الاجتماعية فهي تختلف تبعا لانظمة الري والزراعة، ففي شمال العراق في المناطق التي تروى بمياه الامطار كانت الوحدة الاجتماعية هي القرية، أما في الجنوب حيث المنطقة المأهولة بالعرب والمروية بالنهر، فكانت الوحدة الاجتماعية هي العشيرة.[٢٨] أما سكان المدن فمنهم من اشتغل بالتجارة ومنهم من مارس الصناعات البدائية لسد حاجات المجتمع البسيطة، فالطابع القبلي هو الطابع المميز للمجتمع العراقي لان أغلب سكانه من العشائر التي إحتفظت بعاداتها التقليدية، كالاعتزاز بالانساب والتفاخر واتباع نظام خاص في شؤونها الاجتماعية من زواج وطلاق وديات وأخذ بالثأر.[٢٩] وتشير تقديرات التركيب الاجتماعي البدوي والريفي والمدني في العراق قبل منتصف القرن التاسع عشر الى حوالي نصف مليون (٣٥%) من المجموع الكلي للسكان من العشائر البدوية، وأكثر من نصف السكان الريفيين اي (٤١%) من مجموع السكان الذين يعتمدون على الزراعة

---

[٢٨] د. وميض عمر نظمي:ثورة ١٩٢٠... الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٦ ـ ٣٧.

[٢٩] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ٣٦ ـ ٣٧.

والري، وأقل من ثلث المليون من سكان المدن أي (٢٤%) من المجموع الكلي للسكان، وعلى وفق هذه التقديرات، فان المجموع الكلي للسكان لايتجاوز المليون والربع.[٣٠]

ومن مميزات الحالة الاجتماعية في العهد العثماني :ـ

اولا : القتال الدائم بين القبائل بعضها مع بعض أو بين القبائل والحكومة أو بين القبائل والمدن أو بين المدن والحكومة ولعل من أهم أسباب هذا القتال والنزاع الاراضي الصالحة للزراعة وترع الري والنزاع بدافع الاحقاد الموروثة والثارات بين القبائل، أما القتال مع الحكومة فقد اختلفت الرؤية في تفسيره وان كان لايخرج عن توق القبائل الى الحرية والاستقلال وبما أن فرض الحكومة للضرائب على القبائل يعد السبب الاهم في إعلان تمردهم فضلا عن مساندة العثمانيين لعشيرة دون أخرى لاغراض سياسية.[٣١]

ثانيا : تباعد اجتماعي ونفسي بين العرب الحضريين والعرب العشائريين فقد كانت حياة العرب الحضريين تخضع بشكل عام للقوانين الاسلامية والقوانين الوضعية للدولة العثمانية. أما العرب العشائريون، فكانت تخضع حياتهم للعادات والتقاليد العشائرية المصبوغة بصبغة اسلامية. وكان بعض العرب الحضريين، وخصوصا شريحة المتعلمين منهم قد خضع لتأثير الثقافة التركية.[٣٢]وشكل الاسلام "قوة فصل أكثر منه قوة دمج، انه أقام انشقاقا حادا بين العرب الشيعة والعرب السنة"[٣٣]. فقد ترافق الانقسام المذهبي مع الانقسام الاجتماعي الذي تأطر ضمن

---

[٣٠] د.محمد سلمان حسن: التطور الاقتصادي في العراق (التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ – ١٩٥٨)، ج١، صيدا ـ بيروت، ١٩٦٥، ص ٥٠ ـ ٥٢.

[٣١] د.علي الوردي: دراسة في طبيعة......، مصدر سابق، ص ١٦٦ ـ ١٧٣.

[٣٢] حنا بطاطو: العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، ترجمة: عفيف الرزاز، مكتبة الغدير، قم، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٣ ـ ٣٤.

[٣٣] المصدر السابق نفسه، ص ٣٦.

التعبير الديني ولكن في واقع الامر تقف خلف هذا الانقسام أسباب كثيرة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية.

ثالثا : تعدد المكونات العرقية والقومية والدينية للمجتمع العراقي كالأكراد والتركمان والفرس والاشوريين والارمن والكلدانيين واليهود والأيزيديين والصابئة، فالعرب أنفسهم يؤلفون أكثرية سكان العراق يتشكلون من مجتمعات "متميزة ومختلفة فيما بينها ومنغلقة على ذاتها، على الرغم من تمتعهم بسمات مشتركة".[٣٤] وتظهر احصائية تخمينية للمكونات الدينية والمذهبية في العراق عند احتلال الجيش البريطاني للعراق (باستثناء السليمانية) ما يأتي:[٣٥] بلغ عدد السنة (١٤٥٩٧٥٧) والشيعة (١٩٦٥٨٥٠) أما عدد اليهود بلغ (١٥٩١٤١)، وعدد النصارى بلغ (٦٢٠١٤) في حين كانت أعداد الاديان الاخرى قد بلغت (٥٣٤٢٤).

وبهذا شكل التنوع القومي والديني والمذهبي أحد الخصائص المهمة التي اتسم بها المجتمع العراقي فقد عمدت السلطة العثمانية الى تجاهل هذا التنوع في التمثيل السياسي والثقافي، ما أدى الى خلق مشكلات عديدة نأتي عليها في مواضع متعددة من البحث.

المطلب الرابع: الحالة الثقافية: نتعرف على الحالة الثقافية من خلال المؤشرات الاتية:

اولا: التعليم: ان الظاهرة البارزة في الحياة التعليمية في العراق، هي انتشار الكتاتيب. وكانت هذه الكتاتيب منتشرة لتحفيظ الصغار القرآن الكريم، يشرف عليها مدرس للقرآن يسمى (ملا)، ثم ينتقل الطالب بعد ذلك الى المدارس الدينية الملحقة

---

[٣٤] المصدر نفسه، ص ٣١.

[٣٥] سر ارنلد ويلسون: بلاد مابين النهرين بين ولاءين، ج٢، ترجمة: فؤاد مطر، دار الجمهورية، بغداد، ط١، ١٩٧١، ص ٢٤.

بالمساجد، هذه المدارس هي التي قادت الحركة العلمية والأدبية، وكانت تخرج أفواجا من طلبة العلم وتثقفهم بالثقافة النقلية والعقلية، وقد اشتهرت بغداد والنجف وكربلاء وسامراء والموصل وكركوك والسليمانية والبصرة بمدارس دينية الحقت بالمساجد، أما العلوم التي كانت تدرس في هذه المدارس، فهي العلوم النقلية التي كانت تشمل اللغة وفروعها والتفسير والحديث والاصول، والعلوم العقلية وكانت تشمل المنطق والفلسفة والكلام وعلم الهيئات، أما الدراسات الادبية، فلم تكن ضمن مناهج الدراسة عدا النحو والصرف والبلاغة،وانما كانت تعتمد على الذوق الشخصي والتتبع الفردي.[٣٦] ان أول المدارس الحديثة في العراق هي تلك التي فتحت على يد الاباء الدومنكيين في الموصل ولم تقتصر هذه المدرسة عل تعليم أبناء الطائفة المسيحية فقط بل دخلها عدد كبير من أبناء المسلمين مما حفز الحكومة المحلية على فتح مدرسة (أميرية) في الموصل عام (١٨٦١) وفي عام (١٨٦٥) فتح اليهود أول مدرسة لهم في بغداد هي مدرسة (الاليانس).[٣٧] وعند توليه ولايات العراق فتح الوالي (مدحت باشا) عدداً من المدارس منها: المدرسة الرشيدية العسكرية وهي مدرسة تعد الطالب للالتحاق بالمدرسة الاعدادية ليصبح بعد ذلك ضابطا في الجيش العثماني. والمدرسة الرشيدية الملكية المدنية المخصصة لتخريج الموظفين ومدرسة الفنون والصنائع.[٣٨] لقد امتازت المدارس الاهلية المسيحية واليهودية بالانتظام والتعليم المتميز لانها تحرص على أن يتعلم تلاميذها اللغات الأوروبية والمراسلة والمحاسبة ومسك الدفاتر ومبادىء القانون والطب

---

[٣٦] عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ ـ ١٩١٧، شركة الطباعة الاهلية، بغداد، ١٩٥٩، ص ٨٠ ـ ٩٨.

[٣٧] د. علي الوردي: لمحات إجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج٣، مكتبة الصدر، قم، ٢٠٠٤، ص ٢٨٨.

[٣٨] د. ابراهيم خليل أحمد: تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ ـ ١٩٣٢، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٢، ص ٣٦ ـ٣٨.

والهندسة.[39] أما المدارس الحكومية فكانت غايتها "عثمنة العرب أو صبغهم بالصبغة العثمانية." [40] ان عثمنة التعليم أسفرت عن "نتيجتين: أولاهما أن مادة الدرس كانت غير مفهومة في الغالب، وثانيتهما أن الشباب العراقيين نشأوا وهم غير قادرين على الكتابة بأيسر من العربية. ولايمكن أن نذكر الفائدة السياسية من امر تحويل العرب بها تحويلا نصفيا الى أتراك".[41] لقد كان نصيب ولاية بغداد من المدارس العسكرية أكبر من نصيب الولايات الاخرى، فإن نقل التلاميذ خريجي المدارس العسكرية الى أسطنبول وأدخالهم المعاهد العالية على حساب الحكومة جعل الكثير من الشباب يرغبون في المدارس العسكرية، ولاسيما الفقراء منهم، أما الموسورون والاعيان (الذوات) فكانوا يستنكفون أن يدخلوا أبناءهم المدارس العسكرية فهم يرسلونهم الى أستانبول ليدخلوا على حسابهم الخاص في معاهد الطب والحقوق ودار المعلمين.[42] فكانت الأقلية من الطبقات الموسرة هي التي تعنى بتدريس أبنائها الدراسات المدنية المتنوعة ولاسيما أن هذه الدراسات تحتاج الى نفقات باهظة، فالذين تلقوا علومهم في أستانبول كانوا من اسر معروفه، كأنجال يوسف السويدي الخمسة وأنجال شوكت باشا وغيرها من الاسماء المعروفة من هذه الفئات.[43] لقد تعددت المدارس الاهلية للطوائف السريانية والكلدانية والارامية والبروتستانتية والكاثوليكية اللاتينية واليهودية التي ضمت مدارس للبنات والبنين فضلاعن المدرسة الجعفرية (فيما بعد) لابناء الشيعة [44]. لم تول السلطة العثمانية

---

[39] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية.... ج٣، مصدر سابق، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

[40] المس بيل: فصول من تاريخ......، مصدر سابق، ص ٣٣.

[41] ستيفن هميسلي لونكريك: مصدر سابق، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

[42] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية..... ج٣، مصدر سابق، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

[43] باسل سليمان فيضي (تحقيق وتقديم): مذكرات سليمان فيضي من رواد النهضة العربية في العراق، مطبعة الاديب، بغداد، ط٤، ٢٠٠٠، ص ٧١ ـ ٧٢.

[44] المس بيل: فصول من تاريخ......،مصدر سابق، ص ٣٩ ـ٤٠.

جهدا يذكر في نشر التعليم عموما في معظم ولايات الدولة العثمانية فما بالك بالمناطق البعيدة عن مركز السلطة فمن "المحتمل أن نسبة المتعلمين في العراق كانت في سنة ١٨٥٠ بمقدار نصف في المائة من سكان المدن، فاصبحت النسبة بمقدار ٥ ـ ١٠ % في سنة ١٩٠٠".[٤٥] وقبيل الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) لم يكن في طول البلاد وعرضها سوى (١٦) مدرسة وعدد طلابها (٦٠٠). علما أن عدد المستمرين على الدوام أقل من الرقم المسجل في سجلات المدارس من هذا العدد بكثير.[٤٦] وبهذا بقيت أحوال التعليم تعاني ضعف المستويات التدريسية وقلة فتح المدارس وتدهور الاوضاع الاقتصادية للطلبة ما يحرمهم الاستمرار في الدراسة.

ثانيا الطباعة : هناك تباين في الاراء في تحديد تأسيس أول مطبعة في العراق، فمنهم من يذهب الى القول ان أول مطبعة أنشئت في العراق كانت في الكاظمية وهي حجرية، وقد طبع فيها كتاب (دوحة الوزراء) للشيخ رسول الكركولي في عام (١٨٢١).[٤٧] في حين يشير البعض الاخر أن أول مطبعة ادخلت العراق في منتصف القرن التاسع عشر وقد استقدمت من إيران وأسست في مدينة كربلاء عام (١٨٥٦). وفي التاريخ نفسه أسست المطابع في الموصل على أيدي الاباء المنتمين الى القديس عبد الاحد المعروفين (بالدومنيكان).[٤٨] لقد اهتمت مطابع الاباء (الدومنيكان) بطبع الكتب المقدسة والعهد الجديد ومزامير داود وقصص الرسل فضلا عن كتب دينية أخرى.[٤٩] ويذكر أن (كامل التبريزي) جلب الى بغداد مطبعة من ايران ومن الكتب

---

[٤٥] ستيفن همسلي لونكريك: مصدر سابق، ص ٣٤٣.

[٤٦] عبد الرزاق الهلالي: معجم العراق، ج٢، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٦، ص ٢١٠.

[٤٧] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية..... ج٣، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

[٤٨] رفائيل بطي: تاريخ الطباعة في العراق (الجزء الاول)، مجلة لغة العرب، العدد ٣، أيلول / ١٩٢٦، ص ١٤٨.

[٤٩] رفائيل بطي: تاريخ الطباعة في العراق (الجزء الثاني)، مجلة لغة العرب، العدد ٤، تشرين الاول / ١٩٢٦، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

التي طبعها (سبائك الذهب في معرفة أنساب العرب) لـ(محمد أمين السويدي). ويعد الوالي المصلح (مدحت باشا) أول من استورد مطبعة تدار بالبخار من باريس ليطبع جريدة الزوراء. ثم توالى دخول المطابع ولايات العراق ففي العام (١٨٧٥) أسس (تحسين باشا) مطبعة الولاية وفي عام (١٨٧٥) أسس محمد علي الجلبي باشا أول مطبعة في البصرة لكي يصدر جريدة الفيحاء، ثم أسس (أبراهيم باشا) مطبعة سميت بمطبعة دار السلام، وفي العام (١٩٠٢) أسس الحاخام (عزرا دنكور) في بغداد مطبعة كبيرة اهتمت بطبع الكتب الدينية اليهودية والاوراق التجارية. [٥٠] وبهذا فان الغاية من تأسيس هذه المطابع يتلخص في طبع الكتب الدينية فالاقليات الدينية تقوم بجهود شخصية باستيراد المطابع والاشراف عليها أو أن يقوم بعض الولاة باستيراد المطابع لاغراض محددة وهي طبع جريدة خاصة بالولاية. فلم يتيسر وجود مطابع لطبع النتاجات الثقافية. فكثير من النتاج الثقافي ذهب دون طبع أو حفظ.

ثالثاً الصحافة: شهد العراق ميلاد أول صحيفة فيه على يد الوالي (مدحت باشا) المسماة (الزوراء) في يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر حزيران عام (١٨٦٩) لنشر ارائه الاصلاحية و(الفرمانات السلطانية)، وتنبيه أهالي الولايات الى وجود صحافة واوامر وشكوى يمكن الاشارة اليها، فضلاً عن الاخبار الاخرى التي تتضمنها الصحيفة التي تتحدث عن شؤون الولاية وأحوالها ونصوص المعاهدات لقد تمتعت الصحيفة برعاية الوالي المصلح مدحت باشا، فكانت لهجتها صريحة وتدوينها الوقائع بحرية تامة، ولكن هذه السمات تغيرت بانتهاء ولاية (مدحت باشا)، وما حملته العهود الاخرى من ضغط وتشديد وخنق للحريات، فقد تبدلت لهجتها [٥١].

---

(٥٠) د.علي الوردي: لمحات إجتماعية...... ج٣، مصدر سابق، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٥١) رفائيل بطي: صحافة العراق، ج١، مكتبة رفائيل بطي، بغداد، ١٩٨٥، ص٣٣ ـ٣٤.

وأصبحت صحيفة (الزوراء) وصحيفة (الموصل) المؤسسة عـام (١٨٨٥) وصـحيفة (البصرة) المؤسسة عام (١٨٨٩) هي الصحف الرسمية للولايات العثمانية الثلاث.[٥٢] ان الصحافة الرسمية للولايات العثمانية كانت صحف السلطان واعوانه، بـه تـشيد وبلسانه تنطق، فقد انعزلت عن عموم الناس بل تخلت عنه وظلت الصحافة أسـيرة سلطة السلطان العثماني.[٥٣] لقد صدرت مجلتان ادبيتان الاولى مجلة (اكليل الورد) اصدرها الاباء الدومنيكان في الموصل عام (١٩٠٢) واستمرت ستة أعوام، أما الثانيـة (زهيرة بغداد) أصدرها الاباء الكرمليـون في بغـداد عـام (١٩٠٥) واسـتمرت عامـا واحدا.[٥٤] وبهذا كانت الغاية من الصحف الرسمية للولايات العثمانية خدمة الصفة الرسمية للسلطة، فلم يكـن مـن أهـدافها الاهتمـام بمـشكلات المجتمـع الكثـيرة، فاهتمامها ينصب على نشر البلاغات الرسمية والتوجيهـات التـي تخـدم الـسلطة، فضلا عن أن النشر فيها يجب أن يساير النهج العام للسلطة.

رابعا: المثقفون: لقد اكتفى العثمانيون بالـسياسة العامـة ومراقبـة الادارة المحليـة والامور المالية والقضائية، أما الاداب والعلوم فقد كانت بعيـدة مـن التـأثير، فهـي أمور أهلية يقوم برعايتها العلماء والاهلـون.[٥٥] فـالتعليم الـديني تمتـع بحريـة مطلقة، كان لهذه الحرية الفضل في اعداد أعلام المفكريين من علماء الدين في عصور مختلفة، كان اهتمام المدارس الدينية منصبا على تدريس علم اللغـة العربيـة مـن نحو وصرف وبديع وبيان وعروض ومنطق وفلسفة فهذه الـدروس سـاعدت عـلى

---

[٥٢] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الصحافة العراقية، ج١، مطبعة العرفـان، بـيروت،ط٣، ١٩٧١، ص ٥٧ ـ ٥٨.

[٥٣] منير بكر التكريتي: الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافيـة ١٨٦٩ ـ ١٩٢١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩، ص ٥٨.

[٥٤] د. وائل عزت البكري: تطور النظام الصحفي في العراق١٩٥٨ ـ ١٩٨٠، دار الـشؤون الثقافيـة العامـة، بغداد، ١٩٩٤، ص١٧.

[٥٥] عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق، ج١، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٢، ص ٢٠٤.

الحفاظ على اللغة العربية.[٥٦] يرى بعضهم أن دروس المساجد والمدارس الدينية إبتعدت عن العلوم الادبية واتسعت دائرة التأليف في الفقة والشرح، فقد قل المفكر المصلح، وندر الاديب القائد والشاعر المبدع وأستعملت اللغة التركية في الدواوين لوجود حاكمين اتراك، فالمتعلم والمثقف يجدر به أن يتعلم اللغة التركية، لغة الحاكم ولغة الدولة ولغة الوظيفة، ومن يقرأ عناوين الكتب التي ألفت في هذه الحقبة يحكم على مقدار التكلف الذي عاناه المفكر ليلائم بين إختيار العنوان والذوق الفكري والثقافي السائدين ومن هذه العناوين (غرائب الاغتراب) و(حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) و(غيث الربيع في علم البديع) و(تنقيح العبارات في توسيع الاستعارات).[٥٧] فالنثر الذي ألفت فيه كتب الفقه والاصول والحديث والتفسير وأمثالها، ليس فيه نوع من الابتكار أو التجديد لتظهر فية الميزة الادبية بل هو إعادة وتكرار للقواعد القديمة مع شيء من اضافات المؤلف، فلم يخلُ من مبالغات الخيال والزخرفة أو يسلم من الاخطاء النحوية واللغوية لانه يتعلق بمسائل وأحكام يجب أن توضع في قوالبها الخاصة بها دون زيادة أو نقصان، لم تحمل موضوعات النثر شيئا جديدا من مقدمات الكتب والتقاريظ والرسائل والرحلات والفرائض.[٥٨] أما الشعر العراقي فكان عامة لايخرج عن أغراضه الاتية: مدح السلطان، وخدمة الدين الذي يسجل في مدح (الرسول وال بيته) عليهم السلام والشعر القومي الذي يقف الى جانب المناسبات القومية،و الشعر الاجتماعي الذي يتضمن طرق موضوعات إجتماعية متعددة [٥٩].لقد أسهمت بعض الحركات

---

[٥٦] عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم.....، مصدر سابق، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

[٥٧] د.يوسف عز الدين: تطور الفكر الحديث في العراق، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦،ص ٣ـ ٩.

[٥٨] أبراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١، ص١٠٦ـ ١٠٨.

[٥٩] د.يوسف عزالدين: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٤، ص ٣٥ ـ ٣٧.

الاصلاحية التي ظهرت في مدد متباعدة من القرن التاسع عشر، في التطـور الثقـافي المحدود الذي إرتبط ببعض الولاة الذين قادوا هذه الاصلاحات، فكان أثرهـا ينتهـي بانتهاء مدة ولاية هؤلاء الولاة، منها ماذكره بعض المؤرخين عن (داود باشا) الـذي حكم العراق في الربع الاول من القرن التاسع عشر، فقـد كـان هـذا الـوالي مـصلحا ومثقفا ثقافة عالية في عصره، قام بأعمال اصلاحية لم يعهدها العـراق مـن قبـل فقد أحب العلم والادب وقرب الشعراء وأوجد حركة فكرية مهما تكن قوتها الا أنها ذا تأثير لاينكر في محيط يطغى علية الخمول. فقد تثقـف (داود باشـا) عـلى أيـدي العلماء الكبار الذين عايشوا عصره أمثال (صبغة الله الحيـدري)، و(محمـد أمـين الموصلي) ودرس النحو والصرف والرياضيات والتـصوف. وقـد كثـرت المـدارس في عهده حتى أنها بلغت ثمانيـة وعـشرين معهـدا كبـيرا للتـدريس وأخـذ يـستجلب المدرسين من انحاء البلاد وجعل لهم جرايات (رواتب) ليعيشوا عليها من بيت المـال في العراق.[٦٠] وكان لاصلاحات (مدحت باشا) العامة أثر في الحياة الثقافية العامـة فاصدر جريدة (الزوراء) كما مر معنا، وأسس مستـشفى ومـأوى للايتـام ونظـم البلدية والمجالس المحلية وبنى المدارس التي على قلتها تعد شيئاً متقدما لمن سبقوه من الولاة.[٦١] يجد (عباس العزاوي) أن الاعتبـارات الـسياسية تقـف خلـف تقـرب الحكام من الاهلين فالحكام يحاولون كسب رضاهم لتأييد سلطتهم وتمكينهم من القيام بمشاريعهم السياسية وهذا ما فعله بعض الولاة من المماليك حين عمدوا الى تقريب العلماء واكـرامهم، وفـتح المـدارس، ولعـل الحاجـة الـسياسية والامـل في الاستقلال بالبلاد بصورة أوسع هـو الـذي دفعهـم الى الاهتمـام بتقريـب العلمـاء واكرامهم.[٦٢] ولعل الاشارة هنـا واضـحة الى محـاولات (داود باشـا) الى اسـتقلال

---

[٦٠] د.يوسف عزالدين: داود باشا.........، مصدر سابق، ص ٥٠ ـ ٥٢.

[٦١] عبد الكريم الدجيلي: مصدر سابق، ص ١٣ ـ١٤.

[٦٢] عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي.... ج١، مصدر سابق، ص ٢٦٥.

الولايات العراقية عن السلطة العثمانية، مقتديا بـ(محمد علي) والي مصر. وفي الواقع اذا كانت غاية بعض الولاة الاهتمام بالعلم والعلماء لاعتبارات سياسية، فغاية الكثير من المثقفين ولاسيما الشعراء كانت بعيدة عن ذلك فكانت تنحصر في نيل عطايا الوالي بالتقرب بشعرهم الى الولاة وذهبت اراء كثيرة الى أن مدح الولاة كان ضمن الاتجاة الاسلامي المتمثل أن السلطة العثمانية تمثل (الامال الاسلامية)، فلم يكن العربي المسلم يأنف من الاعتراف بسيطرة السلطان و(لعل) الخوف من الأوروبي (الكافر) هو الدافع الى التمسك بـ(السلطان العثماني)، فهو خير من حاكم لاتربطه به أية رابطة. فالنزعة الاسلامية كانت النزعة العامة المسيطرة في هذه المرحلة ومن اراد الخروج عليها والدعوة لغيرها فهو خارج عن الدين الاسلامي. ويجد د.يوسف عزالدين أن أكثرية المنادين بالرابطة الاسلامية ليسوا من مؤيدي النفوذ العثماني، وانما كانوا يفضلونه على سواه من النفوذ مسوقين بالعاطفة الدينية، فهم يرون الخليفة العثماني الركن القويم الذي تعتمد عليه الوحدة الاسلامية.[٦٣] وقد" تساوى في هذا اللون من الشعر شعراء الشيعة والسنة فقد كان هؤلاء ولاسيما الشعراء الشيعة ينسون الجراح والالام حين تعلن الدولة العثمانية حربا على خصم من خصومها ".[٦٤] وفي واقع الامر سجل السلطان العثماني على مختلف تسمياته الفشل الذريع في الحفاظ على (بيضة الاسلام) والحفاظ على الوحدة الاسلامية أمام التحديات الغربية واطماعها في بلاد المسلمين، فقد تحالفت هذه الدول على تقسيم الممتلكات الاسلامية واحتلالها على الرغم من قصائد الشعراء المادحة للسلاطين العثمانين، فهذا السلطان (عبد العزيز) الذي

---

[٦٣] د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه......، مصدر سابق، ٣٨ ـ ٤٠.

[٦٤] أبراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي........، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

عرف بمحاربته للحريات وخنق أصوات الاحرار، نجد الشاعر (عبد الغفار الاخرس) يمدحه قائلا :

وما أرى من رأى السلطان موكبه
كمثل عبد العزيز اليوم سلطانا
فلو وزنت ملوك الارض قاطبة
به لزاد ملوك الارض رجحانا
أشدهم في الوغى بأسا وارفعهم
قدرا واعظمهم في ملكه شأنا[٦٥]

ثم يمدح رجاله من وزراء وموظفين، ولم يكن هؤلاء في صفاتهم بأقل من سلطانهم بعدا عن الامانة والكفاءة فيقول :

نعم الرجال رجال يحدقون به
كانوا لدولته الغراء أركانا
فمنهم (النامق) المولى المثير وهل
تبغي على من يقول الحق برهانا
قد أظهرت في البلاد العدل رأفته
من بعد ما ملئت ظلما وعدوانا
ساس العراق فأمسى وهو في دعة
وزاد فحايته أمنا وايمانا[٦٦]

---

[٦٥] د. عربية توفيق لازم: حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث منذ ١٨٧٠ وحتى قيام الحرب العالمية الثانية،مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٧١، ص ١٣.

[٦٦] المصدر السابق نفسه، ص ١٤.

فالشاعر كان يتغنى بمزايا رجالات الدولة آيات الولاء والاخلاص وهذا الشاعر (عبد الجليل البصري) يمدح السلطان عبد الحميد قائلا :

ملـــك حليـــف مكـــارم لاتنتهـــي

ورضـــيعها مـــن يـــوم بـــدء المولـــد

ملـــك تأهـــل للرياســـة منـــذ نـــشأ

وأقـــام ركـــن علائهـــا المنهـــــد

ملـــك لـــه الملـــك الاشـــم وراءة

ورياســـــة ونجابـــــة لم تجمـــــد

ملـــك لـــه الهمـــم الـــتي لاتنـــثني

عمـــا يـــروم بـــشدق الاســـــود [٦٧]

لقد جعل الشعراء شعرهم وسيلة للتقرب والزلفى عند السلاطين والـولاة مـا جعـل شعراء العراق عرضة للّوم والتقريع والنقد الشديد لاسرافهـم في مـدح الـولاة.[٦٨] فهـذا الشاعر (أحمد عزت الفاروقي) يمدح السلطان عبد الحميد قائلاً:ـ

أمـــير المـــؤمنين فـــدتك نفـــسي

وروح الـــعالمين لـــك الـــفداء

لأنـــت حياتنـــا وعمـــاد ديـــن

بـــه الارضـــون قامـــت والـــسماء

وأنـــت خليفـــة الـــرحمن فينـــا

تـــديرنا كمـــا شـــاء القـــضاء

(٦٧) د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي: أهدافه و خصائصه........، مصدر سابق، ص ٤٣.

(٦٨) ابراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي........، مصدر سابق، ص ١٢٧.

وأنـــــك مالـــــك منـــــا رقابـــــا

غـــدت أطواقهـــا منـــك الـــولاء

وفيـــك الوقـــت يزهـــو كـــل وقـــت

وفيـــك الـــصبح يـــشرق والمـــساء

ففـــى أيامـــك الدنـــيا نـــعيم

وعـــيش قـــد تـــولاه الرخـــاء[٦٩]

فلم يمدح الشعراء الولاة لفتحهم الشوارع أو تطهير الانهــار أو انـشاء المـدارس لان الولاة لايهتمون بهذه الامور قدر اهتمامهم بالقضاء على تمردات العشائر بالقوة والحزم "واسرافهم في مدح الولاة عند ثورات القبائـل والانتفاضات الداخلية التي كانت رد فعـل لفساد الحكم وسوء السلطة العثمانية، فالشـعراء يقفـون بـشعرهم لمنـاصرة الـوالي العثماني في قمع هذه الثورات والانتفاضات وكأن الثـورة لـم تكـن ضـد ظـالم أودولـة لاتربطها رابطة جنس أو لغة، وكـأن الثائرين لم يكونوا طلاب حق أو متـذمرين مـن ظلم واضطهاد وليس من تفسير لهذه المواقف من الشعراء الا الحاجة الى عطايـا الـوالي وأكثـر هذا الشـعر لا يخرج عن الملق والطمع والتملق".[٧٠] فيقول الشاعر (مهـدي الطباطبائي) مادحا أحد الولاة الذي قضى على احدى ثورات العشائر قائلا :

لاتـــسرين اليـــــهم بـــــسرية

يكفـــيهم الارعـــاد والابـــــراق

مـا لاح شخـصك في الـوغى الا وقـد

شخـصت لـك الابـصار والاحـداق[٧١]

---

[٦٩] د.يوسف عز الدين: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه......، مصدر سابق، ص ص ٥٠ ـ ٥١.

[٧٠] أبراهيم الوائلي: الشعر السياسي العراقي.....، مصدر سابق، ص ١٢٨ ـ١٢٩.

[٧١] د. يوسف عز الدين: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه.......، مصدر سابق، ص٦٢.

ولا تختلف قصائد الشعراء الاخرى عن مضامين هذه القصائد، أمثـال (عبـد البـاقي العمري) و(عثمان بن سند) والشيخ (صالح التميمي) وغـيرهم الكثـير، ويكـاد يتفـق النقاد على أن قصائد هؤلاء الشعراء جاءت خالية من الجـودة والخيـال المبتكـر، لانهـم كانوا ينظمون الشعر بلا عواطف وأحاسيس. ولاسيما قصائد المدح، ولـم يقتـصر مـدح الشعراء على السلاطين والولاة بل تعداه الى صغار الموظفين ماداموا يمثلون السلطة. لـم يقتصر الولاء للسلطان العثماني على الشعراء، فهناك من العلماء الذين عرفوا بتأييـدهم للسلطان العثماني.ولعل خير مثال يذكر في هذا المجال الامـــام (أبـو الثنـاء الآلـوسي) وتأليفه كتاب (شرح البرهان في اطاعة السلطان)، والكتاب من أولـه الى اخـره بحـث في شرعية وجود الدولة العثمانية، ووجوب إطاعة سلطانها (محمود الثـاني) عـلى جميـع المسلمين، وذلك بسوق الادلة الشرعية من الكتاب والسنة. ويعقـد الآلـوسي فـضلا عـن الفقه السياسي في قضية الامامة ويبين آراء الفرق الاسـلامية، وينتهـي الى أن (العدالـة) تكفي لنصب الإمام وبعد أن ختم شرح البرهـان سـاق مائـة حـديث في فـضل الجهـاد والرباط، واورد قصصا مؤثرة تبين قيم الجهاد.[٧٢] ويجد د.(يوسف عز الدين) أن تـأليف الآلوسي لهذا الكتاب جاء على خلفية (التقية والمحاورة) التي تضطر العلماء الى محابـاة السلطة فـــ"أصحاب الاراء يضطرون للمحاورة والتقية، ومجاراة الولاة الذين لايرعـون ذمة، وبذلك يأمنون على أنفسهم من بطشهم حتى أن (أبا الثناء الالوسي) لـم يجـد مـا يدفع عنه غائلة الاضطهاد واعادة حقوقه المهضومة الا بتأليف كتاب كان يعتقد بطلانه الا وهو (شرح البرهان في اطاعة السلطان)".[٧٣] يرفض د.محسن عبد الحميـد وجهـة نظر د. يوسف عز الدين جملة وتفصيلا، فيستبعد أن يكون الالوسي قد ألف كتابا (يعتقد بطلانه) فيبيع (دينه بدنياه) ويجد أن العالم الاسلامي مني في منتـصف القـرن التاسـع

[٧٢] د. محسن عبد الحميد: الامام أبو الثناء الألوسي، دار الشؤون الثقافيـة العامـة، بغـداد، ط ١، ١٩٩٢، ص ٧٥ ـ ٧٦.

[٧٣] د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه، مصدر سابق، ص ٣٨.

عشر بالاستعمار الأوروبي، فخشي المسلمون أن يسيطر الأوروبيون على العالم الاسلامي كله ولذا فكر المسلمون في الوقوف أمام التيار الأوروبي، فكان لابد للعلماء والمفكرين من أن يناصروا السلطة العثمانية، لان الواجب الاسلامي يفرض مناصرة ذلك.[٧٤] وفي الواقع هذا الرأي لايختلف عن الاراء الكثيرة التي ملئت بها الكتب وهي أن الخليفة العثماني (ظل الله في الارض)، فهو يحمي (بيضة الاسلام)، وهذه الفكرة المسيطرة على تبرير البحث في شرعية الطاعة المطلقة لـ(السلطة العثمانية)، ويبقى سؤال ماذا فعل (الخليفة العثماني) للعالم الاسلامي؟ فالفرنسيون استولوا على الجزائر، واحتلت روسيا القوقاز، واحتلت أنكلترا الهند، واحتلت هولندة اندونسيا؟ اذا كانت الاحوال الداخلية للدولة العثمانية سيئة جدا في جميع نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فهل كانت قصائد الشعراء وتملقاتهم وتبريرات العلماء لشرعية سلطتها (القوة) التي بها يستعين السلطان العثماني إزاء الغرب (الكافر)، واذا ما تذكرنا أن الالوسي وحسب ما دونه د.محسن عبد الحميد معتمدا في ذلك على مصادر تاريخية مهمة قد ألف كتاب (البرهان في إطاعة السلطان) بعد العفو عنه لمناصرته الدعوة السلفية (الوهابية) حصل على مكافأة تتضمن توليه أوقاف مدرسة جامع مرجان وكانت لا تعطى إلا لأعلم علماء بغداد ومنحه رتبة (تدريس الاستانة) من السلطان العثماني وهي رتبة علمية لها إمتيازاتها الخاصة ثم تعيينه في منصب خطير جدا يومئذ وهو (إفتاء الحنفية في بغداد)[٧٥].

وبهذا كان الأمل في نيل عطايا السلطان، واضحاً جدا من تأليف هذه الكتب التي تعود فوائدها على من يناصر السلطة العثمانية.أما المثال الثاني فهو الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) الذي الف كتابا بعنوان (الفجر الصادق) [*] الذي يمجد فيه السلطة

---

[٧٤] د. محسن عبد الحميد: مصدر سابق، ص ٧٦ ـ ٧٧.

[٧٥] المصدر السابق نفسه، ص ٢٤.

[*] جميل صدقي: الفجر الصادق، القاهرة، ١٩٠٥.

العثمانية، ويهاجم (الدعوة الوهابية) لقد كان مبعث هجومه ينطلق من الحفاظ على (الجامعة الاسلامية) فالخلافة على وفق ماجاء في الكتاب لايشترط فيها أي شرط فلا يجب أن يكون الخليفة اماما ولامعصوما ولا أن يكون علويا أو قرشيا، كل هذا ليمهد للقول إن حكم (ال عثمان) حكم شرعي بل يوجب على المسلمين طاعة السلطان العثماني ويعد العاصي كافرا لايؤمن بالنبي ولا بالقرآن وهو القائل :

من كان يؤمن بالنبي محمد

وبما أتى من منزلة القرآن

علم اليقين بأنه في دينه

وجبت عليه طاعة السلطان (٧٦)

ويجد د. يوسف عز الدين أننا "لسنا بصدد صدق عقيدة الزهاوي بعد أن تنصل من هذا الكتاب وادعى أنه اضطر الى تأليفه خوفا من السلطان ولكن يهمنا الكتاب نفسه لانه عكس روح العصر التي تسيطر يومذاك على الكتاب وقد مثل الزهاوي هذا الدور أصدق تصوير".(٧٧) وبهذا كان من السهل على كتاب السلطة تغيير المواقف من مواقف مؤيدة للسلطة الى حالة التنصل مما يكتبونه على وفق تغير الظروف. وأخيرا لابد من الوقوف عند الشاعر معروف الرصافي الذي يقول في الدولة العثمانية :

عجبت لقوم يخضعون لدولة

يسوسهم بالموبقات عميدها

واعجب من ذا أنهم يرهبونها

وأموالهم منهم، ومنهم جنودها

(٧٦) د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه.......، مصدر سابق، ص ٢٥ ـ٢٦.

(٧٧) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦.

اذا وليــــت أمـــــر العبـــاد طغاتهــــا
وســاد علــى القــوم الــسراة مــسودها
وأصــبح حــر الــنفس في كــل جانــبٍ
يــرد مهانــا عـــن ســبيل يريدهــــا
فمــا أنــت أيهــا المــوت الا نعمــــة
يعـز علـى أهـل الحفـاظ جحودهـا[٧٨]

ولكنه ظل متمسكا بالدولة العثمانية، فكان منتقدا الدعوات التي تدعو الى الانفصال عن الدولة العثمانية لانه يرى الانفصال "جريمــة تقــترف ضــد الاســلام".[٧٩] فمواقفــه الداعمة للسلطة العثمانية ظلت قائمة، من خلال (الحفــاظ) عــلى الوحــدة الاســلامية، ولكن ماذا يقول التاريخ بعد نشر (الشخصية المحمدية)[*] للرصافي بعد حوالي قــرن مــن الزمان؟ اذن المسألة تكمن في العيش في ظل إمبراطوريــة عثمانيــة (اســلامية) مترامية الاطراف، بعيدا عما تعاني هذه الدولة من إنحطاط سياسي واقتصادي وثقافي، فالرصافي ليس بعيدا في شعره عن هذه الاوضاع ولكنــه يــرى الــسلطة العثمانيــة تمثــل الخلافــة الاسلامية وعلى الناس طاعتها.ويمكن تلخيص هذه الاوضاع بالنقاط الآتية :

أولا: بعد أن استعرضنا الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العراق في ظل السلطة العثمانية،نرى أن أبلغ ماقيل في تصوير أحواله هذه جميعا مــا قالــه (آيرلاند) أن العراق "اشبه شيء بــ(سبيريا) تركية غنيــة بــالثروات الكامنــة تحــت التراب لكنه محروم من وسائل الثقافة ومما يثــير الافكــار الجديـــدة والتفــــكير السياسي السائد في البلاد المتمدنة".[٨٠] فقد انعــدمت في ظلهــا الــسمات الحــضارية فالحالة الــسياسية في العــراق اتــسمت بالاضــطراب النــاتج عــن عوامــل داخليــة

[٧٨] معروف الرصافي: ديوان الرصافي، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٤٩، ص ٢٠.
[٧٩] د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث......، مصدر سابق، ص ٢٣.
[*] أنظر: معروف الرصافي: الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس، دار الجمل، المانيا، ٢٠٠٢.
[٨٠] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ١٧٣.

وخارجية، فالعراق ساحة صراع دولتين هما الدولــة العثمانيــة والدولــة الايرانيــة، فضلا عن سوء الادارة الداخلية فيه، فالادارة تتركز في المــدن الكــبرى، أمــا الاجــزاء الاخرى فتعمها الفوضى. فالوالي العثماني في العراق كان يفاخر "أن ميزانيتــه لــيس فيها باب للمصروفات مطلقا وانما تحتوي على المقبوضات فقط."[٨١] فقــد شــكلت جملة الضرائب الكبيرة وقعا شديدا على الاهالي وان تعددت تسمياتها، فهــي تــشكل نسبة عالية من ايرادات الدولة، فطريقة الالتزام في جمع الضرائب تشكل عبئا ثقيلا على الافراد، وغالبا مايكون الفلاح ضحية هذه الاوضاع .

ثانيا: حافظ المجتمع العراقي على الطــابع البــدوي الــذي قــاد الى النــزاع وأن اختلفــت تسمياته وأسبابه أيضا ، فهو نتاج الواقــع القــبلي الــذي ينعــدم الامــن في ظلالــهِ، فالسلطة الحاكمة لم تتمكن من أن تــسيطر في يــوم مــن أيــام الدولــة العثمانيــة سيطرة تامة على البلاد لتنظم أمور الامن فيه وتقضي عــلى الفــوضى والاضــطراب. وتبقى مسألة تعدد المكونات العرقية والدينية والمذهبية للمجتمع العراقي واقعا لــم تتعامل السلطة العثمانية بسياسة رشيدة معه.

ثالثا: أفرزت الحالة التعليمية في أن يكون للعراق النصيب الاوفر من المدارس العسكرية التي أسهمت في اعداد الطلبة ذوي التوجهــات العــسكرية وتنميــة الطمــوح لــديهم لاكمال دراستهم في أستنابول، وكانت الدراسة الدينية بمنــأى عــن تــدخل الــسلطة العثمانية، ما وفر الظروف المناسبة في أن يتمتع العراق بهذا العدد الكبير من علمــاء الدين، وبهذا خلقت الحالة التعليمية لنا عنصرين قدر لهما أن يلعبا دورا في تــأريخ العراق الحديث وهما : الفئات العسكرية وعلماء الدين، فالنخب التي لعبــت دورا في قيادة الاحداث السياسية كانت مصادر ثقافتها اما دراسات دينية أو عسكرية. وان انضمت فئات أخرى نأتي عليها لاحقا في لعب أدوارٍ مهمة، وقد إنــزوت فئــات مــن علماء الدين ضمن أحداث نأتي عليها لاحقاً أيضا خلال البحث. وقد أسهم المثقفون

---

[٨١] المصدرالسابق نفسه، ص ٧٩.

من شعراء وكتاب في دعم السلطة العثمانية تحت مبررات (الجامعة الاسلامية)، ان السلطان العثماني (ظل الله) في الارض وغيرها من المبررات التي يسوقونها من أجل الحصول على عطايا السلطة، فلم يقتصر مدح الشعراء والكتاب على السلطان العثماني، وانما شمل جميع من يمثلونه من وزراء، وولاة وصغار الموظفين ماداموا يمثلون السلطة العثمانية. فهل كانت السلطة العثمانية فاقدة للمقومات التي تؤهلها حكم شعوبها ومنها العراق؟ وهنا لابد أن نذكر كلمات نوري السعيد حين ذكر القيام بالثورة العربية (١٩١٦) حين قال "اننا حين أقدمنا على الثورة لم يكن في البلاد العربية حكومة أو شبه حكومة حتى ولا ادارات محلية....... كنا حينئذ اذ جازفنا فانما كنا نجازف بأرواحنا فحسب..."[٨٢]. فلم تكن للسلطة العثمانية القدرة على الاصلاح أو التغيير وهذا جعلها تقع تحت طائلة تغيرات جذرية مهمة، قدر لهذه التغيرات أن تكون من العوامل المهمة المؤثرة في تكوينات المثقف العراقي الذي ستتشهد مواقفه التغيرات الكبيرة وهذا ماسنحاول بحثه في صفحات قادمة.

[٨٢] نوري السعيد: مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ ـ ١٩١٨، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص٢٤ ـ ٢٥.

المبحث الثاني

العوامل السياسية والثقافية المؤثرة في تكوينات المثقف العراقي

تأثرت الحياة السياسية والثقافية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين بالعديد من العوامل نحاول التعرف عليها من خلال مناقشة النقاط التالية: ـ

المطلب الاول: الحركة المشروطية: ـ كانت الحركة المشروطية بداية عهد جديد في التفكير العراقي، فقد غيرت الاتجاه العقلي وفتحت الاذهان على مُثل جديدة والفاظ حديثة لم تكن مألوفة لاهل القرن التاسع عشر وما نشأوا علية من استبداد مطلق(٨٣)، فالحركة المشروطية تتلخص دعوتها في تقيد الحاكم بشروط تحدد سلطانه المطلق، وقد مرت الحركة المشروطية في ظل السلطة العثمانية بمرحلتين: الاولى جاءت مع تزعم مدحت باشا في العام (١٨٧٦)، بحركة اصلاحية ضد السلطان عبد الحميد، ولكنها لم تستمر أكثر من عامين فقد قضى عليها السلطان عبد الحميد عام (١٨٧٨)، وامر بحل (مجلس المبعوثان) والغاء الدستور(٨٤) أما المرحلة الثانية فهي الحركة التي قادتها جمعية (الاتحاد والترقي)(*) العثماني في العام (١٩٠٨) تحت شعار اعادة الحياة الدستورية والعمل على بث أفكار الحرية والاخاء والمساواة، فقد نادت الدعوات الكثيرة بضرورة تغيير واقع الدولة العثمانية السياسي والاجتماعي، والتي راحت تعاني ضغوطا داخلية وخارجية، وكان الاتهام المباشر قد تم توجيهه نحو السلطان عبد الحميد بوصفه

---

(٨٣) د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٣٢

(٨٤) قدري قلعجي: مدحت باشا، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥١، ص ٥٠ ـ ٥٢ .

(*) تأسست في أستنابول عام ١٨٩٤ بإسم (تركيا الفتاة) السرية التي لقيت تشجيعا في فرنسا وبريطانيا، المصدر: د. علي الوردي، لمحات إجتماعية ... ج٣، مصدر سابق، ص ١٤٦ .

طاغية مستبدا وقد تم خلعه في (١٦ نيسان /١٩٠٩)[٨٥] لقد سبقت الحركة المشروطية (الثانية) حركة إيران المشروطية في العام (١٩٠٦)، فقد أيقن (المشروطيون) الايرانيون أن نجاحهم يتوقف على كسب (المجتهدين) من علماء الدين الى جانبهم، وقد انتصرت الحركة المشروطية الايرانية بفضل فتوى المجتهد الاول في النجف (كاظم الخراساني) الذي أفتى (أن الخروج على الدستور هو بمثابة خروج على تعاليم الاسلام)[٨٦] فالمشروطية حركة سياسية فكرية، اختلف تأثير الحركة المشروطية الايرانية عن الحركة المشروطية التركية في العراق من حيث مناطق النفوذ التي خضعت لتأثيرها وفي مدى تأثر فئات المثقفين العراقيين بهاتين الحركتين. نتعرف على مدى تأثيرها في الحياة السياسية والثقافية من خلال مناقشة النقاط التالية:

أولا: تأثير الحركة المشروطية الايرانية: أثرت الحركة المشروطية الايرانية في المدن المقدسة الشيعية في العراق ((النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية)) لان بغداد كانت مركز الحكم العثماني وفيها تركزت المدارس الرسمية القائمة على أساس المنهج العثماني (التتريك)"[٨٧] فضلا عن التقارب المذهبي ووجود الجاليات الايرانية الكثيرة في هذه المدن وطالب الافتاء في أمر المشروطية علماء الدين في النجف بجعلها ساحة لتداعيات الحركة المشروطية الايرانية. لقد انقسم أهل هذه المدن الى فريقين أحدهما يدعو الى المشروطية، والاخر يدعو الى الاستبداد. وقد أشار أحد الشعراء الى ذلك فقال:

تغيرت الدنيا وأصبح شرها

يروح بأفراط ويغدو بتفريط

---

[٨٥] لوتسكي: تاريخ الاقطار العربية، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص٣٩٦ ـ ٣٩٧.

[٨٦] د. وميض عمر نظمي: شيعة العراق وقضية القومية العربية: الدور التاريخي قبل الاستقلال، من كتاب دراسات في القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٦٢ .

[٨٧] محمد مهدي الجواهري: مذكراتي، ج١، دار المجتبى، قم، ط١، ٢٠٠٥، ص ٧٣

الى أين يروم من يروم سلامة

وما الناس إلا مستبد ومشروطي[٨٨]

لقد دخلت الحركة مفاصل الحياة الفقهية والادبية والشعرية، وساعدت الصحف المصرية مثل (المؤيد) و(اللواء) و(الهلال) فضلا عن الكتب التي تتضمن سير المصلحين من كتاب الشرق على الوقوف على الحقائق التي خفيت عن الدستوريين من المتأثرين بالحركة المشروطية، لقد لعبت جريدة (الحبل المتين) الهندية دورا مهما في نشر أخبار الصراع بين أصحاب (المشروطية)، و(المستبدة)، وصار للنجف صدى في العواصم الاسلامية وخاصة في ايران وتركيا[٨٩] فقد لعبت الفتاوى الدينية الاثر الاكبر في زيادة حدة الشقاق بين أصحاب المشروطية وخصومهم. لقد شكل امتناع السيد كاظم اليزدي عن توقيع الفتوى الدينية الداعمة للحركة الدستورية في ايران التي وقع عليها السيد كاظم الخراساني بالنيابة عن زملائه المجتهدين بداية الانقسام بين المجتهدين أنصار المشروطية ومعارضيها[٩٠] لقد كانت واقعة (الطف) واستشهاد الامام الحسين (ع) من المواضيع التي اتخذها الفريقان "مستندا لهما في الجدل. فانصار المشروطية يعتقدون أن الحسين انما قتل بسيف الاستبداد وأنه لوكان نظام المشروطية سائدا في زمانه لاختار المسلمون خليفة عليهم بدلا من يزيد. أما أنصار الاستبداد فرأيهم أن المشروطية تعني الشورى، وأن الشورى هي التي أدت الى ضياع الخلافة من أهل البيت ووصولها الى رجل مثل يزيد"[٩١] وبهذا كانت لكل فريق المبررات لمناصرة احدى الحركتين، فقد سيطر البعد التاريخي المذهبي على مناصرة الحركة، فأصحاب مناصرة المشروطية لم يفكروا في

---

[٨٨] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية........، ج٣، مصدر سابق، ص ١٣٢

[٨٩] رشيد الخيون: المشروطة والمستبدة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٤٧ ـ١٤٨.

[٩٠] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية ...... ج٣، مصدر سابق، ص ١٣٠ ـ ١٣١

[٩١] المصدر السابق نفسه، ص ١٣٦ .

نتائجها بقدر ماكانت حركة تجديدية ضد الاستبداد، أما دوافع مناصري الاستبداد فكانت خشيتهم كبيرة من نتائج هذه الحركة، وما يتمخض عن حركة تجديدية حديثة، فهم حديثو عهد بقيمها أو مبادئها، لقد تمخضت عن هذه الحركة فئات فكرية ـ ثقافية مختلفة.يمكن تقسيمها على: ـ

١. فئة تزعمت فكرة المشروطية التي تجمع على ضرورة تقيد الحاكم وتشمل هذه الفئة الاسماء التالية: السيد كاظم الخراساني، وعبد الله المازندراني، وهبة الدين الشهرستاني، والشيخ جواد الجواهري، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد أحمد الصافي النجفي، والشيخ هادي كاشف الغطاء والسيد مسلم زوين لقد تركزت دعوة هذه الفئة في نشر العدالة والمساواة بين السلطان والافراد، ومحبة عموم الرعية والرأفة بهم، وعدم الانشغال بالملذات، لانها تقود الى الضعف، وضياع الاموال، وحفظ مقام وتكريم العلماء والفقهاء، واعلاء شأن البلاد، وتنظيم أمور المملكة الاقتصادية وتشجيع الصناعات والحرف والحذر من تدخلات الاجانب وعدم الاعتماد عليهم[٩٢] وقد غلبت على هذه الفئة أسماء علماء الدين من الذين عرفوا بتقبلهم للافكار الاصلاحية ولعل السيد هبة الدين الشهرستاني خير مثال على هذا الاتجاه، كما أن المبادىء التي بشروا بها اتسمت بجوانبها الاصلاحية السياسية والاقتصادية والثقافية المتنوعة.

٢. فئة تمثل التيار المستبد (التيار المحافظ) ويتزعمه السيد كاظم اليزدي واتسمت أفكارهم بتصعيد لهجة التكفير ضد أصحاب المشروطية لان دعوتهم الى الدستور تعني ابعاد كتاب الله والتقيد بما كتبه البشر. وما إن يسمعوا عن أحد أنه من أتباع الحركة المشروطية حتى ينفضوا عنه و(يلعنوه) ويتركوا الصلاة خلفه[٩٣]

٣. فئة تراجعت عن فكرة المشروطية، وان اختلفت أسباب تراجعها، فالسيد الخليلي تراجع قبل وفاته عن المشروطية حين اعتقد أن أمر المشروطية سيكون من نتائجه

[٩٢] رشيد الخيون: مصدر سابق، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

[٩٣] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية .... ج٣، مصدر سابق، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

قطع الفساد والظلم في الحكم، ولكن تجربة المشروطية الايرانية كشفت عن أن أصحابها غرضهم الوثوب على السلطة وقد رافقت عملية الوثوب على السلطة فوضى، واراقة دماء[٩٤] ويشكل تراجع الشيخ محمد حسين النائيني حالة تراجع خطيرة في الحركة المشروطية، لانه يعد مفكر المشروطية ومؤلف الرسالة الشهيرة (تنبيه الامة وتنزيه الملة) التي دعت الى وجوب السلطة في تنظيم شؤون المجتمع المتضمنة سيادة القانون والنظام ومنع التجاوز على حقوق الافراد بعضهم على بعض وحماية المجتمع من أي اعتداء خارجي، والا يعامل صاحب السلطة أفراد مجتمعه كالاغنام والانعام والعبيد والاماء، وضرورة تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بدستور توضح فيه الحقوق والواجبات، كما أن مساواة أفراد الامة ضرورة ملحة في الدولة وهذه المساواة قائمة على أساس المساواة في الحقوق والاحكام والتأكيد على تمثيل الأمة في مجلس نيابي لتقييد الظلم والاستبداد[٩٥] يعزو د.علي الوردي تراجع الشيخ النائيني أنه جاء باراء جريئة بالنسبة لزمانها كالتعليم واصدار الصحف وحرية الرأي وما اشبه.... ان مؤلفه حاول التملص منه عندما صار من المراجع الكبار فقد خاف ان ينفر المقلدون منه بسبب هذه الاراء "[٩٦] أما رشيد الخيون فيرى أن النائيني "يمثل رجل الدين الثوري، ولكنه ليس صاحب الايديولوجية والعقيدة السياسية، انما مطلبه بسيط لايحتمل التأويلات وهو الخلاص من الاستبداد الديني والسياسي بالحرية والديمقراطية"[٩٧] وفي الواقع أن كلا الرأين فيه نوع من الصحة ولا سيما أن الفكر التنويري الاصلاحي الذي يوجه من قبل التيارات المحافظة قد رفض، فأن ماطرحه

[٩٤] رشيد الخيون: مصدر سابق، ص ١٩٢ ـ١٩٣ .

[٩٥] الشيخ محمد حسين النائيني: تنبيه الامة وتنزيه الملة، ملحق كتاب رشيد الخيون: المشروطة والمستبدة، مصدر سابق، ص ٣٠٨ ـ ٣٧٤ .

[٩٦] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية ...... ج٣، مصدر سابق، ص ١٤٢ .

[٩٧] رشيد الخيون: مصدر سابق، ص ١٤٧ .

النائيني في مدينة محافظة لها قدسية خاصة عند المسلمين، فافكاره قد تواجه تحديات حتى في وقتنا الحاضر،فمن الطبيعي أن يحدث هذا التراجع.

وبهذا تميز تأثير الحركة المشروطية الايرانية بتبني علماء الدين الشيعة لها فمنهم من ساندها ومنهم من عارضها. فهي تشكل متنفسا للتعبير عما يختلج بالنفس من اذى إزاء السياسة الطائفية للسلطة العثمانية. ولكن لم تتمخض عن الحركة تأثيرات كبيرة، فمناصروها ليسوا من أصحاب الحظوة لدى السلطة، كما الحال في أنصار المشروطية التركية ولكنها شكلت الارضية لتقبل اراء المشروطية التركية.

ثانيا: تأثير حركة المشروطية العثمانية: استقبلت بغداد الحركة المشروطية واعلان الدستور العثماني في (٢٣تموز / ١٩٠٨) بتغيير ولاتها من الوالي نجم الدين الى ناظم باشا الى شوكت باشا، لكن التغيير السياسي لم يكن سهل التقبل على الفئات المحافظة، فقد عد المحافظون الحرية التي تمخضت عن الحركة المشروطية مروقا ومفسدة للاخلاق، وأن المساواة بين المسلمين وغير المسلمين من الامور التي رآها الكثير ظلما واهانة وتمخض عن ذلك قيام تظاهرات صاخبة في بغداد، نادى المتظاهرون بتطبيق الشريعة التي نهبها الاتحاديون[٩٨] ويعطي (علي ظريف الاعظمي) صورة عن مظاهرات بغداد ضد المشروطية فهؤلاء "الثائرون بينما كانوا ينادون (الدين يا محمد) نهبوا في طريقهم ماصادفوه على رؤوس الباعة وما وجدوه في بعض الدكاكين المفتوحة، وسلبوا بعض اليهود، وتجاوزوا بالنهب على قافلة كانت قد جاءت من كردستان الى بغداد ومرت بسوق السراي وفعلوا أفعالا مخزية ثم صاروا يدخلون السراي ويخرجون مرارا وينادون بطلب الحكم بالشريعة الاسلامية."[٩٩] فعلى الرغم من الوصف الغالب على هذا النموذج من

---

[٩٨] عباس العزاوي: تاريخ العراق ....ج٨، مصدر سابق، ص ١٦٤ .

[٩٩] علي ظريف الاعظمي: مختصر تاريخ بغداد، بغداد، ١٩٢٦، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠، نقلاً عن د. علي الوردي: لمحات إجتماعية ...ج٣، مصدر سابق، ص ١٨٦ .

المظاهرات أنها تضم فئة العوام من الناس ولا سيما عوام بغداد ألا أن دوافعها أعمق من الوصف الخارجي، فالعوام وجدوا أنفسهم وحسب ماوصل اليهم أن المشروطية تحمل بين ثناياها المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، فهؤلاء ليس لهم مكانة اجتماعية يخشون عليها فميزتهم الوحيدة أنهم يجدون أنفسهم أفضل من الاخرين من غير المسلمين، فاخذوا يدافعون على هذا النزر القليل من هذا (الامتياز). فالابعاد الحقيقية للرفض تكمن في الفئات الاجتماعية من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة، وقد كثر الحديث عن المساواة بين مختلف الفئات الاجتماعية، وهذا يعني تهديدا للمكانة التقليدية التي تتبوأها الاسر والعوائل الغنية، بوصفها من السراة والوجهاء وقد أدى هذا الى ظهور مقاومة شديدة فقد "اجتمع السيد عبد الرحمن النقيب، وعيسى أفندي الجميل، وعبد الرحمن باشا الحيدري، ومحمد فاضل الداغستاني، وكاظم باشا، وجميل أفندي، والملا نجم الدين الواعظ... وغيرهم، فألفوا جمعية (المشاورة) جعلوا هدفها الظاهر الدفاع عن الشريعة المحمدية ومقاومة الافكار اللادينية".[١٠٠] ولكن هدفها الحقيقي يكمن في مقاومة الحركة الدستورية، فالاسماء تبدو من (عُلية) القوم في بغداد الذين وجدوا مقاومة المشروطية واجبا يمليه عليهم التشابه في المصالح الخاصة. لقد أفرزت الحركة المشروطية نتائج عديدة نتعرف عليها من خلال مناقشة النقاط التالية:

١. **الشعراء والمشروطية:** جمعت الحركة المشروطية نخبا مختلفة من ذوي الميول التقدمية وهم: معروف الرصافي، وجميل صدقي الزهاوي، ومحمد رضا الشبيبي، ومحمد باقر الشبيبي، ومحمد حبيب العبيدي، وعبد الحسين الازري، وكاظم الدجيلي، وخيري الهنداوي.[١٠١] تمثل هذه الفئة إتجاهين من الشعراء: الاتجاه التقليدي ويشمل الذين عاشوا على التراث التقليدي وهو امتداد للقرن التاسع عشر في أسلوبه ومعالجته

---

[١٠٠] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية ...... ج٣، مصدر سابق، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

[١٠١] أنيس المقدسي: مصدر سابق، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

للموضوعات فشعرهم فيه المبالغة ورصف الالفاظ والاطالة، أما الاتجاه الثـاني، فقـد حاول الانضمام الى ركب الحياة الواقعية في أسلوب الشعر ومعانيه وأغراضه وأهدافـه، فايدوا الدستور باندفاع، ومنهم الزهاوي والرصافي ومحمد رضا الـشبيبي الـذي كـان عضوا في حزب (الاتحاد والترقي)، وعبد الحسين الازري هؤلاء الشعراء آزروا الدسـتور العثماني آملين فيه المساواة والحرية في التعبير عـن آرائهـم، والعدالـة التـي يجـب أن تشمل بلادهم. فجاء شعرهم أناشيد تطفح بالحريـة والتغنـي بمحاسـنها ومزاياهـا وتطرقـوا في شـعرهم الى مـساوىء الاسـتبداد والطغيـان والحكـم المطلـق والحكـم الدكتاتوري الفردي، الذي يؤدي الى الانحلال ونشر الفساد وهدر قيمة الشعب.[١٠٢] لقـد حاول الشعراء الخروج عن موضوعاتهم التقليدية التي غطـت شـعر القـرن التاسـع عشر والتطرق الى موضوعات تغلب عليها الاتجاهات السياسية العامة وهـو ماعرفـه د.زكي مبارك "الادب السياسي الذي لايقف عند شرح العواطف الذاتية، وانما يتـسامى الى ما يعانيه المجتمع".[١٠٣] ومن أمثلة شعراء الاتجاه التقليـدي الـشاعر عبـد المطلـب الحلي الذي مدح زعماء المشروطيتين وذم الاستبداد قائلا:

وطار سماخ الجور حتى تركته
ومعطه من تحت نعليك راغم
غداة لطمت (المستبد) بلطمة
على تاجه منها غدا وهو لاطم
فلم تبق من تلك العروش وإن علت
بناءً سوى الاثار وهي علائم[١٠٤]

[١٠٢] د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٣٢ ـ ٣٣ .
[١٠٣] د. زكي مبارك: ملامح المجتمع العراقي، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ١٩٤٢، ص٢٨ .
[١٠٤] عبد الكريم الدجيلي: مصدر سابق، ص ٢٥ .

ويبقى الرصافي من أبرز شعراء الاتجاه الثاني الذين أرخ هذه المرحلة، فالرصافي قال عددا من القصائد في هذه الحركة ومنها :

سقتنا المعالي من سلافتها صرفا

وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا

وزفت لنا الدستور أحرار جيشنا

فأهلا بما زفت وشكرا لمن زفا

فأصبح هذا الشعب للسيف شاكرا

وقد كان من قبل لايشكر السيفا

ورحنا نشاوى العز يهتف بعضنا

ببعض هتافا يصقع الظلم والحيفا

ولاحت لنا حرية العيش عندما

أماطت لنا الاحرار عن وجهها السجفا[١٠٥]

أما الزهاوي فقد أعطى صورة عن أبناء العراق وهم يستقبلون اعادة الدستور حيث قال:ـ

وقفت والعين تبكي من مسرتها

أمام شعب من الافراح عجاج

أمام بحر من الافكار مضطرب

أمام جيش من الاصوات رجراج

أن الشعوب اذا هاجت عواطفها

كالبحر يضرب أمواجا بأمواج[١٠٦]

---

[١٠٥] معروف الرصافي: ديوان الرصافي، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١١٣ .

[١٠٦] عربية توفيق لازم: مصدر سابق، ص ٥٣ .

ولاتختلف قصائد الشعراء الاخرين عمن ذكرنا في تمجيد الحركة ومنهم عبد المحسن الكاظمي فقد قال:

حسبت زمان السوء يخلد عمره

فيمرح عات أو يتيه منافق

وفاتك أن الدهر يعطي وينثني

فيسلب والمغرور بالدهر واثق

الا قاتل الله المطامع كم هوى

بها من عل شيخ وضل مراهق [١٠٧]

ان الشعراء الذين ساندوا الحركة المشروطية المتمثلة بـــ(اعــادة الدســتور)، كانــت قصائدهم لاتخرج عن حدود (الفكرة) العثمانيــة نفــسها، أي انهــا لــم تحــاول طــرح مفهوم الانفصال عن الدولة العثمانية فغايتهم مساندة الحركة والحصول على المبــادىء التي جاءت بها الحركة المشروطية المتمثلة في الحرية والمساواة والعدالــة، وبــذلك مازلنــا ندور في اطار (الرابطة الاسلامية) التي تمليها ضرورة المحافظة على (الوحدة الاسلامية) في اطار الدولة العثمانية. لكن الامال التي عقدها الشعراء على التغيــير الــذي ســتحمله الحركة المشروطية فشلت ووجــدوا أن رجــال (الاتحــاد والترقــي) يــسعون الى تحقيــق المبادىء التي بشروا بها ضمن اطار عنصري وفي هذا يقول الرصافي:

قد استأثروا بالحكم وارتزقوا به

وسدوا على من حولهم طرق الرزق

كأنا لهم شاء فهم يحلبونهــا

وكم مخضوا اوطانا مخضة الزق

---

[١٠٧] د.يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث ......، مصدر سابق، ص ٤٢ .

وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها

ولم يتركوا للساكنين سوى المذق[١٠٨]

وقـد أصـبحت الحيـاة النيابيـة في (مجلـس المبعوثـان) موضـع انتقـاد الـشعراء، فالانتخابات التي جاء بها الدستور وجرت في العراق في خريف (١٩٠٨) "لـم تكـن حـرة، إنما عينت الحكومة من رأته موافقا لرغباتها وملائما لسياستها. فصارت تتبع طريقـة (هذا من شيعته وهذا من عدوه)... والنواب كانوا في الاغلب بوضـع عـدم مبـالاة، ونـال الكثير منهم الغرور ومزاولة الخطابة بوجه مقبول أو غير مقبول".[١٠٩]

ويبقى الرصافي في طليعة الشعراء الذين أنتقدوا الحياة النيابية فقد قال:ـ

يا أهل بغداد متى ينجلي

هذا العمى عنكم وهذا الفتور

قد أعلن الدستور لكنكم

لم تظفروا منه ولا بالقشور

يقول من شاهد (مبعوثكم)

سبحان من يبعث مَنْ في القبور[١١٠]

ولعل الشاعر عبد الرحمن البناء أوضح قصدا وأفصح مرادا في انتقاده للنـواب فقـد طالب بالاصلاح ولام نواب العراق الذين ذهبوا ليمثلوه في المجلـس النيـابي في أسـتنابول فقال:

فقولوا لنواب العراق أما لكم

تغافلكم عنا باعلى المراتب

---

[١٠٨] معروف الرصافي: ديوان الرصافي، مصدر سابق، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

[١٠٩] عباس العزاوي: تاريخ العراق ...... ج٨، مصدر سابق، ص ١٦٧ .

[١١٠] عباس العزاوي: تاريخ العراق .... ج٨، مصدر سابق، ص١٧٣ .

شق علينا جبنكم وخمولكم

ولو كنتم نسل الكرام الاطايب

فليس انتخابكم لاصلاح حالكم

فنحن انتخبناكم لدفع النوائب

فلا تجعلوا للصمت فيكم سجية

فرب كلام فاق سيف محارب

فما عذركم في أمة قد تقهقرت

ولم يبق فيها حسرة خـــائب[١١١]

لقد قادت سياسة (التتريك) التي انتهجها (الاتحـــاديون) الى رد فعـل اتجـه اتجاهـا قوميا متمثلا في المطالبة بالحقوق القومية للعرب، وهـذا ماكـان واضـحاً مـن خـلال ضرورة استخدام اللغة العربية في الاقاليم العربية، وغيرها مـن المطاليـب الاخـرى التـي تظهر نتائجها عبر (التفريط)، بـ(الرابطة الاسلامية) التي بقيت محافظة عـلى قوتهـا بعد اعلان الدستور، والملاحظة الجديرة بالانتباه عودة هذه الرابطة والتمـسك بهـا بعـد تعرض بعض البقاع الاسلامية الى الاحـتلال مـن قبـل الـدول الغربيـة المتمثلـة بحـرب طرابلس(١٩١١) وحرب البلقان(١٩١٢)، فقد انبرى عدد من الشعراء أمثال محمد حبيب العبيدي،وعبد المحـسن الكـاظمي ومعـروف الرصـافي، ومحمـد رضـا الـشبيبي وعـلي الشرقي،ومحمد حسين كاشف الغطاء وخيري الهنداوي، وعبد المطلـب الحـلي، وجميـل صدقي الزهاوي الى كتابة القصائد الشعرية التي تحث على الدفاع عن الاراضي الاسلامية. ويرجح د.يوسف عز الدين الـدافع الـديني عـلى الـدافع الانـساني في مواقـف الـشعراء هذه[١١٢]. وفي الواقع على الرغم من ترجيح العامل الديني ضمن (الرابطـة الاسـلامية) الا أن قصائد الشعراء في جزء منها قد حملت السلطة العثمانية مـسؤولية ضـياع البقـاع

---

[١١١] د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث ......، مصدر سابق، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

[١١٢] المصدر السابق نفسه، ص ٥٥ .

الاسلامية في يد الغرب فاذا كان عبد المحسن الكاظمي يجد أن خصوم الدولـة العثمانيـة خصوم المسلمين جميعا بقوله:

حماة حمى الاسلام أن خصومكم
خصوم جميع المسلمين الاكارم
فلم يبعدهم صدق الحديث عنكم
بإفك وشايات العدى والنمائم [113]

في حين اتخذ خيري الهنداوي صورة في تأنيب السلطة العثمانية حين قال:

ياهذه كفي الدعاء فقومنـا
لم تعلمين عن الدعاء نيام
مالقوم الا سحب صيف ارعدت
ثم انجلت بالريح وهي جهام
ماتت عواطفنا بموت رجالنا
فجميعنا بموت رجالنا أيتام[114]

ويحمل الشاعر محمد مهدي البصير الاتحاديين مسؤولية تردي الاوضاع مـن خـلال سياستهم العنصرية ازاء الشعوب الاسلامية فيقول:

سل الاتحاديين كيف تحكموا
بحرية يستعبدون بها الحرا
فكم غمطوا حقا وكم آثروا هوى
وكم نكروا عرفا وكم عرفوا نكراً[115]

---

[113] د.يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث ......، مصدر سابق، ص ٦٨ .

[114] المصدر السابق نفسه، ص ٦٩ .

[115] محمد مهدي البصير: المجموعة الشعرية الكاملة، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٢ .

وبذلك شهدت علاقة الشعراء بالسلطة العثمانية، و(الامر ينسحب على عموم المثقفين) تطورا من خلال احتلال (الرابطة الاسلامية) الأولوية في الشكوى من سلوك (الاتحاديين)العنصري ازاء الشعوب الاسلامية الاخرى الى تطور اخر جاء مقترنا بضياع البقاع الاسلامية وتعرضها الى الاحتلالات الغربية فقد عادت(الرابطة الاسلامية) الى الظهور مجددا إلا إنها حملت السلطة عواقب تردي الاوضاع في الدولة العثمانية وشهدت هذه الرابطة تغيرا مع الاحتلال البريطاني. وتبرز حقيقة واضحة جاءت مع التغيير الكبير في موضوعات قصائد الشعراء في الافكار والاهداف والمعاني ضمن احتلال مشكلات المجتمع السياسية مكانة بارزة في قصائد الشعراء، ولكن ضمن هذا التغير تبرز ظاهرة سترافقنا خلال البحث وهي (تقلب) مواقف الشعراء التي تبدأ هنا مع الشاعر جميل صدقي الزهاوي ويتجلى هذا التقلب لاحقا بصورة أوضح خلال البحث فمؤلف كتاب (الفجر الصادق) الذي مر معنا سابقا والذي جعل طاعة السلطان مقترنة بالايمان بالنبي والقرآن الكريم نجده هاجيا السلطان عبدالحميد مع تداعيات المشروطية قائلا:

لقد عبثت بالشعب أطماع حائف

يحملهم من جوره مايحمل

فيا ويح قوم فوضوا أمر نفسهم

الى ملك عن فعله ليس يسأل

الى اختيار في الحكومة مطلق

اذا شاء لم يفعل وان شاء يفعل

وذي سلطة لايرتضي رأي ناصح

اذا قال قولا فهو لا يتبدل

أيأمر ظل الله في أرضه بما

نهى الله عنه والرسول المبجل؟!

فيفقر ذا مـــال وينفي مبرأ

ويسجن مظلوما ويسبي ويقتل

تمهل قليلا لاتغط أمـــة اذا

تحرك فيها الغيظ لا تتمهــل

وايديك ان طالت فلا تغترر بهــا

فان يد الايام منهن اطــول[١١٦]

وبرغم تقلبه فقد أعطى صورة صادقة للحكم المطلق (الاستبدادي) فكــان موضــوع القصيدة معَبراً يصلح لجميع عهود الاستبداد.

٢. **الحياة الصحفية والمشروطية:** لم تكن في العراق قبل اعلان الدســتور العثمــاني الا ثلاث صــحف رســمية هــي الــزوراء (١٨٦٩ ـ ١٩١٧)، وجريــدة الموصــل (١٨٨٥ ـ ١٩١٨)، وجريدة البصرة (١٨٨٩ ـ ١٩١٤). ومع اعلان الدستور العثماني قام المفكرون بإصدار سلسلة طويلة من الجرائد والمجلات حتى بلغ عــدد الــصحف في هــذه الحقبــة (٦٩) جريدة، و(٢٠) مجلة في مختلف الموضوعات في السياسة والعلم والادب والاحصاء والفكاهة والهزل.[١١٧] فدخلت الصحافة في العراق في مرحلة جديدة عن طريق الامتياز الفردي لان الدستور سهل عملية الحصول على امتياز صحيفة واصدارها، وكان يكفي أن يبلغ صاحب الصحيفة قبل يوم واحد من اصدارها (المدعي العام) عن عزمه اصدار صحيفة فينال الاذن بصورة آلية.[١١٨] وقد لبست الصحافة وحسب تعبير رفائيل بطــي "ثوبا زاهياً من المقالات الحرة والاقوال الصريحة والاخبار الطريفة فعظم اقبال القراء عليها وزاد انتشارها زيادة هائلة واقبل أرباب الاقلام ورجال الفكر على إصدار الصحف ولم يكتفوا بالصحائف اليومية أو الاسبوعية، بل أنشأوا المجــلات والنــشرات الدوريــة

[١١٦] د. عربية توفيق لازم: مصدر سابق، ص ٥١ .

[١١٧] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الصحافة ......، مصدر سابق، ص ٢ .

[١١٨] د. وائل عزت البكري : مصدر سابق، ص ١٩ .

المنوعة"[١١٩]. ولكن للدكتور علي الوردي رأيا اخر فيرى أن زوال الرقابة على الصحف عقب إعلان الدستور أن أصبح كل شخص قادراً على الكتابة مهما كان ضحل الثقافة يحاول اصدار جريدة وبهذا ظهر في بغداد مايمكن تسميته بـ(الفورة الصحفية)[١٢٠]. لقد صدرت هذه الصحف على الرغم من ضعف الوسائل والامكانات الفنية والطباعية وقلة العاملين المؤهلين لانجاز تلك المهام، الامر الذي أثر في عملية الاصدارات الصحفية في تلك الحقبة، وأدى الى أن تصدر مجموعة كبيرة منها أسبوعياً أو شهرياً. الا أن ما يميز بعض الصحف الرصينة (المضمون الفكري) فقد كان أكثر بروزا من أساليب الطباعة (الشكل الفني) سواء في الصحف أو المجلات السياسية منها أو المتخصصة.[١٢١] واهم هذه الصحف (بغداد) و(الرقيب) و(العراق) و(صدى بابل) و(الحقيقة) و(اظهار الحق) و(الارشاد) و(التهذيب) و(الفيحاء) و(النجف) و(البصرة)، (بين النهرين) وأغلب هذه الصحف تصدر باللغتين العربية والتركية وقد برزت اسماء كثيرة في مجال العمل الصحفي من المثقفين العراقيين أمثال كاظم الدجيلي ويوسف رزق الله غنيمة وفهمي المدرس وعبد اللطيف ثنيان ومحمد رضا الشبيبي وبهجت زينل وابراهيم صالح شكرو داود صليوه وخيري الدين الهنداوي والرصافي والزهاوي وغيرهم الكثير.[١٢٢] لقد تناولت موضوعات الصحف المشكلات التي يعانيها المجتمع: عدم دفع رواتب الموظفين بانتظام، وأن هذه الرواتب لا تتناسب ومستوى المعيشة، ما يؤدي الى انتشار الرشوة بين موظفي الحكومة، وعدم كفاءة المأمورين الذين ترسلهم الحكومة لجمع الضرائب في الارياف، وتهاون الحكومة في الحفاظ على الاثار العراقية القديمة فهي عرضة للسرقة، وإشتدت المطالبة بجعل

---

[١١٩] رفائيل بطي: صحافة العراق ...، مصدر سابق، ص ٤١ .

[١٢٠] د. علي الوردي: لمحات إجتماعية ...... ج٣، مصدر سابق، ص ١٨٣ .

[١٢١] د.وائل عزت البكري: مصدر سابق، ص ٢٠ ـ٢١ .

[١٢٢] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الصحافة .....، مصدر سابق، ص ٢٩ ومابعدها.

اللغة العربية لغة التدريس في المدارس، وهذا يساعد على تذوق التراث الثقافي العراقي وتنمية الشعور الوطني، وأن ينال العراقيون الثقافة اللائقة كما نالها الاتراك، وضرورة مشاركة العراقيين في الوظائف العامة فضلاً عن انتقاد نواب العراق في(مجلس المبعوثان) العثماني وتقصيرهم في الدفاع عن منح امتيازات الملاحة النهرية للشركات الاجنبية.(١٢٣)

لقد رافق عملية اصدار الصحف صدور مجموعة من المجلات ذات الاهتمامات المتنوعة.ومن أهم هذه المجلات مجلة (العلم) لصاحبها (هبة الدين الشهرستاني)، التي صدر عددها الاول في (آذار / ١٩١٠)، وقد حاولت المجلة الاخذ بنظريات العلم الحديث دون أن تثير حفيظة علماء الدين من التيار المحافظ .(١٢٤) وعلى الرغم من ذلك واجهت المجلة الانتقادات من التيارات المحافظة. لقد اتسمت المجلات الصادرة بالتنوع فقد صدرت مجلة (تنوير الافكار) لصاحبها السيد عبد الهادي الاعظمي في (آب / ١٩١٠) وقد اهتمت بالموضوعات الاسلامية والتعريف بمشاهير العرب فضلا عن الاهتمام بتفسير القرآن(١٢٥) ومجلة (لغة العرب) لصاحبها العلامة الاب انستاس ماري الكرملي، صدر عددها الاول في (تموز / ١٩١١) وجاء في تعريفها (مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية).(١٢٦) لم يتسنَ لنا الاطلاع على الاعداد الاولى من المجلة الا أن أعدادها التالية جاءت طافحة بدراسة موضوعات اللغة العربية ولم يقتصر اهتمامها على الدراسات اللغوية وآدابها فقط بل تجاوزتها الى دراسة القوميات والمكونات الاجتماعية في العراق ودراسة العادات والتقاليد العراقية، والتعريف بكل ماهو متعلق بالعراق من شخصيات ومناطق ولهجات، وجذبت الكثير من الاقلام المثقفة أمثال معروف الرصافي ويوسف

(١٢٣) د.عبد الله الفياض: الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مطبعة دار السلام، بغداد، ط ٢، ١٩٧٥، ص ٨٢ – ٨٨ .

(١٢٤) منير بكر التكريتي: مصدر سابق، ص ١٤٢ .

(١٢٥) السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الصحافة ....، مصدر سابق، ص ٣٠ .

(١٢٦) انستاس ماري الكرملي: سنتنا الرابعة، مجلة لغة العرب، السنة الرابعة، تموز / ١٩٢٦، ص ١ .

غنيمة ومحمد بهجة الاثري وحنا خياط وعلي الشرقي ومحمد مهدي الجواهري ورفائيل بطي[١٢٧] وبذلك لم تكن (الفورة الصحفية) كما قال عنها د.علي الوردي انها من غير آثار ايجابية فقد لعبت الصحف والمجلات دورا في ايقاظ الافكار وتوسيع أفق القراء بخصوص المجتمع العراقي وما يجري في العالم من نهضة في الحركات الاجتماعية والسياسية والفكرية. والتنوع في طرق الموضوعات المختلفة والابتعاد عن السجع والمحسنات اللفظية التي كانت سائدة في كتابات القرن التاسع عشر وظهرت بدايات الاهتمام بـ(المضمون الفكري) لمختلف الموضوعات. لم ترق الحالة الثقافية في العراق للسلطة العثمانية وخصوصا مع إشتداد التركيز على المطاليب العراقية وظهر سلوك السلطة من خلال الاتحاديين و"لم تمض مدة حتى صار طلاب الحرية من الاتراك لايقصدون إلا حرية مملكتهم وشعبهم، ولا يبالون بالشعوب الاخرى، بل قويت شوكتهم وتمكنت عنصريتهم وساروا على سياسة غير مألوفة هي أن لاتعتبر المملكة عثمانية بل تركية "[١٢٨] وأخذت الصحف تعاني أعباءَ ثقيلة حتى أقيمت (٤٨) دعوى ضد الصحف المعارضة للسلطة وحكم على بعض أصحابها بالنفي أو السجن أوتعطيل الصحف[١٢٩]. فاستغلت السلطة ظروف الحرب العالمية الاولى فأصدرت وزارة الداخلية امرا بتعطيل جميع الصحف في بغداد والموصل والبصرة.

٣. **التنظيمات والمشروطية**: لم يكن في العراق أي تنظيم سياسي، وأول تنظيم تأسس هو فرع (الاتحاد والترقي) واعقبته فروع أخرى في مدن العراق الاخرى. مثل فرع لجمعية (الاتحاد والترقي) في كربلاء وهي جمعية سياسية هدفها مكافحة استبداد السلطان عبد الحميد وقد حملت الجمعية إسم (قلوب) وقد انتسب اليها

[١٢٧] أنظر: أعداد المجلة: السنة الرابعة، أيلول / ١٩٢٦ و السنة الرابعة تشرين الاول / ١٩٢٦ والسنة الخامسة، تشرين الثاني / ١٩٢٦ و السنة الرابعة كانون الاول / ١٩٢٦ .

[١٢٨] عباس العزاوي: تاريخ العراق ...... ج٨، مصدر سابق، ص١٦٢ .

[١٢٩] سليمان فيضي: في غمرة النضال، بغداد، ١٩٥٢، ص ٨٠ ـ ٧١,٨١، ٧٤ .

الكثير من الشباب المثقف، كما قامت جماعة من مثقفي الحلة بتشكيل فرع لجمعية (الاتحاد والترقي) برئاسة محمد القزويني وعضوية عبد الرضا الماشطة وشكر بك ومصطفى الشهربلي.[١٣٠] لقد تشكلت مجموعة من التنظيمات الحزبية التي حملت أهدافا مختلفة وان طغى العمل السياسي على عملها.وقد شملت هذه التنظيمات الحزبية التسميات التالية:

أ ـ لجنة المشاورة: لقد ولدت لجنة (المشاورة) رد فعل على اعلان الدستور العثماني وكما مر معنا سابقاً من وجهاء بغداد من الذين خشوا على مصالحهم الخاصة التي قد تتعرض الى طوفان شعارات (الحرية والمساواة والعدالة)، لقد كانت اللجنة عبارة عن جماعة خاصة التفت حول اسرة عبد الرحمن النقيب أكثر مما هي حزب منظم، كانوا في الظاهر يلتزمون بالدستور، ولكنهم في حقيقة الامر مسلمون محافظون من الطراز التقليدي، لقد كان عملهم الرئيس التحريض على التظاهرات ضد التغيرات الجديدة التي حملها الدستور والمطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية.[١٣١]

ب ـ الحزب الحر المعتدل: تأسس هذا الحزب لمعارضة جمعية (الاتحاد والترقي) في استنابول وقد ترأس الحزب في بغداد محمود النقيب نجل عبد الرحمن النقيب. وكان زعماء الحزب من رجال الدين وملاكي الاراضي من الذين فقدوا الحظوة عند جماعة (الاتحاد والترقي)، وقد تبنوا المطالبة بالاصلاحات لاسيما استخدام اللغة العربية في المدارس وتعيين الموظفين العرب في المناطق العربية للحصول على التأييد من قبل الفئات المعارضة لهم. لم يستطع الحزب الحصول على مؤيدين في بغداد والموصل،

[١٣٠] فيصل محمد الارحيم: تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، الموصل، ١٩٧٥، ص ٣٨ ـ ٤٠ .

[١٣١] د. غسان العطية: نشأة الدولة العراقية ١٩٠٨ ـ ١٩٢١، ترجمة: عطا عبدالوهاب، دار السلام، لندن، ١٩٨٨، ص ٨٢ .

ولكنه حقق نجاحا في البصرة بفضل السيد طالب النقيب بعد اختلافه مع جمعية (الاتحاد والترقي)[١٣٢]

ت ـ حزب الحرية والائتلاف: تأسس الحزب في بغداد بتاريخ (كانون الثاني / ١٩١٣)، من أبرز شخصيات الحزب شكري فاضل أفندي الذي كان عضواً مرموقاً في جمعية (الاتحاد والترقي) ومحمود نديم الطبقجلي صاحب جريدة (بين النهرين) وحمدي الباجه جي من طبقة التجار. فقد شكل الحزب معارضة قوية ضد جمعية (الاتحاد والترقي). وتلقى الحزب دعما من الاسر الغنية في بغداد والبصرة، وتبنى الحزب في البصرة السيد طالب النقيب.[١٣٣]

ث ـ جمعية الاصلاح البصرية: تأسست الجمعية بفعل قوة ونفوذ السيد طالب النقيب في العام (١٩١٢). بعد أن حل حزب (الحرية والائتلاف).[١٣٤]

ج ـ جمعية النادي الوطني: تأسست هذه الجمعية في بغداد في العام (١٩١٢) كان يراد لها أن تكون جمعية أدبية، ولكن الجمعية اتجهت اتجاها سياسيا وقد ضمت الجمعية مجموعة من خريجي المدارس العسكرية في استنابول فضلا عن بعض الاسماء المثقفة الاخرى أمثال مزاحم الباجه جي وابراهيم ناجي وثابت السويدي وبهجت زينل ويوسف عز الدين وابراهيم حلمي العمر ورزوق غنام.[١٣٥]

ح ـ حزب العهد العراقي: تأسس حزب العهد في استنابول في (١٩١٣) كانت العضوية مقتصرة على الضباط العرب وأغلبهم من الضباط العراقيين[١٣٦]. فتح الحزب فروعا في بغداد والموصل، وقد ضم فرع الحزب في بغداد تحسين علي وعبد الغفور الشالجي

---

[١٣٢] المصدر السابق نفسه، ص ٨١ ـ ٨٢ .

[١٣٣] سليمان فيضي: مصدر سابق، ص ٩٦ ـ ١٠١ .

[١٣٤] محمد مهدي البصير: تاريخ القضية العراقية، بغداد، ١٩٢٤، ص ٤٠ .

[١٣٥] تحسين العسكري: ذكرياتي عن الثورة العربية، ج١، بغداد، ١٩٣٦، ص ٣١ .

[١٣٦] عبد الجبار حسن الجبوري: الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨ ـ ١٩٥٨، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧، ص ١٥ .

وطه الهاشمي وعبد الحميد الشالجي وابراهيم حلمي العمر وحمدي الباجه جي. أما فرع الموصل فقد ضم اسماء عديدة منها مولود مخلص وعلي جودت وعبدالرحمن الشريف وشريف الفاروقي وعبد الله الدليمي وكلهم من الضباط.[١٣٧]

خ ـ نادي الترقي الجعفري العثماني: تأسس في بغداد سنة (١٩٠٨) وغايته أدبية وعلمية من خلال فتح المدارس الابتدائية والثانوية لابناء المذهب الجعفري. ومن أهم اعماله فتح مدرسة (الترقي الجعفري العثماني) وقد تغير اسم المدرسة الى المدرسة (الجعفرية) فيما بعد لقد كانت المدرسة مجمعا للادباء والمثقفين وعين العلامة الشيخ شكر يعاونه علي البزركان لادارة المدرسة أما الاشراف على المدرسة فقد تشكلت هيأة من سلمان أبو التمن وجعفر الملائكة والسيد جعفر السيد هاشم والسيد علي مهدي البغدادي والعلامة السيد عبد الكريم السيد حيدر وعبد المجيد الصفار ومهدي الخاصكي ومصطفى كبة ومحمد حسن جوهر وعبد الحسين البحراني وامين الجرجفي وقد قامت هذه الهيأة بجمع التبرعات لانشاء بناية خاصة للمدرسة وقد تم تشييد البناية فعلا فانتقلت اليها المدرسة وقد توسعت المدرسة من ابتدائية الى رشيدية ثم اعدادية. ونشطت هذه المدرسة لتفتح فروعا مسائية في الديوانية والناصرية والعمارة والكوت وثانوية في الحي.[١٣٨]

د ـ وهناك مجموعة من الجمعيات الاخرى مثل جمعية (العلم) التي تأسست في الموصل وضمت مجموعة من ضباط الجيش أمثال ياسين الهاشمي وجميل المدفعي و(النادي الوطني العلمي) و كانت الغاية المعلنة من تأسيسه غاية ثقافية[١٣٩]. فضلا عن أن الاقليات الدينية وجدت في الدستور فرصة مناسبة لتأسيس جمعيات ومن هذه الجمعيات (الاتحاد العثماني) وهي جمعية يهودية أسست في بغداد وقد أصدرت

---

[١٣٧] تحسين العسكري: مصدر سابق، ص ٤٣ .

[١٣٨] عبد الرزاق الهلالي: معجم العراق، ج١، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٦، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

[١٣٩] عبد الجبار حسن: مصدر سابق، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

جريدة (التفكير) باللغة العربية والتركية، و(المحفل الكاثوليكي) الذي أنشىء في بغداد وكانت له نشاطات أدبية وعلمية واجتماعية لابناء الطائفة الكاثوليكية ولايختلف (نادي اتحاد الشبيبة) الذي أسس سنة (١٩١٠) في بغداد والذي ضم الشباب الارثوذكسي في نشاطاته الثقافية والاجتماعية عن (الجمعية الادبية الكلدانية) التي تأسست في البصرة التي تميزت بنشاطاتها الادبية والاجتماعية لابناء الطائفة الكلدانية.[١٤٠]

١- وبهذا جاءت تجربة التنظيمات الحزبية ضمن تأسيس الجمعيات والاحزاب على وفق ما أتيح من حرية وفرتها ظروف العمل بالدستور، وقد اختلفت أهداف عمل هذه التنظيمات بين معارضة التغيرات التي رافقت المشروطية من قبل الفئات المحافظة التي وجدت في شعارات جمعية (الاتحاد والترقي) من تحقيق الحرية والمساواة والعدالة تهديدا خطيرا لها فأطرت معارضتها ضمن (ضرورة) تطبيق الشريعة الاسلامية التي أهدرت على يد الاتحاديين وهذا ماوجدناه في (لجنة المشاورة) والحزب (الحر المعتدل). وقد لعب العامل الشخصي الدور المهم في عمل هذه التنظيمات وتبرز هنا أسماء اسرة عبد الرحمن النقيب متمثلة بنجله محمود، فضلا عن شخصية أخرى متمثلة بالسيد طالب النقيب، فقد ارتبط أسمه باكثر من تنظيم. فالمكانة الاجتماعية والعامل المادي يلعبان دورا مهما في قيادة هذه التنظيمات.

٢ ـ لعب خريجو الدراسات العسكرية دورا كبيرا في تأسيس الكثير من الجمعيات ولم يخلُ أغلب هذه التنظيمات من أسماء هذه الفئة على الرغم من اشارة المصادر الى أن عمل هؤلاء جاء رد فعل على سياسة (الاتحاديين) الا أن الطموح الشخصي الذي ظهر فيما بعد بدد الاهداف (المثالية) التي تحاول أن تشير اليها المصادر الكثيرة، المتمثلة بالسلوك (القومي) الذي جاء رد فعل على المناداة بـ(التورانية) "وهي حركة عنصرية

---

[١٤٠] فيصل محمد الارحيم:مصدر سابق، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥ .

دعت الى التمسك بالقومية التركية وعدهم العنصر الحاكم ولهم وحدهم حق السيطرة والاستئثار بالحكم".[١٤١] فقد لعبت هذه الفئة ادورا مختلفة في تاريخ العراق الحديث نأتي عليها فيما بعد و كان الطموح الشخصي العامل الرئيس في كل ماقامت به هـذه الفئة من نشاطات.

٣ ـ جاءت هذه التنظيمات خالية من الاسس الفكرية، كما ابتعدت عن النشاطات الثقافية باستثناء (نادي الترقي الجعفري العثماني) وبعض تنظيمات الاقليات الدينية.فقد احتل العمل السياسي الاولوية في نشاطات التنظيمات الاخرى .كما تميزت بالنخبية وابتعادها عن مشكلات المجتمع.

وأخيرا يبرز سؤال هل كان للمشروطية الاثر الكبير في الحياة السياسية والفكرية ؟ يجد د.علي الوردي في أن أصحاب المشروطية يمثلون الجبهة التقدمية قياسا بالمرحلة الاجتماعية التي عاشوا فيها فلا يمكن الاستهانة بالدعوات الخاصة الى تأسيس المدارس الحديثة وتعلم اللغات الاجنبية والعلوم الأوروبية ومطالعة الجرائد والمجلات.[١٤٢] وبذلك حملت المشروطية مظاهر الحياة المتقدمة في توسيع التعليم واصدار الصحف والمجلات،وتأسيس التنظيمات الحزبية.

أما د. يوسف عز الدين فيجد المشروطية قد "املت على الناس التفكير بقضايا كان يعاقب على مجرد ذكرها كالاستبداد والظلم والبرلمان وطبيعة نظام الحكم والدستور وحدود صلاحية السلطان".[١٤٣] وتبقى هذه التسميات أهدافا تبحث عن الوسائل اللازمة لتحقيقها. وغالبا ما تكلف هذه الاهداف تضحيات كبيرة في سبيل الوصول اليها.

ويجد رشيد الخيون المشروطية بـ"أنها رغم المساؤى، وانقسام الناس بسببها، وماتركته من عداء وكراهية في النفوس، بسب القتل والاهانة وتضييق الخناق،.... إلا

---

[١٤١] د. يوسف عز الدين: تطور الفكر الحديث ......، مصدر سابق، ص ٤١ .

[١٤٢] د. علي الوردي: لمحات أجتماعية ...... ج٣، مصدر سابق، ص ١٤١ .

[١٤٣] د. يوسف عز الدين: تطور الفكر الحديث .....، مصدر سابق، ص ٢٨ .

أنها ترجمة رائدة في الفكر الدستوري".[١٤٤] وفي الواقـع ان جميـع الحركـات التقدميـة تواجه تحديات من التيارات المحافظة على مر العهود. ويمكن عد مـاتحقق مـن آثـار في مجال الحياة الصحفية والحياة الحزبية تجربة رائدة في زمانها مهدت الطريق لخطـوات أكثر نضجا، وبفضل المشروطية تزعزعت فكرة أن السلطان (ظـل اللـه في الارض)، كمـا تعرضت(الرابطة الاسلامية) التي انعقدت من أجل مصلحة الـسلطة الى الانفـراط عـلى الرغم من(نزعات) لقد مثلت هذه الاراء أثر المشروطية في الفئات المثقفة ولكن مـا مـدى تأثيرها في عموم الناس من أبناء المجتمع العراقـي؟ لقـد أعطانـا الـسير جيرالـد لـوثر (السفير البريطاني) في الدولة العثمانية رأياً من الضرورة التعـرف عليـه، فقـد وجـد أن تأثير المشروطية في عوام بغداد والبصرة والموصل لايخرج عن أعمال الفـوضى والاعتـداء على الاقليات الدينية غير المسلمة ونهب مخازن الحبـوب أو عـدم الاكـتراث بـالامر.[١٤٥] وربما كان مثال د. علي الوردي أكثر وضوحا في فهم عوام الناس للمشروطية في "أن أحـد الاشقياء في ذلك الحين سطا على بيت وقتل صاحبه فلما قدم الى المحاكمة وصـدر عليـه الحكم بالاعدام صرخ محتجا (أين الحرية التي تنادون بها)"[١٤٦]. وبهذا فان مفهوم هذا الشقي للحرية تمثل بالقتل والسرقة.

المطلب الثاني: المصلحون الاسلاميون: اختلفت تسميات الحركة الاصلاحية التي جاء بها المصلحون الاسلاميون نهاية القرن التاسع عشر، فهي عـصر التنـوير أو، النهضة، أو الاصلاح فقد حمل عصر الاصلاح تناقضا داخليا، فالحركة بمثابـة رد عـلى الغرب بثقافة منه أو رد على الغرب أيضا، ولكن بثقافة اسلامية موروثة.[١٤٧] فالاصـلاح

---

[١٤٤] رشيد الخيون: مصدر سابق، ص ١٦٩ .

[١٤٥] نجدت فتحي صفوت: العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب، منشورات المكتبة العصرية، بـيروت، ١٩٦٩، ص ٧٠ ـ ٧٣.

[١٤٦] د.علي الوردي: لمحات إجتماعية ..... ج٣، مصدر سابق، ص ١٨٢ .

[١٤٧] فيصل درّاج: في معنى التنوير، من حصيلة العقلانية والتنوير في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٩٣ .

"تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم أو في العلاقات الاجتماعية دون مساس بأسسها. والاصلاح خلافا للثورة يهدف الى تحسين في النظام السياسي والاجتماعي القائم دون المساس بأسس هذا النظام... أنه أشبه مايكون بإقامة دعائم الخشب التي تحاول منع انهيار المباني المتداعية ويلجأ الإصلاح عادة للحيلولة دون الثورة أو لتأخيرها والاصلاح من المقدمات الضرورية للنهضة."[148] وقد جاءت الحركة الاصلاحية بفعل عوامل متعددة منها: الحملة الفرنسية على مصر(١٧٩٨ــ ١٨٠١) والبعثات العلمية المصرية في عهد محمد علي الى أوروبا والارساليات التبشيرية وظهور الطباعة والصحافة والترجمة والجمعيات العلمية والاستشراق والترجمة.[149] وقد تمثلت أهداف الحركة الاصلاحية في نشر التعليم وتحرير المرأة ومحاربة مظاهر التخلف في الفكر والسلوك والوقوف في وجه الظلم والاستبداد والمطالبة بالشورى والديمقراطية.[150] ويجد محمد أركون سيادة الاصلاح في النشاط الفكري العربي منذ بداية الحركة الاصلاحية حتى حوالي سنة (١٩٥٠)[151]. فان الاصلاح يستخدم في الامور السياسية والاجتماعية والدينية، فهذه الجوانب تمثل جوهر القضايا التي تناولتها الحركة الاصلاحية فالاصلاح في جانبه السياسي يتمثل في السعي لعدم استبداد السلطة واستئثارها على حساب المحكومين أو الوصول الى السلطة بطرق غير شرعية. أما جانبه الاجتماعي فيتجسد في نشر التعليم وتحرير المرأة والعدالة الاجتماعية، ولا تختلف الغاية من الاصلاح الديني. لقد انشغل المفكرون المصلحون وكما يعبر عن ذلك عبدالله العروي

---

[148] د. عبد الوهاب الكيالي: الموسوعة السياسية، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩١، ص ٢٠٦ .

[149] علي محافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٨٩ ـ ١٩١٤، الاهلية للنشر والتوزيع،بيروت، ط٥، ١٩٨٧، ص ٣٢ ـ ٣٤ .

[150] د.محمد عابد الجابري: المشروع النهضوي العربي مراجعة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص ٥٩.

[151] د. محمد آركون: الفكر العربي، ترجمة، عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت،ط ٣، ١٩٨٥، ص ١٤٩.

بالاخر أي (الغرب)، فبعضهم انشغل برفضه كليا أوجزئيا وبعضهم انشغل بمحاولات انتقائية في تقليد هذا الجانب أو ذاك.[١٥٢] وعلى الرغم من أن المصلحين أعربوا عن تقديرهم للثقافة الغربية. الا أنهم أعلنوا احتجاجهم على سياسات التوسع الغربي وتغلغله في المناطق العربية والاسلامية. فإن جوهر أفكار المصلحين يتركز من الناحية السياسية في اثارة المشاعر الدينية لمكافحة التوسع والنفوذ الغربي، أما الجوهر الفلسفي فإنه قائم على أساس الايمان بمضامين بعيدة الاثر في الثورة الفكرية السياسية والاجتماعية.[١٥٣]

لقد وجدت دعوات الاصلاح التي أطلقها جمال الدين الافغاني وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا ومحمد عبده صداها الواضح في العراق وأثرها العميق في الفكر والادب من خلال التعرف على المفردات الجديدة "الظلم والاستبداد والاستعباد والتسلط والتحكم وحاكم مطلق وظالم جبار وحكومة مستبدة واسرى واذلاء وكلمات تقابلها شرع مصون وحقوق محترمة وحكومة عادلة ومقيدة ودستورية وغيرها من الكلمات"، وظهر الصراع بين القديم والجديد وان جرت المعارك الفكرية حول الحياة المادية والاجتماعية والروحية وكثر الجدال والنقاش عن علم الغرب وحضارته ومقدار ما نقتبس منه.[١٥٤] فقد إنتشرت أفكار ومؤلفات المصلحين انتشارا واسعا، ومن ناحية أخرى فإن تعاليمهم كان من شأنها أن تقسم العراقيين الى محبذين وخصوم. فبعض المثقفين أمثال جميل صدقي الزهاوي وهبة الدين الشهرستاني ومعروف الرصافي وعبد المحسن الكاظمي وسعيد الحبوبي ومحمد رضا الشبيبي، قبلوا وأشادوا بالافكار المنبعثة من مصر وباريس حيث تصدر مجلة (العروة الوثقى) للافغاني، وبذلك خلقوا مدرسة

---

[١٥٢] عبد الله العروي: الايديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٧٨ .

[١٥٣] د. وميض عمر نظمي: ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسية ....، مصدر سابق ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

[١٥٤] د. يوسف عز الدين: في الادب العربي الحديث .... بحوث ومقالات نقدية، دار المناهل، بغداد، ١٩٦٠، ص٣٠ ـ٣١ .

جديدة في التفكير ما لبث أن تحداها التيار المحافظ. لقد أقام جمال الدين الافغاني صلات مباشرة أثناء إقامته في العراق عام (١٨٩١) مع مثقفين عراقيين ولعل أبرزهم عبد المحسن الكاظمي ومحمد سعيد الحبوبي اللذان أصبحا من دعاة الاصلاح، ودافعا عن المعرفة العلمية والعقلانية، وهاجم الكاظمي الظلم العثماني وهذا جعله عرضة لمضايقة السلطة العثمانية فأقام في مصر. وتولى رعايته فيها المصلح محمد عبدة فضلا عن أسماء أخرى من الذين تأثروا بالدعوات الاصلاحية منهم محمد باقر الشبيبي وعلي الشرقي وجعفر أبو التمن وهبة الدين الشهرستاني.[١٥٥] ويعقد د.علي الوردي مقارنة بين الزهاوي والشهرستاني بوصفهما رائدين فكريين تأثرا بحركة الاصلاح، فالزهاوي يسير في تجديده الفكري على طريقة تلائم البيئة الاجتماعية التي عاش فيها، فكان الزهاوي شديد الاعجاب بالعلوم الحديثة ويريد من الدين أن يلحق بها ويتفق معها. أما الشهرستاني فكان على النقيض من ذلك شديد التمسك بالدين ويريد من العلوم الحديثة أن تلحق به وتواكبه وتتفق معه. وضمن الاطار الاصلاحي لهما نادى الزهاوي في عام (١٩١٠) بتحرير المرأة، فقامت عليه في بغداد ضجة كبيرة كادت تودي بحياته، وفي العام التالي نادى الشهرستاني بتحريم (نقل الجنائز) فقامت عليه في النجف ضجة مماثلة. فالزهاوي يريد أن يقفز بالمجتمع العراقي الى الحياة الحديثة دون مبالاة بالدين والتقاليد بينما كان الشهرستاني يريد عودة المجتمع الى حظيرة الدين ضمن الاطار الاصلاحي.[١٥٦] لقد ترجم الشهرستاني دعوته الاصلاحية في إصداره لمجلة (العلم) التي مرت معنا سابقا، وقيامه بافتتاح مكتبة عامة في النجف ليتيح للجمهور الاطلاع على نتاجات التيارات الفكرية الحديثة في مصر وسوريا فضلا عن تأليفه لعدد من الكتب منها كتاب (الهيأة والاسلام) حاول فيه أن يوفق بين الاسلام والعلوم الحديثة. أما الزهاوي فكانت دعوته الاصلاحية قائمة على نقد العادات والسجايا الاجتماعية في المجتمعات الشرقية

---

[١٥٥] د. وميض عمر نظمي: ثورة ١٩٢٠ ......، مصدر سابق، ٦٦ ـ ٧٠ .

[١٥٦] د.علي الوردي: لمحات أجتماعية .... ج٣، مصدر سابق، ص ١٢ ـ ١٤.

بمقارنتها بالمجتمعات الغربية، فنقده للسلوك الاجتماعي الخاص بالاسرة الشرقية التي يعدها عماد المجتمع يبدأ مع عادات الزواج البعيدة عن الاختيار الحر لكلا الطرفين.كما أن الزهاوي قد اولى قضية الحجاب أهمية كبيرة، ومايـنسحب على هذه القضية من حرمان المرأة من حق التعليم والعمل، وإبعادها عن الرقي والتقدم.[*] وقد احتلت دعوته الاصلاحية الاجتماعية جزءا كبيرا في شعره ومما قال:

هزأوا بالبنات والأمهات

وأهانوا الازواج والأخوات

هكذا المسلمون في كل صقع

حجبوا للجهالة المسلمات

سجنوهن في البيوت فشلوا

نصف شعب يهيم بالحركات

وقال الزهاوي أيضا:

ليس يرقى الأبناء في أمة ما

لم تكن قد ترقت الامهات

آخر المسلمين عن أمم الارض

حجاب تشقى به المسلمات [١٥٧]

ولايبعد الزهاوي دعوته الاصلاحية الاجتماعية عن الاصلاح السياسي، فقد قال:

ماذا على السلطان لو أجرى الذي

تشتاقه الأحرار من أصلاح

---

[*] أنظر: جميل صدقي الزهاوي: المجمل مما أرى،القاهرة، ١٩٢٤ . ملحق كتاب د. داود سلوم، أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي ... دراسة ونصوص، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٥٢ ـ٣٦٢ .

[١٥٧] نقلاً عن: د. داود سلوم: مصدر سابق، ص ١٨٧ .

تالله لو منح الـرعية حقــها

لفداه كل الشعب بالأرواح[١٥٨]

وبذلك تبرز دعوة الزهاوي الاصلاحية في الجانب الاجتماعي أكثر من الجوانب الاخرى للحركة الاصلاحية فقد ارتبط اسم الزهاوي بدعوات تحريـر المـرأة. حتـى أطلـق عليـه (قاسم أمين) العراق. ومن جوانب الدعوات الاصلاحية الاخرى هي الـدعوة الى التـسامح ونبذ التعصب الديني وفي هذا المجال يبرز اسم محمد رضا الشبيبي فهو يقول:

ياقوم ماالدين عادات معطلة

وانمـــا الدين تحليل وتحريم

وما السياسة ما الاوهام فاعلة

تحكـم كيفما شاءت وتـحكيم

لاتجعلوا آلـة التفريق دينكم

فالدين عن وصمة التفريق معصوم[١٥٩]

وقد عبر الشاعر علي الشرقي عن دعوته الى التسامح الديني ونبذ عوامل التفرقة حين قال:

دع عنـــــك مـــــروان الحمـــــار

وخـــــل واقعـــــة الجمـــــل

للـــــسع نعمـــــل دائمـــــا

والنحـــــل تعمـــــل للعـــــسل

بلـــــدي رؤوس كلـــــــه

أرأيـــــت مزرعـــــة البـــــصل؟

---

[١٥٨] نقلاً عن د. عربية توفيق لازم: مصدر سابق، ص ١٧٧ .

[١٥٩] المصدر السابق نفسه، ص ١٦٩ .

ويدعو أبناء المجتمع ان يتركوا التناحر وان يجدوا لاصلاح مجتمعهم وتطويره حين يقول:

دعوا نظم السياسة في هدوء
وثوروا للنظام الاجتماعي
أرى ثوب التطور مستعارا
اذا هو لم تفصله المساعي
يمينا لو تبوعت الافاعي
على صدري لما قصرن باعي
فشعبي لو تقوم له بشبر
من المسعى تقدم في ذراعي (١٦٠)

وتحتل موضوعات تعليم المرأة مكانة مهمة في دعوة الرصافي الاصلاحية حين يقول:

فكيف تظن بالابناء خيرا
اذا نشأوا بحضن الجاهلات
وقالوا شرعة الاسلام تقضي
بتفضيل الذين على اللواتي
وقالوا إن معنى العلم شيء
تضيق به صدور الغانيات
وقالوا الجاهلات أعف نفسا
عن الفحشاء من المتعلمات
لقد كذبوا عن الاسلام كذبا
تزول الشّم منه مزلزلات

(١٦٠) عبد الحسين مهدي عواد: الشيخ علي الشرقي حياته وأدبه، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد،١٩٨١، ص ١٩٥.

اليس العلم في الاسلام فرضا

على ابنائه وعلى البنـــات[١٦١]

وتحتل مسألة حرية الرأي مكانة في الحركة الاصلاحية التي تبنتهـا الفئـات المثقفـة ومنهم الشعراء، وقد قال فيها عدد من الشعراء شـعراً ومـنهم أحمـد الـصافي النجفـي ومحمد سعيد الحبوبي:

فالشاعر الصافي يقول في حرية الرأي:

جاهد لحرية يحلُ الشقاء لها

ودع نعيما به يستمتع الخدم

أعطي حياتي عن حريتي بدلا

إن الحياة بلا حرية عـــدمُ[١٦٢].

أما محمد سعيد الحبوبي فيقول في قصيدة (الحرية):

أكثيرة العشاق في الامم

قد طال هجرك فارفقي بهم

الوضع أظلم فابزغي قمرا

وتجهم القانون فابتسمـي

أمل الشعوب المشتهى وهي

هذي النفوس الحرة الشيم

بك قد تغنينا ولست سوى

حلم جميل، طاب من حلم

[١٦١] عبد الحميد الرشودي:الرصافي ...... حياته ...... آثـاره .... شـعره، دار الـشؤون الثقافيـة العامـة، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٥٠ .

[١٦٢]. عبد الكريم الدجيلي: مصدر سابق، ص ٨٤ .

طال انتظارك فاطلعي لنرى
عيشاً بلا ملل ولاسأم
والموت للاحرار أطيب من
عيش العبيد وذلة الخدم
نام الطغاة، وههنا وهنا
مقل من الارهاب لم تنم
إنا مللناها، "مراقبة"
منهم على الافكار والكلم
أمنية الاحرار أرهقهم
بعد ـ احتجاجك ـ جور محتكم [١٦٣]

وتعد الدعوة الى (تحرير المرأة) من أكثر دعوات الاصلاح المطروحة التي واجهت تحديات من الفئات المحافظة، والتي استمرت سجالاتها في الصحف العراقية، فمن الجرائد والمجلات التي انبرت للوقوف ضد هذه الدعوة (تنوير الافكار) و(الرشاد) و(المفيد) و(البدائع)، وقد كان أنصار (الحجاب) توفيق الفكيكي ومحمد بهجة الاثري والملا عبود الكرخي وعبد الرحمن البناء وحسين الظريفي وغيرهم، أما الصحف التي آزرت الحركة فهي (العراق) و(الصحيفة) و(العالم العربي) و(ليلى). ومن الشخصيات التي ناصرت الدعوة الى (السفور) حسين الرحال ورزوق غنام ومصطفى علي وعوني بكر صدقي ورفائيل بطي ومصطفى عبد الجبار القاضي وغيرهم.[١٦٤] ووسط الدعوة الى (السفور) والتمسك بـ(الحجاب) تبرز قصيدة للشاعر عبد الحسين الازري تمثل

[١٦٣] المصدر السابق نفسه، ص ٨٤ ـ ٨٥ .
[١٦٤] د. يوسف عزالدين: الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق،ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(حلاً وسطاً) لكلا الطرفين المتنازعين تحمل قيما نبيلة لدعوة سامية وهي أن (الحجاب) لايقف حائلا دون تعليم المرأة وهي :

أو لم يروا أن الفتاة بطبعها
كالماء لم يحفظ بغير اناء
من يكفل الفتيات بعد ظهورها
مما يجيش بخاطر السفهاء
ليس الحجاب بمانع تهذيبها
فالعلم لم يرفع على الازياء
أو لم يسع تعليمهن بدون أن
يملأن بالاعطاف عين الرائي
ماذا يريبك من حجاب سائر
جيد المهاة وطلعة الذلفـاء
ماذا يريبك من ازار مانع
وزر الفؤاد وضلة الاهــواء[١٦٥]

١ـ : وبذلك تميزت محاور الحركة الاصلاحية بجوانب اجتماعية تمثلت بـدعوة (تحريـر المرأة) وضرورة تعليمها وما أفرزت هذه الحركة من محبذين وخصوم . الا ان الحركة لم تثمر نتائج واقعية ملموسة فبقيت حبيسة قصائد الشعراء. وان اقتصرت آثارهـا مع المشروطية على فتح "(٢٤) مدرسة للذكور و(٣) مدارس للاناث "[١٦٦]. والتباين في عدد المدارس المخصصة للذكور والاناث لم يدع حاجة للتعليق على الامر. وفي الواقع لـم أعثر عند البحث على أسماء لنساء عراقيات تميزن باعمال مهمة في المجالات الثقافية حتى اربعينيات القرن العشرين. وهذا دليل على أن الدعوة لم تجد لهـا اذانـا صـاغية

[١٦٥] د. يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث ......، مصدر سابق، ص٢٥٦ .
[١٦٦] عبد الرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق ......، مصدر سابق، ص ٥١ .

متفهمة للواقع الاجتماعي للمرأة، ويمكن أن تعد الدعوة الاصلاحية مجرد هـدف، لـم تتسنَ له وسائل تحقيق، فلم تحاول الاصوات التي نـادت بهـذه الـدعوة البحـث عـن وسائل تجعل امكانية التحقيق ميسرة ويبقى وصف حالة تأخر المرأة هـي الطاغيـة على تأطير هذه الحركة الاصلاحية، كما تقـف حالـة التخلـف العامـة في المجتمـع في مقدمة أسباب عدم الاخذ بالدعوات الاصلاحية.

٢ـ والمحور الثاني للحركة شمل نبذ عوامل التفرقة المذهبيـة، فعـلى الـرغم مـن روعـة قصائد الشعراء أمثال محمد رضا الشبيبي والرصافي وكاظم الـدجيلي وغـيرهم التـي قيلت ضمن هذا المحور الا أن السلوك المتوارث من قبل السلطة لم يـدع مجـالا لتقبـل هذه الدعوات على المستوى الخاص المتمثل بـ(النخبة) من المثقفين أو عـلى المـستوى العام لافراد المجتمع.فالسياسة الطائفية للسلطات المتوارثة في مجالات التعليم الـذي يشمل الدراسات (المدنية والعسكرية) واشغال الوظائف أبعدت قصائد الشعراء التـي ضمت أماني تؤطرها مشاعر وقيم مثالية عن الواقع الملموس.

٣ـ ان الاصلاح السياسي جاء مع المناداة بحرية الرأي، فحرية الرأي تجعـل الفـرد قـادرا على توجيه إنتقاداته للسلطة ومطالبتها بالاصلاح، ومع تـزامن الحركـة المـشروطية والتأثر بافكار المصلحين، جـاء عـدد مـن القـصائد للرصـافي والزهـاوي والكـاظمي والشبيبي، وغيرهم من الشعراء وقد مرت معنا عند الحديث عن الحركة المـشروطية، فقصائدهم موجهة للسلطة من خلال انتقاد سوء الادارة وضـعف الكيـان الـسياسي للدولة وغيرها من الانتقادات الاخرى، ولكن انتقاداتهم لم تثمر عن أفكـار يمكـن أن تكون من أساسيات الاصلاح.فقصائد الشعراء ضمت مفردات(الاستبداد ـ الـوطن ـ الشعب ـ الرعية ـ برلمان وغيرها من الالفاظ الاخرى) ولكن لم تظهر دعوة بمـستوى أفكار الكواكبي مثلا الذي حمل (الاسـتبداد الـسياسي) مـسؤولية جميـع مـشكلات المجتمع. فالوصف هو الغالب على جميع دعوات الاصلاح التي حملها المثقف العراقي.

٤ـ واخيرا يبقى للاقلام التي حملت أفكـار الاصـلاح الفـضل في معرفـة تفاصـيل هـذة الحركة بكل محاورها، فقد أرخت أحداث الحركة الاصلاحية بكل مجرياتهـا وتحتـل فئة الشعراء الاولوية في تدوين هذه الاحداث بقصائد شعرية معبرة.

المطلب الثالث: الصحف والمطبوعات العربية: شـهدت البلـدان العربيـة في مطلع القرن التاسع عشر بدايات نهضة متعددة الجوانب، و٩+٨٨ كان لعامـل الاتـصال بأوروبا دور مؤثر في ذلك الحدث من خلال عوامل متعددة مر ذكرها مثل البعثات العلمية والاستشراق والطباعة ثم الصحافة، فمولد الصحافة العربية كـان وليـد ثمـرة اتـصال الغرب ببلدان الشرق العربي، فالفنون الصحفية نشأت مع تقـدم المجتمعـات الغربيـة، وكان الغربيون هم الذين إبتدعوها وحسنوها وجاءوا بها الى الشرق فكانت مـصر الاولى في هذا المضمار وذلك في عام (١٨٠٠)، والجزائر في عام (١٨٤٧)، ولبنان في عـام (١٨٥٧)، وتونس في عام (١٨٦١)،وسوريا في عام (١٨٦٥)، ثـم العـراق في عـام (١٨٦٩).[١٦٧] تعـد جريدة (الجوائب) التـي تـصدر باللغـة العربيـة لـصاحبها أحمـد فـارس الـشدياق في (الاستانة) في العام (١٨٦٠) من أوائل الصحف التي وصلت الى العراق، فقد ذكـرت هـذه الصحيفة اسم موزعيها في بغداد والموصل في الاصدارات الاولى منها، كما كـان صـاحبها على صلات مع أعلام العراق المشهورين الذين يزورون (الاستانة)، فقـد قامـت الجريـدة بنشر نتاجات لعدد من هؤلاء الاعلام. كما اهتمت بنشر أخبار العراق الادبية. وتعد مجلة (الجنان) لصاحبها (بطرس البستاني) التي صدرت في بيروت في العام (١٨٦٠) من أوائل المجلات التي دخلت العراق، فكانت هذه المجلة سجلاً للنهضة الفكريـة، وكانـت ميـدانا تتبارى فيه أقلام الكتاب في الادب والعلم والسياسة والطب والتاريخ والقانون والفكاهة وقد وجدت هذه المجلة في العراق صدى لها ووجدت لها مشتركين في بغداد والبـصرة.[١٦٨]

---

[١٦٧] د. وائل عزت البكري: مصدر سابق، ص ١٣ ـ ١٤ .

[١٦٨] د.عناد اسماعيل الكبيسي: الادب في صحافة العـراق، مطبعـة النعمـان، النجـف الاشراف، ١٩٧٢، ص ٢٤ـ٢٩.

أما الصحف والمجلات العربية الاخرى التي اهتمت بنقل كثير من الافكار والمثل من خلال ماتنشره من أدب وقصص وروايات مترجمة فهي البشير (١٨٧٠) للاباء اليسوعيين، والاهرام (١٨٧٦)، ولسان الحال (١٨٧٧) لخليل سركيس، والصفا (١٨٨٦) لعلي ناصر الدين، وجريدة لبنان (١٨٩١)لابراهيم الاسود، والكنانة (١٨٠٩) لشاكر شقير، والمقتطف (١٨٨٧)، والهلال (١٨٩٢)، والمشرق (١٨٩٨)،وفتاة الشرق(١٩٠٦) للبيبة هاشم، والبرق (١٩١٠)، والنفائس (١٩١٢). ولعل مجلة (المقتطف) أهم مجلة ساعدت على نقل الفكر العلمي الى جانب النتاج الادبي، وقد أنشئت أول أمرها عام (١٨٧٦)في بيروت ثم انتقلت في سنتها التاسعة الى مصر، وتعد حلقة مهمة بين الفكر الشرقي والفكر الغربي.[١٦٩] لقد لعبت النهضة الطباعية والصحفية في مصر دورا في صدور العديد من الصحف والمجلات المذكورة أعلاه وقد أسهم فيها المسيحيون الذين هاجروا الى مصر من بلاد الشام فرارا من استبداد السلطان عبد الحميد كيعقوب صروف وفارس نمور وشبلي شميل وجرجي زيدان وفرح انطون وغيرهم[١٧٠]

لقد أقيمت الصلات الثقافية بين مجلة (العلم) النجفية لصاحبها هبة الدين الشهرستاني مع عدد من الصحف الصادرة في بلدان العالم فقد ذكرت المجلة في أحد أعدادها الصحف التي ترد اليها وهي: من الاستانة (الحضارة، والعدل)، ومن بيروت (الاتحاد العثماني، والرأي العام، والاقبال، والبشير، والبرق) ومن حلب (التقدم)، ومن طرابلس (الوجدان ، والاجيال)، ومن دمشق (المقتبس)، ومن القاهرة (المؤيد اليومي، والمنار، والشمس)، ومن ايران أكثر جرائدها، ومن الهند (الاخبار اليومية، والحبل المتين)، ومن إميركا (الزمان)، ومن اليابان (الاتحاد الاسلامي)، ومن فرنسا (نهضة العرب)، وإيطاليا (السياسة المصورة) ومن سنغافورة (الوطن، والاصلاح)، ومن تونس

---

(١٦٩) د. داود سلوم: مصدر سابق، ص ١٣ ـ ١٤ .

(١٧٠) د. علي الوردي: لمحات إجتماعية .... ج٣، مصدر سابق، ص ١١ .

(مرشد الامة)، والجزائر (كوكب افريقيا) وكانت إدارة المجلة توزعها على المكتبات العامة ودور القراء من مثقفي العراق.[171] لقد لعبت الترجمة دوراً مهما في نقل المنجزات الفكرية الغربية في مختلف المجالات في الصحف ذات الاختصاصات المتنوعة، وقد بدأت في الشرق علمية قبل أن تتحول الى الادب. وعلى الرغم من أن كتبا أدبية وقصصية وتأريخية قد جلبت الى مصر لقراءتها في مدرسة الألسن إلا أن الترجمة الأولى كانت ترجمة الكتب العلمية والعسكرية فإلى حدود سنة (١٨٥٣) ترجم في مصر أكثر من (٢٧٧) كتابا في العلوم والطب والرياضيات والحرب والصناعات.وسرعان ما التفت المثقفون إلى ترجمة الأدب القصصي الأوروبي والادب المسرحي. فإلى حدود عام (١٩٣٦) جمع أمين دار الكتب في بيروت (بليوغرافيا) اثبت فيه نحو عشرة آلاف قصة بين صغيرة وكبيرة مترجمة من مختلف اللغات. وقد ساعدت الصحافة في هذا الباب وترجمت لقرائها الكثير مثل مجلة المقتطف. ولكن الترجمة لم تكن منظمة فإن ملحمة دانتي (الكوميديا الالهية) مثلاً لم يترجم قسمها الاول إلاعام (١٩٢٦) فقد ترجم عبود أبو راشد الجزء الاول (الجحيم)، ثم ترجم الجزء الثاني (المطهر) عام (١٩٣١)، والثالث (النعيم) سنة ١٩٣٢. أما في العراق، فكانت الترجمة من نصيب المبشرين المسيحيين الذين درسوا اللغات الأجنبية. فقد ترجم نعوم فتح الله سحار (لطيف وخوشابا) عام (١٨٩٣)، و(الامير الأسير) عام (١٨٩٥) عن الفرنسية. أما القس جرجس قندلا فقد ترجم مسرحيتي (الطبيب رغما عنه) و(المثري المتنبل) لموليير، وترجمت مسرحيات عديدة أخرى بين عامي (١٩١٠)، و(١٩١٩).[172] ومن أهم المجلات التي أهتمت بالموضوعات المترجمة، التي كانت ترد الى العراق هي (المقتطف)، و(الهلال)، وكانت النزعة الغالبة على كلتا المجلتين هي الدعوة نحو تبني الحضارة والعلوم الحديثة وبناء المجتمع على أساسها، وكانت مجلة (المقتطف) تنزع نحو الفلسفة والعلوم الطبيعية بينما كانت اهتمامات مجلة (الهلال)

[171] د. عناد اسماعيل الكبيسي: مصدر سابق، ص ٣٣ـ ٣٤ .

[172] د.داود سلوم: مصدر سابق، ص ١١ ـ ١٢ .

تنزع نحو العلوم الاجتماعية واللغوية والتاريخية. عند وصول مجلة (المقتطف) الى بغداد في (١٨٧٦)، لم يرحب بها إلا بعض الشباب، بينما قاومها المحافظون من مختلف المذاهب والاديان السنية والشيعية والمسيحية واليهودية، لأنها كانت تنشر مقالات متسلسلة في شرح نظرية (دارون).[١٧٣] كما لعبت الصحف المصرية الاخرى مثل (المقطم)، و(البلاغ)، و(المؤيد)، و(السياسة الاسبوعية) في التعرف على قضايا، وأفكار لم يألفوها، وأسماء قادة لم يسمعوا بها،وفلسفة جديدة لم يقرأوها، فقد نقلت هذه الصحف أسماء قادة الرأي الغربي والأميركي، وآراءهم فتحدثت هذه الصحف عن (ديكارت)، و(دارون)، و(مونتسكيو)، و(شيلي)، و(بسكال)، و(دانتي)، و(لافونتين)، و(أناتول فرانس)، و(تولستوي)، و(تورجنيف)، و(جميس جويس).[١٧٤] لقد قادت عملية الاطلاع على النتاجات التي تحملها الصحف العربية الى النتائج التالية: ـ

اولا: عقد المقارنة بين المجتمعات الشرقية والمجتمعات الغربية من حيث بنية المجتمع وتمتع الفرد بالحقوق والحرية التي تكفلتها المجتمعات الغربية لشعوبها فالظلم الذي يسود المجتمع في الامبراطورية العثمانية، وعدم وجود أي حق للفرد، وإنعدام الحرية في أي مجال من مجالات الحياة، جعل أبناء هذه المجتمعات ينظرون الى النقيض الموجود في المجتمعات الغربية وإلى الازدهار الحضاري الذي أصابته بسبب حرية الانسان ووجود الدستور الذي ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.[١٧٥]

ثانيا: ان تردي الاوضاع العامة السياسية والاقتصادية والثقافية في العراق أدى الى ظهور أصوات تطالب بضرورة الاصلاح، فقد قادت هذه المطالب الصحافة العراقية متأثرة بالصحافة العربية، ومن خلال مطالبتها بالاصلاح انقسمت الى فريقين يمثل الفريق الاول المطالب الجريئة (المستميتة) التي قادتها جريدة (الرقيب)، و(تنوير الافكار)،

---

[١٧٣] د. علي الوردي: لمحات أجتماعية .... ج٣، ص ١١ ـ ١٢ .

[١٧٤] د. يوسف عز الدين: تطور الفكر الحديث ......، مصدر سابق، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

[١٧٥] داود سلوم: مصدر سابق، ص٩.

أما الفريق الاخر فتميزت مطالبهُ بـ(الصيحات الهادئة) التي قادتها جريدة (صدى بابل).[١٧٦]

ثالثا: احتلت مفردات الحضارة الحديثة قصائد الشعراء، فضلا عن الحديث عن أهميـة العلوم في تقدم المجتمعات. فالشاعر محمد عـلي اليعقـوبي يقـول في أهميـة العلـم الابيات التالية:

لاتفخـــــروا بـــــسوى العلــــوم
فــــــشأنها شــــــأن كـــــبير
ودعــــوا الفخــــار بــــأعظم
رمـــــم حـــــوتهن القبـــــور
العلـــــم للمـــــرء الدليــــــل
لقـــــصده أتـــــى يـــــسير
العلـــــم أجنحـــــة البـــــلاد
بــــــه لغايتـــــه يطـــــير
بـــالعلم فـــاوض مـــن تـــشاء
فإنـــــه نعـــــم الـــــسفير
وإذ خلـــــوت فأنــــــــه
نعـــــم المنــــادم والــــسمير
والجهــــلُ إن ملــــك العقــــول
فــــذاك ســــلطان يجــــور[١٧٧]

---

[١٧٦] د. يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ١٨ ـ ١٩ .

[١٧٧] عبد الكريم الدجيلي: مصدر سابق، ص ١٧ ـ ١٨ .

وبهذا تطرق الشعراء لموضوعات الحضارة الحديثة ولاسيما إهمية العلم في تقدم المجتمع التي احتلت حيزا في شعر معروف الرصافي وعبد المحسن الكاظمي ومحمد رضا الشبيبي وغيرهم من الشعراء. ويبقى اثر التقدم العلمي الغربي اكثر وضوحا في شعر جميل صدقي الزهاوي من خلال تطرق الشاعر لموضوعات مثل قانوني دارون اللذين استخدمهما في كتابه (أصل الانواع)، وهما: قانون التناحر من أجل البقاء وقانون البقاء للاصلح، فقد وظف الزهاوي هذه المفاهيم في شعره:

يا أرض إنك في زمان واحد
مرعى الظباء ومربض الاساد
ما أنت إلا للتنازع حرمة
وأن الحياة عليك غير جهاد

كما قال أيضا:

تقنو الحياة بقاء في تنازعها
من النشاط وكل الموت في الكسل
لا يحمل إنسان بلا تعب
ما الحياة على الانسان غير جهاد [١٧٨]

رابعا: كانت القضايا التي تعالج في مصر تجد صداها في العراق، فلكل حركة أثر ولكل مناقشة مؤيد ومعارض فخصومات الشعراء والكتاب من المثقفين المصريين، تخلق خصومات وسجالات بين المثقفين العراقيين تحملها الصحف العراقية؛ فجدالات (القديم والحديث) التي تعد من أهم موضوعات السجال بين مثقفي مصر منهم الرافعي وطه حسين كان أثرها واضحاً في بغداد، كما قادت جدالات

[١٧٨] د. داود سلوم: مصدر سابق، ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

عباس العقاد ولطفي السيد الى مناصرة أحد الطرفين في الصحافة العراقية أيضاً فضلاً عن خصومات أخرى وجدت طريقها الى الصحافة العراقية.[179]

خامسا: هناك من يجد أن الصحافة العربية تعد وسيلة مهمة لاتصال العراق بالعالم الخارجي، فالدكتور عناد اسماعيل الكبيسي يرفض الاراء المطروحة بشأن عزلة العراق عن العالم الخارجي، فيجد أن ماطرحه د. يوسف عز الدين، والاستاذ ابراهيم الوائلي والاستاذ حبيب الراوي، والشيخ محمد رضا الشبيبي والاستاذ بيير روسي (مدير المتحف الثقافي الفرنسي) بشأن عزلة العراق، فقد أجملت الاراء المطروحة لهؤلاء الاساتذة أن العراق بحكم موقعه الجغرافي كان بعيدا عن التيارات الحديثة، فضلا عن افتقاره لوسائل الثقافة العامة التي تؤهله للإطلاع على مستجدات الحياة الثقافية الحديثة. ويجد د. الكبيسي أن عملية الانتقال الثقافي عملية دقيقة يشعر بها من هم على صلة فهي ليست عملية انتقال سلعة من دولة الى أخرى فجريدة (الجوائب)، و(الجنان) من الوسائل الاولى للاتصال الثقافي[180]. كما أن الصحف العربية قد جذبت الاقلام العراقية المثقفة للكتابة فيها ومن هذه الاسماء أنستاس ماري الكرملي، والزهاوي والرصافي، والكاظمي وغيرهم.

وبهذا فان الصحافة شكلت وسيلة مهمة في التعرف على المستلزمات الاساسية للنهضة الاصلاحية على الرغم من محاولة تقليل أهمية هذا الاتصال الذي يرى بعضهم أنه "كان شموليا شكليا، ولم يكن عميقا ولا متخصصا وكان التأثر يميل الى محاكاة الأشكال والظواهر ".[181] فهذا الاتصال تظهر نتائجه في مراحل قادمة من خلال التطور الفكري الذي صاحب الحركة الادبية في العراق، فضلا عن أهمية التعرف على الادب

[179] د. يوسف عز الدين: تطور الفكر الحديث ......، مصدر سابق، ص ٥١ ـ ٥٤ .

[180] د. عناد اسماعيل الكبيسي: مصدر سابق، ص ٢١ ـ ٢٤ .

[181] د. داود سلوم: مصدر سابق، ص ٢٠٤ .

الروسي وما قاد الى نتائج نأتي عليها لاحقا من خلال دعوات (الفن للحياة أو المجتمع)، أو (الفن للفن). فهذه الدعوات ولدت الاهتمام بتناول القضايا الخاصة بالمجتمع العراقي.

المطلب الرابع: الاحتلال البريطاني: كان قرار بريطانيا في خريف عام (١٩١٤)، بغزو الاقاليم العربية الخاضعة للسيطرة العثمانية من قواعدها في الهند لمواجهة بوادر التهديد بفعل التأييد العثماني لالمانيا ولخشيتها على موقعها الخاص واصدقائها في الخليج، فضلا عن أهمية الهند نفسها، وحماية المصادر النفطية في جنوب ايران المصدر الجديد للثروة الذي يعود إنتاج النفط فيه الى العام (١٩١٢).[١٨٢] وبذلك "أكملت الجيوش البريطانية خلال أربع سنوات بين ١٩١٤ ـ ١٩١٨، ما بدأت به التجارة والدبلوماسية البريطانيتان قبل ثلاثة قرون في احتلال مابين النهرين".[١٨٣] لقد عانت جميع البلاد العثمانية من ويلات الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى مثلما عانى العراق ولكن يبقى نصيب العراق أكبر من الولايات الاخرى وذلك: ـ[١٨٤]

١- أن الجهاز الحكومي في العراق كان أشد تفسخا وفسادا مما كان عليه في أكثر البلاد العثمانية الاخرى، وذلك لبعد العراق عن عاصمة الدولة، فلم يكن يقبل العمل في العراق الا الموظفون المتفسخون أو الذين لايرجون لأنفسهم عملا في مكان آخر، وكان بعض كبار الضباط والموظفين يتحملون اعباء العمل في العراق طمعا بكسب ثروة كبيرة.

٢- كان العراق خلال سنوات الحرب ميدانا لمعارك حربية شملت معظم مساحة العراق من مصب شط العرب جنوبا حتى الموصل وعانة شمالاً، فكانت المعارك الحربية كـ (النار تحرق وتدمر).

---

(١٨٢) ستيفن لونكريك: العراق في ظل الانتداب البريطاني، ترجمة، مصطفى نعمان أحمد، مجلة آفاق عربية، تشرين الاول / ١٩٩١، ص ٣٢ .

(١٨٣) فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(١٨٤) د. علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٤ ، مكتبة الصدر ، قم، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

٣- تجنيد الكثير من أبناء العراق للقتال في جبهة (قفقاسيا) حيث هلك من تـم تجنيـده من العراقيين. ولاتختلف أعداد الضحايا في (آب / ١٩١٤) في جبهة قفقاسيا عن اعداد الضحايا في حروب الدولة العثمانية الـسابقة الغربيـة (قفقاسـيا ـ ١٨٧٧)، و(ابـن رشيد ـ ١٩٠٤).

لقد احتلت القوات البريطانية العراق من خلال التقدم من جنوب العـراق "البـصرة"، وقد اصبحت البصرة كلها تحت السيطرة البريطانيـة في (٢٢ تـشرين الثـاني / ١٩١٤)، واحتلت بغداد في (١١آذار/١٩١٧)، ثم الموصل في (تشرين الثاني / ١٩١٨).[١٨٥] لقد أفـرز الاحتلال البريطاني للعراق النتائج التالية:

أولا: حركة الجهاد: ـ لقد نجحت السلطة العثمانية في كسب تأييـد علمـاء الـدين الشيعة في اعلان حركة الجهاد وقد عرضت الحـرب بوصـفها حربـاً اسـلامية عـلى الكفار، فضلا عن مناشدة السلطات العثمانية من خلال ارسال الوفـود مـن بغـداد والبرقيات المتتالية الى علماء الدين في المدن الشيعية المقدسة ومنها برقية جويد باشا (قائد الجيش العثماني) التي ارسلها من البصرة الى علماء الـدين في النجـف يقـول فيها "اتوسل... برسول الله وآل البيت وفاطمـة الزهـراء أن تـسرعوا في المجـيء الي حيث أن البصرة مهددة ونحن في ضـيق شـديد"[١٨٦]. كانـت الحكومـة البريطانيـة مهتمة كل الاهتمام لمنـع حـدوث تقـارب بـين علمـاء الـدين الـشيعة والـسلطات العثمانية من خلال التلويح بتهديد العلماء بمنع وصول ايـرادات وقـف (عـودة) في الهند.[١٨٧] فقد كانت على علم بما تسببه الفتاوى التي يطلقها العلماء بشأن إعـلان الجهاد في رجالات العشائر في وسط وجنوب العراق. وبالفعل أعلن الجهاد مـن قبـل علماء الدين الشيعة ويقف في مقدمة العلماء السيد سعيد الحبـوبي، والـشيخ عبـد الكريم الجزائري والسيد عبد الرزاق الحلو والشيخ جواد الجواهري وشيخ الـشريعة الاصفهاني، وكان لفتوى الحبوبي قـوة تـأثير كبـيرة في تحـريض عـشائر الفـرات

[١٨٥] المس بيل: فصول من تاريخ ....، مصدر سابق، ص ٨ و ١٠٨ و ١٥١.

[١٨٦] د. علي الوردي: لمحات إجتماعية .... ج ٤، مصدر سابق، ص ١٥٣ .

[١٨٧] د. غسان العطية: مصدر سابق، ص ١١٢ .

الاوسط على الجهاد.[١٨٨] واعلان الجهاد في مدينة الكاظمية بزعامة السيد مهدي الخالصي ومهدي الحيدري وفي بغداد تزعم داود أبو التمن (جد جعفر أبو التمن) حملة الجهاد فعرف بانفاقه المال في سبيل الجهاد، فكان "يجلس في مسجده بمحلة صبابيغ الآل ويضع المجيديات على هيأة أكوام وهو يوزعها على المتطوعين للجهاد بما يكفي عوائلهم "[١٨٩]. تبرز معركة (الشعيبة) اكبر معركة من معارك الجهاد، اظهرت فشل السلطة العثمانية في الدفاع عن أراضي المسلمين والتي ارختها أقلام المثقفين من خلال قصائدهم الشعرية وتبرز قصيدة الشاعر محمد رضا الشبيبي التي تصف يوم المعركة الرهيب التي لم يستعد لها الجيش فكان افراده خالين (الحقائب) حتى من الماء والزاد فهو يقول:

نبتُ الربا حمرُ أشلاء و أورادِ
منثورة لك بين القصر فالوادي
دون الشعيبة، أجساد موزعة
في البيد توزعُ أعضاء بأجسادِ
جيش أقام ثلاثا في خنادقها
خالي الحقائب من ماء ومن زادِ
عشرون الف عراقي ومثلهم
حمر الحماليق من ترك وأكرادِ
فَل العدو جناحهم وقلبهم
من قبل تجهيز أعوان وامدادِ
وقائد حملوه في محفته
الى الشعيبة من زوراء بغدادِ [١٩٠]

---

[١٨٨] د. وميض عمر نظمي: شيعة العراق ....، مصدر سابق، ص ١٦٩ .
[١٨٩] علي البزركان: الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٢، ص ٥٠ ـ ٥١ .
[١٩٠] عبد الكريم الدجيلي: مصدر سابق، ص ٣٤ .

كما عبر السيد هبة الدين الشهرستاني عما جرى في الشعيبة من خيبة آمال كبيرة بإزاء القوات البريطانية في المعركة برسالة تحت عنوان (الخيبة في الشعيبة)[١٩١]. لقد أفرزت حركة الجهاد النتائج التالية:

١ـ السلوك الانتهازي للسلطة العثمانية، فبعد فشل حركة الجهاد في صد القوات البريطانية أخذوا يضطهدون العشائر المشاركة في حركة الجهاد ويصادرون أموالهم ولم يسلم علماء الدين في كربلاء والنجف من هذه المعاملة " فقد وجهت فوهات المدافع الى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف".[١٩٢]

٢ـ فشل السلطة العثمانية في صد القوات البريطانية وعدم قدرتها على حماية الدولة الاسلامية التي تضطلع في قيادتها، ما جعل (الرابطة الاسلامية) على المحك.

٣ـ لم تحقق دعوة الجهاد نجاحا في الاوساط العشائرية بسب الكره الذي تضمره هذه العشائر للسلطة العثمانية جراء ويلات تطبيق التجنيد الاجباري والتنكيل بالكثير من رجالات عشائرها فضلا عن سياسة المفاضلة بين عشيرة وأخرى.

٤ـ تبلور دور لفئة من المثقفين المتمثلة بعلماء الدين، ولاسيما المواقف المبدئية التي ابداها بعضهم في الافتاء بالجهاد، بل الخروج الى الجهاد محاربا وهذا ماكان مع السيد الحبوبي، الذي توفاه الاجل في طريق عودته من معركة (الشعيبة) وقد قيلت قصائد الرثاء في وفاته فضلا عن تسجيل حركة الجهاد ومن هؤلاء الشعراء الذين أرخوا هذه الحركة محمد القزويني، ومحمد رضا الشبيبي، وعلي الشرقي، وجواد الشبيبي.

ثانياً: الادارة البريطانية للعراق: كانت ادارة العراق بعد احتلاله ادارة عسكرية، فقد اختفى الكثير من العراقيين (السنة)، وجماعة كبار الموظفين الذين يعملون ضمن كوادر الادارة العثمانية. لقد سعت الادارة البريطانية الى ادارة العراق من خلال:

[١٩١] رشيد الخيون: مصدر سابق، ص ١٩٨ .

[١٩٢] سر ارنلد ويلسون: بلاد مابين النهرين بين ولاءين، ج١، ترجمة: فؤاد جميل، دار الجمهورية، بغداد، ط١، ١٩٦٩، ص ٨٠ .

اعادة تأسيس الدوائر التي أوجدتها السلطة العثمانية، وقد أعيد تأسيس الدوائر التي أوجدتها السلطة العثمانية، تحت إشراف البريطانيين منها (المالية ـ الاوقاف ـ التربية)، وقد انشئت دوائر جديدة لم تكن موجودة في العهد العثماني وهي (الري ـ الزراعة ـ سكك الحديد ـ المساحة ـ الاشغال ـ التلغراف).[١٩٣] وتبقي أهم الممارسات الادارية في مجال القضاء فقد سعت السلطات البريطانية الى استبدال القوانين العثمانية بقوانين جديدة في المجالات المدنية والتجارية والعقابية وفي هذا المجال يذكر الاستاذ عبد الرحمن البزاز أن "تأثير الانكليز الاساسي في القضاء العراقي، بالدرجة الاولى من التأثير الشخصي الذي تركه بعض فضلاء قضاة الانكليز، الذين مارسوا القضاء في العراق، وأظهروا من الاستقامة الشخصية، والاستقلال الذاتي ماكان خليقا بسمعة القضاء الانكليزي في العالم ".[١٩٤] لقد تعاملت سلطة الاحتلال البريطاني في ادارتها للعراق بموجب اتفاقيتي (لاهاي ١٨٩٩ ، ١٩٠٧)،فقد كانت بريطانيا من الدول الموقعة عليهما، وعلى وفق هاتين الاتفاقيتين فان على الدولة التي تحتل بلدا ما أن تتخذ جميع ما بوسعها من التدابير لاعادة الامن وتأمين حالة السلم، واحترام القوانين المعمول بها في ذلك البلد. وعلى الرغم من ذلك تعد حاجات سكان العراق شيئاً ثانويا لحاجات القوات المحتلة، فكان بيع الاطعمة في الاسواق يرخص، ولكن بعد أن تكون حاجات السلطات العسكرية قد سدت منها[١٩٥] ويجد بعض مؤرخي العراق الحديث أن للادارة البريطانية الفضل في تحسين طرق الجباية،والقضاء على سوء الاستغلال والرشوة فيه، فضلا عن تعميرها المدن التي أصابتها الحرب،وفتح الطرق،كما أنّها مدَّت سكك الحديد للاغراض العسكرية، ولكن شكلت وسيلة نقل سهلة استفاد الاهلون منها. كما شجعت سلطة الإحتلال المزارعين على انتاج الحبوب والمنتجات الزراعية الاخرى،

---

[١٩٣] المس بيل: فصول من تاريخ العراق ......، مصدر سابق، ص ٢٧ ومابعدها .

[١٩٤] عبد الرحمن البزاز: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، مطبعة العاني، بغداد، ط ٣، ١٩٦٧، ص٨٥ .

[١٩٥] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ٤٥ ـ ٤٧ .

فشهد العراق انتعاش الحياة الاقتصادية النسبي، بسب كثرة النقد المتداول،أما في مجال الصحة فقد قامت بالحملات الوقائية والعلاجية، والعمل على مكافحة الامراض والاوبئة.[١٩٦] ولابد هنا من التوقف عند نشاطات الادارة البريطانية في مجال المعارف في البصرة، وقد تمثلت هذه النشاطات في الاستمرار على مساعدة الكتاتيب على الاستمرار في عملهم وتوفير رواتب للقائمين على التدريس فيها، واعتماد اللغة العربية لغة التعليم في المدارس كلها على أن تكون اللغة الانكليزية هي اللغة الاجنبية فيها، وتخصيص منح مالية للمدارس الاجنبية، وانتقاء مناهج التعليم بعناية،واعتماد المناهج المصرية في التعليم الابتدائي، وابتياع أثاث الصفوف المدرسية من خارج البلاد، وفتح مدرستين في البصرة وابي الخصيب في (تشرين الثاني / ١٩١٥)، وفتح مدرسة ابتدائية أخرى في الزبير، وفي خلال (١٩١٧ ـ ١٩١٨) فتحت مدارس ابتدائية في الناصرية وسوق الشيوخ وقلعة صالح وعلي الغربي وفتح مدارس أخرى في العشار والمدينة في البصرة وفتح مدرسة ثانوية في أبي الخصيب. أما في بغداد فتم فتح دار للمعلمين لتدريب المعلمين فيها وفتح خمس مدارس ابتدائية ومدرستين في ضواحي بغداد وتقديم المنح المالية لمدارس المذاهب والاديان المختلفة في بغداد الشيعية واليهودية والمسيحية.وتأثيث المدارس المفتوحة ومناشدة الحكومة المصرية بطلب المساعدة في تقديم الكتب المنهجية وقد منحت الحكومة المصرية عددا من الكتب المنهجية تكفي لتجهيز عشرين مدرسة.[١٩٧].

وفي ضوء المتغيرات التي رافقت عملية الادارة البريطانية للعراق، فهل يمكن الاتفاق مع رأي د. يوسف عز الدين الذي وجد في هذه المظاهر البسيطة التي تحققت مع الادارة البريطانية للعراق على أن البريطانيين أيقظوا بمظاهرهم المادية "الفكر العراقي برؤيته مستوى عالياً من الحياة لم يره عند جنود الدولة العثمانية كالنظافة والاناقة وكفاية في المال. وكانت مجالاً واسعاً للمقارنة بين الجيشين وتمنى المثقفون أن ترتفع حالة

[١٩٦] عبد الرحمن البزاز: العراق من الاحتلال ......، مصدر سابق، ص ٨٥ ـ ٨٨ .

[١٩٧] المس بيل: فصول من تاريخ العراق.......، مصدر سابق، ص ٣٣ ـ ٤٥ .

الشعب المادية."[198] فمظاهر الحالة المادية تبقى ضرورية، لايمكن التغافل عنها فهي من المقايسس التي يسهل قياسها، كما أن المقارنة تخلق الشعور بالغبن إزاء مايتمتع به الغير من وسائل ضرورية للحياة. فعلى الرغم من أن الخدمات والمتغيرات التي رافقت الادارة البريطانية للعراق، بسيطة ألا أنها تمثل واقعا ملموسا حصل من خلاله الفرد العراقي العامي على نوع من الخدمة العامة لم يألفها مع الدولة العثمانية.

ثالثا: الاستفتاء: عاش العراق بعد الحرب العالمية الاولى واحتلال بريطانيا له وسط تناقضات متعددة، جاءت مع وعود بريطانيا بالاستقلال من خلال المراسلات بين هنري مكماهون والشريف حسين بين عامي (١٩١٥ ـ ١٩١٦)،أثناء الثورة العربية سنة (١٩١٦) وإتفاقية سايكس ـ بيكو السرية من جهة أخرى بين بريطانيا وفرنسا وروسيا سنة (١٩١٦) وهي تقسيم الممتلكات العثمانية العربية بين هذه الدول، وتصريح (بلفور) سنة (١٩١٧) الذي يقيم دولة اسرائيلية في فلسطين، وبيان الجنرال (مود) وهو يخاطب أهل بغداد (أن جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين واعداء بل بمنزلة محررين).[199] والتصريح الانكليزي ـ الفرنسي في (٧ تشرين الثاني ١٩١٨) الذي تضمن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق "هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالا طوالا تحت مظالم الترك تحريرا تاما نهائيا، واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطاتها من إختيار الاهالي الوطنيين لها اختيارا حرا ".[200]، واخيرا بنود الرئيس الاميركي (ولسن) في (٨ كانون الثاني / ١٩١٨) ومنها البند الثاني عشر في أن "الاقوام غير التركية في الامبراطورية العثمانية، والتي تخضع الان للحكم التركي يجب أن تضمن لها حياة آمنة لا تشوبها شائبة".[201] لقد انتهت الحرب وليس للحكومة البريطانية سياسة معلنة واضحة ازاء العراق، فهناك مدرستان في السياسة البريطانية تحاولان تطبيق ارائهما في

[198] د.يوسف عز الدين: الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٢٤٤.

[199] حسين جميل: العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ ـ ١٩٣٠، دار اللام، لندن، ١٩٨٦، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

[200] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ١٠٢.

[201] حسين جميل: العراق شهادة سياسية ....، مصدر سابق، ص ٣٩ .

العراق وهي: المدرسة الهندية التي تضمن حكم العراق حكما مباشرا من قبل السلطات البريطانية،وكانت هذه المدرسة تتنافى مع بيان (مود)، والتصريح (الانكليزي ـ الفرنسي)، ومضمون مراسلات (حسين ـ مكماهون) وبنود الرئيس الأميركي (ولسن). أما المدرسة الثانية فهي مدرسة القاهرة التي تتمثل بحكم العراق بطريق غير مباشر وذلك بتأسيس نوع من الحكم الوطني يكفل ضمان المصالح البريطانية الرئيسية في العراق.[٢٠٢] لم يكن تغير الحاكم العسكري في العراق وهو السير (برسي كوكس) بالسير (ارنولد ولسن) في صالح الغاية البريطانية المتضمنة حكم العراق عن طريق حلفاء لها يخدمون مصالحها باقل التكاليف اذ أن (ولسن) كان من أتباع المدرسة الهندية في حكم العراق وفي هذا الصدد يجد لونكريك "فقد فضل ولسن غير المتعاطف مع الحركة الوطنية في العراق أن لاتتخلى بريطانيا عن سيطرتها على العراق وكان ميالا في اجراء استفتاء سريع لتكوين دولة عربية بالاسم فقط يتولى السير برسي كوكس منصب الحاكم فيها".[٢٠٣] وعلى خلاف رغبة السير (ولسن) جاءت برقية من حكومته في لندن بضرورة اجراء استفتاء في العراق على وفق الغايات المعلن عنها في التصريح البريطاني ـ الفرنسي بتأسيس حكم وطني يعبر عن رأي سكان العراق. لقد تضمن الاستفتاء نقاطا ثلاثة من خلال أسئلة واضحة هل يفضل سكان العراق تشكيل دولة عربية واحدة من حدود الموصل الى الخليج؟ وهل يترأس هذه الدولة أمير عربي؟ ومن هو الذي يرشحونه؟.[٢٠٤] وعلى الرغم من محاولات السير(ولسن) أن تكون نتيجة الاستفتاء لصالح رؤيته في حكم العراق حكما مباشرا فقد اوعز الى الحكام السياسيين في أنحاء العراق بالتدخل لصالح ما يرتأيه، فضلا عن ايمانه بعدم جدوى الاستفتاء لانتشار الجهل والامية بين أبناء العراق.[٢٠٥] فلم تستطع سلطة الاحتلال الحصول على (المضابط) التي تؤيد

---

[٢٠٢] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ١٠٩ـ ١١٢ .

[٢٠٣] ستيفن لونكريك: العراق في ظل الانتداب ......، مصدر سابق، ص ٣٤ .

[٢٠٤] السيد عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، صيدا ـ بيروت، ط٢، ١٩٧٢، ص ٣٣ ـ ٣٤ .

[٢٠٥] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ١٢٣ .

الحكم البريطاني المباشر للعراق بسهولة، الا في المناطق التي تخضع للنفوذ المالي البريطاني من خلال دعم السلطات البريطانية لشيوخ العشائر في الناصرية والقرنة وبعض مناطق العراق الاخرى، أما المدن الاخرى مثل بغداد والنجف الاشرف وكربلاء فقد واجهت عملية اعداد المضابط المؤيدة لحكم العراق حكما مباشراً صعوبات عديدة على الرغم من ذهاب السير (ولسن) الى النجف وعقده اجتماعا فيها فقد كانت مطالب الحضور بتأييد حكومة وطنية يرأسها ملك عربي مسلم، وأن تكون الموصل جزءاً لايتجزأ من العراق. وفي كربلاء أفتى علماء الدين أن كل شخص يرغب في حكومة غير مسلمة يعد خارجا عن الدين.[٢٠٦] وفي بغداد تألف وفد بناءً على طلب سلطة الاحتلال يضم ممثلي الاديان والمذاهب في بغداد وبعد تأليف الوفد من السنة والشيعة واليهود والمسيحيين، تقدموا بمضبطة من غير الاتفاق مع (الطائفتين المسيحية واليهودية) تتضمن تأسيس دولة عربية ممتدة من شمالي الموصل الى الخليج، يرأسها ملك مسلم (أحد انجال الشريف حسين) يكون مسؤولا أمام مجلس تشريعي يكون مركزه بغداد[٢٠٧]. لقد أفرز الاستفتاء النتائج التالية:ـ

١ـ اصرار المضابط على وحدة الولايات العراقية الثلاثة بغداد والبصرة والموصل ضمن إطار الدولة المستقبلية القادمة وهذا ما اكدته المس بيل أن هناك "اجماعاً عاماً على نقطة واحدة اذ كان الجميع يرون أن ولاية الموصل يجب أن تنضم الى ولايتي البصرة وبغداد ".[٢٠٨]

٢ـ الفشل في الحصول على المضابط المرضية لرغبات السير (ولسن) على الرغم من ممارساته في الحصول على التأييد الكلي في حكم العراق حكما مباشرا فقد جاء في تقريره المبهم الى حكومته في لندن يعبر فيه عن رغبته في الاخذ برأيه بحكم العراق حكما مباشرا "ان الاكثرية في العراق لاترغب في تبديل الحكم القائم، وأن الاقلية ترغب في أمير عربي تحت الهيمنة الانكليزية، وانه يرى رأيا، اذا أخذت الحكومة به

[٢٠٦] السيد عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية ......، مصدر سابق، ص ٣٧ ـ ٤٤ .

[٢٠٧] حسين جميل: العراق شهادة سياسية ....، مصدر سابق، ٤٨ ـ ٤٩ .

[٢٠٨] المس بيل: فصول من تاريخ العراق ....، مصدر سابق، ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

وسمحت بعرضه على الجمهور لما تأخر احد عن تأييده، وهـذا الـرأي هـو أن يكـون للعراق مندوبٌ سام يساعده بعض الوزراء العرب المسندين من قبل الانكليز".[٢٠٩]

٣ـ أن الاستفتاء اظهر نوعا متقدما من المعارضة العراقية على الرغم من أن الاسـتفتاء لم يشمل جميع مناطق العراق، فقد أبعدت منطقة الدليم وبعض مناطق الموصل ولم تجد مدينة كربلاء مجالا للاعراب عن نفسها بصورة جدية. فقد اهمـل رأي الفئـات المثقفة من" علماء الدين (المجتهدين) والعناصر الوطنية المؤلفـة مـن أولئـك الـذين كانوا قد عملوا على استقلال العرب قبل الحرب (العالمية الاولى) ".[٢١٠]

٤ـ يمثل الاستفتاء سابقة في تاريخ العراق الحديث فهذه المـرة الاولى التـي يـسأل فيهـا الفرد عن طبيعة السلطة التي يرغب فيها، وهنا يظهر جليا دور المثقفـين بمختلـف تسمياتهم،فلايمكن أن تتضمن المضابط المطالبة بصيغ متقدمة مـن الحكـم دون أن يقف المثقف خلف هذه المطاليب. ولا ننسى أن الاستفتاء قـد جـرى في مجتمـع تغلـب الامية على افراده.

٥ـ تجاهل المطالب العراقية وتسويفها أديا الى أحـداث ثـورة العـشرين. التـي قـادت الى تأسيس الحكم الوطني، كما أظهرت الادوار المتنوعة للمثقفين العـراقيين التـي نـأتي عليها لاحقا.

وبهذا فقد تعددت العوامل المـؤثرة في الحيـاة الـسياسية والثقافيـة العراقيـة، فقـد أسهمت هذه العوامل في بلورة مواقف مستقبلية للمثقف العراقي تمثلت في:

١ـ شكلت الحركة المشروطية تفتحا فكريا جديدا لم يألفه المجتمع العراقي، فقـد أفـرز نتائج مهمة منها ما هو متعلـق بتكـوين التنظيمـات الحزبيـة، وإصـدار الـصحف والمجلات، وافتتاح المدارس، وغيرها من المظاهر الثقافية الاخرى، وان انحسر تأثيرها في فئات المثقفين.

---

[٢٠٩] السيد عبد الرزاق الحسني: الثورة العراقية الكبرى ....، مصدر سابق، ص٤٥ .

[٢١٠] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق، ص ١٣١ .

٢ـ خلقت الافكار الاصلاحية التي حملها رجال الحركة الاصلاحية رافدا مهما من الروافد الثقافية التي خلقت تيارات إصلاحية متعددة الاتجاهات، وان أسهمت حالة التأخر العامة في المجتمع في تقليل ايجابيات هذه الحركة بشكل واسع وملموس.

٣ـ كان لتأثير الصحف والمجلات العربية الاثر الاكبر في الانفتاح على العالم الخارجي، والتعرف على أفكاره التحررية في الميادين العلمية والسياسية والاجتماعية.

٤ـ ويبقى الاحتلال البريطاني وما أفرزه من نتائج متمثلة بحركة الجهاد التي أثبتت فشلها في مواجهة القوات البريطانية الى الادارة التي عرفت الاهالي بخدمات لم يألفها المجتمع العراقي من قبل متمثلة بالخدمات الادارية والعدلية والصحية، فضلا عن الاستفتاء الذي حمل عملية الاخذ برأي الافراد عن طبيعة السلطة التي يرغبون فيها. وما نتج عن تجاهله وهو إشعال ثورة العشرين.

٥ـ يبقى أن تأثير هذه العوامل يكاد يكون محصورا في الفئات المثقفة، على مختلف تسمياتها. والتي سنتعرف على ماهيتها في صفحات قادمة.

الفصل الثاني

المثقف و السلطة في العهد الملكي

يتضمن هذا الفصل ماهية المثقف والسلطة في العهد الملكي من خلال مناقشتهما في مبحثين، محاولين الربط بين المفاهيم النظرية،والواقع الفعلي لهما.

المبحث الاول

المثقف العراقي في العهد الملكي

نتعرف على ماهية المثقف من خلال المؤشرات الاتية:

المطلب الاول: مفهوم المثقف: من خلال ماتقدم تعرفنا على نشاطات لمسميات كثيرة فهناك دور لعالم دين ودور اخر لاديب و شاعر ومستنير فضلا عن كاتب ومـؤرخ وصحفي، ليس من السهل العثور على لفظة مثقف في التراث الثقافي العراقي عند مطلـع القرن العشرين. أما في الدراسات الحديثة لتاريخ العراق فان اسـتخدام الباحـث للفظـة مثقف هي حالة اسـقاطية الحـاضر عـلى تـراث المـاضي، نعثـر عـلى لفظـة مقاربـة استخدمت للتعبير عن مفهوم المثقف وهي لفظة (الافندي)، يجـد(لونكريـك) أن لفظـة افندية تطلق على طبقة من الموظفين الذين لا يملكـون من حـظ التعلـيم سـوى النـزر القليل الذي لايتعدى القراءة والكتابة ولكنهم يمتلكـون أدب التعامـل الاجتمـاعي، أمـا ملبسهم فهو على الطراز الأوروبي الحديث ولكن ارتداءهم لهذه الملابس يبـدو مـضحكا

فيحاولون عزل أنفسهم عن النـاس، و لايتعـاملون الا في اطـار طبقـتهم الاجتماعيـة، يتكلمون اللغة التركية حتى لوكانوا بين العرب، محاولين احتقـار الاخـرين، فـضلا عـن ابتعادهم عن روح الخدمة العامة.[1] ولايعول(لونكريك) عـلى قيـام هـؤلاء بالاصـلاح في العراق، ولعـل أفنديـة (لونكريـك) أقـرب وصـفا الى بعـض شخـصيات الادب الـروسي عند(غوغول) و(ليرومنتوف) و(دوستوفسكي) تلـك الشخـصيات التـي تلقـت تعليمـا بسيطا وتعرب عن ثقافتها من خـلال اسـتخدامها للمفـردات الفرنـسية، فهـي أقـرب للشخصيات المضحكة و ليست المثقفة. وطبقا لافندي لونكريك فان أفـضل مـن صـور شخصية (الافندي العربي) هو الاديب المـصري (عبـد الـرحمن الـشرقاوي) في روايتـة الارض.* أما لفظة أفندي عند المس (بيل)، فهي أقرب وصفا للفظة بغـدادي،فهو الـذي يعيش في مدينة بغداد وينعم بوسائل الترف و الراحة وموضـع حـسد الفـلاح، وينتمـي بعض الاحيان الى طبقة الموظفين ويكره اشـغال الوظـائف في الاريـاف،ويكثرالكلام عـن الحرية عند ارتياده للمقاهي ولكنها حرية محددة بطبقتهم الخاصة [2].

ان أفندية المس (بيل) لاتختلف كثيرا عن افندية (لونكريك)، فهم فئـة حـصلت عـلى تعليمٍ بسيطٍ يؤهلهم لاشغال وظائف اداريـة، أمـا مـن ناحيـة ثقـافتهم فهـي ثقافـة سطحية ليس لها اساسٌ فكري، اجتماعي أو سياسي. ربما يسأل احـد لمـاذا تبحثـين في لفظة الافندي إذا كانت خصائصهم العامة بعيدة كل البعد عن مفهوم المثقف؟ الجـواب عن ذلك ينبع من استخدام باحثين عراقيين لفظـة الافنـدي محـاولين اسـقاط سـمات المثقفين عليهم فالدكتور (علي الوري) يجد الافندية "الاشخاص الذين كانوا موظفين أو ضباطاً في العهـد التركي فهم في الغالب فقـدوا مناصـبهم في عهـد الاحـتلال البريطـاني وصار الكثـير منهم بلا مورد، واضـطروا الى بيـع مـايملكون، وقـد اصـبحوا مـن رواد

[1] ستيفن هميسلي لونكريك : أربعة قرون ......، مصدر سابق ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

* أنظر عبد الرحمن الشرقاوي : الارض ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

[2] المس بيل : فصول من تاريخ ...... ، مصدر سابق ، ص ٣٩١

المقاهي يبثون الدعايات والاشاعات المناوئة للاحتلال البريطاني ويبشرون الناس بقرب عودة الاتراك الى العراق".[٣] فليس لهؤلاء وظيفة اجتماعية يمارسونها على وجه الاحتراف، ولكن مع بدايات تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ بدأ الدكتور (علي الوردي) يطلق لفظة (افندية) على خريجي المدارس العسكرية أوالكليات المدنية في الدولة العثمانية الذين بدأوا يلعبون دورا سياسيا في تاريخ العراق الحديث فغالبا ماتستخدم لفظة أفندية مقابل لفظة مُلائية (علماء الدين)، ويجد أن " الملائية يريدون تطبيق الشريعة الاسلامية على أمور السياسة بينما الافندية يريدون ابعاد الدين عن السياسة".[٤]

وبهذا أخذت الوظيفة الاجتماعية تضفي على أفندية الدكتور (علي الوردي) سمات المثقفين. ويجد الدكتور (سيار الجميل) أن الافندية "طبقة اجتماعية تجمع فئات عليا في المجتمع المدني نمت وتطورت تدريجيا، وقد اضطلعت بأدوار مهمة في عملية التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية.... فكانت تعمل جاهدة على بث الوعي بين الناس بأساليب متنوعة دينية اصلاحية، ادبية ثقافية، أو سياسية وبيروقراطية و قانونية.... وهي تهدف الى ضرورة تحسين أوضاع المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية".[٥] وعلى الرغم من الغموض الذي يحيط بمفهوم الطبقة الاجتماعية و كيفية نموها الا أن لهذه الفئات ادوارا اجتماعية سياسية واقتصادية وثقافية جعلت طبقة الافندية تقترب من مفهوم المثقف. بينما للدكتور (علي الوردي) وجهة نظر اخرى فيما يتعلق بأدوار المثقفين فهو يقول:

---

[٣] د. علي الوردي : لمحات إجتماعية ....، ج الخامس القسم الاول .، مصدر سابق، ص ٣٨ .

[٤] د.علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج السادس،القسم الاول، مكتبة الصدر، قم،ط ١، ٢٠٠٤، ص ٣١٩ .

[٥] د. سيار الجميل: زعماء وأفندية ...الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب البنية التاريخية للعراق الحديث(الموصل نموذجا)، الاهلية، عمان، ط١، ١٩٩٩، ص ٣٤.

١ـ تنحصر وظيفة إولئك بالعمل على بث الدعاية للسلطان وهم علماء الـدين و الوعـاظ والخطباء والشعراء والمؤلفون والكتاب وذوو القدرة عـلى تنميـق الكـلام مـن الـذين جذبتهم سلطة الاحتلال البريطاني بجانبها فيما بعد.(٦)

٢ ـ يتوسع د.(علي الوردي) في تحديد وظيفـتهم بـشكل اعمـق حـين وضـح أن لفظـة الوعاظ لاتختلف عن لفظة الموجهين فالسلاطين "يستخدمون نـوعين مـن الجـلاوزة جلاوزة السيف و جلاوزة القلم وهم يبذلون من الاموال في رعاية جلاوزة القلـم مثلمـا يبذلون في رعاية جلاوزة السيف".(٧) فان " الوعاظ والطغاة مـن نـوع واحـد، هـؤلاء يظلمون الناس بأعمالهم و أولئك يظلمونهم بأقوالهم".(٨)

من هنا نفهم أن ليس لهؤلاء الموجهين والوعاظ من وظيفة اجتماعية سـوى خدمـة السلطة، فالموجهون والوعاظ يمكن أن نجدهم في تنظيمات حزبية أونشاطات صحفية، فتاريخ العراق حافل بادوار الموجهين والوعاظ.

وفي الحقيقة يجد الباحث صعوبة في تحديد تعريف واحد للمثقف العراقي، لاننا أمـام تسميات كثيرة لعبت ادوارا كثيرة منذ مطلع القرن العـشرين فالتـداخل واضـح ضـمن الوظائف المتعددة،فلا يمكن الاخذ بافكار(ريمون ارون) الذي يبعد المثقف عن الدخول في معترك الحياة السياسية لان المثقف يميل الى طرح موضوعات تجريدية من خلال حلـول غير اقعية متجاهلا الامور الاساسية و مختلقا مشكلات زائفة. لأن مثقفنا العراقي دخل معترك السياسة بل مارس السلطة من خـلال تنظيمـات حزبيـة ونـشاطات صـحفية. فهناك ثلاثة مفاهيم يمكن تطبيقها لدراسة مفهوم المثقف العراقـي التـي مـرت معنـا سابقا ضمن الاطار النظري وهي: ـ

---

(٦) د. علي الوردي : لمحات إجتماعية .... ، ج ٥ القسم الاول ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

(٧) د.علي الوردي : وعاظ السلاطين ، دار كوفان ، لندن ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص٢٧١ .

(٨) المصدر السابق نفسه، ص ٤٨.

١ـ أن المثقفين بوصفهم منظمي الوظيفة الاقتصادية للطبقة التي يرتبطون بها عضويا وحملة وظيفة الهيمنة التي تمارسها الطبقة السائدة في المجتمع، ومنظمي الاكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بواسطة الدولة .

أن هذا الرأي هو الذي طرحه (غرامشي) ضمن مفهومي المثقف العضوي والمثقف التقليدي والذي اشرنا اليه سابقا.

٢ـ المثقف التقني عند(سارتر) الذي ينحصر دوره في عمل تقني معين كعالم الذرة الذي لن يكون مثقفا الا اذا اضاف الى عمله فعلا سياسيا وإجتماعيا يجعله جزءاً من الرأي العام الذي يوجه السلطة السياسية.[٩]

٣ـ مفهوم المثقف الثوري على وفق وجهة نظر(فانون) الذي تغريه ثقافة الغرب في الاطلاع عليها والسعي للعمل على تبنيها نابذا ثقافته المحلية، لكن هذا الاغراء والانصياع للتأثر بالثقافة الغربية لايستمر طويلاً أذ يستيقظ (وجدانه المعذب) من خلال المقارنة بين أفكار الغرب وافعاله، فيعود الى ثقافته المحلية عاملا على انتاج ثقافة وطنية يسعى بها الى تغيير الواقع.[١٠]

على الرغم من وجود الاختلاف في الظروف والبيئة فالمفاهيم الثلاثة تنطبق على مثقفنا العراقي فمن خلال الدراسة والمقاربة،في بحث معيارين لتحديد مفهوم للمثقف وهما:

ـ معيار الانتماءات الطبقية للمثقفين.

ـ المعيار التعليمي.

المطلب الثاني: الانتماءات الطبقية للمثقفين: يعتمد مفهوم الانتماء الطبقي على محددات كثيرة،فمعيار التحديد عند الماركسية يقوم اساسا على حجم الثروة أومقدار الدخل.[١١] أما خارج نطاق الماركسية فقد تنوعت المحددات للانتماء

---

[٩] جان بول سارتر : مصدرسابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

[١٠] فرانز فانون : مصدر سابق، ص ١٧٩ و ١٨٨ و ١٩٩ .

[١١] روجية غارودي : كارل ماركس ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الادب ،بيروت ،١٩٧٠، ص ٢٤٦.

الطبقي،منها النسب، المركز الاجتماعي، الموقع الجغرافي، والتعليم.ان كل محدد للانتماء يبلور موقفاً إزاء القضايا الاجتماعية والسياسية الا ان هذا لايعني انعدام المرونة لاتخاد مواقف تغاير انتماء الفرد كما هي عند (كارل ماركس) و(تولستوي)وهذا ماأطلق عليه بالانسلاخ(الاغتراب)الطبقي[١٢]. فالطبقة تعاريف منها هي "المجموعة التي تتميز عن غيرها باختلاف في المستوى الاجتماعي الذي يتحدد بعوامل شتى منها الدخل، التخصص المهني، المستوى العلمي، الحسب و النسب وما الى ذلك من الفوارق التي توجد في المجتمع[١٣]" فهناك مجموعة من المؤشرات التي يتحدد في ضوئها نظام التراتب الاجتماعي داخل المجتمع والتي لا تخرج عن مقاييس موضوعية قائمة على اساس التربية والثروة ومصدر الدخل ومقدار الدخل والعمل الذي يشغله الفرد فضلاً عن الاطار الجغرافي الذي يقيم فيه و الاصل والعرق. [١٤]

فإن المثقفين "ليسوا بالطبقة في المعنى الذي يؤلف فيه العمال الصناعيون والفلاحون طبقتين اجتماعيتين،فهم ينبعون من جميع زوايا العالم الاجتماعي، ومع ذلك فهم ينمّون مواقف اجتماعية ومصالح مجموعية قوية".[١٥] فانهم يدخلون في علاقات متنوعة مع سائر الطبقات، تتراوح اشكال هذه العلاقات بين التحالف، والعلاقة النخبية فهم وحسب تعبير (سارتر) "ضعاف بالطبيعة لاينتجون وهذا ما يجردهم من كل إمكانية للدفاع عن أنفسهم في المجتمع المدني والمجتمع السياسي".[١٦] وفي الحقيقة

---

[١٢] ابرهيم اليوسف :المثقف والسلطة ..... ثنائية الوئام و التناحر ...عرض كتاب ثقافتنا في مواجهة التحديات للمؤلف عدنان ابو عمشة، جريدة الزمان، العدد ١٣٥٦، ١٣/ ١١/ ٢٠٠٢ .

[١٣] دينكس ميشيل : معجم علم الاجتماع : ترجمة ، د . احسان محمد الحسن، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ ، ص ٣١٠ .

[١٤] رودلفو ستافنهاغن :الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الزراعية ، ترجمة ،ناجي أبو خليل،دار الطليعة،بيروت ، ط ١ ،١٩٧٢ ،ص ١٧ .

[١٥] جوزيف شومبيتر : الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية ، ج١، ترجمة ، خيري حماد ، الدار القومية للطباعة ،القاهرة ،١٩٦٥ ، ص ٢٣٣ .

[١٦] جان بول سارتر : مصدر سابق ، ص ١٢ .

لانريد تحميل تعبير طبقات المجتمع العراقي الكثير، فالاشارة الى وجود تنــوع وظيفــي، واختلاف في الدخل، أي المستوى الاقتصادي، والمركز الاجتماعي،ما ادى الى فرز سلوكيات وأخلاقيات مختلفة ليس بالضرورة أنْ تفرض تمسكا، أو تنظيما، أو صراعا طبقيا بأي صورة سابقة، ثم ان الدولة العثمانية قد ارســت (صــناعة) التنــوع الطبقــي، والتنــوع بالمراكز الاجتماعية، والثقافية التعليمية.فكانت الادارة العثمانية، ونزعتها الاســتبدادية المركزية صــانعة لإنتمــاءات طبقية،وظيفيــة في العــراق عــلى وفــق قناعتهــا الخاصــة ومبرراتها التسلطية، والادارية فحاجتها الى جيش مركزي، وسلك اداري لتسيير شــؤون السلطنة لعبت دورا مهما في خلق طبقتين هما الطبقــة العكــسرية، والطبقــة الاداريــة (الارستقراطية) ومع نمو التجارة الدولية واشتــداد الطلب على الــسلع الزراعيــة الــذي رافق افتتاح قناة السويس ظهرت طبقتــا مــلّاك الاراضي والتجــــار، فأصــبحت الارض سلعة تباع وتشترى، وهكذا سعى الوجهاء، والمتنفذون، وموظفو الحكومة وغيرهم مــن المقتدرين على حيازة الاراضي الزراعية بدافع الكسب.[١٧] وبهذا فهناك أربع فئات طبقيــة هي ملاك الاراضي وتجار الداخل الى جانب العــسكريين والاداريــين الــذين لهــم وظــائف مستديمة يتقاضى شاغلوها راتبا نقديا. وعلى الرغم من تبحر(حنا بطــاطو) في دراســة الطبقات الاجتماعية في المجتمع العراقي الا انه يجد أن سماتها البنيويــة معقــدة بفعــل عوامل متعددة منها: أن الملكية اذا كانت هي الاساس في التراتــب، فهــي عرضــة لجــشع باشوات السلطة وهذا يجعلها هــدفا للمــصادرة، و العــراق يتــألف مــن بقــاع متعــددة ومعزولة تضم (دول ـ مدينة) و(اتحادات قبلية) ذات استقلال ذاتي، ولهذا فان روابــط الطبقة في المدن تغدو روابط محلية فقط باستثناء التجار الذين يــشمل نــشاطهم اطــرا واسعة ويتمتعون بروابط حضرية وقبلية، فضلا عن التعدد الهرمي القائم عــلى اســاس

[١٧] د. ايليا حريق: السراتية والتحول السياسي والاجتماعي في المجتمع العربي الحــديث ، مجلــة المــستقبل العربي ، العدد ٨٠ ، تشرين الاول / ١٩٨٥ ، ص ٥ ـ ٦ .

الثروة والدين والطائفة والمجموعات الاثنية، والمنزلة الاجتماعية التي تشمل باشوات المماليك وكبار ضباط الجيش ومساعديهم والسادة الذين ينحدرون من سلالة النبي.[١٨]

ومن هذه التعددية الهرمية يصل (حنا بطاطو) الى ان "التطابق بين كل هذه الهرميات بمعنى أن من يقف، مثلا في قمة سلم السلطة كان يميل الى أن يقف فيما يتعلق بالثروة أو النواحي الدينية أو الطائفية او من ناحية الانتماء الى المنزلة الاجتماعية". [١٩] فالسلطة وقربها مصدر أساس في كسب الثروة وبالتالي تحقيق المنزلة الاجتماعية،وبهذا فقد تحققت الابعاد الاساسية لنظام التراتب الاجتماعي من خلال "البعد الاقتصادي والوضع او المنزلة الاجتماعية(statue) والسلطة كبعد سياسي".[٢٠] لقد كانت لهذه الفئات الطبقية قدرات ومهارات أقتصادية وادارية وسياسية ميزتها عن غيرها من فئات المجتمع الاخرى، واعطتها مستوى مرتفعا من المعيشة واسلوبا في السلوك الاجتماعي الخاص بها فهم من المشايخ (الملاكين)، ومن الجلبيين (التجار) المرتبطين بطرق النقل القديمة، او من (الارستقراطيين)، وهم الموظفون المرتبطون بالادارة العثمانية، اومن (المجتهدين) و(العلماء) الذين يمثلون المفاهيم الاجتماعية الموروثة، او من العسكريين (الضباط). وعلى وفق تقسيمات (حنا بطاطو) فان ابرز الفئات الطبقية التي امدت العراق برجالاته السياسية والثقافية هم الارستقراطيون (الاداريون) الموظفون المرتبطون بالادارة العثمانية، فقد شغلوا في القرن الذي سبق الاحتلال البريطاني للعراق اعلى المناصب الادارية العليا فضلا عن شغلهم المناصب العليا في الادارة المركزية في استنبول، لقد لعب العامل الإثني دورا كبيرا في تكوين هذه الطبقة، فهم من السلالات الحاكمة فقد كانوا أتراكاً، ولكنهم اقاموا في العراق مدة طويلة فمعظم السلالات العائلية من أصل قوقازي ومملوكي مثل البابابنين والجليليين

[١٨] حنا بطاطو : العراق ..... الطبقات الاجتماعية ..... ج ١، مصدر سابق ، ص ٢٥ ـ ٢٦

[١٩] حنا بطاطو : العراق ..... الطبقات الاجتماعية ..... ج ١، مصدر سابق ، ص ٢٧ ـ ٢٨.

[٢٠] رودلفو ستافنهاغن : مصدر سابق ،ص ١٩ .

والداغستانيين.[٢١] فأعلام (مير بصري) تكاد تكون ترجمة خالصة للطبقة الارستقراطية فهم النواب والاعيان ورجال القانون ورجال الادارة والدبلوماسيون والقضاة والمحامون ورجال الجيش ورؤساء الوزارات والوزراء في العهد الملكي.[٢٢] فلم يكن الاصل غير العربي يمثل نقطة ضعف في الانتماء العائلي،فقراءة سير هذه الشخصيات تظهر بوضوح مدى الاعتزاز بهذه الانساب فعلى سبيل المثال يقول ناجي شوكت في ترجمة حياتهِ " كان والدي يشغل منصب القائم مقامية (الكوت)، فهو شوكت باشا ابن الحاج رفعت بك بن الحاج أحمد آغا (بنيجرجي آغاس بغداد)* أما والدتي فهي فاطمة بنت راغب بك أكبرأنجال سليمان فائق بك بن الحاج طالب كيهة الوالي (داود باشا)"[٢٣] .

ولاتختلف سير الشخصيات الاخرى التي تنتسب الى هذه الطبقة من التمجد في ذكر هذه الاصول، فقد لعب أبناء هذه الطبقة دورين في تاريخ العراق الحديث.

يتمثل الدور الاول بمشاركة قيادة الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني، فجمعية (حراس الاستقلال) ضمت ناجي شوكت و محمد رامز وجلال بابان ومحيي الدين أفندي.[٢٤] وكان موقفهم(الوطني) يتأرجح بين عدم التنازل عن القيادة في المجتمع و الحفاظ على المصالح الطبقية،وقد اتضح دور هذه الطبقة بشكل جلي عند قيام الدولة العراقية سنة ١٩٢١ فقد تم استيعاب أبنائها في وظائف الدولة الجديدة لقد كانت سياسة الدولة العثمانية السنية المذهب الاساس في تقريب أبناء هذه الطبقة في

---

[٢١] حنا بطاطو :العراق ...... الطبقات الاجتماعية .....ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩ .

[٢٢] ميري بصري : أعلام السياسة في العراق الحديث ،ج ٢ ، دار الحكمة ، لندن ،ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٥١ ـ ٦٥٨ .

* رئيس شرطة بغداد.

[٢٣] ناجي شوكت : سيرة وذكريات ثمانين عاماً ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤، مطبعة سليمان الاعظمي ، بغداد ، ١٩٧٤، ص ١١.

[٢٤] حنا بطاطو : العراق ..... الطبقات الاجتماعية ... ج١، مصدر سابق ، ص ٢٥٣ ـ٢٥٥ .

الوظائف العليا للدولة وهذه السياسة نفسها التي اتبعتها سـلطة الاحـتلال البريطـاني بناءً على:

١ـ إن ابناء هذه الطبقة هي العنصر المهيمن اداريا على شوؤن العراق وسيكون معارضا للسياسة البريطانية ما يعوق بقاءها وهذا ماأكدهُ ويلسون بعـد احـتلالهم للعـراق قائلاً: "من الان فصاعداً، أصبح علينا الاعتناء بالعنصر السني انه الغالـب المهـيمن أيام العثمانيين على بلاد مابين النهرين وهو الغالب المسيطر اليـوم، أيـضا وان كـان يؤلف الاقلية".[٢٥] فان العنصر السني الذي تعاملت معه سلطة الاحتلال هو الوريـث للسلطة العثمانية من أبنائها أنفسهم.

٢ـ عـدم التعـاون مـع الـشيعة لمـواقفهم في ثـورة العـشرين فـضلا عـن عـدم تـوفر الاختصاصات الادارية، وممارستها المتوفرة في ورثة الدولة العثمانيـة مـن الطبقـة الارستقراطية، كما أن ايمان سلطة الاحتلال أن الشيعة "سيكونون شوكة في جنـب اية حكومة يمكن أن تحكم البلاد "[٢٦]

يشكك حنا بطاطو في القدرات والكفاءات التي يمتلكها أبناء هذه الطبقة على الـرغم من أن " ٧,٦٢ % من التعيينات الوزارية ذهبت الى خمـس اسر فقـد حـصل البابـانيون على(٢٩) تعييناً والدفتريون على (١٣) والعمريون على (١١) وال شوكت والسليمانيون على(٦) ".[٢٧] فلـم يتميز احد منهم بكفـاءة اوقـدرة سياسـية، فالانقيـاد للغـير وقلـة الحدس السياسي والطمع بالثروة اهم ماتميز به أبناء هذه الطبقـة.[٢٨] ويبقـى سـؤال لماذا ندرجهم ضمن المثقفين اذ هم شغلوا وظائف اداريـة ودبلوماسـية ورجـال قـانون وقضاة فضلا عن تبوئهم مقاعد نيابية وكانوا اعيانـا ايـضاً؟ فهنـاك اصرار مـن قبـل الباحثين في موضوعات المثقف العراقي في عـد هـؤلاء مثقفين،فالـدكتور (عـامر حـسن

(٢٥) سر أرنلد ويلسون : بلاد مابين النهرين بين ولاءين ، ج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٣ ـ٢٤ .

(٢٦) المس بيل: العراق في رسائل المس بيل، ترجمة، جعفر الخياط ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢١.

(٢٧) حنا بطاطو : العراق .... الطبقات الاجتماعية ....، مصدر سابق ، ص ٢٥٥ .

(٢٨) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٦ .

فياض) يأخذ برأي(جميل الاورفلي)* فان هذه الفئات مع الفئات العسكرية يمثلون المثقفين المعتدلين أو(الخميرة الطيبة)، التي ساعدت الملك فيصل على تأسيس الدولة العراقية.[٢٩] وفي الحقيقة فان انسجام المصالح بين الملك فيصل في تأسيس مشروعه الوطني في بناء دولة مركزية تكون السبيل لفرض الامن والاستقرار وبذلك تستطيع هذه الفئات في ظلها تطمين مصالحهم، فمصالحهم هي الاساس في التعاون اوالصراع مع سلطة الملك فيصل فهم اذن (خميرة ادارية) للدولة الناشئة.

أما د.(سيار الجميل) فهو يميل كثيرا الى عد أبناء هذه الطبقة ضمن المثقفين وان كان معيار التقويم في ذلك هو التعليم والحصول على شهادات من مرجعية استنبول العسكرية والمدنية، [٣٠] فهو يظهر فَرَحَه ِ في تعداد أبناء هذه الطبقة دون التطرق الى اعمالهم او ذكر اسباب عدهم ضمن الفئات المثقفة، ربما ليقول للحاضر ان من حكم العراق في العهد الملكي هم أصحاب الشهادات العليا. اما عن تعلق الأمر بنا حول عدَّهم من الفئات المثقفة فيرجع للاسباب الآتية:ـ

١ـ ان المواقع الادارية والسياسية والدبلوماسية والقضائية والنيابية جعلت من أبناء هذه الطبقة مثقفين، فهو مثقف يتأرجح بين مفهومي المثقف التقليدي الذي يمارس ويواصل فعل الاشياء نفسها ضمن وظيفة سياسية او قضائية او ادارية والمثقف العضوي الذي يسعى ويدافع عن امتيازات ومصالح طبقته فقط.

٢ ـ لقد اصبح جزءاً من الرأي العام، فهو تارة يأسس حزبا وأخرى يصدر صحيفة، ويعارض معاهدة ويخطب في تجمع اويناصر قرارا ويتخلى عن منصب. فهو حديث الرأي العام، فخرج عن نطاق ممارسة العمل الوظيفي التقني لوظيفتهِ.

---

* جميل الاورفلي : لمحات من ذكريات وزير عراقي سابق ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧١ .

[٢٩] د. عامر حسن فياض : جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ،١٩١٤ ـ ١٩٣٩ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص١٤٣.

[٣٠] د. سيار الجميل : انتلجيسيا العراق التكوين والاستنارة القومية ، مجلة افاق عربية ، العدد ٣٥ ، ١٩٩١، ص ٤١ .

٣ ـ لقد تمكن من خلال الوظائف التي احتلها مـن رئاسـة الـوزراء..... الى متـصرف أن يقف على امور ذات قيمة في تاريخ العـراق الحـديث، لـذا تكمـن قيمـة معلوماتـه ِ في قربه ِ من السلطة او من خلال ممارسته ِ لها. فقد كان مصدرا مهما فيما يكتبه عـن تاريخ العراق الحديث، فلا يمكن التغاضي عن قيمة الـسير الذاتيـة لهـم فـضلاً عـن مؤلفاتهم الاخرى فهذا طالب مشتاق الذي كتب (اوراق أيامي ١٩٠٠ ـ١٩٥٨)، وناجي شوكت الذي كتب (سيرة وذكريات ثمانين عاما ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤)، وغيرهم الكثير فهذه السير الذاتية تفتقر الى مسائل البحـث عـن العدالـة الاجتماعيـة او قـضايا المجتمـع الاخرى الذي يعاني مشاكل متعددة اقتصادية او اجتماعية فغالبا مـا كانـت تعكـس حالات الصراع على السلطة وكيفية تبوأ المناصب.

اما الطبقة الاخرى التي امدت العـراق بمثقفيـه ِ فهـي طبقـة التجـار (الجلبيـون) ولفظة (الجلبي) لفظة تركية يرجع استعمالها الى العهد العثماني المتـأخر، تطلـق عـلى الاشراف وافاضل الناس والكتاب والعلماء.فهو لقب تبجيل وشرف يطلـق عـلى التجـار الذين لم يكونوا اغنياء بل هم أصحاب منزلة اجتماعية عاليـة.[٣١] وقـد امتـازت طبقـة التجار بالمميزات الاتية[٣٢]: ـ

١ـ الانقسام القائم على اساس الانتماء الديني بين المسلمين وغـير المـسلمين، والطـائفي بين الشيعة والسنة فلم يستطيعوا تطـوير القـوى المنتجـة المرتبطـة بهـم الزراعيـة والصناعات الحرفية المحلية الاخرى.

٢ـ استطاعت فئات من التجار أنْ تضمن مصالحها مع السلطات المختلفة،بينما انـزوت فئات اخرى فلم تستطع تمشية امورها الاقتصادية.

٣ـ على الرغم من تمتع التجار اليهود بالنفوذ المالي الاانهم كانوا بعيـدين عـن الممارسـة السياسية او التقرب لها حفاظا على مـصالحهم الاقتـصادية فلـيس الامـر متعلقـا

---

[٣١] دائرة المعارف الاسلامية : ترجمة ، احمد الشنتناوي واخرون ، المجلد السابع ، طهران ، د. ت ، ص ٧١ .
[٣٢] حنا بطاطو : العراق ...... ، الطبقات الاجتماعية ......، مصدر سابق ، ص ٣١٩ ـ ٣٣٠ .

بالوعي السياسي، بقدر ماهو متعلق في العمل في الخفاء مع رجال السياسة مـن اجـل تطمين مصالحهم الاقتصادية.

٤ـ يعول (حنا بطاطو) كثـيرا عـلى ان اسـاس المعارضـة الـسياسية لـسلطة الاحـتلال البريطاني،والسلطة الملكية فيما بعد للفئات المتضررة اقتصاديا من تحولات الاقتصاد العراقي في ميدان التجارة. من أبناء هذه الطبقة امثال (جعفـر ابـو الـتمن، وحـسين الرحال، ومحمد مهدي كبة، وصلاح الدين الصباغ، ومحمد حديد).

وفي الحقيقة لايمكن الاخذ بهذا الرأي للاسباب الاتية: ـ

١ـ لم يرد ذكر أسماء الاسر التي تنتمي اليها هذه الاسماء في جدولهِ الذي حدد فيه الاسر التجارية الثرية في العراق، فهي تنتمي الى اسر ثرية ولكنها ليست ثرية جدا.

٢ـ الاطلاع على السير الذاتية لهذه الاسماء يظهر بوضوح مدى توقهم للمعرفة بمختلـف اشكالها التقليدية او المدارس الحديثة او السفر خارج العراق للتعلم او الاطـلاع عـلى العلوم المختلفة.

٣ ـ اسهمت الحالة الاقتصادية لاسر هذه الاسماء في التمتع بنوع من الوفرة التي تساعد ابناءها على تحصيل العلم وهذا ما نجده في سيرة (محمد حديد) فهـو ينتمـي لعائلـة تجارية ثرية في الموصل وبعد ان " انهى محمد دراسته الابتدائية في الموصل عـام ١٩٢٤ أرسله والده الى بيروت للدراسة في المدرسة الاعدادية الملحقة بالجامعة الأميركية هناك، قضى في بيروت ثلاث سنوات وعاد الى الموصل، حيث قضى سنة واحدة غـادر بعـدها الى انكلترا للدراسـة في مدرسـة لنـدن للاقتـصاد.وقـد درس فيهـا عـلى يـد البروفـسور (هارولدلاسكي) دروسا في الاقتصاد والـسياسة".[٣٣] فالوضـع الاقتـصادي والمنزلـة الاجتماعية وفرت عوامل اساسية في الحصول على التعليم بمختلف اشكالهِ، ومـن ثـم الدخول في الحياة العامة وسـوف يظهـر ذلـك عنـد الحـديث عـن المعيـار التعليمـي

[٣٣] مظفر عبد الله الامين : جماعة الأهالي ... منشؤها ، عقيـدتها ودورهـا في الـسياسة العراقيـة ١٩٣٢ ـ ١٩٤٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١، ص ٣٦٦.

للمثقفين.وفي ترجمة حياة (حسين الرحال) وكما يذكر (حنا بطاطو): "كان ابوه اتي من الرحالية في محافظة الانبار وكان ينتمي في القرن التاسع عشر الى طبقة الجلبيين الذين كانوا يتبؤون مراكز اجتماعية رفيعة. وفي ذلك القرن كـان ال الرحـال يملكـون أسطولا كبيرا من السفن الشراعية يتاجرون بواسطته عبر أنهار العـراق وصـولا الى الخليج والهند ولكنهم فقدوا ثروتهم في وقت لاحـق، ويعـود الـسبب في بعـضه الى ان الكثير من سفنهم،التي كانت تبحر في اسطول دمرت خلال عاصفة بحرية، وفي بعضه الاخر الى حضور السفن التجارية البريطانية الى المياه العراقيـة".[٣٤] فهنـاك محطـات متميزة جدا في حياة(حسين الرحال) لتجعل منه ابا للماركسية في العراق فليس غرق اسطول سفن اجداده جعل منه سياسيا ناقما على الوضع ومعارضا، بل مـدافعا عـن دعوات تقدمية في المجتمع.

ولا يختلف (جعفر أبو التمن) الذي ينتمي الى طبقة التجار في سيرة حياته في الـسعي للحصول على العلم على ايدي مدرسين خصوصيين شأنه شأن اقرانه من أبناء البيوتـات الشيعية الذين يتحرجون من ادخال أبنائهم في المدارس العثمانية، فقد عمـل جـده عـلى توفير وسائل تعليمه، كما اسهمت المجالس الادبية التي كانت تعقد في بيـت جـدهِ التـي يحضرها عدد من الشعراء والادباء من مختلف مدن العراق في صـقل شخـصيتهِ، فكـان لحـضورهِ مطـارداتهم الـشعرية ومجـادلاتهم النحويـة دور في بلـورة شخـصيته.[٣٥] ولايختلف (محمد مهدي كبة) في سرد سيرتهِ ان اسرته فضلاً عن امتهانها مهنة التجارة كانوا مهتمين بتحصيل العلوم.[٣٦]

---

[٣٤] حنا بطاطو : العراق .... الشيوعيون ....، ج٢ ، ترجمة ، عنيف الرزاز، منـشورات فرصـاد، قـم ، ط١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٤٠

[٣٥] عبد الرزاق عبد الدراجي : جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨ـــ ١٩٤٥ ، وزارة الاعلام، بغداد ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٢٩ .

[٣٦] محمد مهدي كبة : مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨ ـ ١٩٥٨ ، دارالطليعة، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٥ ، ص ، ٩ ـ ١٠ .

وبهذا امدت الطبقة الارستقراطية (الادارية)، وطبقة التجار المجتمع بأهم الاسماء الثقافية العراقية. وعلى الرغم من التجاذبات الكثيرة بين الكتاب العراقيين حول الطبقة الوسطى، ووسمها بـ (الهشاشه) * أو أنها (رثة) ويتفقون على انها مصدر النخبة الحاكمة والمعارضة في العراق الملكي ويذهبون في ذلك مذهب (حنا بطاطو).

ولعل افضل من ناقش هذه الطبقات هو د.(ايليا حريق) عندما دمج هذه الطبقات العسكرية والادارية وملاك الاراضي والتجار في طبقة واحدة واطلق عليها طبقة الذوات "يشكل الذوات الطبقة العليا في المجتمع العربي وتترابط علاقاتهم ومصالحهم الى درجة ملحوظة ".[٣٧] اما مايطلق عليهم تسمية (الطبقة الوسطى) فهم أهل الكفاية "الفلاحين المكتفين رزقاً والعمال الصناعيين والحرفيين وتجار التجزئة والموظفين المتوسطين والضباط الصغار في الرتبة والمهنيين كأساتذة المدارس والمحامين وغيرهم ويختلف هؤلاء من حيث أماكن السكن والثقافة. ويتراوح دخلهم بين الكفاية المحددة و اليسر المحدد". [٣٨] اما الطبقة الثالثة فهم أهل الكفاف "ممن يعتاشون من عمل ايديهم لسد رمقهم،ونسبة كبيرة منهم لاتجد مايكفيهم غذاءً أوخدمات معيشية واجتماعية".[٣٩]

فطبقة اهل الكفاية أو كما يحلو لبعضهم تسميتها (البرجوازية الصغيرة) هي مصدر مهم للعديد من المثقفين العراقيين الذين تزامن ظهورهم مع متغيرات اتساع التعليم وهذا ما سنحاول بحثه عند الحديث عن المعيار التعليمي. فاذا كان الثراء والمنزلة الاجتماعية هو ماتميزت به طبقة الذوات أو الأكابر، فان طبقة اهل الكفاية

---

* انظر : د. عامر حسن فياض : هشاشة الطبقة الوسطى وشقاء الديمقراطية في العراق ، مجلة المواطنة والتعايش ، العدد ١، كانون الثاني / ٢٠٠٧ .

[٣٧] د . ايليا حريق : مصدر سابق ، ص ٦ .

[٣٨] المصدر السابق نفسه، ص ١١ .

[٣٩] المصدر نفسه، ص ٩ .

فضلا عن افتقارها للثراء (الفاحش)،لم تتمتع بمنزلة اجتماعية كبيرة،مقارنة بطبقــة الذوات.

المطلب الثالث: المعيارالتعليمي: تلعب الثقافة والتربية والتعليم دورا مهمــا في تحديد مستوى الوعي والتفكير عند الفرد أو الجماعة، فضلا عن تحديدها طبيعة الحياة الاجتماعية التي يحياها الفرد وسلوكها وعلاقاتها اليومية فالاختلاف في الثقافات يولــد ميولا واتجاهــات واذواقــا مختلفــة ازاء تفاعــل اذواقهــا الجماليــة المتعلقــة بــالمحيط اوالمجتمع.[٤٠] فالتعليم يضفي مكانة اجتماعية على صاحبه وهي قيمة مستقلة بغـض النظر عن محتواه فالفرد المتعلم ذو وضع ودور خاصــين في المجتمــع.[٤١] لقــد تنوعــت مصادر التعليم في المجتمع العراقي وبالتالي ولدت لنا فئات متعددة من المثقفين. ويمكــن تقسيم هذه الدراسات على :ــ

اولا: ـ الدراسات التقليدية: وهي امتداد للتيار الفكري العربــي القــديم وثقافتهــا عربية يتدارســها الدارســون في المــساجد والمــدارس الملحقــة بالمــساجد، وتميــزت بالاهتمام بالموروث الحــضاري والفكــري والمحافظــة عــلى اشــكالهما التقليديــة والتركيز على العلوم الدينية واللغوية. لقد كان مؤلــف (جعفــر الخلــيلي) باجزائــه الاربعة (هكذا عرفتهم)، مصدرا لمعرفة التفاصيل الدقيقة للمثقفين العــراقيين وان تضمن بعض الاسماء العربية واقتصر معظمها على مــن عــرفهم مــن اهــل العلــم الشيعة. فالدراسة في النجف عبارة عــن حلقــات في الــصحن الحيــدري الــشريف في الحجر المحيطة بالصحن أو في المساجد، يتولى الاساتذة التدريس مجانا، والتــدريس يبتدىء بــدراسة الادب العربي وفروعه من النحــو والــصرف والعــروض الى تــاريخ الادب العربي ثم علم المنطق و علم الكلام وهو الفلسفة والفقه والاصول وتتــشعب

---

[٤٠] د. احسان محمد الحسن : موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، بــيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩، ص ٣٧١ .

[٤١] هشام شرابي : مقدمات لدراسة .... ، مصدر سابق، ص ٦١

من هذه الدروس فروع واسعة لانهاية لها فالمتعلم وان بلغ مرحلة الاجتهاد وهي اخر مرحلة يصل طلاب العلم اليها فهو يبقى يقرأ ويبحث ولو بعد الثمانين او التسعين من العمر.[٤٢] ولاتقتصر وسيلة التعلم على هذا المورد فقط فهناك التحصيل الفردي للعلم بقراءة فحول الشعر العربي مثل البحتري والمتنبي وابي اسحاق الصابي ودعبل الخزاعي والفرزدق والكميت ومئات من كبار الشعراء المتقدمين.[٤٣] ومن مدارس بغداد الملحقة بالمساجد مدرسة الامام أبي حنيفة والمدرسة المرادية ومدرسة جامع الوزير والمدرسة المرجانية ومدرسة جامع الفضل وجامع العدلية الكبير وغيرها من المدارس الملحقة بالجوامع التي تتبع الدراسة التقليدية في تدريسها.[٤٤] وتشكل المجالس الادبية وسيلة اخرى لتلقي العلم وغالبا ماتقتصر على طبقة تجمع بين العلم، والادب والسياسة فلقد عرفت بغداد مجالس للشعراء امثال (الرصافي) و(الزهاوي) والاب (انستاس ماري الكرملي) الذي يقام يوم الجمعة في سوق الغزل حيث يتقاطر الأدباء والباحثون الى دير الاباء الكرمليين لزيارة الاب انستاس والاستماع الى مايدور في المجلس من احاديث ومساجلات أدبية ومن رواد مجلسه مصطفى جواد والشيخ كاظم الدجيلي وكوركيس عواد ويوسف يعقوب مسكوني.[٤٥] فهذه المجالس أشبه ماتكون بمدارس فكرية وادبية وسياسية تطرح فيها الاراء وتناقش فيها الاتجاهات الفكرية المختلفة فغالبا مايخصص يوم لكل بيت للاجتماع فيذهب المفكرون وكتاب السياسة الى دار(فهمي المدرس) واصحاب الفكر الاسلامي الى دار(محمود شكري الآلوسي)[٤٦] وعرفت مدن العراق الكبرى ولاسيما النجف الاشرف والموصل

---

[٤٢] جعفرالخليلي : هكذا عرفتهم ، ج ٤ ، دار التعارف ، بغداد ١٩٧٢ ص ٨١ .

[٤٣] جعفرالخليلي : هكذا عرفتهم ، ج ٢ ، دارالتعارف ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ١١٥ .

[٤٤] عبد الرزاق الهلالي : تاريخ التعليم ...... ، مصدر سابق ، ص٧٠ ـ ٧٨ .

[٤٥] د. احمد مطلوب : مصدر سابق ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

[٤٦] يوسف عز الدين: تطور الفكر........، مصدر سابق، ص ٦٥-٦٦

والبصرة هذه المجالس فلم يخلُ بيت من البيوتات العلمية في النجف من عقد هذه المجالس فمجلس الشيخ قاسم محيي الدين يقتصر ارتياده على طبقة محددة منها الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي ومحمد الخليلي والسيد هادي الفياض والسيد محمد جمال الهاشمي وكان مجلس عبد الكريم الجزائري في الطليعة من حيث اتصال الخارج به وزيارة الوجوه له ومن حيث تلقيه الرسائل من مختلف الجهات. *

واسست الروابط الادبية مثل المعهد العلمي ومنتدى التهذيب في بغداد لتكون مكانا لالقاء المحاضرات العامة ولجمع المفكرين على مختلف اختصاصاتهم المعرفية والادباء وارباب العلم، وتخصيص يوم في الاسبوع لمحاضرة تلقى او بحث يناقش. اما في النجف الاشرف فقد أسست الرابطة الادبية،وضمت الكثير من الادباء واهل الفكر وكان عميد الرابطة محمد علي اليعقوبي فضلا عن أسماء اخرى مثل علي الخاقاني، والشيخ صالح الجعفري، والسيد محمد علي البلاغي، ومحمود الحبوبي، وكان السيد "عبد الرضا كاشف الغطاء يعمل على نشر نتاجات أعضاء الرابطة في المجلة النجفية (الغري). لقد كانت اهداف الرابطة بث روح التجديد في عقول الشباب في كل الميادين من خلال القاء المحاضرات الاسبوعية التي تتضمن كلمات ادبية وقصائد شعرية.[٤٧] فكانت هذه الروابط امتدادا للمجالس الادبية التي تعقد في البيوتات. فضلا عن المكتبات التي تقتنيها الاسر العلمية في بغداد امثال ال باشي والالوسي والكيلاني والعمري التي تشكل مصدرا مهماً لثقافاتهم.[٤٨] ولم تخلُ سيرة احد من مثقفي (جعفر الخليلي) من

* انظر تفاصيل هذه المجالس : المصدر جعفر الخليلي : هكذا عرفتهم ، ج ١ ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٣٦٩ ومابعدها.

[٤٧] عبد الهادي الفضلي : دليل النجف الاشرف ، مطبعة النجف ، النجف ، ١٩٦٥، ص ١٠١.

[٤٨] ستبفن همسلي لونكريك : العراق الحديث ١٩٠٠ـ ١٩٥٠ ، ج ١ ، ترجمة ، سليم طه التكريتي ، دار الفكر ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٤٧.

التطرق الى المكتبات الخاصة التي يمتلكونها، والجهود الكبيرة التي يبذلونها في الحصول على اندر المؤلفات والمخطوطات.

وبهذا فان مثقفي الدراسات التقليدية تميزوا بتنوع مصادرهم المعرفية، فلم يكونوا خريجي "مدارس منتظمة ذات صفوف مرتبة، ولا شهادات ذات سمات معينة، ولا امتحانات يتعين بواسطتها درجة الشخص و فضيلته. كل ما هناك حياة عملية يُشخص فيها المرء بجمع مواهبه معكوسا على العيون والقلوب والادمغة، في شعرهِ ونثرهِ وتفكيرهِ واتجاهاتهِ فاذا بها لوحة مكشوفة لاتكاد تعرض عليها الصورة حتى يبين منها مايعجب ومالايعجب ومايمكن ان يرسخ في الذهن أو مالايمكن من الذي يذهب جفاء ".[49] لقد تميز مثقف الدراسات التلقيدية بالسمات الاتية: ـ

١ـ الانتساب الى الاسر العلمية التي يغلب عليها الطابع الديني، فغالبا ما تنتسب الى جدها الاكبر الذي اقام في النجف بهدف العلم،مثل ال كمونة وال الرفيعي واسرة الحكيم وال الجواهري وال كاشف الغطاء وال محبوبة. والاسر العلمية في بغداد مثل اسر جميل والكيلاني والالوسي والحيدري والسنوي. فتحصيل العلم يتميز بالنخبية، فهو يكاد يقتصر على اسماء لهذه الاسر، فالتفاعل العلمي يقتصر على نظائرهم في العلم والادب. وان ضمت بعض اسماء طبقة اهل الكفاية.

٢ـ الانتاج العلمي والتأليف في دراسات اللغة العربية المختلفة والشعر والفقة والتراجم والتاريخ.

٣ـ حركة فكرية اصلاحية لا تخرج عن اطار التنظير، فالصدامات العملية او العنيفة ضئيلة جدا بالقياس الى التنظير الاصلاحي الفكري، التي تحملها المجادلات النقاشية او القصائد الشعرية وسجالاتها.

٤ـ المواقف الوطنية ازاء الاحداث السياسية مثل الجهاد ضد الاحتلال البريطاني وثورة النجف ومواقفهم من ثورة العشرين التي تسجلها كتب التاريخ المتنوعة.

---

[49] جعفر الخليلي : هكذا عرفتهم ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٦.

٥ ـ يمكن تنسيبهم الى طبقة الذوات من ناحيــة المنزلــة الاجتماعيــة امــا مــن الناحيــة الاقتصادية فهناك تفاوت في قدراتهم الاقتصادية.

٦ ـ جذبت بغداد الكثير من الاسماء المتميزة في حقول المعرفة للعمــل الــسياسي والثقــافي من المراكز العلميــة في العــراق. امثــال ال الــشبيبي و عــلي الــشرقي ومحمــد مهــدي الجواهري.

ثانيا: ـ الدراسات العسكرية: لقداهتمت الدولة العثمانية بالدراسات العسكرية أكثر من اهتمامها بالدراسات المدنية فهي " تدرك ان الضابط الجاهــل أشــد ضرراً مــن الموظف الجاهل،انه قد يتسبب بهزيمة جيش أو فقــدان بلــد ينــتج الــضرائب أمــا الموظف الجاهل،فهو قد لا يضر الدولــة كثــيرا مادامــت القــوة العــسكرية لــديها سليمة"[٥٠] وعلى الرغم من تأكيد المــصادر أن الموســورين لا يرســلون ابنــاءهم الى المدارس العسكرية في العراق وان اهتماماتهم تنصب عــلى الدراســات المدنيــة مثــل الطب والحقوق ولكن هناك الكثير من طبقــة الــذوات ذات الاصــول غــير العربيــة ينتمون الى الدراسات العسكرية في مراحلها المتقدمة وتبقى المــدارس العــسكرية في العراق هدفا للفئات الفقيرة بشكل عام والطبقة الوسطى (اهل الكفاية) بــشكل خاص للدراسة فيها بسبب مجانية التعليم،ولكن لعبت السياسة الطائفية للدولــة العثمانية ان يكــون الغلبــة لطــلاب الدراســات العــسكرية مــن أصــول قوقازيــة وشركسية وجورجية ومن سنة بغداد ومناطق سامراء وتكريت والموصل والمناطق الغربية من العراق.[٥١] لقد ولدت عمليــة إنخــراط ابنــاء الطبقــة الوســطى (أهــل الكفاية) والفقيرة في الدراسة العسكرية أن تجعلهــم بعيــدين عــن تعــاطف أبنــاء الاسر الغنية ممن ينتمون الى هذه الدراسات نفسها من طبقة (الــذوات) أصــحاب

---

[٥٠] د. علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٩٠ .

[٥١] د. عقيل الناصري : الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١ ـ ١٩٥٨ ، دارالــشؤون الثقافيــة العامــة ، بغداد ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

المنزلة الاجتماعية الراقية. ومن خلال الاطلاع على سير الفئـات العـسكرية يمكـن تقسيمها الى فئتين هما:

* **الفئـة الاولى:** وهي الفئة التي تنتمي الى طبقة الذوات الارسـتقراطية (الاداريـة) في العهد العثماني وتنحدر هذه الفئـة الى احـدى الاسر التـي تتمتـع بوضـع اقتـصادي واجتماعي متميزٍ. كانت الدراسة تبدأ في المدارس الاعدادية العـسكرية، ثـم يقـصدون استنبول للدراسة في المدارس الحربية و مدرسة الاركان، وقد يحصل الطالب على بعثـة الى احدى الدول الأوروبية المانيا مثلا، ومن ثم يتدرج في مراتب الجيش، وربما يخـدم في استانبول والأناضول والبلقان وكان يترفع الى المناصـب العـسكرية المهنيـة المتعـددة. فيبتعد عن السياسة ليحافظ على (روح الجندية)، ويبتعد اكثـر فـأكثر عـن الواقـع الاجتمـاعي والـسياسي والاقتـصادي العراقـي، فيقـضي معظـم حياتـه ِفي بقـاع الامبراطورية، وغالبا مايُستخدمون للقضاء على التمردات في أنحائها والعـراق منهـا. والتفاعل مع الانقلاب العثماني ١٩٠٨ والحصول على المراتب العسكرية المتميـزة مـن خلال الاشتراك في الحرب العالمية الاولى تحت (راية) الدولة العثمانية، والوقوع في الاسر على ايدي الانكليز، والنفي الى الهند والانضمام الى الجيش العربي في الحجاز والعودة الى العراق بعد سقوط الدولة العربية (الفيصلية) وقيـام الدولـة العراقيـة والاشـتراك في تأسيس الجيش العراقي فضلاً عن انخراط الكثير منهم في مناصـب وزاريـة واداريـة ودخولهم الحياة السياسية. فقد تميز السلوك السياسي لهذه الفئة بالاعتدال مقارنـة بالسلوك السياسي للفئـة الثانيـة، التـي تـرجح في إنـضمامها للتنظيمـات الحزبيـة والممارسات السياسية الاخرى، منهم (هادي العمـري) و(سـامي العمـري) و(رؤوف الجيبةجي) و(امين العمري) و(جمال بابان) و(محمد السنوي) وغيرهم.*

* انظر سيرهم : مير بصري : أعلام السياسة .... ، ج ٢ ، مصدر سابق ، ص٦٥١ ـ٦٥٨.

* **الفئة الثانية:** ـ تتحدد هذه الفئة بانتمائها الطبقي الى طبقة (أهـل الكفايـة) مـن فئات الطبقة الوسطى في المجتمع العراقي،فلم يكن احد منهم ابنا لعائلة غنية، أو ذات مركز اجتماعي مرموق. فكان حلمهـم هـو الانتمـاء الى الدراسـة العـسكرية ولكـن حلمهم لا يتلخص" بملابس الضباط الانيقة وبسيوفهم الذهبية وبتلك الانجم اللامعـة والازرار المذهبة التي تخطف الابصار ".[٥٢] بل وسيلة للحراك الاجتماعي التي تنطـوي على "حركة ذات مغزى في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ".[٥٣] فهي تتـيح للفرد الانتقال من وضع أو من طبقة الى وضع أو طبقة اجتماعية أخرى لقـد تميـزت سمات هذه الفئة بالنقاط الاتية: ـ

١ـ الافتقار في الانتماء الى طبقة الذوات المتمتعة بالوضع الاقتصادي والاجماعي المتميـز. فكان (نوري السعيد) ابنا لكاتب حسابات، و(علي جودت الايوبي) إبناً لرقيـب اول في الشرطة و(جعفر العسكري) اخذ لقبهُ من موطن اسرته (عـسكر) قريـة في كركـوك و(جميل المدفعي) اكتسب لقبه من مهنتهِ فقد كان مدفعيا و(ياسين الهاشمي) لـم يتبن لقب الهاشمي إلا في سنة ١٩٠٢، فهو من اسرة متوسطة الدخل.[٥٤]

٢ ـ لا تختلف السير العلمية والوظيفية عن الفئـة الاولى، المتمثلـة بالإلتحـاق بالمـدارس العسكرية،والاشتراك في الحرب العالمية الاولى، والوقوع في الاسر البريطاني، والانـضمام الى الثورة العربية ١٩١٦ والاشتراك في الحكومة الفيصلية في دمشق والعـودة الى بغـداد بعد سقوط هذه الحكومـة والاشـتراك في الوظـائف العـسكرية والاداريـة بعـد قيـام الدولة[*].

٣ ـ تميزت سيرهم بالإنـضمام الى جمعيـة العهـد الـسرية التـي شـكلت في عـام ١٩١٣ وطالبت بالحكم الذاتي للعرب في اطار الدولة العثمانية والتفاوت في موقفهم في دعـم الاسرة الهاشمية وعرشها في العراق،فالدعم الكامل كان من قبل (جعفـر العـسكري)

---

[٥٢] سليمان فيضي : مصدر سابق ، ص ١٤ .

[٥٣] رودولفو ستا فنهاغن : مصدر سابق ، ص٢٠ .

[٥٤] حنا بطاطو : العراق ..... الطبقات الاجتماعبة ...... ج ١ ، مصدر سابق ، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ ،٣٥٦، ٣٥٧.

[*] انظر سيرهم: أعلام السياسية في العراق الحديث ج١، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٥.

و(نوري السعيد) و(جميل المدفعي) و(علي جودت الأيوبي) ورفض الدعم تمثل في(بكر صدقي)و من جماعته من الضباط الصغار.[٥٥]

٤ـ الطموح المتطرف الذي تميزت به هذه الفئة، تقول (المس بيل)عن أول لقائها بنوري السعيد " اننا نقف وجها لوجه امام قوة قهارة مطواعة ينبغي علينا اما ان نعمل يدا بيد معها أو نشتبك واياها في صراع عنيف يصعب احراز النصر فيه."[٥٦] فالطموح للسلطة والثروة والمنزلة الاجتماعية هو الدافع الحقيقي لهذه الفئة. لقد هدد المندوب السامي بل انذر عند معارضة ياسين الهاشمي لمعاهدة ١٩٢٢ بان امتيازاته في الارض الزراعية " ستلغى اذا لم تصادق المعاهدة ".[٥٧] فلم يكن (الهاشمي) يتمتع بميزة الثراء أو المنزلة الاجتماعية الرفيعة، فقد استولى على قطع الاراضي التابعة للدولة بلا مقابل بعد وصوله الى السلطة بما "يزيد عن ٦٠٠٠٠ دونم من الاراضي الزراعية،....فهو صاحب فكرة منح مجاني لحقوق الاشغال الموروث لأراضي الدولة البكر الى السياسيين المالكين بحيث لايعتمد هؤلاء في معيشتهم على الدولة أو على أي كيان اخر، فيكونون أكثر حرية في أفكارهم وسلوكهم واقل ميلا الى التملق وهز الذيل أمام السلطة الحاكمة كما كان يقول".[٥٨] والحقيقة لا تختلف سير الاخرين عن(ياسين الهاشمي)، لقد كان تطرف هذه الفئة في كل طموحاتها لتسجل أول اغتيالات سياسية، وأول انقلابات عسكرية، وتبوئهم رئاسة الوزارات العراقية امثال(نوري سعيد) و(جميل المدفعي) و(علي جودت الأيوبي) و(جعفر العسكري) و(ياسين الهاشمي).

ويبرز السؤال عن المعيار، أو المضمون الثقافي في عد هذه الفئات العسكرية من الفئات المثقفة؟ ذهب د.(سيار الجميل) الى التأكيد أن ثقافتهم العسكرية (الرصينة)،

---

[٥٥] احمد عزت الاعظمي : تاريخ القضية العربية ، ج٤، بغداد ،١٩٣٢ ، ص ٥٢ ـ ٥٦ .

[٥٦] المس بيل : العراق في ...... ، مصدر سابق ، ص ، ٢٧٣

[٥٧] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ،ص ٣١٥ .

[٥٨] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات الاجتماعية ، ص ٢٢٩ .

كافية لتأهيلهم في ميادين السياسة ويدرج مناقبهم السياسية من خلال ارتباط إسم (جعفر العسكري) بمؤتمر القاهرة، و(ياسين الهاشمي) بأحزاب معارضة، و(نوري السعيد) بالكثير من الادوار السياسية في العراق، و(مولود مخلص) برئاسته لمجلس الاعيان فهي تمتلك "رصيداً عالياً من الثقافة، وكان لها إهتماماتها في مجالات ثقافية متعددة وبرز العديد من المتكلمين والخطباء ".[٥٩] ولكنه لايبين هذا الرصيد العالي من الثقافة عندهم،وماهي مجالاتهم الثقافية؟ ثم لايختلف د. (عامر حسن فياض) في عد هذه الفئات من الفئات المثقفة مصدر النخبة الحاكمة في العهد الملكي و(كما مر معنا سابقا).فهي اذن فئات لاتختلف عن المثقف التقني عند (سارتر) الذي ينحصر دوره في عمل تقني معين، ولكنهم أضافوا الى عملهم فعلا سياسيا جعلهم جزءاً من الرأي العام. فعلى الرغم من دخولهم في الجمعيات السياسية وتأسيسهم التنظيمات والأحزاب السياسية، وكتابتهم لمذكراتهم الشخصية التي تظهر الصراع على السلطة، وتبوأ المناصب الوزارية، فأنهم جزءٌ من التاريخ السياسي في العراق بكل ماقاموا به أو كتبوه وهم جزء من الثقافة السياسية العامة،ولكنهم ليسوا مثقفين. بمعنى انهم أصحاب (الوجدان المعذب)، يقول(سارتر) " هناك الكثير من العلماء واصحاب المعارف الخاصة ولا يمثل أحدهم شخصية المثقف،الا حينما يدرك أحدهم أنه يعمل في العمومية والشمول، ان وعي هذا التناقض الذي اسماه هيجل الوجدان المعذب فهو الذي يحدد صفته كمثقف"[٦٠] فهل أسهمت هذه الفئة من المثقفين من خلال معارفهم وعلومهم في تطور المجتمع؟ ام كان الصراع على السلطة هو الهدف في كل ماقاموا به ؟ لقد سأل (طه حسين) يوما عن مثقف هذه النخب حين قال "هل هو مسؤول حقا أمام هذا الشعب يؤدي اليه حسابا دقيقا عما عمل اثناء الحكم أو اثناء النيابة البرلمانية".[٦١]

---

[٥٩] د.سيار الجميل: النخبة العراقية وتكوين الدولة ١٩٢١ ـ١٩٤١ ،مجلة افاق عربية ، العدد ١١ ، ١٩٩١ ، ص ٤٨ ـ٤٩ .

[٦٠] جان بول سارتر : مصدرسابق ، ص ٢٤ .

[٦١] د. طه حسين : مستقبل الثقافة في مصر ، مطبعة المعارف ، القاهرة، ط٢ ، ١٩٤٤ ، ص ١١٤ .

لااعتقد أن احداً من هؤلاء كان مسؤولا أمام الشعب بقدر ما كانت المصالح الخاصة هي هدف هذه الفئة.

ثالثاً: الدراسات المدنية: ـ تقسم الدراسات المدنية على ثلاثة اقسام وهي: ـ

١ . **دراسة استنبول المدنية:** لا تختلف الفئات الطبقية التي اتيح لابنائها الدراسة المدنية في استنبول عن الفئات العسكرية التي ذكرناها في الصفحات السابقة. لقد اتيح لابناء هذه الطبقات دراسة العلوم المدنية في مدارس استنبول المتعددة.

وشملت هذه الاختصاصات الادارية، والقانونية، والطبية، والهندسية، ومدرسة المعلمين. فأتيح لخريجي هذه الدراسات شغل المناصب الادارية في العهد العثماني، وعند قيام الدولة العراقية،فكان للجهد الفردي في الخروج من الاطار الوظيفي لهذه المهن والدخول في عالم السياسة أو الثقافة، فقد شغل خريجو هذه الدراسات الوظائف الادارية، والنيابية، والقانونية.وتميزت أسماء عديدة منهم مثل (فهمي المدرس)، و(أحمد عزت الأعظمي)، و(عبد العزيز القصاب)، و(علي الجميل)، و(مزاحم الباجچي)، و(سليمان فيضي)، و(ناجي السويدي)، و(ارشد العمري). أما الاسماء الاخرى من خريجي هذه الدراسات فهي لاتخرج عن إطار المصطلح الانكليزي (civil servant) موظف للخدمة المدنية في اطارها العام.

٢ـ **دراسة بغداد المدنية:** تميز مركزان علميان في بغداد برفد العراق بمعظم مثقفيهِ المدنيين من الطبقى الوسطى (أهل الكفاية)، وهما مدرسة الحقوق ودار المعلمين العالية. فقد تأسست مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٨ واغلقت عند إندلاع الحرب العالمية الاولى، واعيد افتتاحها في سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠، وأبتدات بتخريج (٢٠) طالباً الى أن وصلت الى تخريج (٢٥٥) طالبا في السنوات ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧.* فقد ضمت الدفعات الاولى من الخريجين أبناء ارستقراطية بغداد المدنية التي انحسرت وظائفهم المدنية، والقانونية في خدمة الدولة، فلا يخرجون عن اطار المثقف التقليدي الذي

* انظر : عبد الرزاق الهلالي : معجم العراق ..... ج١ ، مصدر سابق ، ص ٢٧١ ومابعدها .

يمارس عمله دون أن يضيف اليه فعلا سياسـيا، أو اجتماعيـا وان تـضمنت بعـض الاسماء التي انغمست في العمل السياسي، والثقافي العام مـع قيـام الدولـة العراقيـة واتساع التعليم فيها، وعلى الرغم من أن احصائيات اتساع التعليم تفتقر الى المقارنـة العلمية في ارقامها، الا أن من الضروري الاشارة اليها. ففـي بدايـة تأسـيس الدولـة العراقية عام ١٩٢١، لايتجاوز عدد مدارس البنـين، والبنـات (٨٤) مدرسـة إبتدائيـة ولكنها اخذت بالاتساع حتى وصـلت الى (١٣٠٠)، مدرسـة للبنـين والبنـات، يقـول: د.(فاضل الجمالي) عن اتساع التعليم "ان مدارس العراق ديمقراطية بالفعل يـدخلها ابن الشيخ،وابن الفلاح،وابن الموظف،وابن العامل فيجلسون جميعا على مقعد واحـد ويتمتعون بفرص واحدة هذا وكان التعليم مجانيـا في جميـع مراحلـه".[٦٢] ولكـن يبقى سؤال كم من هؤلاء الذين يجلسون على مقعد دراسي (ابتـدائي) واحـد يكمـل دراسته ؟ وهل الظروف الاقتصادية، والاجتماعية تساعد جميع طلبـة الابتدائيـة أن يكملوا دراستهم ؟ في الحقيقة وعلى الـرغم مـن ذكـر المتغـيرات التربويـة في اتـساع التعليم يبقى التعليم حكراً على طبقات اجتماعيـة معينـة،وان تـضمن أسـماء مـن الطبقة الوسطى من (أهل الكفاية)، فيمكن أن يشمل اتـساع التعلـيم فقـط عقـود الاربعينيات، والخمسينيات.لقد كان هدف خريجـي كليـة الحقـوق الحـصول عـلى الوظيفة الحكومية، فقد عبر د.فاضل الجمالي عن الاقبال للدراسـة فيهـا قـائلا: "ان تجاه الطلاب الى التعليم النظري ولا سيما ازدحـام كليـة الحقـوق قـد خلـق عطلـة للشباب."[٦٣] ولذا فأن الجيل الاول من المثقفين كان" تخرجهم مـن أروقـــة مـدارس العاصمـة العثمـانية استنبول وكلياتها المدنيـــة والعـسكريـة، أمـا مـــيزة الجيـل الثاني خـلال الثلاثينيات، والاربعينيات تخرجهم من أروقة كلية الحقـوق".[٦٤] وقـد

---

[٦٢] د. فاضل الجمالي : العراق الحديث ، د. ن ، د.م ، د. ش ، ص ٥٥.

[٦٣] المصدر السابق نفسه ،٥٦ .

[٦٤] د .سيار الجميل : زعماء وأفندية .... ، مصدر سابق ، ص ٥٦ .

تميز خريجو الحقوق بتنوع الاختصاصات الثقافية والسياسية، ومنهم هذه الاسماء (داود السعدي)، و(بهجت زينل)، و(محمد صديق سليمان)، و(عباس العزاوي)، و(رشيد عالي الكيلاني)، و(كاظم الدجيلي)، و(احمد حامد الصراف)، و(انور شاؤول)، و(رفائيل بطي)، و(صالح جبر)، و(عمر نظمي)، و(محمد مهدي البصير)، وغيرهم.

اما المركز الثاني فهو دار المعلمين العالية التي تأسست عام ١٩٢٣ وقد ضمت الدار اختصاصات انسانية وعلمية، فاحصائيات العام الدراسي ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧، تشير الى أن عدد الطلبة الخريجين من الذكور (٢٦٩)، و(١٣١) من الاناث.[٦٥]

وقد تمتعت دار المعلمين العالية بأهمية متميزة في الحركة الثقافية في العراق، فقد إحتفظت بتقاليد ثقافية،واجتماعية كان لها الاثر في صياغة الاطار الثقافي للأجيال التي تخرجت فيها فقد كانت الدار تتابع اقامة الحفلات والاماسي والمسابقات الثقافية والادبية بوجه خاص، وتحرص كل عام على تقديم مسرحية عالمية، وكذلك فيها مرسم يرعى مواهب الطلبة التشكيلية، كما كانت تقدم كل أسبوع أمسية للموسيقى الغربية، وكان وجود قسم اللغة العربية في الدار يعطيها ميزة مهمة بين سائر الكليات بالنسبة للطلبة الذين لهم اهتمامات بالادب واللغة والشعر. ولم يكن في اية كلية قسم للتخصص في هذا المجال، فقد تخرج أكثر الشعراء، والادباء في دار المعلمين العالية ومنهم نازك الملائكة والسياب والبياتي،وعبد الرزاق عبد الواحد.[٦٦] ويجد (يوسف الصائغ) أن لهذه الدار خصوصية اذ يقول فيها"عمقت الطبيعة الثقافية، والسياسية لدار المعلمين العالية حقيقة هي أن أكثر طلبتها كانوا من أبناء المراتب الفقيرة، ومن أبناء البرجوازية الصغيرة ".[٦٧] وبهذا أن الجيل الثالث من المثقفين خلال الخمسينيات والستينيات الذين

---

[٦٥] عبد الرزاق الهلالي : معجم العراق ....ج٢مصدر سابق، ص٢٧٧ .

[٦٦] يوسف الصائغ : الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨ ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٦ ، ص ٥ـ ٦ .

[٦٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٧ .

تخرجوا من دار العلمين العالية في بغداد التـي رفـدت الثقافـة باجيـال مـن المبـدعين في مجالات الفكرو الادب.[٦٨] لذا فقد أسهمت الدراسة المدنية في بغداد برفد العراق بمثقفيـه من أصحاب الاختصاصات القانونيـة والادبيـة الـذين لعبـوا ادواراً مختلفـة في الحيـاة السياسية، و الثقافية في العراق.

٣ ـ *خريجو البعثات العلمية*: ـ لقد كانت أول بعثة علمية الى الخارج على نفقة الدولـة في عام ١٩٢٢، وكان عدد طلابها (٩) طلاب، أُرسِلَ (٥) منهم الى لبنان، و(٣) الى مصر،و(١) الى انكلترا. وإستمرت البعثات العلمية في مختلف الاختصاصات العلمية، والانسانية، فقد بلغ عدد الطلاب الموفدين للدراسة للمدة (١٩٢٢ ـ١٩٥٠) حوالي (٢٤٦) طالبـا. ويظهـر إحصاء عام للطلاب المرسلين الى البعثات العالمية، تنوع الدول المختارة للدراسة فيها فهي تشمل لبنان، ومصر، وأنكلترا، والولايات المتحدة الأميركيـة، وفرنـسا، وتركيـا، والمانيـا، وسويسرا، والهند، والسويد، والدانمارك، وكما يظهر احتلال أنكلترا المرتبة الاولى في عـدد الطلاب الموفدين اليها للدراسة.[٦٩] وقد وضعت مجموعة من الشروط للمتقـدم للدراسـة فضلاً عن تكاليف الدراسة في الدول المختلفة.* وكـان إتجـاه معظـم خريجـي البعثـات الدراسية للعمل الجامعي التدريسي ، فضلاً عن إنـصراف الكثـير مـنهم الى التـأليف والى ترجمة الاثار الثقافية، والفكرية التي نالت اعجابهم.[٧٠]

ولم تقتصر الدراسة في الدول الغربية على طلبة البعثات الحكومية، فقد سـبق قيـام الدولة العراقية سفر الطلبـة، للدراسـة عـلى حـسابهم الخـاص، ومـن خريجـي هـذه الدراسات (متي عقراوي)، و(عبـد الالـه حـافظ)، و(توفيـق الـسويدي)، و(ميخائيـل

---

[٦٨] د. سيار الجميل : زعماء وأفندية ....، مصدر سابق ، ص ٣٣٣ .

[٦٩] عبد الرزاق الهلالي : معجم العراق ......ج١ ، مصدر سابق، ص١٦٣ ـ ١٦٤ .

* أن يكون معدل الطالب ٧٥ % ودرجة الاختصاص ٨٠ % ، أما عن معدل تكاليف دراسة الطـلاب (٧٠٠) دينار سنويا في انكلترا، و(١١٠٠) دينار سنوياً في الولايات المتحدة الأميركية ، و(٧٥٠) دينـارا سـنويا في فرنسا، وسويسرا و(٦٠٠) دينارٍ سنويا في لبنان وسوريا ،وتركيا . المصدر : عبد الرزاق الهـلالي ، معجـم العراق .... ج ١ ، مصدر سابق ،ص ١٦٣ ـ ١٦٨ .

[٧٠] يوسف الصائغ : مصدر سابق ، ص ٩ .

تيسي)، و(مصطفى جواد)، و(فاضل الجمالي)، و(عبد الكـريم الأرزي)، و(عبـد المـسيح وزير)، و(جعفر خيـاط)، وغـيرهم، ولا حاجـة للقـول ان خريجـي هـذه الدراسـات لا يختلفون من حيث المستوى الاقتصادي، والمنزلة الاجتماعيـة عـن خريجـي الدراسـات السابقة.

واخيرا فان المعيار التعليمي يبقى بعيدا جدا في تقويم الكثير من المثقفـين العـراقيين الذين حرموا من وسائلهِ، ولكن الجهد الفـردي كـان عـاملا مهمـا في تحـصيل العلـوم بمختلف تسمياتها، واصبحوا من مثقفي العراق المعروفين.

المطلب الرابع: فئات المثقفين: ـ لقد أفرز الإنحدار الطبقي، والمعيار التعليمـي في تعدد فئات المثقفين، داخل المجتمع العراقي، وتباينت آراؤهم، ومواقفهم ازاء الاحـداث السياسية، والاجتماعية. ولم تحمل الكتب المختلفة الكثير من تصنيف فئات المثقفـين في العراق. فيصنف د.(يوسف عز الدين)فئات المثقفين على فئتين هما:[٧١]

الفئة الاولى: ـ يجمع في هذا التصنيف المثقفين على اختلاف تنوعـاتهم مـن المـؤرخ، والاديب، والصحفي، والمصلح، فيطلق عليهم (الفئة المخضرمة)، وهم الـذين عاشوا في العهد العثماني، وادركوا عشرينيات القرن العـشرين، ومـن هـؤلاء (أبو الثناء الالوسي)، و(انستاس ماري الكرملي)، و(يوسف غنيمـة)، و(داود صليوا)، و(رزوق عيسى)، و (حبيب العبيدي)، (علي الجميل).

الفئة الثانية: ـ يطلق على هذه الفئة (الشباب الصاعد المتوثب)،الـذي تفـتح ذهنيـا،و ادبيا خلال عقد العـشرينيات مـنهم (حـسن غـصيبة)، و(ابـراهيم حلمـي العمر)، و (عوني بكر صدقي)، و (حسين الرحال)، و(محمود احمد الـسيد)، و(أكرم احمد)،و(علي الخطيب)، و(رفائيل بطي)، ويـدرجهم تحـت تـسمية (الفكر الحديث أو الادب العصري).

---

[٧١] د، يوسف عز الدين : الفكر الحديث ....، مصدر سابق، ص ٦٦ .

ويلاحظ أن التصنيف لا يخرج عـن اطـار أصـحاب الدراسـة التقليديـة، وأصـحاب الدراسة المدنية الحديثة، وان تميزت الفئة الثانية باطلاعها على الفكر الحديث في مجالات مختلفة.

إما د.عبد الاله احمد، فمن خلال تصنيفه للتيارات الثقافية في العـراق حتـى الحـرب العالمية الثانية، يمكن الاطلاع على فئات المثقفين من خلال هذه التيارات وهي:ـ[٧٢]

التيار التقليدي: يتميز مثقفو هذا التيـار، بـأنهم اسـتمدوا ثقـافتهم مـن المـوروث الحضاري، فطبيعة ثقافتهم تتميز بالمحافظة وإبتعادهم عـن مـؤثرات الحـضارة الغربية.

التيار الرسمي للدولة العثمانية: لقد ولد هذا التيار مع انـشاء المـدارس الرشـيدية واعدادياتها المختلفة، فاحتلت اللغة التركية المقام الاول لانها لغـة الدولـة، وتميـز هذا التيار بالاخذ بالعلوم الحديثة مع علوم الدين، وعلوم ضئيلة من اللغة العربية، واللغات الاجنبية الاخرى.

تيار البعثات التبشيرية: وهو التيار الذي عمل على نشره البعثـات التبـشيرية، فحـظ الثقافة الاجنبية في هذا التيار أكـبر لماكانـت تبذلـه هـذه البعثـات المختلفـة مـن فرنسية،وانكليزية والمانيا من جهود في نشر ثقافتها،و قد انحسر هذا التيار نتيجة المعارضة الدينية من فئات عديدة من المجتمع.

لقد ضمت هذه التيارات فئات عديدة من المثقفين،فقـد كـان المعيـار التعليمـي هـو الاساس في تصنيف تيارات المثقفين هذه و لم تخلُ كتب الادب النقدية من هذا التصنيف، والكثير منهم يقيم تصنيفه على الاتجاه التقليدي والاتجاه الحديث.

ويجعل د.(سيار الجميل) العمل المهني الأساس في تصنيفه للمثقفين من خلال[٧٣]:ـ

---

[٧٢] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة و تطورها في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٣٩ ، مطبعـة شـفيق ، بغـداد ، ط ١، ١٩٦٩، ص ١٢ .

[٧٣] د. سيار الجميل : أنتلجينسيا العراق : التكوين والاستنارة القومية ......، مصدرسابق ، ص ٤٩ .

الصنف المفكر: شعراء،وادباء،وسياسيون،و صحافيون.
الـصنف العـدلي (القـضائي): حكــام، وقــضاة، ومحــامون، واداريــون، ووزراء، ومستشارون.
الصنف العسكري: قادة ميدانيون،واداريون،ووزراء،ومستشارون.

ويلاحظ وجود خلط واضح بين المثقف التقني الذي لايخــرج عــن أداء مهمــة تقنيــة معينة، والذي يضيف الى عمله فعلا سياسيا،واجتماعيا ليصبح جزءا من الــرأي العــام. وفي الواقع لم يبذل الكتاب العراقيون جهدا مــذكورا لدراســة المثقــف العراقــي، لتحديــد ملامحه،ووضع المعايير المحددة لتصنيفه نظريا، وعمليا لذا نجد النقص الواضح في هــذا الموضوع، على الرغم من انه يهمل أهم شريحة اجتماعية في المجتمع العراقي.

وما يمكن ملاحظتهُ أن معظــم الدراســات، تركــزُ عــلى المثقــف العراقــي في جانبــه السياسي، حتى اضحى الوجه البارز لنشاطه الفكري،و الثقافي، والاجتمــاعي في العــراق وقد ناقش الكثير من الباحثين ما اسماهُ(بولع) العــراقيين بالــسياسة، وهــذه حقيقــة لايمكن تجاهلها، فالسياسة،و الاحداث السياسية تحتلان مكانة مهمة من حياة المثقف و يرجح د.(علي الوردي) ولع العراقيين بالسياسة من خلال:ـ

* الاخذ برأي الجاحظ بأن أهل العراق " أهل نظر، و فطنة ثاقبة، ومع النظر، والفطنــة يكون التنقيب والبحث ومع التنقيب، والبحث يكون الطعن، والقــدح، والترجــيح بــين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، واظهار عيوب الامراء "[٧٤].
* ان حدة الوعي السياسي "وليد (الانقلابات)، و(الانتفاضات)، و(الوثبات)، فكل حــدث بمثابة مدرسة شعبية تحرك الاذهان نحو السياسة، وتزيد عدد المولعين بها، فالاحداث السياسية مجال للتنفيس، فيستطيع الفرد بها أن يــشبع رغبتــه في التــذمر أو يــضع اللوم في فشله " [٧٥].

---

[٧٤] د. علي الوردي : دراسة في طبيعة ......، مصدر سابق،ص ٣٦٦ .
[٧٥] د. علي الوردي : دراسة في طبيعة ....، مصدرسابق، ص ٣٥٦ .

وبهذا فان السياسة الوسيلة في التنقيب عن الحاكم الاصلح، وسيلة سهلة للتنفيس عن رغبات الفرد إزاء فشلهِ. ويجد د.(يوسف عز الدين) أن المشكلات الاجتماعية متشابكة مع المشكلات السياسية، فمشكلات المرأة، والتعليم، والفلاح، والاقطاع، والفقر، والمرض، والجهل وثيقة الصلة بالقضايا السياسية، ولايمكن فصلها عنها، فقد تغيرت وظيفة المثقف من خدمة السلطان، والوالي، واتجه للشعب وخدمته.[٧٦] وبهذا فأن السياسة واهتماماتها القاسم المشترك بين المثقف ومجتمعهِ. ويجد (عباس العزاوي) أن المثقف يتصل بالسياسة، ولا يتجرد من فكرة موافقة، أو معارضة،محبذة أو مستاءة أو مقارعة ومناوئة، وهكذا إستغل الشعراء (على سبيل المثال) تلك الاوضاع ليعبروا عن أفكارهم، ومشاعرهم إزاء الاحداث".[٧٧] فالاحداث السياسية تعطي (الهاماً) للشاعر أن يعبر عن آرائه في مختلف القضايا. ويرى الشيخ (علي الشرقي) طغيان السياسة في حياة المجتمع العراقي "فلا نرى في الأمة الا سياسيَّاً،وساسة حتى كأن الجمهور العراقي كلهُ طائفة سياسية، فالسياسة في الجوامع، والمخادع، والمقاهي، والاسواق، والطرقات، والمدارس، والثكنات العسكرية"[٧٨] فالمشكلات السياسية أشد وضوحاً، واكثر إحتكاكاً بحياة المجتمع العراقي. ويجد د.(مجيد خدوري) أن الوعي السياسي دافعٌ مباشرٌ لاتجاه الفئات المثقفة لتعميق ثقافتها السياسية، والبحث عن الوسائل التي تستطيع أن تسهم في حل هذه المشكلات فقادها الى التعرف على بعض جوانب الفكر الاشتراكي،والماركسي منه بشكل خاص.[٧٩] ويبدو أَنَّ هذا الرأي من أصوب الاراء التي تقودنا الى الحديث عن التأثر بالمدرسة الواقعية ودور الدعوات المتمثلة في الفن للحياة أوللمجتمع، والفن للفن، فضلا عن قضايا الالتزام عند المثقف. ولعل رواية

---

[٧٦] د. يوسف عز الدين :الشعر العراقي الحديث .... ، مصدر سابق، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

[٧٧] عباس العزاوي : تاريخ الادب العربي في العراق، ج ٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص ٣٤٥.

[٧٨] د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ......، مصدر سابق ، ص ٢٤١ .

[٧٩] د. مجيد خدوري : الاتجاهات السياسية في العالم العربي، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ١١٦ .

(محمود أحمد السيد) (جلال خالد)* أنموذج لمثقفي جيل العشرينيات، والثلاثينيات من القرن الماضي الذين أخذوا بالاطلاع على الادب الواقعي الروسي، وتأثروا به كثيراً. "فهو مثقف أدرك عقم الانكباب على فكر إمتاز بعاطفيتة من خلال قراءتهم للمنفلوطي وجبران، وهم يوجهون واقعهم الاجتماعي المليء بالمشكلات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية".[٨٠]

ويجد (حنا بطاطو) "من المشكوك فيه امكانية اعتبار رواية (جلال خالد) أو قصصه القصيرة اعمالا فنية ومع ذلك فقد نجح السيد.... في رسم الصعوبات، والحيرة التي يعانيها ابناء جيله"[٨١] فان افكار (محمود احمد السيد) في روايته ما هي الا الافكار الجديدة لصديقه (حسين الرحال) فقد اعتمد (محمود احمد السيد)على الكثير من تجربة (حسين الرحال).[٨٢] وبهذا ارتبط العديد من المثقفين باتجاهات سياسية محددة تتصف بنزعة تقدمية يسارية،ويغلب عليها الطابع الثوري. فكان الالتزام السياسي الذي قاد الى الواقعية السياسية. وهكذا تبنى الجيل الناشيء الجديد الافكار الواقعية من الذين "تفتحت أبصارهم ليس فحسب الى مايبدعه الفكر الغربي من علوم، وفنون، ومايدين به من عقائد، وأفكار وانما الى واقع الحياة العراقية وما يعج به المجتمع العراقي من تناقضات ويصطرع بين طبقاته المتخاصمة من رغبات".[٨٣] وطرحت الاراء حول دور المثقف في المجتمع من خلال دعوات الفن للحياة، أو المجتمع، فقد تمثلت هذه الاراء بضرورة أن يلعب المثقف دوراً في كشف التناقضات في المجتمع ويعبر عن آلام المجتمع، وآماله، او (النفاذ الى الداء ثم وصف الدواء)، ويقف عند هذا الحد، فاذا استطاع المثقف تحقيق ذلك فقد أدى رسالته، واخيراً أن يوكل الى المثقف

* محمود أحمد السيد : جلال خالد (قصة عراقية موجزة) ، مطبعة دار السلام،بغداد، ١٩٢٨ .

[٨٠] د. عبد الاله أحمد: نشأة القصة.......، مصدر سابق، ص ٩٤.

[٨١] حنا بطاطو : العراق ...... الشيوعيون ، مصدر سابق ، ص ٤٣ .

[٨٢] المصدر السابق نفسه، ص ٤١ .

[٨٣] سليم طه التكريتي : مجلة الادب، العدد الخامس، ١٩٥٣ .نقلا عن : د . أحمد مطلوب : النقد الادبي، مصدر سابق ص ٢٥٦ .

مهمة (نضالية)، تغييرية من اجل الاصلاح، ومن أجل علاج الواقـع.[٨٤] فهـذه الـدعوات تعبر عن بدايات الاطلاع على الفكر الماركسي الذي يـرى أن مهمـة الفكـر لـيس تفـسير العالم، بل تغييره وهنا نتذكر واقعية (روجيه غارودي) فدور المثقف " لا يرسـم الواقـع، كما هو، مستقلاً عنه، وبلا مشاركة منه، لانه غير مكلف فقط بتقديم تقرير عن نتيجة المعركة، بل هو مطالب ككل إنسان آخر لا بالاعتقاد بتفسير العالم، ولكن بالمـشاركة في تغييره".[٨٥] وهكذا فنحن أمام مثقف (فرانز فانون)، الذي هضم ثقافة الغـرب،ثـم مـر بمرحلة القلق، التي تغريه بالعودة الى ذاته ثم مرحلة المعركة التي يوظف المثقف إنتاجـه في سبيلها. ولكن هذا لايـشمل جميـع المثقفـين العـراقيين بـل فئـة (الـشباب الـصاعد المتوثب)، الذي نوه عنه د."يوسف عز الدين ". وأخيراً لابد من الاشـارة الى رأي (يوسـف الصائغ) الذي عبر فيه عن هيمنة السياسة على الخطاب الثقافي، وهـذا الـرأي مختلـف ومميزٌ من خلال: ـ[٨٦]

* أن العراقيين يستجيبون الى المعطيات السياسية إستجابة ملحوظة، وهم يشاركون في الاحداث السياسية ويناقشون إتجاهاتهـا بـوعي لا يخلـو مـن تمييـز، ولهـذا فـأن اهتمامهم باي نشاط ثقافي،او اجتماعي يتحدد غالبا بمقـدار إرتبـاط هـذا النـشاط بالافكار، والاحداث السياسية.
* كانت السياسة سببا في شهرة عـدد مـن الـشعراء امثـال (الزهـاوي)، و(الرصـافي)، و(الشبيبي)، و(بحر العلوم)، و(الجواهري). وقد كانت جرأة اي شاعر مـن هـؤلاء في التصدي للقضايا السياسية تستأثر باهتمام الناس. وهذا الاهتمام يزداد مـع اقـتران موقـف الشاعر مع قوة الحدث الـسياسي، ومقـدار مايجلبـه هـذا الموقـف مـن أذى

---

[٨٤] عباس توفيق : نقد الشعر العربي الحديث في العراق ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨ ، وزارة الاعلام، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٥ .

[٨٥] روجيـه غـارودي : واقعيـة بـلا ضـفاف، ترجمـة، حلـيم طوسـون، دار الكتـاب العربـي للطباعـة والنشر،القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٣٦ .

[٨٦] يوسف الصائغ : مصدر سابق ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

للشاعر، ويتجلى هذا مع قدرة موهبة الشاعر،ومزجها مع تجربته الذاتية، والمثال على ذلك قصيدة (أخي جعفر)* للجواهري.

ان ما طرحه (يوسف الصائغ) لايشمل الشعراء،وانما هو موقف عموم المثقفين، كما أن هذه الحالة تصور لنا المثقف العراقي، وكأنه ُيستغل الاحداث السياسية ويتخذها وسيلة لشهرته ِ! فالكثير من المثقفين والشعراء يقارعون السلطة على سبيل المثال، فهم مع كل حدث سياسي،ومقابل ذلك لهم قصائد مدحٍ ورثاءٍ لاقطاب السلطة.وربما يتبادر إلى الذهن اسئلة اين نحن من فئات المثقفين بعد كل هذا؟ ولماذا الحديث عن السياسة،وطغيانها على الخطاب الثقافي ؟ لقد اثارنا موضوع طغيان السياسة في حياة المجتمع العراقي، ومدى تأثيرها في النخب الثقافية ولماذا تحتل هذا الحيز الكبير من خطابهم ذلك لان السياسة وممارستها في تنظيمات حزبية، او نشاطات صحفية تجعل المثقف وجهاً لوجه مع السلطة، وبهذا فقد تخلق مثقفاً محترفاً يمارس السياسة، لا بل السلطة، فهو يدخل في عالم الاحتراف، ولذا يكون ذلك المثقف المحترف للسلطة، او يعارض السلطة ولكنه يمارس سياسة المعارضة ليتبادل موقعه مع اقطاب السلطة، لاننا أمام مثقف قد بينا انحداره الطبقي ومعيارهُ التعليمي، فلهذا دخل المثقف في عالم السلطة بواسطة السياسة، فنضعه في ترتيب المثقف المحترف.

ومثقف ينأى عن السلطة ولكنه يمارس السياسة، فهو مثقف (صاحب مبدأ)، لايتعاطى وسائل الوصول الى السلطة فهو يصفها بالوسائل (القذرة)،وغالباً ما يكون مطارداً،و منفياً أويحارب بمصدر رزقه،و اسقاط الجنسية عنه، وعلى الرغم من حجم كل مايتعرض له، فهو يعيش حياة أبطال الروايات.

أما اذا إبتعد المثقف عن السياسة، فنحن أمام مثقف متعدد (الوظائف)، فهو أستاذٌ اكاديمي.(نعم) له مؤلفات في تاريخ العراق القديم أو الاسلامي، ولكن دون الدخول في تفاصيل شرعية الخلافة، والبحث عن(عروبة) المفكرين الاسلاميين، دائم السعي للحفاظ على (استقلاله العلمي)، ولكنه يعطي رأيا بمنع كتابٍ ما! او قصة لقاص

* قصيدة الرثاء بعد استشهاد أخيه جعفر في تظاهرات ضد معاهدة بورتمسوث عام ١٩٤٨ .

يساري، او حتى قاصٍ يميني. ولكنه (مستقل عن السلطة). فعلاقة المثقف بالسلطة هي التي تحدد فئات المثقفين بعدا، أو قربا منها.

وتبقى فئات المثقفين بين الاحتراف، والثورية، والالتزام، والاستقلال، أو (الحرفية المهنية). أن المثقفين الذين سنتعامل معهم لايخرجون عن اطار الفئات الاتية:ـ

أولاً:– المثقفون من قطاع المتعلمين، ذوي الثقافة العسكرية، والمدنية، الذين لهم طموحات سياسية، وقد ترجمت هذه الطموحات، بالسعي مباشرة لكي. يصبحوا حكاما يترأسون السلطة. فغايتهم الاولى هي الحصول على السلطة في مختلف أشكالها، ومراتبها من رئاسة الوزارة الى متصرف، أو قائممقام في احد الوية العراق، فضلا عن ترجمة هذه الطموحات بالمعارضة لمن يتبوأ السلطة. لقد إتخذت هذه الفئة من(المثقفين) الغاية المعلنة في سخطهم السياسي على الاوضاع السياسية السائدة، فهم يمثلون (أصحاب السخط السياسي). ولكن مع استلامهم للسلطة يتحول سخطهم السياسي الى رضى، وموافقة على الاوضاع لان لسان حالهم يردد كلمات (برشت): [٨٧]

أنت يامن تتصدى للقيادة لاتنس يوما

أنك تقود لأنك شككت يوماً في القيادة !

لذا فاسمح لاؤلئك الذين يقادون بالشك.

ثانياً:– المثقفون ذوو المكانة الادبية، والعلمية الرفيعة من الكتاب، والاساتذة، والفنانين، الذين عرفوا بنتاجاتهم الثقافية المتنوعة من دراسات تاريخية، وفقهية، و لغوية، ونقدية، ومجالات أدبية شعراً أو قصة، أو مسرحاً، فهم فئات المثقفين الذين ترجمت علاقاتهم بالسلطة من خلال سخطهم الفكري على الاوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. فهم (أصحاب السخط الفكري).

---

[٨٧] بيتي نانسه فيبر و آخرون : برولتد برشت .... النظرية السياسية و الممارسة الادبية، ترجمة ، كامل يوسف حسين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط ١، ١٩٨٦، ص ٢١٣ .

المبحث الثاني
السلطة السياسية في العهد الملكي

يتناول هذا المبحث طبيعة السلطة في العهد الملكي من خلال تأسيسها وطبيعة العلاقة بين مؤسساتها وأبعادها: ـ

المطلب الاول: نشأة السلطة الحديثة في العراق: ـ تركز الدراسات الحديثة منذ عقد السبعينيات من القرن الماضي على الظروف الفاعلة في نشأة الدول من عناصر قديمة، نتيجة تفكك أو إنحلال بعض الدول القائمة والمثال البارز على ذلك نشأة الدول التي (خلقت) خلقا صناعيا في نهاية الحرب العالمية الاولى، نتيجة لتفكك الإمبراطورية العثمانية. فقد أظهرت هذه الدراسات أن السلطات الناشئة في هذه الدول لاتجسد ممارستها المصالح المشروعة لتكويناتها الاجتماعية ولا تعبر عن حقيقتها الاجتماعية، ولاسيما الدول ذات التكوينات الأثنية المتنوعة. فقد طغت على هذه الدراسات فكرة مفادها أن كل ما أُسِّسَ في هذه الدول ماهو الا إنعكاس للبنى السياسية،والاجتماعية والاقتصادية لدول المستعمر، بعبارة أخرى أن الاستعمار الأوروبي أسس البنى التحتية والفوقية في مجتمعات الدول الناشئة على وفق نماذج جاهزة فالدول الحديثة " قد غرست بُناها أثناء خضوعها للاستعمار الأوروبي. فقد نُقِلَ الى هذه الدول مؤسسات أقتصادية، وادارية، وسياسية، وثقافية من جنس تلك التي كانت قائمة في الدول المستعمرة، ومؤسساتها الليبرالية ".[88] ومن جانب اخر تؤكد دراسات اخرى أن نشأة الدول وتكوينات سلطاتها جاءت في آنٍ واحد في كيانات مصنوعة، فكانت هذه الدول

---

[88] محمد عابد الجابري : إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي ، مركز الوحدة دراسات العربية ، بيروت ، ط ١، ٢٠٠٠ ، ص ١٨٥ .

وليدة التسويات الدولية.[٨٩] فنشأة العراق جاءت على خلفية الاتفاقيات الدولية التي قسمت بموجبها غنائم الامبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا، فقد جرى إنشاء العراق من ثلاث ولايات وهي بغداد والبصرة والموصل.[٩٠] في حين هناك من يرجح كفة الكيان الاجتماعي ـ التاريخي في خلق كيان عراقي على الرغم من دور التسويات الدولية ودورها في خلق هذا الكيان، فالعراق "أحدث تكوين سياسي أوجده اتفاق القوات العالمية، ولكن عند غربلة الشؤون البشرية يظهر بوضوح أن العراق اصدق تشكل للكيان الاجتماعي منذ ابعد العصور".[٩١] فالدولة العراقية على وفق التكوين الاجتماعي ـ التاريخي موجودة في حالة (جنينية) في المجتمع تظهر على خلفية طبيعة المسميات التي تقف على حقيقة اظهارها، اكانت تسويات ام اتفاقات دولية.

وبعد سرد تاريخي منذ مراحل الحضارة السومرية والبابلية يتوصل د. (غسان سلامة) الى أن هناك دلائل تاريخية تشير الى وحدة الدولة التي عرفتها بلاد مابين النهرين عبر محطات تاريخية متعددة فهناك حجج ومبررات للعراقيين المعاصرين كما، للذين يريدون تمزيقه الى دويلات أو ضمه لما هو أكبر منه.[٩٢] فلم يتأرجح الانكليز طويلاً في تحديد الكيان العراقي فهناك " شبه قناعة متبادلة بالكيان العراقي بين بريطانيا، وأبناء البلاد".[٩٣] فهذه القناعة كانت وليدة الكيان الاجتماعي للعراق، فلا يمكن أن تولد أو تنشأ دولة دون وجود دعامات اجتماعية لمجتمع لا يمكن أن يقال عنه واحد، وانما

---

[٨٩] بطرس بطرس غالي وخيري عيسى ، المدخل الى علم السياسة ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ط٥، ١٩٧٦، ص ١٥٦.

[٩٠] M.V. Williams, BritainAnd TheArabStates, AsrveyofAngel- Arab Relation1920-1948, L.C., London, 1948, p.17

[٩١] هنري أ. فوستر : تكوين العراق الحديث ، ترجمة ، عبد المسيح جويدة ، مطبعة السريان ، بغداد ، ١٩٤٦، ص ١.

[٩٢] د. غسان سلامة : المجتمع والدولة في المشرق العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٧، ص١٣.

[٩٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٣١ .

مجتمع موحد. اما (حنا بطاطو) فيجد معيارا اخر في وحدة المجتمع العراقي أساسا لخلق الدولة فمقدمات التقارب الشيعي، والسني الذي سبق ثورة العشرين سببٌ اساس في نشأة مجتمع وطني "ان الترابط الذي نشأ بين السنة، والشيعة ـ مهما كان رقيقا ـ قد أطلقت عملية جديدة، الا وهي النمو الصعب، الذي كان تدريجيا احيانا و لاهثا أحيانا أخرى، لمجتمع وطني عراقي".[٩٤] ولكن حدثا مهما مثل هذا التقارب، لايمكن أن يختزل بشخصية واحدة فيقول(حنا بطاطو) "أن الفضل في الفعل الواعي وراء هذا التعاون يرجع الى التاجر الشيعي البغدادي جعفر أبو التمن".[٩٥] فهذا المجتمع الوطني ماهو الا بدايات الكيان السياسي للعراق. فالدولة العراقية واقع حال لولايات عثمانية ثلاث بغداد، والبصرة، والموصل وليست كما، يذهب د.(سعد الدين ابراهيم) " تجميع بريطاني لثلاث ولايات عثمانية هي الموصل، وبغداد، والبصرة ".[٩٦] ويؤكد د. (غسان العطية) فكرة د.(سعد الدين ابراهيم) حين وضح " بعدم وجود مجتمع عراقي متماسك، فالموصل تتطلع نحو تركيا، وبغداد نحو ايران، والبصرة جنوبا نحو الخليج والهند، ومصطلح العراق استعمل في اوائل القرن العشرين، والعراق بحدوده الحديثة لم يكن له قط وحدة سياسية قائمة قبل القرن العشرين ".[٩٧] أن التطلع الذي يذكره د. (غسان العطية) هو **اولا:** تطلعٌ تجاري، واقتصادي، **وثانيا:** ان اغلبية الدول في المشرق العربي التي كانت تحت الاحتلال العثماني لم تعرف لها وحدة سياسية قائمة، **وثالثا:** اما مصطلح العراق فكتب التاريخ الكثيرة لم تخرج عن إطار تسمية (اهل العراق). اما عن ترجيح العوامل

---

[٩٤] حنا بطاطو : العراق .... الطبقات ..... ج ١ ، ص ٤٢ .

[٩٥] حنا بطاطو: الدور السياسي للشيعة وعملية الاندماج، من كتاب المجتمع العراقي حفريات سوسيولوجية في الاثنيات والطوائف والطبقات، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد/بيروت ، ط١،٢٠٠٦ ص ١٩٩ .

[٩٦] د. سعد الدين ابراهيم : المجتمع والدولة في الوطن العربي ، مركز الدراسات العربية ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٦، ص ١٦٨ .

[٩٧] د . غسان العطية: مصدر سابق، ص ٣٦ .

الخارجية في نشأة الدولة العراقية فهو واقع السياسة الدولية، التي كانت بداياتها مع وعود بريطانيا بالاستقلال من خلال مراسلات (حسين - مكماهون) ومرورا باتفاقية (سايكس - بيكو)، والتصريح (الانكليزي - الفرنسي) المتضمن الوعد باقامة حكومات وادارات وطنية، وبنود الرئيس الأميركي(ولسن) بضمان حياة آمنة للاقوام التي تخضع للحكم العثماني، (وكما مر معنا سابقا)، فضلا عن مسألة اخرى، وهي "طلب الجمهور البريطاني الملح في إجراء تخفيض جوهري في المصاريف، ومن جهة أخرى بضرورة المحافظة على الممتلكات المحصل عليها، و النقاط الستراتيجية التي غنمت في الشرق من خطط جديدة للعمل على تحقيق تلك الغايات لذلك دُعي الى عقد موتمر القاهرة ".[٩٨] لقد شكلت التخفيضات في المصروفات البريطانية النقطة المهمة في تحديد القضايا الاخرى المترتبة على عقد الموتمر، لقد كانت مصروفات الخزينة البريطانية في العراق للسنوات (١٩٢٠ - ١٩٢١)، تبلغ (٣٢٠٠٠٠٠٠) باونٍ واخذت المصروفات بالانخفاض لتصل الى (٤٠٠٠٠٠٠) باونٍ للسنوات (١٩٢٥ -١٩٢٦).[٩٩] فكانت الغاية البريطانية واضحة في نشأة دولة عراقية فقد اكدت تقاريرها النقاط الاتية:-[١٠٠]

١- إنشاء دولة عصرية ذات حدود وسلطة مركزية، لغرض الامن وجباية الضرائب وحماية المصالح البريطانية من الداخل.

٢- سيطرة نخبة محلية حليفة تابعة لجهاز الدولة الوليدة.

٣- قبول المنافسين الاخرين من الدول العظمى، بالاعتراف بوجود بريطاني في العراق.

لقد حدد مؤتمر القاهرة النقاط المتعلقة بمستقبل العراق منها طبيعة العلاقة بين الدولة المراد إنشاؤها، وبريطانيا، وشخص العاهل المنتظر للعراق، وتشكيلات القوات

---

[٩٨] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق، ص ٢٤٣ .

[٩٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

[١٠٠] د.غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ٣٢ .

الدفاعية فضلاً عن وضع المناطق الكردية.[١٠١] فنقاط المؤتمر واضحة جدا لاتحتاج الى جدالات نشأة الدولة أو البحث عن عقد مقارنات مع تطور السلطة في العالم الغربي، والدخول في متاهات المجتمع المدني، والبحث عن تطور الديمقراطية الغربية الذي "استغرق أكثر من قرنين، وكان هذا التطور حافلاً بالصراع السياسي، والصراع الاجتماعي، والصراع الفكري."[١٠٢] فهذه بديهيات الديمقراطية الغربية، وليست سلطة تنشأ بمنشور للسير (برسي كوكس) معنونٍ (الى جميع طوائف العراق وعشائرها) في ٢٦ تشرين الاول / ١٩٢١، حاملا وعدا بتشكيل حكومة وطنية باشراف الحكومة البريطانية، ليفاتح بعدها السيد (عبد الرحمن الكيلاني) نقيب اشراف بغداد برئاسة الحكومة، و الاخذ بمفاوضة الاشخاص الذين (يودون)، الاشتراك في تشكيل الحكومة.[١٠٣] فضلاً عن اعداد المستر(فلبي) مستشار وزارة الداخلية في الحكومة العراقية (لائحة تعليمات هيأة الادارة العراقية)، والتعليمات التي بقيت نافذة المفعول مدة بقاء العراق تحت الانتداب البريطاني، لقد حددت الصلاحيات التي يتمتع بها كل من شمل بهذه الهيأة، مجلس الوزراء،وعلاقة الوزاء بالمستشارين، والخضوع للاستشارة البريطانية في جميع القرارات المتخذة، ولاسيما الأمور الخارجية، والحركات الحربية.[١٠٤] ونشوء نوع من "الحكم المستتر أو ذي الوجهين".[١٠٥] فالواجهة وطنية والسلطة الحقيقية بيد المندوب السامي، والمستشارين البريطانين، وكانت هناك رغبة حقيقية

[١٠١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ، ج١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ة، ١٩٨٨ ، ١٩٨٨، ط٧ ، ص ٣٦ـ ٣٧.

[١٠٢] د. اسماعيل صبري عبد الله : المقومات الاقتصادية و الاجتماعبة للديمقراطية في الوطن العربي ، من كتاب الديمقراطية و حقوق الانسان في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨٦، ص ١٠٧ .

[١٠٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٦ ـ ١٧ .

[١٠٤] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق، ص ٢٢٣ .

[١٠٥] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج١ ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .

للحكومة المؤقتة في السير على نهج النظم التي اقرتها السلطة العثمانية في أن يكون للعراق " دستوره، وقوانينه الانتخابية،و نظامه القضائي ونظامه المالي، وموقفه بالنسبة للاقليات، وحتى روحيته مقاربا لماكان موجوداً في العهد العثماني."[١٠٦] فلم تكن لهذه السلطة اعمال تذكر اللهم الا ماكان قد خصص من رواتب (كبيرة) لاعضاء الحكومة المؤقتة، فقد خصص لرئيس الوزراء سبعة الاف روبية، وخصص لكل من الوزراء، والمستشارين ثلاثة الاف روبية، أما السيد طالب النقيب (وزير الداخلية) فقد خصص له خمسة الاف روبية بعد رفضه مساواته مع الوزراء الاخرين، لقد هتف وزير العدلية (مصطفى الالوسي) عند استلامه راتبه قائلا (اللهم انصر الدين والدولة).[١٠٧] كما قسم العراق على ألوية، واقضية، ونواح، وعُين موظف عراقي لكل وحدة ادارية، والى جانبه مستشار بريطاني.كما وانشئت بعض الدواوين، والدوائر يديرها اداريون عراقيون ويقوم الى جانبهم مفتشون بريطانيون.[١٠٨] لقد كانت جلسات مجلس الوزراء للحكومة المؤقتة تعقد مرتين في الاسبوع في بيت السيد عبد الرحمن النقيب، حيث يبدأ (حسين أفنان) سكرتير المجلس بقراءة الكتب الواردة ثم مناقشتها، والانصراف لتناول الغداء،وبعد فراغهم من تناول الغداء يقف نجل السيد النقيب عند الباب على طريقة الولائم التقليدية ليرددوا القول (سُفرة دايمة وبيت عامر). [١٠٩] هذه هي نشأة السلطة بعد أربعة قرون من الاحتلال العثماني، فلم تكن غاية بريطانيا "نقل السلطة الادارية الحقيقية للعراقيين لا في الادارة الفرعية ولا في الادارة المركزية"[١١٠] فيذهب بعضهم الى القول أن هذه الحكومة المؤقتة قد مهدت الطريق لتكوين سلطة عراقية.[١١١] فكانت

[١٠٦] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق، ص٢٢٩-٢٣٠.

[١٠٧] د.علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج ٦ القسم الاول ، مصدر سابق ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

[١٠٨] عبد الرحمن البزاز: مصدر سابق، ص ١١٩.

[١٠٩] د .علي الوردي : لمحات اجتماعية ...... ج٦ القسم الاول ، مصدر سابق ، ٣٠ ـ ٣١ .

[١١٠] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ص ٢٢٤ .

[١١١] د.سيار الجميل : زعماء وافندية ...... مصدر سابق ، ص ٢٨٢ .

صيغة تمهيدية لسلطة الملك فيصل وللركائز الأساسية لمكونات السلطة الملكية الاخـرى على وفق الارادة البريطانية في إنشاء سلطة موالية لها.

وقد جاء ترشيح الملك فيصل نتيجة لمواقـف عديـدة لاقطـاب الـسياسة البريطانيـة والمتمثلة في خطاب (ونستون شرشل) في مجلس العموم البريطاني حيث قال " أن عائلة الشـريف حسـين هـي الـعائلة التـي نشـرت الـلواء العربـي فـي صـف الحلفاء أثنـاء الحرب، والتي لعبت دورا ذا شأن في ربحها "[١١٢]. كمـا جـدد المنـدوب الـسامي (بـرسي كوكس) دعمه لترشيح الامير فيصل لعرش العراق في مؤتمر القاهرة قـائلاً: "أن تجربـة فيصل السابقة خلال الحرب وضعته في أفضل موقع لتأسيس الجيش بسرعة، وتجاربـه في سوريا جعلته ذا اهلية كحاكم أفضل من أخوته الاخرين ".[١١٣] ونجد المس بيل داعمـة لهذا الترشيح قائلة "أن فيصل،كما أرى خير من يمكن إنتخابه".[١١٤] وهـي تـدعم هـذا الترشيح لانها تجده البديل المناسب لاستبعاد أمير تركي عن عرش العـراق، وتعلـل ذلـك "ان سُنة بغداد ينظرون الان فيما كان من الاوفق لهم أن ينصب أحد أمراء الاتراك ملكا في العراق. لأنهم خائفون من أن يطغى عليهم مد الشيعة".[١١٥] وبهذا أجمعت هذه الاقطاب على ترشيح الامير فيصل، فهم يمثلـون الطـرف القـوي في تـرجيح كفـة ايـة معادلـة لصالحهِ، وبهذا تحققت فائدة الترشيح، وملء عرش يبحث عن عاهـل ألا وهـو عـرش العراق.

أما وجهة النظر الداخلية في الترشيح فجاءت صدى للترشيح البريطاني القوي للامير فيصل،على الرغم من أن أصل الامير فيصل العريق احد أنجال الحسين شريف مكـة ملـك

---

[١١٢] عبد الرحمن البزاز : مصدر سابق ، ص١٢٩ .

[١١٣] د. رجاء حسين الخطاب : مؤتمر القاهرة، تأثيرة على تطـور الوضـع الـسياسي في العـراق ، مطبعـة الاديب ، بغداد ، ٢٠٠١ ،ص٥٠ .

[١١٤] المس بيل : العراق في رسائل .... ، مصدر سابق ، ص ٢٧٦ .

[١١٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٨ .

الحجاز، قد خلع على شخصيته قدسية بين المتدينين، ومنهم الشيعة، فقد إكتسب خبرة ودبلوماسية في استنبول ومن خلال اشتراكه في مؤتمر فرساي، واعتلاء عرش سوريا، واشتغاله في القضية العربية، وقيادته القوات العربية في الحجاز جعل الكثيرين يجدونه خير مرشح لعرش العراق.[١١٦]

أما عن رأي السيد عبد الرحمن النقيب في الترشيح فقد عبره للمس بيل قائلاً "أنني سوف لا أوافق، ولن أوافق على تعيين الشريف، أو أحد انجاله أميرا في العراق..... أنني أفضل الف مرة عودة الاتراك الى بغداد على أن أرى الشريف، أو أبناءه ينصب أحدهم هنا"[١١٧] ولكن هذا الموقف شهد تغيرا كبيرا عندما أبرق الامير فيصل برقيته عن قرب وصوله الى البصرة، فأبرق النقيب برقيته الشهيرة مجللة بعبارات التبجيل قائلاً "ضياء مصباح النبوة، والكوكب الدري في سماء الشرف."[١١٨] معربا فيها عن ترحيبه الحار بقدومه، ويبدو أن مقررات مؤتمر القاهرة جعلت النقيب امام امرٍ واقع لاحيلة له في تغييره. وبناءً على اقتراحه إتخذ مجلس الوزراء قرارا بالاجماع بمناداة الامير فيصل ملكاً على العراق بشرط أن تكون حكومة دستورية، نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون.[١١٩] فضلا عن تقديم المضابط من ألوية العراق المختلفة بقبول ملكية الامير فيصل، وقد تراوحت مطالب هذه المضابط بين (إقامة حكومة دستورية نيابية حرة مستقلة)، مجردة من كل قيد، ومضابط تطالب بقبول ملكية الامير فيصل بشرط بقاء (مشارفة) الدولة البريطانية، ومضابط تعلن البيعة المطلقة دون قيد، أو شرط، أما مضابط لواء الموصل فطالبت المحافظة على الحقوق الكردية، وسائر الاقليات، وطالبت مضابط مخالفة من لواء كركوك وجوب الانتظار ريثما تبت في مسألة إستقلال

---

[١١٦] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ص ٢٤٥ .

[١١٧] المس بيل : فصول من تاريخ .... ، مصدر سابق ، ص ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

[١١٨] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج١، مصدر سابق ، ص ٤٩ .

[١١٩] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

تركستان،ولم تشرك السليمانية في التصويت.[١٢٠] يشكك الاستاذ (عبد الرحمن البزاز) بصيغ المضابط المؤيدة التي عبرت عن إستفتاء عام لاختيار الامير فيصل ملكا على العراق بنسبة ٩٦ % "كم هم عدد المصوتين فعلا من مجموع الشعب؟ وكيف جرى التصويت؟ وهل كان الحياد،و الامانة متوفرين في من أشرفوا على هذا الاستفتاء؟ "[١٢١] مع إحترامي لهذه الاسئلة فمن المفروض أن تكون بصيغة أخرى، كم هي نسبة الامية في العراق؟ وهل هناك وسائل لقياس الرأي العام؟ وهل هناك إشراف دولي على عملية الاستفتاء؟ وهل هناك هيئات مسؤولة عن الاستفتاء؟لماذا نطالب، ونحقق بنتائج بديهية لاتغفل على أي شخص مطلع على ابسط أمور السياسة؟ ولنقل كان هناك (قبولٌ عامٌّ) بملوكية الامير فيصل،وبدون اية نسب. لقد رد الامير فيصل على احد شيوخ الدليم الذي قال "نبايعك لان الانكليز قابلون بك".[١٢٢] قائلاً" أن علاقتي مع الانكليز معروفة، ولا احد يشك بها،وموقفي العربي هو كذلك معروف أنما يجب علينا أن نصلح شؤوننا نحن العرب، ويجب علينا وحدنا أن نحسم كل مابيننا من خلاف ".[١٢٣] تذهب المصادر في كثير من الاحيان إلى عدم وجود مرشح تتفق عليه اراء العراقيين، وبالاحرى، كان المرشحون للعرش لايليقون بتسنم عرش مثل العرش العراقي،وهم السيد (طالب النقيب)، و(عبد الهادي العمري)، و(عبد الرحمن النقيب) و(برهان) نجل اخر السلاطين العثمانيين وغيرهم، فيظهر الامير فيصل أفضل المرشحين.لم يكن من باب الصدفة أن يختار الامير فيصل اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٣٣٩ هجرية، وهو ذكرى بيعة الغدير الذي بويع فيه الامام علي (ع) بولاية العهد المصادف (٣آب/ ١٩٢١) موعدا

[١٢٠] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٥٨ ـ ٦٠ .

[١٢١] عبد الرحمن البزاز: مصدر سابق ، ص ١٣١ .

[١٢٢] امين الريحاني : فيصل الاول ، مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٤ . و المس بيل : العراق في ..... ،مصدر سابق ، ص٣٢٦ .

[١٢٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٥١ .

لتتويجه. فاختياره لهذا اليوم يعبر عن بداية لكسب الشيعة التي ابدت عن عدم معارضتها للترشيح،و لقد حمل خطاب التتويج "أن أول عمل أقوم به، هو مباشرة الانتخابات،و جمع المجلس،ولتعلم الأمة أن مجلسها هو الذي سيضع بمشورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية".[١٢٤]

كثيرا ما يتبادر الى الذهن عند مطالعة سيرة تنصيب الملك فيصل عاهلا لعرش العراق، ماذا لو كان العاهل عراقيا؟ وهل يختلف الامر كثيرا؟ وهل تكون النهاية دامية ايضا كما كانت نهاية هذه العائلة؟

وكثيرا ما يتراءى لي عند اثارة هذه الاسئلة احدى اللقى الاثرية المكتشفة للبعثات الاثرية العاملة في العراق بداية القرن العشرين الذي هو"تمثال سومري مخيف لاحد ملوك لكش يبلغ ثلاثة أقدام، لكنه لارأس له".[١٢٥] فأجد الجواب عن أسئلتي.

المطلب الثاني: تكوينات السلطة: ـ لقد ضمت أطر ممارسات السلطة السياسية التسميات الاتية: ـ

أولاً: المجلس التأسيسي: ـ لقد جاء المجلس التأسيسي لتحقيق المهام الاتية:ـ[١٢٦]

١- تقرير الدستور.

٢- قانون انتخاب مجلس النواب.

٣- المعاهدة العراقية البريطانية.

لقد اتخذ مجلس الوزراء قرارا بالشروع في انتخابات المجلس التأسيسي إبتداءً من (٢٤تشرين الاول / ١٩٢٢). فقد وجد المجلس أن الشروع في الانتخابات لم يكن عملية سهلة، فاصدر علماء الدين في كربلاء،و النجف فتاوى بتحريم الاشتراك في

---

[١٢٤] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج١، مصدر سابق ، ص ٦٨ .

[١٢٥] المس بيل : العراق في ......، مصدر سابق ،ص ٤٧٩ .

[١٢٦] حسين جميل : العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ ـ ١٩٣٠ ، دار اللام ، لندن ، ١٩٨٦ ، ص ١١٢ .

الانتخابات.[١٢٧] لقد كان رفض المعاهدة العراقية ـ البريطانية، السبب المباشر في اصدار فتاوى التحريم لان المعاهدة العراقية ـ البريطانية كانت تضم "شروط وثيقة الانتداب مقنعة بقناع معاهدة تحالفية"[١٢٨] ولم تقتصر مقاطعة الانتخابات على المناطق الشيعية، بل تجاوزتها الى المناطق الاخرى من العراق، فقد واجهت اللجان الانتخابية عراقيل تقف في طريق عملها ويشير احد التقارير البريطانية " ان تأثير الفتاوى الجعفرية وسمع الشتائم في المجتمعات العمومية اصبح عاماً، مما يدل على أن الفتاوى الدينية لعلماء الشيعة، قد وصلت الى أطرف البلاد، وكان لها تأثير على المسلمين السنة ايضاً". [١٢٩] لقد إختلفت الاراء حول اصدار الفتاوى في تحريم الانتخابات بين من يجد أن هذه الفتاوى جاءت من السلطات التقليدية التي تخشى على نفوذها من فئات" الاعيان والعلماء ".[١٣٠] فيما يجد رأي اخر أن الاصوت المعارضة كانت ضد" الانكليز ولكنهم ايدوا الملك ".[١٣١] فقد تطورت صيغ المعارضة حتى وصلت الى إعلان السيد (مهدي الخالصي) نقض بيعته للملك (فيصل)، فقد أعلن في جمع حاشد من الناس في مدرسته قائلا: "بايعنا فيصل ليكون ملكا علينا بشروط، وقد اخل بتلك الشروط فلم تعد له في أعناقنا، واعناق الشعب أية بيعة".[١٣٢]

فضلا عن عقد "جعفر أبو التمن إجتماعاً في داره يحث فيه خلع الملك فيصل".[١٣٣] لقد أطلق المندوب السامي البريطاني يده بعد تفاقم الاوضاع ومرض الملك، واستقالة

---

[١٢٧] د.علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج ٦ ، القسم الاول ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

[١٢٨] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ٢٤٤ ـ ٢٤٥

[١٢٩] محمد مظفر الادهمي : المجلس التأسيسي العراقي ... ..دراسة تاريخية سياسية ، وزارة الاعلام، بغداد، ط١ ، ١٩٧٦ ، ص ٢٧٨ .

[١٣٠] د.غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

[١٣١] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات ......ج ١ ، مصدر سابق، ص ٢٢٥

[١٣٢] محمد مهدي كبة : مصدر سابق ، ص ٢٦ .

[١٣٣] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ٢٧٨ .

الوزارة فهو يقول "لم يبق في البلاد سلطة مسؤولة في الواقــع ســواي بــصفتي المنــدوب السامي وجدت نفسي مضطرا أن أتعهد الموقف واســتخدم ســلطتي بكاملهــا"[١٣٤] فقــد اتخذ الشدة في الاجراءات من أجل سير عملية الانتخابات منها ضربات جوية في منــاطق الفرات الاوسط فضلاً عن نفي (محمد الصدر) و(محمد مهدي الخالصي) في الكاظمية، كما أصدر اوامر باغلاق مقر حزبي النهضة، والــوطني ثــم القــى القــبض عــلى زعمــاء المعارضة، ونفاهم الى جزيرة هنجام وهم (جعفر ابو التمن)، و(محمــد الباجــه جــي)، و(مهدي البصير)، و(عبد الرسول كبة)، (حبيــب الخيــزران)، واغلــق جريــدتي المفيــد، والرافدين، والقى القبض على صاحبيهما (ابراهيم حلمي العمر)، و(سامي خوندة).[١٣٥] لقد كانت تلك الاجراءات تمثل قوة، وسطوة وأول تماس مع سلطة الاحتلال في عهد قيام الدولة العراقية، وتنصيب الملك فيــصل عــلى عــرش العــراق، وهكــذا ولــدت "الممارســة الديمقراطية في صورتها العصرية، وهي أسيرة خطيئة اصلية فثمنهــا رضــوخ مــزدوج امام القدرة الاستعمارية: رضوخ لنموذجها في التمثيــل الــشعبي ورضــوخ لاشــتراطها قبول الهيمنة ثمنا يدفع سلفا "[١٣٦] لقد إحتلت أولوية عقد المعاهــدة في مهــام المجلــس التأسيسي في استمرار إصدار الفتاوى بتحريم الانتخابات، ما ادى الى قيام حكومة (عبــد المحسن السعدون) التي خلفت حكومة السيد (عبد الرحمن الكيلانــي) في نفــي الــشيخ (مهدي الخالصي) أكثر الداعين الى مقاطعة الانتخابات الى ايران، ومع تفاقم اوضاع أزمة الانتخابات اضطرت وزارة (عبد المحسن السعدون) الى الاستقالة، وتشكيل وزارة برئاسة (جعفر العسكري)، واستطاعت الوزارة الجديدة ان تــتمم عمليــة الانتخابــات وتجمــع المجلس التأسيسي في (٢٧ آذار / ١٩٢٤).[١٣٧] لم تكن عملية إنتخابات المجلس بعيدة عــن

[١٣٤] برسي كوكس : تكوين الحكم الوطني في العراق، ترجمة ، بشير فرجو ،الموصل ، ١٩٥١ . ص ٦٠ .

[١٣٥] المس بيل : العراق في ..... ، مصدر سابق ، ص ٤٤١ ـ٤٤٣ .

[١٣٦] غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

[١٣٧] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

مؤثرات السلطة "فقد صدرت اوامر من وزارة الداخلية، بعد مصادقة الملك فيصل الى جميع المشاورين في الالوية بأنهم يجب ان يؤكدوا على المتصرفين أهمية ترشيح مرشحين من ذوي التفكير الصائب. أن صاحب الجلالة مشمئز من جمود المعتدلين.... له وطيد الامل بان هؤلاء سيسفرون عن انفساهم، ونواياهم ويؤيدون المعاهدة من دون تحفظات ".[١٣٨] فضلا عن التدخل في انتخاب رئيس المجلس تقول المس بيل في احدى رسائلها: "اتمنى أن يكون عبد المحسن السعدون رئيسا للمجلس التأسيسي".[١٣٩]

لم تكن تلك أمنيات فقط، فقد حثت النواب في اتصالات سابقة على إنتخاب السعدون لما لمسته منه من مواقف مؤيدة للانكليز، وهذا ماجرى بالفعل "انتخبوا عبد المحسن السعدون كان الجو متوترا. وكانت الحادثة المضحكة ان بعض الشيوخ الذين كانوا امامنا قد مسكوا اوراقهم بحيث تتجه الكتابة فيها الينا، حينما ساروا في الصف الى الصندوق الذي اودعوها فيه، حتى تستطيع قراءة اسم عبد المحسن مكتوبا فيها"[١٤٠] وبهذا كانت الإجراءات الهادفة الى توفير وسائل نجاح الموافقة على المعاهدة التي احتلت اولوية عمل المجلس، فمن انتخاب مؤيدين للمعاهدة الى السعي ليكون السعدون رئيساً للمجلس، فتبدو الغاية من المجلس هي تصديق المعاهدة اولاً وأخيراً، ولكن ذلك لن يتحقق بسهولة فقد كانت الشكوك تدور حول المعاهدة " كيف يصح تصديق معاهدة مع دولة اجنبية قبل ان يتبين وضع العراق السياسي، وقبل ان يبني كيانه الدستوري، ويعرف شكل حكومته، ووظائف سلطاته، وواجباتها."[١٤١] لقد شعر أشد اعضاء المجلس ميلاً للانكليز، وإخلاصاً لهم ان بنود المعاهدة وخصوصاً بنود الاتفاقية المالية

---

[١٣٨] المس بيل : العراق في .... ، مصدر سابق، ٤٥٦ .

[١٣٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٩٦ .

[١٤٠] المس بيل : العراق في .....،مصدر سايق ، ٤٩٦ .

[١٤١] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات .....ج١ ،مصدر سابق ،ص٢١٤.

كانت تشكل عبئاً ثقيلاً على العراق لقد ساد الذعر، والخوف بعد محاولة اغتيال إثنين من النواب الشيوخ المؤيدين للمعاهدة.[١٤٢] فضلاً عن المظاهرات،و الاجتماعات في بغداد التي يعلن فيها التنديد بعقد المعاهدة. لقد شكلت المعاهدة وسيلة للضغط على الملك فيصل، فقد ساومه شيوخ العشائر بأنهم لايصوتون على المعاهدة اذا لم يتعهد الملك بأن يضمن لهم الامتيازات العشائرية في القانون الاساس (الدستور). [١٤٣] فضلا عن تهديد آخر من المندوب السامي البريطاني (هنري دوبس) مهدداً "أن العراق اذا لم يصادق على المعاهدة فأننا سنرحل عن البلاد".[١٤٤] بل لقد حدث تطور اخر فقد طلب المندوب من الملك فيصل حل المجلس، واعطاء تعليمات الى وزير الداخلية لاغلاق بناية المجلس وتم تحديد اليوم العاشر من حزيران موعداً نهائيا لتوقيع المعاهدة.[١٤٥] لقد كانت كلمات الملك(فيصل) معبرة جدا عن هذا المأزق خلال اجتماعه باعضاء المجلس قائلا "فأنا أدفع عني المسوؤلية، والقيها عليكم... أنا لااقول لكم: اقبلوا المعاهدة أو ارفضوها. انما اقول: اعملوا ماترونه الأنفع لمصلحة البلاد، فان اردتم رفضها، فلاتتركوا فيصلا معلقا بين السماء والارض اوجدوا لنا طريقا غير المعاهدة".[١٤٦] فقد كان اكثر تقديرا للموقف، وبعيدا عن الاهواء التي تعصف في تحديد المواقف المختلفة، وقد لمس الكثير من المواقف المساومة على رفض المعاهدة بدافع المصالح الشخصية، فضلا عن تقديره القوة البريطانية مقابل امكانيات العراق، "فالسلطة في النهاية تقع في يد المندوب السامي".[١٤٧] لقد كانت ليلة (١٠-١١ /حزيران ١٩٢٤)، حاسمة في تصديق المعاهدة، وهي موعد الانذار النهائي للمندوب السامي في قبول المعاهدة، أو رفضها، فقد تم

---

[١٤٢] هنري أ. فوستر : مصدر سابق ، ص ٢٣٠ .

[١٤٣] المس بيل : العراق في ..... ، مصدر سابق ، ص ٥٢١ .

[١٤٤] المصدر السابق نفسه ، ، ص ٥٢١ .

[١٤٥] فيليب ويلارد آيرلاند: مصدر سابق ، ٣١٦ .

[١٤٦] حسين جميل : العراق شهادة .... ، مصدر سابق ، ١١٥ .

[١٤٧] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ،ص ٢٦٢ .

تمشيط مدينة بغداد للبحث عن أعضاء المجلس من قبل مدير الشرطة شقيق (جعفر العسكري)، وأحد مرافقي الملك لجمع أكبر عدد ممكن من الاعضاء، ولقد تناغمت أدوار متعددة داخل المجلس بين من يحول دون تصديق المعاهدة لانه يرغب في بقاء الانتداب وهو (عبد المحسن السعدون)، ودور (ياسين الهاشمي) بضرورة تعديل المعاهدة، و(نوري السعيد) في تصديق المعاهدة رافضاً اي تعديل، لقد جاء أخيراً تصديق المعاهدة باغلبية احد عشر صوتاً فقط، وامتناع ثمانية عن التصويت.[148] وهكذا صاغت المعاهدة طبيعة العلاقات العراقية ـ البريطانية، فقد حوت جميع مبادىء الانتداب. فضلاً عن ملحقات المعاهدة وهي الاتفاقيات العسكرية والعدلية والمالية، لقد جاءت موادها "المادة (٣) التي جاء فيها يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانونا اساسيا، يكفل هذا القانون الذي لايجب ان يحتوي على ما يخالف المعاهدة، والمادة (٤) تضمنت ضرورة استشارة ملك العراق الحكومة البريطانية في جميع الشؤون المهمة التي تمس بتعهدادت ومصالح بريطانيا في المادة(٦) بان تسعى لادخال العراق في عضوية عصبة الامم". [149] وعلى الرغم من أن المجلس التأسيسي أول سلطة تشريعية في العهد الملكي، الا أن طغيان عملية التصديق على المعاهدة جعل المجلس يفرز القوى التي تتركز السلطة فيها وهي:

١- سلطة المندوب السامي، وتظهر ممارسته للسلطة من خلال اتخاذ الاجراءات العنيفة بضرب القوى المعارضة لتصديق المعاهدة.
٢- سلطة الملك (فيصل) فهي سلطة قائمة على التوازن بين القوى المختلفة فهو وحسب تعبير (ناجي شوكت) "قائد فرقة موسيقية (ميسترو)، يشرف على جميع العازفين ويوجههم الوجهة التي يرتئيها ويوفق بين عزفهم ونوتاتهم."[150]

[148] المس بيل : العراق في .... ، مصدر سابق ، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .
[149] عبد الرحمن البزاز : مصدر سابق ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .
[150] ناجي شوكت : مصدر سابق ، ص٢٤٤ .

٣- سلطة القوى التي ارتبطت بالسياسة البريطانية، فهي ترى أن الارتباط بالسياسة البريطانية هو الحل الوحيد للعراق في جميع القضايا السياسية، والاقتصادية، والعسكرية. فاذا كان (عبد المحسن السعدون) لا يرغب في التصديق على المعاهدة والعمل على الحيلولة دون ذلك راغبا في استمرار نظام الانتداب. فان(نوري السعيد) يجد المعاهدة تجعل العراق اكثر ارتباطا بالسياسة البريطانية فهو قاد عملية التصديق على المعاهدة ويذكر نوري السعيد للمس (بيل) أن ليلة التصديق على المعاهدة نام جميع النواب الذين صادقوا على المعاهدة تحت حماية الشرطة ولكنهم "استيقظوا في صبيحة اليوم التالي ليجدوا انفسهم ابطالا! وانه لم يزره مثل هذا العدد الكبير من الناس قبل هذا ليقولوا له انه اسد". (١٥١) وهذا دليل على السلطة، والنفوذ اللذين سيتمتع بهما فيما بعد.

٤- قوى لاترغب في الارتباط بالسياسة البريطانية، فهي تتخذ سياسة المعارضة، ولكنها تبحث عن قوى اخرى تستخدمها للوصول الى السلطة، فدور (ياسين الهاشمي) في رفض التصديق على المعاهدة سوف يتغير مع وصوله للسلطة، واستخدامه للعشائر في تحقيق ذلك وسوف تظهر الاحداث الكثير من امثال (ياسين الهاشمي) الذين ينضوون تحت هذه الفئة. وهكذا فهناك تعدد في مراتب السلطة التي تفرزها الاحداث السياسية.

ثانيا: القانون الاساس (الدستور): ـ لقد جاء القانون الاساس نتيجة للمواقف الدولية التي أفرزتها وقائع الحرب العالمية الاولى، منها ما هو متعلق بنص المادة (١٣) من معاهدة الصلح الموقع عليها في (سيفر) في (١٠ آب / ١٩٢٠)، التي وضع بموجبها العراق الى جانب الدول المتحالفة في الحرب، والمادة (٩٤)، من معاهدة الصلح التي وضع العراق بموجبها تحت الانتداب البريطاني على وفق المادة (٢٢) من الفصل الاول عهد

(١٥١) المس بيل : العراق في ....، مصدرسابق ، ص ٥٤٥ .

عصبة الامم فضلاً عن المادة الاولى من لائحة الانتداب البريطاني على العراق.[١٥٢] التي نصت "للمنتدب أن يضع في أقرب وقت، لايتجاوز ثلاث سنين من تاريخ الانتداب، قانوناً أساسيّاً للعراق يعرض على مجلس جمعية الامم للمصادقة عليه فينشر سريعاً، وهذا القانون يسن بمشورة الحكومة الوطنية ويبين حقوق الاهالي الساكنين ضمن البلاد، ومنافعهم ورغائبهم، ويحتوي على مواد تسهل تدرج العراق،وترقيه كدولة مستقلة، وفي الفترة قبل العمل بالقانون الاساسي،تجري ادارة العراق طبقاً لروح الانتداب".[١٥٣] لقدعهدت الحكومة البريطانية الى إعتمادها في العراق أن تسرع في وضع القانون الاساس "فتألفت لجنة من الميجر يونغ الموظف في دائرة الشؤون الشرقية في وزارة المستعمرات البريطانية وأيم اي دوراورد المستشار القضائي لدار الاعتماد البريطاني، والمندوب السامي برسي كوكس، لقد استعانت هذه اللجنة بالدستور الاسترالي، والدستور النيوزلندي، وبعض الدساتير الاخرى."[١٥٤]

كان البريطانيون الذين اشتركوا في وضع لائحة القانون الاساس يبغون اتخاذ التدابير التي تعزز مركز بريطانيا في العراق اكبر من واجب تأمين ادخال الشروط والمواد التي تكفل نجاح سير جهاز الدولة العراقية فقد"أريد بالدستور ان لا يصبح اداة للحكم فقط،بل وسيلة من وسائل السياسة أيضاً تحافظ على روح المعاهدة وتسهل امور الادارة بموجب الالتزامات التي اخذتها بريطانيا العظمى على عاتقها كدولة منتدبة".[١٥٥] لقد مر مشروع لائحة القانون الاساس بمراحل عديدة بين بغداد ولندن، وقد تألفت لجنة عراقية من السادة (ناجي السويدي)، و(ساسون حسقيل)، و(رستم حيدر)، لقد كانت نقاط الاختلاف تتركز في إضفاء الشرعية على البيانات،

---

[١٥٢] السيد عبد الرزاق الحسني: ملحق رقم ثانيا (لائحة الانتداب البريطاني على العراق)،تاريخ الوزارات....ج١ ،مصدر سابق ، ص ٣٠١ .

[١٥٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٢ .

[١٥٤] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ العراق الحديث، ج١ مطبعة العرفان، ص١٠، ط٢، ١٩٥٧، ص٢٠٥-٢٠٦.

[١٥٥] فيليب ويلارد ايرلاند : مصدر سابق ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

والانظمة،والقوانين التي كان قد اصدرها القائد العام للقوات البريطانية في العراق، والمندوب السامي، والتي اصدرتها حكومة الملك فيصل،وكذلك من نقاط الاختلاف الاخرى جعل الوزراء مسؤولين امام النواب وليس امام الملك،فان مسؤولية الوزارة امام مجلس النواب يجعل النظام برلمانيا.[١٥٦] لقد كانت محاولات زيادة صلاحيات السلطة التنفيذية من خلال اصدار المراسيم التي تكون لها صفة قانونية، وتعين أعضاء مجلس الاعيان من قبل الملك، وتعيين الموظفين السياسيين من قبل الملك بعد قرار مجلس الوزراء، وامكان تصديق الملك على القوانين التي يشرعها البرلمان، فرض قيود قضائية للحد من السلطة التشريعية، فخولت المادة (٨١) المحكمة العليا تفسير القوانين،و محاكمة الوزراء، واعضاء محكمة التمييز.[١٥٧] لقد وضعت قيود لتعديل القانون الاساسي الى حد تحريم اجراء اي تعديل فيه، وتظهر المادة (١١٨)، صورة التعديل "يجوز لمجلس الامة في خلال سنة واحدة ابتداء من تنفيذ هذا القانون ان يعدل أيّاً من الامور الفرعية في هذا، او بالاضافة اليها لاجل القيام باغراضه على شرط موافقة مجلس الامة باكثرية ثلثي الاراء في كلا المجلسين".[١٥٨] فضلاً عن المادة (١١٩) التي جاء فيها "لا يجوز قطعياً ادخال تعديل على القانون الاساسي الى مدة خمس سنوات من تاريخ ابتداء تنفيذه، ولايعدل تلك المدة ايضاً الا على الوجه الاتي: كل تعديل يجب ان يوافق عليه كل من مجلس النواب، والاعيان باكثرية مؤلفة من ثلثي اعضاء كلا المجلسين، وبعد الموافقة عليه يحل مجلس النواب، وينتخب المجلس الجديد فيعرض عليه، على مجلس الاعيان التعديل المتخذ من المجلس المنحل مرة ثانية، فاذا اقترن بموافقة المجلسين باكثرية مؤلفة من ثلثي اعضاء كليهم يعرض على الملك للتصديق وينشر."[١٥٩] انتهى المجلس التأسيسي من المصادقة على القانون الاساس في (١٠ تموز /١٩٢٤)، ولكن الملك فيصل لم يصادق على القانون

---

[١٥٦] حسين جميل : العراق شهادة ...... ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .

[١٥٧] د.مجيد خدوري : نظام الحكم في العراق ، ترجمة ، فيصل نجم الدين الاطرقجي، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٤٦ ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

[١٥٨] المصدرالسابق نفسه ، ٤٠ .

[١٥٩] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ العراق .... ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

الاساس ولم ينشر في الجريدة اليومية الا في(٢١ آذار / ١٩٢٥)، لقد كان سبب ماجاء في المادة (٩٣) من القانون الاساس، التي تقضي بعدم منح امتياز لاستثمار مورد من الموارد الطبيعية ثلاث سنوات الا بعد التصديق من المجلس النيابي، وهذا يعرقل الامتيازات النفطية الممنوحة للشركات البريطانية، فقد يواجه منح الامتيازات معارضة نيابية، فقد كان مجلس الوزراء يمنح الامتيازات، وقد تم منح الامتيازات من قبل مجلس الوزراء،فتم التصديق على القانون الاساسي أي بعد ثمانية أشهر من تصديق المجلس التأسيسي.[١٦٠]

يتألف القانون الاساس من ثلاث وعشرين مادة موزعة على مقدمة، وعشرة أبواب تتألف من أربع مواد حددت اسم القانون، وشكل الحكومة، وعاصمة الدولة، وشكل علمها. يتألف الباب الاول من أربع عشرة مادة عالجت حقوق الشعب وكرس الباب الثاني منه بمواده الثمانية لموضوع حقوق الملك، وواجباته. اما الباب الثالث الذي ضم سبعاً وثلاثين مادة، فقد خصص لصلاحيات السلطة التشريعية، والباب الرابع بمواده الاربع مكرس لصلاحيات السلطة التنفذية وواجباتها، وخصص الباب الخامس بمواده الاثنتين والعشرين للسلطة القضائية، اما بقية أبوب القانون الاساس، فانها عالجت قضايا المالية،والادارة،ومواد عمومية.[١٦١]

وعلى الرغم من ان القانون الاساس جاء على وفق مانصت عليه لائحة الانتداب، وما اشترطته صيغة بيعة الامير فيصل عاهلا لعرش العراق، فضلا عما اشترطته المعاهدة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٢٢. وقد ضم ايضا نصوصا عامة تضمنتها معظم الدساتير مثل حقوق الانسان، وحماية الشخصية وحرية المعتقد واللغة والتعليم وحقوق الاقليات والمساواة امام القانون. فقد نظم عمل الجهاز الحكومي في النظام الملكي، وامتيازات العرش وعمل الوزارات فضلاً عن عمل البرلمان والتنظيمات الادارية

[١٦٠] حسين جميل : العراق شهادة .... ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

[١٦١] ديوان التدوين القانوني : القانون الاساسي مع تعديلاته ، بغداد ، ١٩٥٣ . ص ١٩ ـ ٦٥ .

والنظام القضائي، وبهذا قد نظم عمل سير السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. ولكن تبقى فاعلية القوى المؤثرة في عملية تطبيق فقرات القانون الاساس هي المحك الاساس لمدى محافظته على طبيعة النظام البرلماني الذي جاء به ومدى تأمين حقوق وحريات الافراد في مراحل السلطة المختلفة.

ثالثا: قانون إنتخاب مجلس النواب: لقد تركز نقاش المندوبين في المجلس التأسيسي على موضوعات طبيعة الانتخاب، ونسب تمثيل الطوائف والعشائر والمناطق الجغرافية في مجلس النواب.[١٦٢] انتهى المجلس التأسيسي من مناقشة (قانون انتخاب مجلس النواب) في جلستهِ التاسعة والاربعين المنعقدة في (٢ آب /١٩٢٤)، بالموافقة على لائحته بالصورة النهائية.[١٦٣] لقد تضمن القانون المبادىء الاتية: ـ[١٦٤]

١. الانتخاب على درجتين .
٢. الناخبون هم من الذكور فقط ممن اتم العشرين من عمره وممن يؤدي ضريبة الى الحكومة أوالبلدية.
٣. لا يشترك في الانتخاب الجنود وافراد الشرطة ماداموا قائمين بالخدمة المسلحة الا اذا كانوا مأذونين عند اجراء الانتخاب فلهم أن يشتركوا به.
٤. المنتخب الثاني يجب أن يكون قد أتم الخامسة والعشرين، ويكون لكل مائتين وخمسين ناخبا منتخب واحد، والمنتخبون الثانويون هم الذين ينتخبون النواب.
٥. الدائرة الانتخابية هي اللواء.ويكون لكل عشرين الف من عدد الذكور في اللواء نائب واحد.

---

[١٦٢] مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة ١٩٢٤ ، ج ٢ ، ص١١٣٩ ـ ١١٤١ .

[١٦٣] المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٤٨ .

[١٦٤] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ ـ ١٩٤٦ وموقف جماعة الاهالي منها ، مكتبة المثنى ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ٥٥ ـ٥٦.

٦. قسم العراق على ثلاث مناطق (الاولى) تحتوي ألوية الموصل وكركوك والسليمانية واربيل و(الثانية) ألوية بغداد وديالى والدليم والحلة وكربلاء والكوت والديوانية و(الثالثة) ألوية المنتفك والعمارة والبصرة.

٧. يكون للاقليات المسيحية والموسوية عدد من النواب ،في لواء الموصل مسيحيان وموسوي واحد، وفي بغداد مسيحي واحد وموسوي واحد وذلك الى العدد الذي ينتخب من النواب بنسبة عدد الذكور في اللواء.

منح القانون الاساس مجلس النواب او احد اعضائه بتأييد عشرة من زملائه، حق اقتراح القوانين، فضلاً عن اللوائح التي تتقدم بها الحكومة حسب احتياجات مؤسساتها المختلفة. ويحق للنائب أن يتوجه بما يشاء من الاسئلة الى الوزراء، وان يستوضحهم في كل مايتعلق بالشؤون العامة. وكفل القانون حرية الكلام للنائب فيما حظر عليه الجمع بين عضوية المجلس، واي وظيفة حكومية اخرى باستثناء الوزراء ووكلائهم، أو من ينتدبه المجلس للقيام بمهمة خاصة في الدولة لاتتجاوز مدتها السنتين.[١٦٥]

ولضمان استقلال البرلمان،واعضائه منحهم المكافآت، اوالمخصصات البرلمانية. أما مجلس الاعيان، فهو المجلس الثاني للبرلمان العراقي، ولايتجاوز عدد أعضائه ربع مجموع أعضاء مجلس النواب،وهؤلاء يختارهم الملك من بين الذين "نالوا ثقة الجمهور واعتماده بأعمالهم، وممن لهم ماضٍ مجيد في خدمة الدولة، والوطن ".[١٦٦] وتحدد عمر عضو مجلس الاعيان بأربعين سنة فما فوق، ومدة عضويته بثمانية سنوات اي ضعف مدة عضوية النائب، وكان مجلس الاعيان يجتمع في الوقت نفسه الذي يجتمع فيه مجلس النواب، ويعطل فيه، ولايحق للاعيان اقتراح اللوائح القانونية، وقد حاولوا

---

[١٦٥] د.مجيد خدوري : نظام الحكم ....، مصدر سابق ، ص ٥٤ .

[١٦٦] ديوان التدوين القانوني : مصدر سابق ، ص ٣٢ .

الحصول على مثل هذا الحق في سنة ١٩٢٦، غـير ان محـاولتهم لـم تـسفر عـن نتيجـة ما.[١٦٧] وعلى الرغم من ان الحيـاة البرلمانيـة "لـم تكـن مركـز قـوة، ولا منبـع سـلطة بالضرورة، ولكنها كانـت موجـودة. كانـت هنـاك إنتخابـات نيابيـة خـلال فـترة مـن الزمن...... ولكنها لم تكن انتخابات مثالية، لم تكن حظوظ المرشحين متـساوية.........، وسجلات الناخبين ضعيفة ناقصة، متلاعب فيها غير انه كانت هناك انتخابات ومجلـس نيابي ".[١٦٨] لقد شكل الانحـدار الطبقـي للنـواب في الـسعي أن تكـون النيابـة فرصـة للانتفاع الشخصي " ففي عام ١٩٢٥ كان من الصعب نوعاً ما الحصول عـلى المرشـحين الكافين للنيابة على انه سرعان ما اتضح للناس، ان النيابة كانت تعني واردا مـضموناً، واكثر من ذلك جاذبية وجاهاً عريضاً ".[١٦٩] فضلاً عن السعي لاصـدار القـوانين التـي تجيز شطب الضرائب وسائر التشريعات الاخرى التي تخدم مصالحهم.وكانت في الاخص في صالح طبقة ملاكي الاراضي الذين يؤلفـون الاكثريـة في مجلـس النـواب، واسـتغلال نفوذهم في معاملة ترجيحية من موظفي المالية، او في تعيين المحسوبين.[١٧٠] لقد سـعت السلطة لادخال الاسماء المعارضة في قوائمها الانتخابية ممن لهم شعبية لدى الجمهور، لكي تخفف الشعور بابتعاد مجلس النواب عن تمثيل الشعب، فكان بعـضهم يقومـون بواجباتهم النيابية بما يملكون من كفاءة.[١٧١] ويبقى المجلس النيـابي وسـيلة "الجـذب انشط الأدمغة في البلاد فقد انعكس فيه الرأي العام، ولو كان إنعكاساً منقوصاً، وقـام بواجب جهاز التوقيت في التشريع الذي لولا وجوده لفرض على البلاد بـاسرع ممـا كـان بوسعها أن تهضمه، كمـا انـه قـام بالحـد مـن محـاولات الـوزراء في اتخـاذ المواقـف

[١٦٧] د.مجيد خدوري : نظام الحكم ....،مصدر سابق ، ص ٥١ .

[١٦٨] د. غسان سلامة : مصدر سابق ، ص١١٧ .

[١٦٩] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ص ٣٤٠ .

[١٧٠] المصدر السابق نفسه، ص ٣٤١ .

[١٧١] حسين جميل : الحياة النيابية .... ، مصدر سابق ، ص ٧١ .

الدكتاتورية."[١٧٢] ولكن تبقى حقيقة النظـام النيـابي تتـأرجح بـين امكانيـة انبثـاق الحكومة عن هيأة منتخبة من الشعب إنتخاباً (حـرّاً)، وتكـون (مـسؤولة) امـام تلـك الهيأة، ومدى فاعلية (الفصل) بين السلطات التشريعية، والتنفيذيـة، والقـضائية فهـل هذا كان متوفرا؟ لا يمكن البحث عن الحرية، والمساواة، والمـشاركة التـي هـي اسـاس النظام البرلماني دون التعرف على ابعاد السلطة.

المطلب الثالث:أبعاد السلطة في العهد الملكي: ـ لم يكن القـانون الاسـاس (الدستور)، والنظام النيابي وسيلة لفهم ابعاد السلطة لان هناك ابعادا للسلطة تـشكل مؤشرات اساسية لفهم ممارستها الحقيقية،لم يتم ادراجهـا بـين فقـرات الدسـتور أو النظام النيابي وهي:ــ

اولاً: البعد الطائفي: ـ ان المساواة هي اندماج الافراد في مجتمعاتهم عـلى اصـعدة الانتاج والاستهلاك والعمـل الـسياسي، والتفاعـل الاجتمـاعي، واللامـساواة هـي الاستبعاد،او الحرمان، او الاقصاء عـن هـذه المـشاركة، فالاسـتبعاد الاجتمـاعي يتعارض مع مبدأ الفرص المتكافئة من نـاحيتين في الاقـل، فمـن الناحيـة الاولى أن الاستبعاد يؤدي الى وجود فرص تعليمية، ومهنيه غير متكافئة، والناحية الثانية أن الاستبعاد بشكل واقعي انكار للفرص المتكافئة على صعيد المشاركة السياسية.[١٧٣] لقد ترجمت الدولة العثمانية مسائل الاسـتبعاد الاجتمـاعي في مجـالات المـشاركة السياسية، والفرص التعليمية، وبالتالي انحسرت الوظـائف العـسكرية، والاداريـة بابناء مذهب واحد، على الرغم من أن هذه المشاركة اقتـصرت عـلى الاصـول غـير العربية من أبنائها أنفسهم أو كان تعاملهـا مـع الـذوات الـذين يحتلـون المراكـز الاقتصادية، والاجتماعية في المجتمع، لقد حصل بعض أبناء الطبقة الوسطى (أهل

[١٧٢] فيليب ويلارد ايرلاند : مصدر سابق ، ص ٣٤١ .

[١٧٣] جون هيلز وآخرون : الاستبعاد الاجتماعي ..... محاولـة للفهـم ، سلـسلة عـالم المعرفـة ، المجلـس الوطني للثقافة والفنون والاداب ،الكويت ، ٢٠٠٧ ، ص ٧٠ ـ ٧١ .

الكفاية) على فرص تعليمية،وبالتالي أصبح التعليم وسيلة للحراك الاجتماعي، والاقتصادي في تبوأ المراكز الادارية، والعسكرية، وكما مر معنا سابقاً. ومهما حاولنا الابتعاد في أن يكون البحث مركزاً في تأثير سياسة الاقصاء في الطبقات المسحوقة (اهل الكفاف)، نجد أنفسنا نبحث في إقصاء الذوات من الشيعة ايضا ويبدو أن بحثنا مؤطر بقول الشاعر:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم

ولاسراة لهم إذا جهالهم سادوا[*]

ولنترك قليلاً ذلك الجندي ـ الفلاح ـ المتذمر من قانون التجنيد الاجباري الذي يجد ان لا قيمة للوطن اذا لم يوفر له مطلبا بسيطاً" (عمي شنو وطن؟) ليس عندي كوخ أعيش فيه، ولا احد يسمح لي برعي جاموستي حتى في الأهوار".[١٧٤]

لقد سارت السياسة البريطانية على السياسة نفسها التي ارست قواعدها الدولة العثمانية، فضلا عن مشاركة (أبنائها) من الذين تولوا احتلال المناصب الادارية، والعسكرية في جميع أجهزة الدولة، وابنائها (بالتبني) من العراقيين في ممارسة سياسة الاقصاء، ولكن تبقى السياسة البريطانية الاساس في ارساء هذه السياسة فمن السذاجة القول أن المندوب السامي (برسي كوكس) قد انصاع للسيد (عبد الرحمن النقيب) في تشكيل الحكومة المؤقتة.

فعندما يتردد المندوب السامي في قبول احد الاسماء يذكره (عبد الرحمن النقيب) قائلا: "مولاي انه إبن فلان وجده إبن فلان، فبأي وجه اقابل اجداده في العالم الاخر إذا لم ادخله الوزارة."[١٧٥] فيرضخ المندوب السامي لطلب النقيب من اجل اجداد اشخاص

---

* سراة ،اعلى الشي ، وسراة القوم سادتهم ورؤساؤهم .

[١٧٤] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات ......ج١ ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

[١٧٥] د. علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج ٦ القسم الاول ، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

يعتبون على النقيب في (العالم الاخر) لعدم تعيين حفيدهم وزيرا في الحكومة المؤقتة! إذا اما عرفنا أن للنقيب اراء في الشيعة نقلها الى المس بيل والذي يجد الشيعة (اهل وثنية) على الرغم من قوله ان الشيعة "يودونني ويحترمونني وهم يعتبرونني بمنزلة شيخهم."[١٧٦] فمن خلال رسائل المس (بيل) المسهمة والشاهدة على قيام السلطة العراقية في مرحلتها المؤقتة، وملوكية فيصل، قائلة:"مازال الشيعة يتخذون موقفاً معاديا، وظلامتهم الرئيسية هي ان مجلس الوزراء ليس فيه وزير شيعي ذو حقيبة وزارية ".[١٧٧] كما انها تذكر أيضاً في رسالة أخرى أن (ساسون حسقيل) وزير المالية في حكومة النقيب المؤقتة قد اقترح عليها " أن يضم أحداً من رجال كربلاء، والنجف البارزين الى عضوية مجلس الوزراء ".[١٧٨] فضلاً عن سرورها "أن العقوبات التي عاقبت بها جيوشنا القبائل الفراتية عقوبات قاسية. والقبائل المذكورة ساخطة على البغداديين، اكبر من سخطها علينا نحن لأنهم على مايقولون ضللوهم وخرجوا سالمين غانمين من المعمعة ".[١٧٩] فهي تبعد مسألة المشاركة السياسية عندما تشعر ان هناك احتمالات في انضمام الشيعة الى مجلس الوزراء فتقول" أن العشائر الفراتية تتذاكر فيما بينها حول تقديم الخضوع، واعتقد بصورة عامة انه من الانفع لنا بانها يجب ان تخضع لقوة السلاح بدلاً من انصياعها لقناعات مجلس الوزراء العراقي."[١٨٠] فالأنفع لسياستهم في العراق هي استخدام القوة بدلاً من سياسة التقارب التي تؤدي الى مشاركة شيعية في مجلس الوزراء، فكثيراً ما تردد القول "تدخلت لأثنيهم عن استيزار شيعي".[١٨١]

---

[١٧٦] المس بيل : فصول من تاريخ .... ، مصدر سابق ، ص ٤٧٨ .

[١٧٧] المس بيل: العراق في .... ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠ .

[١٧٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٤ .

[١٧٩] المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ .

[١٨٠] المصدر نفسه ،ص ٢١٩ .

[١٨١] المصدر نفسه ، ص ٤٩٦ .

وبهذا ولعل الغاية من هذا الاستبعاد تكون واضحة جدا بقولها الذي لايحتاج الى اي تعليق "من حسن سياستنا في العراق، أنهم حينما يختلفون يطلق النار أحدهم على الاخر وليس علينا."[١٨٢] فلم يقتصر الامر على مجلس الوزراء، بل شمل الاقصاء تعيين المتصرف، والقائممقام فيذكر(ايرلاند) "اذ اكانت ظلامة الشيعة الاصلية، معارضتهم الملازمة للحكومة المؤقتة التي يسيطر عليها البريطانيون نفسها خلو مجلس الوزراء من وزير شيعي ذي وزارة، ولم يناقض سخطهم ان قائمة (وزير الداخلية) التي كانت تحتوي على خمسة متصرفين وتسعة قائممقامين لم يكن فيها غير قائممقام واحد ينتمي لطائفتهم."[١٨٣] فاذا ماعلمنا ان السيد (طالب النقيب) هو وزير الداخلية، والمستر(فلبي) هو مستشار الداخلية ينتفي البحث عن سبب هذه التعيينات، ومع حكومة الملك فيصل لم يتغير الامر كثيرا على الرغم من سعي الملك فيصل لتحقيق نوع من التوازن بين القوى المتفاعلة، والمختلفة وهذا ماكان يغضب المندوب السامي فغالبا ماكان يكرر القول "أن فيصلا لما كان ملكا دستوريا فأنه يعجب لماذا يتدخل في تفصيلات الشؤون المختلفة ".[١٨٤] فكان سعي المندوب السامي يتركز في جعل الملك يسير على وفق المادة (٢٥)، من القانون الاساس "الملك مصون غير مسؤول ". [١٨٥] والغريب أن هناك الكثير من المصادر الحديثة التي تحاول ان تنتقد النظام الملكي في عهد الملك فيصل ضمن هذه النقطة، وكأنما النظام البرلماني كان مطبقا بصورة (مثالية) فلم يبقِ الا خروقات الملك للقانون الاساس في هذه التدخلات؟ لقد لخص الملك فيصل في مذكرته الشهيرة الاوضاع في العراق مابحثه الكثيرون في مجلدات على الرغم من ان ما اشيع من فقرات خاصة من المذكرة، كان القصد منها التقليل من اهمية هذه الاثارات التي دعا الى الانتباه لها، ومعالجتها فقد اعلن مايخفيه بعضهم فهناك ميل عام لدى" أبناء المذهبين،طبعا

---

[١٨٢] المصدر نفسه ، ص ٥٣٣ .

[١٨٤] المس بيل : العراق في .... ،مصدر سابق ،ص ٤٢٤ .

[١٨٥] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ..... ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٣٤١ .

نفي وجود خلاف حقيقي،والتأكيد باستمرار على الوحدة الوطنية،وكان من شـأن هـذا المسلك أن يقلـل في الواقـع مـن أهميـة التمـايز المـذهبي، لاسـيما أن زعمـاء الـشيعة، وعلماءهم على الاخص كانوا يبدون الحرص على عدم الانزلاق لتكوين قـوة ضـغط عـلى الحكومة، مما كان ليشكل خدمة غير مباشرة للدول المجاورة ولبريطانيا ".[١٨٦] فكـانوا يتصرفون وحسب تعبير د.(غسان سـلامة) عـلى وفـق الحـديث الـشريف (اذا إبتليـتم بالمعاصي فاستتروا)، وقد عبر الملك فيصل عن خروج تلك المعاصي العلني في المذكرة لان لا احد يريد ان يعترف بالامر او يكرسه، على الرغم من ممارسة توزيع المقاعد الوزارية على اسس مذهبية وعرقية.[١٨٧] حتى أن الملك فيصلا يتردد في القول وقلبه "ملآن أسى"، فهو يلمس مشاكل التعدديـة القوميـة، والدينيـة، والمذهبيـة ممـا ادى "الى فقـدان الوحـدة الفكرية والملية والدينية" في المجتمع العراقي، فضلا عن عـدم الاخـذ بـالرأي الاخـر "أن عدم الاخذ بالرأي بتاتا، مهما كان حقيرا جريمة لاتغتفر "، و"العـراق مملكـة تحكمهـا حكومة عربية سنية"، واحترام "التقاليد والشعائر الدينية بين طوائف المسلمين بميـزان واحد"، وامكانية "اعطاء التعليمات الى قاضي بغداد أن يـسعى لتوحيـد أيـام الـصيام،و الافطار "، و"تعمير العتبات المقدسة "،والدعوة الى ايجاد "اوقاف خاصة "للـشيعة، وان تكون "المدرسة مطمئنـة لكـل سـكان العـراق، بـانهم سيـشتركون فعـلاً في خـدمات الدولة."[١٨٨] فغالبا ما تتحاشى المصادر ذكر هذه الاشارات ويكون التركيز على أن الملـك فيصلا وصف الشيعة، والاكراد بـ(الجهل)، فالنقاط التي يمكن تأشـيرها مـن المـذكرة هي:-

١. أن السلطة الحاكمة في العراق هي سلطة عربية، سنية بحتة.

---

[١٨٦] د.غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ٨٨ .

[١٨٧] المصدر السابق نفسه ، ٧٢ ـ ٧٣ .

[١٨٨] (الاقتباسات) السيد عبد الرزاق الحـسني : تـاريخ الـوزارات العراقيـة ،ج٣ ، دار الـشؤون الثقافيـة العامة، بغداد ، ط ٧ ، ١٩٨٨ ،ص ٣١٥ ـ ٣٢١ .

٢. فقدان مقومات الوحدة في المجتمع العراقي بسبب التعددية القومية، والدينية، والمذهبية.

٣. ضرورة احترام الشعائر الدينية، والعمل على تعمير المراقد المقدسة، وتوحيد أيام الصيام، والافطار، وايجاد صيغة لاوقاف شيعية، حتى لاتكون هناك مصادر للفتن، والدسائس.

٤. توفير فرص التعليم، والتأكيد أن خريجي المدارس يتمتعون بفرص متكافئة في اشغال الوظائف.

وبهذا لخص الملك فيصل قضايا الاستبعاد الاجتماعي من خلال زاويتين هما:ـ انعدام الفرص المتكافئة على صعيد المشاركة السياسية، وانعدام الفرص التعليمية، والمهنية.

فلم يأخذ مختصوه الذين وزع عليهم المذكرة بعين الاعتبار وهم: (جعفر العسكري)، و(ياسين الهاشمي)، و(نوري السعيد)، و(ناجي شوكت)، و(ناجي السويدي) "انهم اعتبروها نتاج نقص في الشجاعة على (العصرنة)، أو محاولة لخلق قطب سياسي في البلاد يوازن الملك به نفوذهم".[١٨٩] وبين اوراق (ناجي شوكت) إجابة عن المذكرة، منها نقطة جديرة بالذكر متعلقة بحق الشيعة في التعليم، والتوظيف "أنهم يبغون التوظيف، ولايلامون على ذلك لانه حق من حقوقهم اذ لافرق بينهم وبين المتعلمين من أبناء السنة..... بلا تفريق جنس أو مذهب".[١٩٠]

ويبقى سؤال للتاريخ هل أطلع الملك فيصل احد الشيعة على هذه المذكرة؟ فغالبا ما كان يؤاخذ على الملك فيصل محاولته الاتصال بعلماء الشيعة " كان الملك يحاول الاتصال بعلماء الشيعة، بصورة مغلوطة، وبخلاف مشورة أحسن أصدقائه ".[١٩١] لقد

---

[١٨٩] د.غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ٨٩ .

[١٩٠] د.محمد أنيس،و د .محمد حسين الزبيدي : أوراق ناجي شوكت .... رسائل ووثائق ، جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٨١ .

[١٩١] المس بيل : العراق في رسائل .... ، مصدر سابق ، ص ٤٨٤ .

عُزز البعد الطائفي للسلطة من خلال قانون الجنسية رقم (٤٢) لسنة ١٩٢٤، فقد جــاء في معاهدة لوزان، حق اكتساب الجنسية على أساسين هما:ــ حق الدم، وحق الاقليم.[١٩٢] ولكن هذا القانون قسم العراقيين الى مواطنين من الدرجة الاولى، ومواطنين من الدرجــة الثانية فقد عد حاملي الجنسية العثمانية، عراقيين (أصليين)، وحاملي الجنسية الايرانية من (التبعية) الايرانية. فلم يكن تكريس هذه المسألة بعيداً عن وجهة النظر البريطانية ؛ تذكر المس (بيل) " وجدت أن أحسن حجة اتذرع بها،عندما يأتي الي بعض الناس شاكين من أن فلانا، أو فلانا لم يدخل اسمه في قائمة الوزارة هي أن أسألهم قائلة: هل يمكنني عما اذا كان المومأ اليه من رعايا الدولة العراقية ام لا؟ فيكون الجواب كلا انه من رعايــا ايران. وعند ذاك اذكر لهم أنه في هذه الحالة لايمكنه أن يشغل منصبا في الحكومــة". [١٩٣] فبإسم هذه التبعية كانت بيانات الــسلطة تــدعوهم بالــدخلاء فقــد جــاء في احــد هــذه البيانات"قام نفر من الدخلاء، الذين لاعلاقة لهم بالقضية العربيــة،ولاتهمهــم مــصالح الشعب،والبلاد الحقيقية، وأن الحكومة تعلن بأنها عازمة على تسليم السلطة القانونيــة الى ممثلي الشعب الحقيقيين، ولايمكنها أن تتساهل إزاء تلاعــب الاهــواء الاجنبيــة."[١٩٤] لقد استمرت السياسة الطائفيــة للــسلطة ممــا أدى الى صــدور ميثــاق النجــف في (٢٣ مايس/١٩٣٥) الذي جمع بين مؤيديه علماء الدين، ورجــالاً مــن العــشائر، وقــد ضــم الميثاق نقاطاً تؤشر النهج الطائفي للسلطة ولعل أهم نقاط هذا الميثــاق " لقــد تمــشت الحكومة العراقية، منذ تأسيسها حتى اليوم عــلى سياســة خرقــاء. لاتتفــق، ومــصالح الشعب واتخذت سياسة التفرقة الطائفية اساسا للحكم، فمثلت أكثرية الشعب بــوزير،

---

[١٩٢] عبد الرزاق الهلالي : معجم العراق .... ج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٤٣ .

[١٩٣] المس بيل : العراق في رسائل .... ، مصدر سابق ، ص ٢٢٣ .

[١٩٤] عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٧٤ ــ ١٧٥ .نن

أو وزيرين، ممن يسايرون السلطة."[١٩٥] فضلا عن مواد اخرى تضمنها الميثاق وجهت انتقادات لتدخل السلطة في انتخابات مجلس الامة، والدعوة الى تعيين القضاة الشرعيين من المذهب الجعفري، ولزوم تدريس الفقه الجعفري في كلية الحقوق، وتمثيل عضو في محكمة التمييز اسوة بتمثيل الطائفتين المسيحية،والاسرائيلية،و العدالة في توزيع اموال الاوقاف وتحسين الاوضاع الاقتصادية في العراق.[١٩٦] ويجد د.(غسان سلامة) أن المطالب الشيعية تميزت بالاعتدال " ويمكن تفسير هذا الخط المعتدل بأسباب كثيرة، كعمق الشعور العربي، والتعلق بالأسرة الهاشمية،والخوف على العراق من مطامع جيرانه، ومن مؤامرات بريطانيا ".[١٩٧] لان الكيان العراقي كان مهدداً بالاخطار الخارجية "الناجمة عن وجود تركيا، وايران، والدول العربية المعادية في جوار العراق التي قد تهدد مستقبل الدولة الحديثة بقدر ماتهدد وضع البلاد الداخلي."[١٩٨] وقد تمثلت هذه الاخطار بالهجمات الوهابية على ألوية العراق الجنوبية، واطماع تركيا في الموصل على الرغم من حل مشكلتها فضلا عن تدخلات ايران وصلاتها بالمجتمع العراقي التي شكلت احدى ادعاءات السلطة التي اعتمدت عليها في انتهاج سياستها الطائفية.لقد كان واقع سياسة السلطة الطائفية مترجماً في عدد التعيينات الوزارية فلم يعين شيعي رئيسا للوزراء خلال (٢٧)عاما بعد انشاء الدولة العراقية الى عام ١٩٤٧، فقد بلغت النسبة (٥) من أصل(٨٥)تعيينا.[١٩٩] فضلا عن احتلال الضباط السُنة أعلى المراتب العسكرية،في حين كان معظم الجنود من الشيعة.فقد بلغ عدد الضباط السنة(٣٦) ضابطا كبيرا،

---

[١٩٥] السيد عبد الرزاق الحسني :تاريخ الوزارات العراقية ،ج٤ ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، ط٧، ١٩٨٨، ص٩٢

[١٩٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٨٨ .

[١٩٧] د. غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ٨٩ .

[١٩٨] فيليب ويلارد آيرلند: مصدر سابق ، ص ٢٨٨.

[١٩٩] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات .... ج ١ ،مصدر سابق ، ص ٦٩ .

وواحد فقط من الشيعة عام ١٩٣٦.[٢٠٠] كما كان من الممكن ترشيح نائب سني عن المناطق الشيعية، الا أنه لم يحدث قط إنتخاب سياسي شيعي عن المناطق السنية. [٢٠١] وتميز المجلس النيابي بتمثيل الشيعة اكثر من تمثيلهم في مجلس الوزراء، بحيث كانوا يمثلون ثلث اعضاء المجلس النيابي سنة ١٩٢٥، بينما معدل وجود الشيعة في الحكومات لم يتجاوز الربع،وهذه حال الاقليات من مسيحيين، ويهود فنسبة الملاكين الكبار أعلى في المجلس النيابي بحيث تبلغ ٥٧ % مقابل نسبتهم في الحكومة ٣٧ %.[٢٠٢] فلم تكن نسبة التمثيل الشيعي في المجلس النيابي إلا ضمن اطر مشاركة الملاكين الكبار في السلطة فقط ضمن توجهات السلطة العشائرية. غالباً ماتثار مسألة ان الشيعة غير قادرين على تهيأة الملاكات الادارية " على الرغم من أنهم أكثرية سكان العراق،.... يضاهون بعددهم عدد الموظفين من الطائفة السنية بالنظر لاحجام أبناء الشيعة عن التعليم العلماني".[٢٠٣] يمكن ان يكون الرأي صحيحاً ولكن هل يمكن ان يستمر احجام الشيعة عن التعليم العلماني (طوال) العهد الملكي في العراق، ولكن المسألة تكمن خلال العهد الملكي " ان النخبة السُنية كانت تساند طلاب الوظائف السنة في بغداد، وتمهد لهم الطريق لدخول المؤسسات العلمية، وفي الكليات العسكرية، فكان السياسي السُني مولود مخلص يساند دخول خريجي المدارس الثانوية من مدينة تكريت في دخول الكليات العسكرية بحيث أصبحوا قوة حقيقية في فئة الضباط، وكذلك كان لارشد العمري، ومصطفى العمري علاقات مماثلة مع مواطني مسقط رأسهم الموصل."[٢٠٤]

---

[٢٠٠] د.غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ٩٠ .

[٢٠١] د. فرهاد ابراهيم : الطائفية والسياسة في العالم العربي نموذج الشيعة في العراق ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ١٩٩٦ ، ص ١٨٤ .

[٢٠٢] د. غسان سلامة : مصدر سابق ، ص ١٢٧ .

[٢٠٣] فيليب ويلارد آيرلاند :مصدر سابق ،ص٢٣٨.

[٢٠٤] عصام الخفاجي : الدولة والتطور الرأسمالي في العراق ١٩٦٨ ـ ١٩٧٨ ، دار المستقبل العربي ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

على الرغم من ابتعاد المصادر التي كُتبت في العهد الملكي عن التطرق الى المسائل الطائفية، وبالتالي، اضاعت الفرصة في مناقشتها،ووضع حلول لها، فذهب بعضهم في بحث فكرة الهوية العراقية، والخصال القبلية العربية فقد صاغ الشيخ (علي الشرقي) "رؤية للوطنية العراقية تعتمد على الطابع القبلي للمجتمع العراقي، والدور التاريخي لقبائل العراق في الحفاظ على الروح (الحقيقية) للعروبة في البلاد. ودعا الى بلورة فكرة وطنية تجمع عناصر الشرق، والغرب بقيم العراق وتراثه ".[٢٠٥] ان الميل للبحث عن الانتماء العربي العراقي في بحوث الكثيرين هو محاولة للابتعاد عن تهمة (الطائفية) أو تهمة (الاعجمية)، لان التهمة هذه تطرد الكثيرين من الشيعة، ولاسيما أنها تصدر من شخصيات لها قيمتها السياسية،والفكرية في المجتمع العراقي، فـ(حسين جميل) يجد أن السيد (عبد الرزاق الحسني)، و(محمد مهدي الجواهري) أنهما "لم يتحررا من الخلفية المذهبية".[٢٠٦] في احد المواقف، في حين يعبر د.(غسان سلامة)عن مواقف السيد عبد الرزاق الحسني بهذه الكلمات " أما صاحب تاريخ الوزارات، فهو يأنف من الدخول في مسألة الانتماءات المذهبية".[٢٠٧] فضلاً عما كانت تحمله الرسائل الخاصة المتبادلة بين رجالات السلطة فهذا (علي محمود الشيخ علي) يعبر برسالة خاصة الى (ناجي شوكت) مؤرخة في ٥/ ٧ /١٩٣٥، عن آراء ما كان يدور في الخفاء فيجد"أن الشبيبة الجعفرية، المتعلمة في أميركا، وفي بيروت وفي غيرها من المعاهد العلمية، والتي سلمت اليها، مقاليد تربية النشئ، وتثقيفه في الفرات الاوسط أقول أن أكثرها يحمل روحا طائفية شريرة تنذر بالخطر العظيم......... (فهم) يلقنون النشىء بان اشد انتداب يقاسي العراق منه هو انتداب السنة على الشيعة المسلوبة حقوقهم".[٢٠٨] ويستمر

[٢٠٥] اسحاق نقاش : الشيعة والدولة ، من كتاب المجتمع العراقي ...... ،مصدر سابق ، ص ٢٢٣ .

[٢٠٦] حسين جميل : العراق شهادة .... ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ .

[٢٠٧] د.غسان سلامة : مصدر سابق ، ص٩٠ .

[٢٠٨] د. محمد انيس،ود .محمد حسين الزبيدي : مصدر سابق ، ص ٢٧٠ .

قـائلاً "تمـادى الجهـال، والاغـرار مـن المتـصلين بالـسيد عبـد المهـدي (المنتفكـي) والشبيبة،ومن ولههم في غيهم..... أني انـشر بـضع مقـالات دفاعـاً عـن الـنفس".[٢٠٩] وغيرها الكثير من الرسائل التي تعبر عن هذا النهج، وبهـذا ولـدت الـسياسة الطائفيـة حقوقاً لمن تسانده السلطة، مقابل نزع الحقوق المشروعة لمن لايتمتع بدعمها.

لقد اسهم العرب المستخدمون في تعميق السياسة الطائفية للسلطة، يُظهر د.(سيار الجميل) وجهاً (مشرقاً) للعرب المستخدمين في ادارات الدولة العراقيـة منـذ تأسيـسها، ويضع محاور كثيرة لنشاط العرب في مجالات الثقافة، والتربيـة، والتعلـيم، والـصحافة فضلاً عن السلطة. يأتي تبرير هذا الاستخدام أن العراقيين "يحملون تقاليـد عثمانيـة، وشهادات قديمة غير مختصة".[٢١٠] وهذا الرأي لايختلف عن رأي سـاطع الحـصري "أن الحكومة العراقية في بدء تكوينها لم تجد بين ابنائها إلّا عدداً قلـيلاً جـداً مـن خريجـي المدارس العالية".[٢١١]

ويجعل د.(سيار الجميل) استخدام الملك فيصل عاهلا للعراق أول العرب المستخدمين في (تكوين) العراق المعاصر فلم "يجد أبناء العراق حرجا في أن يتولى زعامة العراق عربـي حجازي سليل أشراف مكة، بل أن المثقفين والعسكريين منهم وجدوها فرصـة تاريخيـة للعراق أن يتزعمه فيصل بـن الحـسين، ففـي ذلـك تمهيـد الـسبيل لنيـل الطموحـات السياسية، وتحقيق التطلعات القومية التي ناضـلوا مـن اجلهـا في الـسنوات العجـاف الطوال".[٢١٢] وهنا لابد من أن نتذكر كلمات المس (بيـل) التـي تـشجع الخـط القـومي خدمة للمصالح البريطانية قائلة "نحن بأمس الحاجة الى العراقيين الـذين خـدموا مـع

---

[٢٠٩] المصدر السابق نفسه ، ص٢٥٢ .

[٢١٠] د. سيار الجميل : دور المثقفين العرب في تكوين العراق المعاصر ، مجلة افاق عربية ، العدد ١٢ ، ١٩٩٣، ص ٤ـ٥ .

[٢١١] ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٨٦ .

[٢١٢] د. سيار الجميل : دور المثقفين العرب .... ، مصدر سابق ، ص٦ .

فيصل في سوريا انهم رجال متشبعون بروحية القومية العربية. واذا ماتعذر كسبهم الى جانبنا، واتخاذهم حلفاء لنا، فاننا على ما أعتقد سنتعثر مابين الثيوقراطية الشيعية، والبيروقراطية الميالة الى الاتراك." (٢١٣) ولا تختلف اطروحة الباحث (غانم وحيد الجبوري) بإشراف د.(سيار الجميل) عما جاء في دراسة الجميل في تعداد (مناقب)، العرب المستخدمين في الوزارات العراقية المالية،والدفاع،والعدلية،فضلاً عن(طاقم) الملك فيصل إبتداءً من (صفوت باشا العوا) المرافق،والمعلم الاقدم للملك فيصل وإنتهاءً بـ (جميلة خانم)، مديرة التشريفات في الحرم الملكي (زوجة ساطع بيك الحصري)، وغيرهم الكثير.(٢١٤) ومن يطالع البحثين يشعر أن العراق واحة خالية من اي مظهر من مظاهر المدنية، ويفتقر الى وجود شخصيات سياسية، وثقافية، فلولا المستخدمون العرب لما (تكونت) الدولة العراقية، حسب تعبير الجميل، ولا (تطورت)، حسب تعبير الجبوري. فلا يمكن ان ينكر جهد العرب الذين تم استخدامهم، ولكن دون المبالغة في اعمالهم فمن أجل تضخيم نشاطاتهم تبخس اعمال العراقيين من سياسيين، اومثقفين. على الرغم من أن البحثين لايتم التمييز فيهما (فئات المثقفين)، فكل من (استخدم) من العرب في ادارات الدولة العراقية هم من المثقفين من اختصاصات علمية، أو إنسانية، نسوة، ورجالا. المسألة لاتكمن في من إستُخدم من العرب، ولكن في الحق الذي يمنح لافراد بعيدين عن واقع المجتمع العراقي في تقرير قضايا تشكل عوامل اثارة في قضايا حساسة تمس معتقدات دينية،أو عادات تقليدية في المجتمع، فماهي الحكمة في استمرار (ساطع الحصري) في التحكم في أمور التربية، واتخاذ قرارات مصيرية تتعلق في معارضة جامعة (آل البيت) التي جاءت ضمن محاولات الملك فيصل للتقريب بين أبناء المذهبين الشيعي، والسني؟ بحيث تعثر المشروع بين "الاتجاه القومي الذي يتبناه ساطع

(٢١٣) المس بيل : العراق في ....، مصدر سابق ، ص٢٢٢ .

(٢١٤) غانم وحيد الجبوري : اثر المثقفين العرب في تطور العراق المعاصر ١٩٢١ ـ١٩٤١ ، (اطروحة دكتوراة غير منشورة / كلية الاداب / قسم التاريخ / جامعة الموصل) ، ١٩٩٥ ، ص ٣٥ ـ ٦٨ .

الحصري، والرأي الاسلامي المتحرر الذي يقوده فهمي المدرس".[٢١٥] فقد كان الحصري رافضاً لكل مبادرة تجمع،أو تزيل الخلافات بين المذهبين، فقد كان مشروع الجامعة يضم كليات المعلمين،ومدرسة الهندسة، ومدرسة الحقوق، ومدرسة دينية تجمع طائفة مختارة من علماء المذهبين للتدريس فيها، الا أن (ساطع الحصري)* عمل على عزل الاقسام العلمية من الجامعة بالحاقها بوزارة المعارف، اما المدرسة الدينية فتلحق بالاوقاف ما أدى الى "رفض علماء السنة تأسيس جامعة آل البيت، والصرف عليها".[٢١٦] وبهذا جعل مسألة تمويل الجامعة الأساس (الطائفي) في اضمحلال هذا المشروع في حين أعرب (فهمي المدرس) (عميد الجامعة)، عن موقفه قائلاً" أعتقد بان جامعة ـ ال البيت ـ لم يبق في سبيلها مانع سوى المال، وان الفرصة سانحة لتأييدها فقد عزمت على أن أخدمها بدون راتب".[٢١٧]

اما عن معارضة الحصري لتطبيق النظريات الحديثة في التربية لانها تتعارض مع (قوميته الخاصة)، فقد بدأت مع عودة (فاضل الجمالي) من الولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٣٢، فالاتجاه الذي يدعو اليه في التربية هو الاتجاه البراغماتي، فهو يتضمن نظريات جديدة في التربية منها تغيير مدة الدراسة في المرحلة الإبتدائية وتنويع الدراسة الثانوية،واجراء تحوير في النظم الادارية لوزارة المعارف لتنسجم مع الاتجاهات الجديدة مثل الاهتمام بالتعليم الفني، والريفي، والنسوي، واتخاذ الاجراءات التي من شأنها إضعاف المركزية في النظام التعليمي، ومنح الحرية للطلبة، والمدرسين في الحياة المدرسية إقتباساً من نظام المدارس الأميركية.لقد جابهت البراغماتية نفسها كاتجاه تربوي،

---

[٢١٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٥٨ .

* انظر: ساطع الحصري : مذكراتي في العراق ١٩٢١ ـ١٩٤١ ،ج١ ،دار الطليعة، بيروت،ط١ ،١٩٦٧ .

[٢١٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ..... ج ٣ ، مصدر سابق ، ص ١٥ .

[٢١٧] فهمي المدرس : مقالات ، سياسية ، تاريخية ، إجتماعية .... ج١ ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٣١ ، ص ٦ .

وفلسفي انتقادات من الاتجاه القومي الذي يقوده الحصري.[٢١٨] الذي يرى في مركزية التعليم جزءاً من وحدة الثقافة، فنظم التعليم، ومناهج الدراسة وليدة الاحوال، والاوضاع السياسية التي فرضتها السلطات الاجنبية على واقع التربية، فتركت جذوراً عميقة في النظم، والمناهج، وفي الاراء والاتجاهات، فلا يجوز تنويع المناهج في التعليم استجابة لظروف الدولة، وضرورة (تماسكها واستقرارها).[٢١٩] وبهذا فهو يسعى الى حرمان المدارس الاهلية من المساعدات المالية لوزارة المعارف و"ارغام المدارس على بث الشعور القومي، وجعل التاريخ يذكي المشاعر القومية لدى الناشئة".[٢٢٠] على حساب الانتماء الوطني العراقي فقد اتخذ قراراً بحل الادارة التعليمية في منطقة الفرات الاوسط والحاق الشؤون الدراسية لهذا الاقليم ببغداد.وقد كان من عواقب هذه الخطوات أن ظل عدد التلاميذ منخفضاً في هذه المناطق.فضلاً عن استبعاد المدرسين الشيعة من حاملي الجنسية الايرانية من العمل في المدارس، فقد تردد في تعيين الشاعر (محمد مهدي الجواهري)، وبعد تعيينه سعى الى فصله بتهمة الشعوبية، وهذا أحدث ازمة وزارية.[٢٢١] ومن خلال قراءة الاحداث يبدو أن النفوذ الذي تمتع به الحصري هو بدعم من السلطة فقد استخدمتهُ حتى ليبدو الامر انه (الخبير) التربوي الذي يتصرف على وفق ماتمليه عليه الضرورات المهنية، وليس الدوافع الطائفية وهذا ماجاء بمذكراته فقد اكد انه متهم بسبب مهنيته في العمل فقيل أن"ساطع الحصري عدو الجعفرية".[٢٢٢] فقد كان

[٢١٨] د. محمد عبد العزيز الذهب : التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢ ، ١١٩ ـ ١٢٠ .

[٢١٩] ساطع الحصري: حول الوحدة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٣٠ ـ٣١ .

[٢٢٠] غانم وحيد الجبوري : مصدرسابق ، ص ٥٦ .

[٢٢١] ساطع الحصري : مذكراتي في العراق ..... ج١، مصدر سابق ، ص ٥٨٨ ـ ٥٩١ .

[٢٢٢] المصدر السابق نفسه ،ص ٦١٢ .

ابعد ما يكون عن" فهم وتقبل الاعراف التاريخية التي نشأت في بلاد الرافدين،وخاصة العلاقات الوثيقة بين الجماعات الشيعية بها مع الشيعة الايرانيين". [٢٢٣]

كما شكلت قضية (انيس زكريا النصولي) احدى المشاكل في خلق الانقسامات الطائفية في المجتمع العراقي فقد نشر النصولي كتابا عن (الدولة الاموية)*، يدرسه الطلاب في مدرسته. لقد ادى نشره الى انقسامات الرأي العام بين مؤيد لقرار فصل النصولي على خلفية احتجاجات ضد مانشر به من اراء تمثل تحدياً لاغلبية الرأي العام الشيعي في العراق[٢٢٤]، وبين معترض على قرار الفصل الذي عد ضد حرية الرأي.[٢٢٥] فاهمية المشكلة لاتكمن في كتابٍ ينشر عن الدولة الاموية لاحد المستخدمين العرب، فالاحداث التاريخية في الكتاب لاتختلف عما ملئت به الكتب التاريخية الاخرى التي تبحث في هذه القضية، ويبدو الترجيح لاحد الطرفين فيها، ولكن أن يطرح كتابٌ يمس المعتقدات الدينية في بلدٍ اغلبيتة شيعية، فالاعتراضات هي بالاحرى ضد السلطة، وسياستها الطائفية في ان تولي شؤون التربية اشخاصا امثال الحصري، وهذا ما ادركه الحصري قائلاً "هناك جماعة، وجدت في هذه القضية فرصة سانحة يجب اغتنامها، لاثارة الرأي العام ضدي ".[٢٢٦]

وبهذا كان البعد الطائفي احد الابعاد الاساسية للسلطة، ومن خلال البحث تظهر القوى المؤثرة في هذا البعد:ـ

١. لعبت السياسة البريطانية الدور الاساس في ترسيخ هذه السياسة، من خلال ابعاد الشيعة عن تولي المراكز الوزارية،أو المناصب الادارية المهمة في الدولة.

---

(٢٢٣) فرهاد ابراهيم : مصدر سابق ، ص ١٣٠ .

* انظر : انيس زكريا النصولي : الدولة الاموية ، مطبعة دار السلام ،بغداد ، ١٩٢٧ .

(٢٢٤) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط ٧، ١٩٨٨ ،ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢٢٥) حسين جميل : العراق شهادة .... ، مصدر سابق ، ص ١٩٩ .

(٢٢٦) ساطع الحصري : مذكراتي في العراق ...... ج١ ، مصدر سابق ، ص ٥٦١ .

٢. لعب الملك فيصل دورا توفيقيا في التوازن بين فئات المجتمع العراقي، الا انه ليس بتلك القوة التي تؤهله ليلعب دورا كبيرا، فهو غريب عن ترسبات الماضي العراقي المتعلق بهذه المسألة، فكان بين قوتين هما الاحتلال البريطاني،وقوة الضباط (الشريفيين)، وارستقراطية الدولة العثمانية، فلم يستطع التوفيق في الاستمرار في هذه السياسة المتوازنة،ولم يأتِ عاهل بعده يتمتع بمواصفاته يستطيع أن يستوعب بدايات العلاقات المتوازنة التي استطاع تأسيسها.

٣. لعب الضباط (الشريفيون)، والارستقراطية الادارية العثمانية دوراً مهما في الاستمرار في السياسة الطائفية للدولة العثمانية، فهم يحافظون على مصالحهم الخاصة، وبالتالي فهم ذوات المجتمع الذين لايرغبون في أن ينافسهم احد على ما يتمتعون به من منزلة اجتماعية، وفوائد اقتصادية، ولا سيما أن السلطة هي مصدرها الاساس.أن الاحتلال العثماني للوزارات،والادارات المهمة في العراق لم ينتهِ بقيام الدولة العراقية.

٤. لعب العرب المستخدمون في الوزارات العراقية دورا في تعميق الدور القومي على حساب الروح الوطنية العراقية، ما ولد رد فعل كبير في زيادة حدة الطائفية، والتمسك بها، فلم يقتصر دور العرب على الحصري، فهناك الكثيرون ممن سعوا الى جعل العراق وسيلة لطموحاتهم القومية (الخيالية)، فهم وحسب تعبير احد النواب "أن هؤلاء العرب الذين تجنسوا بالجنسية العراقية، لم يتجنسوا حبا بالعراق، بل حبا بوظائف العراق، ودراهمه".[٢٢٧] واخيرا نختم البعد الطائفي للسلطة بأبيات للشاعر محمد مهدي الجواهري قائلاً :

ذعُر الجنوبُ فقيل كيدُ خوارجِ!

[٢٢٧] محاضر مجلس النواب ، الجلسة ١٢ ، في(٩ كانون الاول / ١٩٣١) ، ص ١٠٣ .

وشـــكا الـــشمالُ فقيـــل صــــنعُ جـــوار

وتنـــابز الوســـط المُــدل فلـــم يـــــدعُ

بعـــــض لــــبعض ظنــــه لفـــــخار*

ثانيا: البعد العسكري: ـ لقــد جــاء تأســيس الجــيش العراقــي في (٦ كــانون الثاني/ ١٩٢١)، لتقليل القوات البريطانية وحاميتها في العراق، فهي احدى النقــاط التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر القاهرة، فقد كان منهجا اقتصاديا وضع خصيصا لتنفيذ رغبات دافعي الضرائب البريطانيين الملحة، فتأسيس جــيش وطنــي مــوال للسيطرة البريطانية، فضلاً عن توظيفه في اخماد الثورات العشائرية،وتوفير فرص عمل للضباط العائدين من خدمة الجيش العثماني.(٢٢٨) وتغدو كلمات المس (بيــل) واضحة جداً عن الغاية المنشودة من هذا الجيش في اداء ادوار داخلية "فليس بوسع اية حكومة سواء اكانت حكومتنا ام الحكومة العراقية، ان تسير البلاد من دون أن تكون وراءها قوة عسكرية.وبالنظر لان الحكومة العراقيــة،ليس لهــا مثــل هــذه القوة وستبقى كذلك حتى يتم تــشكيل جيــشها....".(٢٢٩) والواقــع أن هــذا الــرأي لايختلف عن رأي الملك فيصل الذي يجد أنَّ الجيش هــو العمــود الفقــري (لتكــوين الامة) فهو لايطالب الجيش "بحفظ الامن الخارجي.. ما سأطلبه منه الان هــو أن يكون مستعداً لاخماد ثورتين تقعان (لاسمح الله) في آنٍ واحد في منطقتين بعيدتين عن بعضهما". (٢٣٠) فهو اكثر صراحة في القول أن مهمة الجيش هي القــضاء عــلى ثورتين يتوقع القيام بها (الاكراد)، في الشمال، و(الشيعة) في الجنوب، عــلى الــرغم

* انظر : قصيدة في (ذكرى أبو التمن)، محمــد مهــدي الجــوهري ، مــذكراتي ، ج١ ، دار المجتبــى ، قــم ، ط١، ٢٠٠٥،ص ٥٥٠ .

(٢٢٨) هنري فوستر : مصدر سابق ، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨ .

(٢٢٩) المس بيل : العراق في .... ، مصدرسابق ، ص ٢٣٩ .

(٢٣٠) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ..... ج٣ ، مصدر سابق ، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

من عدم ذكر التسمية الصريحة للاكراد،والشيعة، فهو يقرأ أبعـاد ماتـسير عليـه السلطة. لقد كان الجيش العراقي وسيلة لطمـوح الكثـير مـن الـضباط خريجـي المدارس العسكرية العثمانية،فقد شهد الجيش العراقي ولادة الكتل الاتية [٢٣١]:ـ

١. كتلة الضباط القوميين أمثال صلاح الدين الصباغ،ومحمد فهمي سـعيد، لقـد كـان لمناصبهم التعليمية في الكلية العسكرية الاثر في زيادة اعـداد المنـضوين تحـت هـذه التسمية، فقد وضعوا برنامجا لكتلتهم المسمى (الميثاق القـومي العربـي)، في سـنة ١٩٢٧. ولعل أهم اهداف هذا التنظيم الذي يدل على الطموح السياسي هي:ـ
   أـ السيطرة على الجيش.
   ب ـ السيطرة على سياسة الدولة ومرافقها.
٢. كتلة توفيق حسنين التي تأسست في ١٩٣٣ وتركز على ضرورة التنظيم الـسياسي في الجيش العراقي لانه واجب وطني يقتضيه وضع البلاد،ولم يستمر التنظـيم طـويلا فقد انضم اعضاؤه الى كتلة الضباط القوميين.
٣. كتلة بكر صدقي وهي الكتلة التي ظهرت بعد القضاء على حركة الاثوريين، في شمال العراق، لقد كان الاعجاب بشخصية بكر صدقي الاساس في ولادة هذه الكتلـة، لقـد تقرب الضباط الاكراد الى بكر صدقي لانه عبر عن اراء مؤيدة للحقوق الكردية.

لقد لعبت الكتلة القومية، وكتلة بكر صدقي أدواراً في الحياة السياسية عـبرت فيهـا عن تدخل الجيش في السياسة.فلم يكن الجيش بعيدا عن أهم هذه الاحداث وهي:ـ

١. القضاء على حركة الاثـوريين: على الرغم من عدم التعاطف الذي يبديه مؤرخو العراق الحديث مع حركة الاثوريين،فهناك حقيقة واضحة هي أن بريطانيا استغلت ظروفهم بعد ان اضطرتهم الى اللجوء الى العراق، تحت ضغط الاتراك،فعملت بريطانيا

---

[٢٣١] رجاء حسين الخطاب : تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي ، دار الحريـة ، بغـداد ،١٩٧٩ ، ص ١٤٦ ـ ١٥٥.

على تجنيدهم في قوات (الليفي) التابعة للجيش البريطاني في العراق. لقد اخذت مشكلة الاثوريين أبعاداً دولية فضلا عن ابعادها الداخلية، فبعد حوادث متفرقة وقعت بين جنود (الليفي) الاثوريين والاهالي في مناطق مختلفة في ألوية الموصل، وكركوك، عالج الملك فيصل اثارها من خلال الضغط على المندوب السامي البريطاني بتشكيل قوات محلية تحل محل قوات (الليفي)، وتعويضات مالية للمتضررين من أعمال العنف بين القوات والاهالي في المناطق المذكورة،وزيارة الألوية الشمالية،والقاء الخطب التي تؤكد مبدأ المساواة بين المواطنين.(٢٣٢) لقد كانت مطالب الاثوريين تتلخص بانشاء وطن قومي مركزه دهوك، وضمان استقلالهم في شؤونهم الدينية، والمدنية من خلال تقديم مطاليبهم الى المندوب السامي البريطاني، ولجنة الانتداب في عصبة الامم. وقد بلور مؤتمر العمادية الذي عقده الاثوريون وجود اتجاهين الاول: الدعوة الى انشاء وطن قومي، والاتجاه الثاني: الاندماج في المجتمع العراقي من خلال عرائض رفعها الاثوريون الى الملك فيصل يعبرون فيها عن رغباتهم في عدهم مواطنين عراقيين.(٢٣٣) لقد تفاقم الوضع اثناء غياب الملك فيصل لزيارة له الى لندن، فقد ترافقت هذه الاحداث مع بداية انضمام العراق الى عصبة الامم المتحدة، عندما رفض رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني طلب الملك فيصل بعدم اتخاذ الإجراءات العنيفة ضد الاثوريين حتى عودتة من لندن قائلا "لاضرورة لرجوع جلالتكم، اذ أن وضعنا قوي، ولاشيء يستوجب القلق".(٢٣٤) لم يطمئن الملك لهذا الجواب فابرق الى ولي عهده الامير غازي على عدم " تجريد الاسلحة من مَنْ يندم من الاثوريين...... والا سوف اكون مضطرا لأن اتحرك صباح (الغد)... ".(٢٣٥) لقد كان الملك فيصل حريصا على عدم

(٢٣٢) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج٣ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٥ .

(٢٣٣) رياض رشيد الحيدري : الاثوريين في العراق ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٧ ، ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

(٢٣٤) السيد عبدالرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج ٣، مصدر سابق ، ص ٢٧٥ .

(٢٣٥) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٨ .

استخدام العنف ضد الاثوريين فابرق الى ولي عهده "....عند وقوع اي حادث سينقلب الرأي العام الغربي ضدنا، وسيكون كيان الدولة مهدداً. كنت آمل أن يكون وزرائي أوسع نظرا ".[٢٣٦] تذكر المصادر أن الملك فيصلا قد تألم كثيراً بعد عودته من لندن من القضاء على حركة الاثوريين "أن جماهير الشعب تهتف لولي عهده،ولجيشه الباسل دون أن تذكر اسم جلالته بكلمة طيبة فهاله إنخفاض شعبيته".[٢٣٧] لايمكن الاخذ بهذا الرأي، فالملك فيصل كان اكثر إدراكاً لما سيتمخض عن استخدام العنف ضد الاقليات القومية، والدينية، والمذهبية، وهذا ماجعل الحكومة العراقية تقف مبررة للاحداث الدموية التي اقترفها الجيش ضد الاثوريين في عصبة الامم.فغالباً مايكرر القول أن التصرفات العنيفة ضد الاثوريين، كان مبعثها أصحاب "النوازع الدينية،والقومية ".[٢٣٨] فضلا عما يطالب به الكثرون من اتخاذ الاجراءات العنيفة ضد الاقليات في المجتمع، فقد طالبت مذكرة رفعها أعضاء مجلس الاعيان الى الملك فيصل في قضية الاثوريين بـ"الغاء تجنس المتجنس منهم، وتعديل قانون الجنسية بشكل يضمن عدم التساهل مع أمثالهم في المستقبل ".[٢٣٩] وبهذا كان العنف ذو البعد العسكري احد المرتكزات التي تعاملت بها السلطة مع اولى المشكلات التي واجهت وحدة المجتمع العراقي، لقد تمخضت عن هذه الاحداث شخصيات سياسية ارتكزت على قوة الجيش في ايجاد الحلول العسكرية بدلا عن الحلول السياسية، فهذا (حكمت سليمان) وزير الداخلية الذي عمل على اعتقال مارشمعون الذي دعي الى بغداد للتفاوض على حل مشكلة الاثوريين،وتحالفه مع (بكر صدقي) الذي استخدم قائدا عسكريا في القضاء على حركة الاثوريين للقيام باول إنقلاب عسكري، وذاك (رشيد

(٢٣٦) السيد عبد الرزاق الحسني : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٢٣٧) المصدر نفسه ،ص ٢٩٨ .

(٢٣٨) ناجي شوكت : مصدر سابق ، ٢٤٨ .

(٢٣٩) دار الكتب والوثائق ، بغداد ملفات البلاط الملكي ،رقم د /١١ ،١٩٣٠ ـ ١٩٣١ ، وثيقة رقم ٣٧ .

عالي الكيلاني) الذي يلتجىء الى الجيش وسيلة للحلول السياسية، كما سنلاحظ ذلك فيما بعد، فضلاً عن الامير (غازي) الشخصية التي تفتقر الى الحكمة السياسية التي تمتع بها الملك فيصل.

٢. **وفاة الملك فيصل وتولي الامير غازي:** اذا ابتعدنا عن سيل المديح الذي تضمنه كتاب (امين الريحاني) عن الملك فيصل الاول، فهناك حقيقة يمكن ان يلمسها المرء في هذا المديح هي أن الملك فيصلا توفق في امرين "المحافظة على صداقة الانكليز،والفوز بثقة أهل العراق ".[٢٤٠] لقد كان لتدخل الملك فيصل في معالجة قضايا جوهرية أهمية كبيرة، وفي هذا الصدد يقول د.مجيد خدوري "أن الملك فيصل لو لم يستطع بدهائه، وحنكته أن يتدخل في شؤون البلاد، فيسير بها نحو التقدم لقضت النزعات، والميول المتضاربة على كيان العراق".[٢٤١] وهذا الرأي لايختلف عن رأي (ايرلاند) الذي يقول"لو لم يضطلع الملك فيصل بدور المستبد العادل، فان النظام السياسي كان قد ترنح وحتى انهار بأجمعه".[٢٤٢]

ويعلل ذلك أن الشخصيات المحيطة به لم تعمل من اجل العراق، بقدر عملها من اجل مصالحها الخاصة فضلاً عن أن فقدان "روح الشعور بالواجب نحو الامة لتسمو سمواً يطغى على الفروق الموجودة مابين القبائل وسكان المدن، وبين الشيعة والسنة، وبين المسلمين وطوائف الاقليات، أو يحل محل الانتهازية الشخصية فما برحت الوطنية تعني الاستقلال من غير التزامات نحو الدولة".[٢٤٣] ولعل كلمات (نوري السعيد) اكثر تقديرا للموقف بعد وفاة الملك فيصل عندما يصف حالة البلاد في رسالة خاصة لناجي

---

[٢٤٠] أمين الريحاني : مصدر سابق ، ص ١٤٧ .

[٢٤١] د.مجيد خدوري : نظام الحكم ....، مصدر سابق ، ص ٧٧ .

[٢٤٢] فيليب ويلارد آيرلاند : مصدر سابق ، ص ٣٣٤ .

[٢٤٣] فيليب ويلارد ايرلاند : مصدر سابق ، ص ٣٣٤ .

شوكت قائلا: "اسباب الاصلاح يتوقف في وجود رأس يدير الامور، ويراجعه كلحن يرى فيه خللا من وقت لاخر فالرأس هذا مفقود."[٢٤٤]

لقد برز (نجم) الامير غازي وليا للعهد في أزمة الاثوريين عندما شاطر رئيس الوزراء(رشيد عالي الكيلاني)، ووزير الداخلية (حكمت سليمان) في خطواتهما ازاء القضية الاثورية. وقد زاد تعلق الناس به ماوصل الى مسامعهم انه تحدى القائم باعمال السفارة البريطانية قائلاً: "انا غير مسؤول عن والدي،وانا الان نائبه ومسؤول عن حالة المملكة في غيابه".[٢٤٥] وهكذا اختل التوازن عند تسلم الامير غازي مقاليد الحكم عاهلا لعرش العراق، لقد انتهز ساسة العراق الفرص المواتية التي تمكنهم من الوصول الى كرسي السلطة، فالانتخابات البرلمانية لم تكن على اساس حزبي، بل كانت تخضع لممثلي السلطة، فقد كان البرلمان بعيداً عن تأليف الوزارات وسقوطها، فهو يؤيد كل وزارة تتسلم مقاليد الحكم، حتى ان برلمان سنة ١٩٣٩ ضرب اقصى مثل في الضعف، وايد بضع وزارات جاءت كل واحدة منها معارضة لسابقاتها.[٢٤٦] لقد حدث تغيير كبير في السياسة الداخلية مع سلسلة استخدام الجيش في القضاء على حركة الاثوريين، فضلا عن استخدامه في القضاء على التمردات في شمال العراق وجنوبه، ويبدأ استخدام الجيش الوسيلة الميسرة في تلبية طموحات الزعامات الشخصية لقد صاحب هذا التغيير نشر مقالات افتتاحية في عدد من الصحف البغدادية تمجد اهتمامات تركيا، وايران بالناحية العسكرية، والدعوة الى تطبيق قانون التجنيد الاجباري، وان تدخل النظم والتمارين العسكرية في المدارس الثانوية، ودور المعلمين،وأن تعمم في المدارس الابتدائية لقد كانت

---

[٢٤٤] د.محمد انيس ود.محمد حسين الزبيدي : مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

[٢٤٥] د.لطفي جعفر فرج : الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ ، مكتبة اليقظة ،بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٥٢ .

[٢٤٦] د.مجيد خدوري : نظام الحكم ..... ، مصدر سابق ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

هذه المقالات بقلم ياسين الهاشمي.[٢٤٧] فضلا عن سلسلة مقالات اخرى ممهدة للنظام الدكتاتوري بعنوان (حكم الفرد والدكتاتورية)، بقلم ياسين الهاشمي ايضا الذي يرى في الدكتاتورية حكما مألوفا عرف بالقوة والصلابة، وانه يقوم على أكتاف جماعة تشعر بروح (الخدمة العامة)، و(الاخلاص القومي).[٢٤٨] فضلاً عن امنيته أن "تسود بدلات الخاكي البلاد وتضيق بقرقعة السلاح". [٢٤٩]

وتأسيس (جمعية الجوال العربي)، ونادي(المثنى بن الحارثة الشيباني)، لبث النزعة العسكرية من خلال اصدار مجلة (الفتوة)، ذات التوجهات القومية، والدعوة الى التدريبات العسكرية، والاقتداء بنشوء القوميات (الالمانية)، و(الايطالية).[٢٥٠] لقد رأى القوميون من اتباع الاتجاهين العسكري، والايديولوجي ضالتهم في الملك غازي، فقد سعى الملك غازي الى تمتين علاقته بضباط الجيش العراقي، فقد اعتقد أن إعداد البلاد عسكرياً لايتم عن طريق الاهتمام بالجيش وحده،وانما بغرس الروح العسكرية بين الشباب، وتشجيع نظام الكشافة، فهو يرى أن الكشافة هي بمثابة احتياط للجيش،لقد قاد هذا التوجه في عهد الملك غازي الى تشريع نظام الفتوة رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٥، نتيجة لوجود وزارة ياسين الهاشمي الثانية، لقد تقرر بموجب هذا القانون تدريب طلاب المدارس المتوسطة،والثانوية،ودور المعلمين على استعمال السلاح في مجتمعات خاصة بمساعدة وزارة الدفاع.[٢٥١] لقد ساعدت هذه الظروف على نمو النزعة الدكتاتورية لدى ياسين الهاشمي رئيس الوزراء، فقد عطل الصحف،ورشا العشائر لتخلد الى السكينة،

[٢٤٧] خيري امين العمري : شخصيات عراقية ، مطبعة المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ١٣٢ ــ ١٣٣ .

[٢٤٨] د.سامي عبد الحافظ القيسي : ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ ــ ١٩٣٦، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٧٠ .

[٢٤٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٢ .

[٢٥٠] غانم وحيد الجبوري : مصدر سابق ، ١٠٣ ــ ١٠٧ .

[٢٥١] د.لطفي جعفر فرج : مصدر سابق ، ص ٧٧ ــ ٧٩ .

وقمع المعارضة وعين اصدقاءه في الوظائف.[٢٥٢] فهذه النزعة الدكتاتورية لابد من أن تقابل بنزعة عسكرية،لضعف العملية السياسية في التغيير السياسي، فبعد أن انتفت الحاجة الى العشائر في اسقاط الوزارات استخدم الجيش في هذه المهمة يقول ناجي شوكت "أن حكمت سليمان زاره سنة ١٩٣٥، وقال ان دور العشائر في السياسة قد انتهى، واستنفدَ ولابد من ايجاد وسيلة اخرى وخير بديل هو الجيش، ولابد أن يستغل الجيش في السياسة".[٢٥٣] وبهذا يقول ناجي شوكت "ان حكمت سليمان هو اول من زج الجيش بالسياسة، وقد ظل الجيش مسيطرا على السياسة الداخلية حتى عام ١٩٤١".[٢٥٤] لقد كان لابعاد حكمت سليمان عن تولي وزارة الداخلية[*] في وزارة ياسين الهاشمي الثانية السبب المباشر في تحالفه مع بكر صدقي الذي توثقت علاقته به اثناء القضاء على حركة الاثوريين، وبهذا سجلت الطموحات الشخصية في أن تقود الى أنه لم يكن "انقلاب بكر صدقي فاتحة الانقلابات العسكرية في تاريخ العراق الحديث فحسب، بل كان أول انقلاب عسكري في تاريخ العرب الحديث".[٢٥٥]

٣. **انقلاب بكر صدقي ورد فعل كتلة القوميين:-** يعتقد بكر صدقي انه لم يكافأ على خدماته بما يستحق خلال عمليات القضاء على حركة الاثوريين، وحركات الفرات الاوسط، وشمال العراق.[٢٥٦] لقد تم اسقاط وزارة ياسين الهاشمي في (٢٩ تشرين الثاني /١٩٣٦)، بانقلاب عسكري قاده بكر صدقي (رئيس اركان الجيش)، وتعيين حكمت سليمان رئيسا للوزراء، لقد كانت الممارسات الدكتاتورية لقائد الانقلاب

---

[٢٥٢] فيليب ويلارد ايرلاند : مصدر سابق ، ص ٣٣٦ .

[٢٥٣] د. محمد انيس و د. محمد حسين الزبيدي : مصدر سابق ، ص ٣٠٥ .

[٢٥٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٦ .

[*] لقد كانت وزارة الداخلية حلم الكثيرين من رجال السلطة فهي تضم مديريات عديدة الصحة العامة والبلديات والسجون والمطبوعات وصرف المخصصات السرية وتوزيع الاراضي الاميرية .المصدر : ناجي شوكت ،مصدر سابق ،ص ١٣٦ .

[٢٥٥] اسماعيل احمد ياغي : حركة رشيد عالي الكيلاني ،بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٢ .

[٢٥٦] نجدة فتحي صفوت : مصدر سابق ،ص ٩١ .

وتأثيره في الوزارة من دون منصب وزاري فيها الاثر في استقالة كل من: كامل الجادرجي(وزير الاقتصاد)، وجعفر ابو التمن (وزير المالية)، ويوسف عزالدين (وزير المعارف)، وصالح جبر (وزير العدلية)، فضلا عن استخدام القوة في ضرب التمردات العشائرية، ونفي المتنفذين من هذه العشائر الى سجون السليمانية، واربيل، وكركوك.[٢٥٧] وابعاد العناصر المحسوبة على كتلة الضباط القوميين (صلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، ومحمود سليمان)عن الجيش، وتقييد حرية الملك غازي، والتلاعب في انتخابات المجلس النيابي في (٢٠ شباط / ١٩٣٧)، حيث حصل انصار بكر صدقي على اغلبية المقاعد.[٢٥٨] لقد قادت هذه الاحداث الى عملية اغتيال بكر صدقي "من قبل ضباط الكتلة القومية".[٢٥٩] فلم يكن اغتيالا سياسيا بقدر ماكان عملية انقلاب عسكري، لقد قادت عملية الاغتيال الى جملة من التداعيات المتعلقة بعدم تسليم حامية الموصل الضباط المسؤولين عن عملية الاغتيال، وانفصال حامية الموصل عن حكومة بغداد،واختلاف قيادات الجيش في بغداد حول ارسال قوات عسكرية الى الموصل بشأن ما اعلنته الموصل من عصيان.[٢٦٠] وقد انتهى هذا العصيان بدخول احد ابنائها وزيرا للداخلية في وزارة جميل المدفعي التي خلفت وزارة حكمت سليمان التي استقالت على خلفية اغتيال بكر صدقي.[٢٦١] لقد عاد نوري السعيد، ورشيد عالي الكيلاني ليرتبا اوراقهما مع كتلة الضباط القوميين، و اكدا ضرورة ان يلعب الجيش دورا في تشكيل الوزارات، فضلاً عن دور طه الهاشمي في استقطاب

---

[٢٥٧] السيد عبد الرزاق الحسني : احداث عاصرتها ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

[٢٥٨] د.لطفي جعفر فرج : مصدر سابق ، ١٤٩ ـ ١٥١ .

[٢٥٩] المصدر السابق نفسه ، ص١٥٩ .

[٢٦٠] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج٤ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٧، ١٩٨٨ ، ٣٤٧ ـ ٣٥٢ .

[٢٦١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج٥ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط ٧ ، ١٩٨٨ ، ص ١٠ .

كتلة الضباط القوميين،لقد قادت هذه الاحداث الى تبني كتلة الضباط القوميين قيادة انقلاب (٢٤ كانون الاول / ١٩٣٨)، وفرضت على الملك غازي تعيين نوري السعيد رئيسا للوزراء، لقد كانت خشية الملك غازي تعيين نوري السعيد لان السعيد يجد في الملك مؤيداً لانقلاب بكر صدقي، ومسؤولا عن مقتل صهره وزير الدفاع جعفر العسكري أثناء عملية الانقلاب.[٢٦٢] ولم يتغير الحال كثيرا (بمقتل) الملك غازي الذي جاء عنيفا كأحد مظاهر العنف التي سادت المجتمع العراقي في ليلة(٣ـــ ٤ نيسان / ١٩٣٩)، وفي ظل السياسة المضطربة، والعنيفة يحاول بعضهم خلق (معادلات رياضية) في مقتل الملك غازي ذلك أن الملك غازي تنسجم طموحاته مع " الضباط القوميين. الامر الذي كان من شأنه فرض معادلة جديدة على الصعيد السياسي ملك قومي يدعمه الجيش،مما يقلل فرص الحماية البريطانية ".[٢٦٣] فلم تكن هذه المعادلة موفقة ذلك أن حياة "الملك غازي مثار قدر كبير من التقولات، ولسوء الحظ لم تكن تلك التقولات فارغة، فلقد احاط نفسه بزمرة من الضباط الشباب المتملقين في الجيش". [٢٦٤] فضلا عن جهله بأمور الدولة، ولم يزود بالتدريب للنهوض بواجبات الملوكية.[٢٦٥] فلم تكن نهاية حياته الا جزءاً من الإضطراب العام الذي يسود البلاد،فضلا عن ازالة عقبة كان يمثلها من طريق الطامعين بالسلطة من الرجال المحيطين به.لقد تولى عبد الاله وصاية العرش، فقال مخاطبا الشعب "شاءت الاقدار ان اقوم بأعباء المقام الذي اعتلى بفيصل، واضيىء بغازي الى أن يشتد ساعد وديعته العزيز جلالة الملك فيصل الثاني."[٢٦٦] لقد ازدادت احوال البلد السياسية سوءا بعد

---

[٢٦٢] د. لطفي جعفر فرج : مصدر سابق ، ص ٢٧٥ ــ ٢٨١ .

[٢٦٣] د. رجاء حسين الخطاب : المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي ، جامعة بغداد ، بغداد ،١٩٨٥ ، ص ٤٣ .

[٢٦٤] سندرسن باشا : مذكرات سندرسن باشا طبيب العائلة الملكية في العراق ، ترجمة، سليم طه التكريتي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٠ ، ص ١٨٦ .

[٢٦٥] المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٦ .

[٢٦٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج٥ ، مصدر سابق ، ص ٩٠ .

اعلان الحرب العالمية الثانية، فقد تبلورالصراع السياسي من نزاع، وخصومات شخصية الى اصطراع بين من يمثل المعسكر النازي،ومن يمثل المعسكر الغربي الديمقراطي. وقد برزت الاتجاهات الاتية: ـ [٢٦٧]

ـ الاتجاه الاول: الذي يمثله نوري السعيد الذي يرى أن العراق مجبر وليس مخيرا في ربط مصيره بالحلفاء الغربيين، والأميركان نظرا لوضع العراق الداخلي، فقد قال لصلاح الدين الصباغ (اقنعني أن باستطاعتك محاربة الانكليز، وقدرتك على انتزاع سيادة بلادك، وعلى تحرير وطنك العربي لأكون احد جنودك).

ـ الاتجاه الثاني: الذي يرى في مساومة بريطانيا اذ وقف العراق الى جانبها في تحقيق مطاليب وطنية، وقومية وتسليح الجيش العراقي، ويمثله رشيد عالي الكيلاني، وناجي السويدي، وصلاح الدين الصباغ.

الحياد وعدم الانحياز لاي من المعسكرين المتحاربين على نحو ما تفعله تركيا، والانتظار حتى معرفة ماتسفر عنه المعارك.

لقد قاد اختلاف المواقف من اعلان الحرب العالمية الثانية الى مزيدٍ من الإضطرابات التي عبرت عن المزيد من الصراع على السلطة، وترجمت مواقف المتصارعين الى المزيد من احداث العنف فقد قتل وزير المالية رستم حيدر في خضم هذه الاحداث في (١٨ كانون الثاني /١٩٤٠)، وقد ترأس الوزارات العراقية في هذه المرحلة العديد من الشخصيات التي دُعمت من قبل كتلة الضباط القوميين فمن وزارة نوري السعيد الى وزارة رشيد عالي الكيلاني فقد "كان الساسة العراقيون (القوميون) منهم يتصرفون في سياسة العراق الوطنية، ويوجهونها من خلال نظرتهم القومية....... وكثيراً ماكانوا يضحون بمصالح العراق في هذا السبيل".[٢٦٨] كان لدور المفتي الفلسطيني امين الحسيني الاثر الاكبر في تطورات السياسة القومية على حساب السياسة الوطنية،وفي هذا الصدد يقول محمود

[٢٦٧] محمود الددة : الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٩ ، ١٣٧ ـ١٤١ .

[٢٦٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٦ .

الدرة "لم يكن منتظرا من مفتي فلسطين المشرد من اجل فلسطين أن يتصرف في الرصيد الذي منحه اياه قادة الجيش العراقي الاربعة (الضباط القوميون) بمحض ارادتهم".[٢٦٩]

وازداد نشاط الضباط القوميين، على اثر استقالة وزارة رشيد عالي الكيلاني وتأليف وزارة طه الهاشمي في (٣١ كانون الثاني / ١٩٤١)، فقد سعوا الى تأليف حزب سري برئاسة المفتي الحسيني وعضوية ناجي شوكت، ورشيد عالي الكيلاني، ويونس السبعاوي، وصلاح الدين الصباغ، وفهمي سعيد، ومحمود حسن سلمان.[٢٧٠] كان من اهداف الحزب اجبار وزارة طه الهاشمي على الاستقالة، واسناد الوزارة الى رشيد عالي الكيلاني.[٢٧١] لقد تسارعت الاحداث بسيطرة الجيش على البلاد، واعلان حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني، وهي حكومة عسكرية يترأسها الكيلاني، وتعيين (الشريف شرف) وصيا على العرش بعد هرب الوصي عبد الاله لقد اذاعت حكومة الدفاع الوطني في (٣ نيسان /١٩٤١) بيانا، اعلنت فيه "حرصها على المحافظة على كرامة الامة وسلامة الدولة، فقد اودع تدبير الأمور الى حكومة الدفاع الوطني برئاسة رجل مؤمن بحق الامة...... وهو صاحب الفخامة السيد رشيد عالي الكيلاني، الذي طلب الجيش اليه تحمل هذه المسؤولية الشاقة ".[٢٧٢]

وهكذا اصبح الجيش القوة المسيطرة على منح رئاسة الحكومة للكيلاني وقد اضفى على هذا المنح تكليف الشريف شرف الكيلاني بتشكيل الحكومة في (١٢ نيسان/١٩٤١)،[٢٧٣] لقد درجت المصادر على تسميتها (حركة رشيد عالي الكيلاني)، إلا أنَّ ناجي شوكت يرى " من الصواب أَنْ تدعى (حركة الكيلاني ـ المفتي ـ الصباغ)، لان الاقانيم الثلاثة

---

[٢٦٩] المصدر نفسه ،ص ١٣٧ .

[٢٧٠] ناجي شوكت : مصدر سابق ، ص٤٣٤ .

[٢٧١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج٥ ، مصدر سابق ، ص ٢١١.

[٢٧٢] السيد عبد الرزاق الحسني : الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية ، دار الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٩ .

[٢٧٣] السيد عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات .... ج٥ ، مصدر سابق ، ص ٢٤٥ .

كانت في مقدمة هذه الاحداث، وفي الصف الامامي في كل ماحـدث في هاتيـك الايـام ".[٢٧٤] وعلى الرغم من إعلان هذه الحكومة "المحافظة على تعهداتها الدولية، ولاسيما المعاهـدة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٣٠".[٢٧٥] الا أن مجريات الاحداث قادت الى اعـلان الحـرب العراقية ـ البريطانية، واعادة بريطانيا احتلال العراق، وهرب القـادة القـوميين خـارج العراق.[٢٧٦] لقد عبر عبد الاله الوصي على العرش عن مجريـات الاحـداث خـلال شـهري (آيار /نيسان لسنة ١٩٤١) بخطبة قائلاً" لقد قام رشيد عالي الكيلاني بحركتة الهدامة، وخرج عن دستور الدولة، وقوانينها وسياستها التقليديـة بقـصد خدمـة دول المحـور، مستعينا بنفوذ زمرته من الضباط...... وفروا فرار العبيد، تـاركين وراءهـم جنـودهم وقواتهم، بل الوطن الذي يدعون الغيرة عليه ".[٢٧٧] وفي الواقع أن فرارهم لايختلـف عـن فراره وأن خدمة دول المحور لاتختلف عن خدمة المصالح البريطانيـة. فالجانبـان اضرا بمصلحة العراق، و(النتيجة) هو إقحام الجيش، أو القوة في الحياة السياسية، والوسيلة في الحصول على السلطة. وهنا تستحضرني كلمات للسيد محسن أبو طبـيخ عـن عـدم دعمه للحركة على الرغم من معاداته للانكليز قائلا "أن حركة الـضباط الاربعـة كانـت حركة متهورة،ومتسرعة لقد جاؤوا برشيد عالي الكيلاني ليحكموا هم مـن خلالـه عـلى نفـس الـشاكلة التـي جـاء بهـا بكـر صـدقي بحكمـت سـليمان ليكونـوا صـورة للشرعية،والدستورية، وطريقة الانقلابـات وجلـب الحكـام بفعـل الـدبابات مرفوضـة ويهدف الضباط من خلالها الى تسيير الحكم حسب رغبتهم، واهوائهم".[٢٧٨] لقـد ولَّـد البعد العسكري للسلطة النتائج الاتية: ـ

---

[٢٧٤] ناجي شوكت : مصدر سابق ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

[٢٧٥] نقلاً عن السيد عبد الرزاق الحسني : الاسرار الخفية .... ، مصدر سابق ، ص ١٣٠ .

[٢٧٦] ناجي شوكت : مصدر سابق ، ص ٤٩٦ ـ ٤٩٩ .

[٢٧٧] نقلاً عن السيد عبد الرزاق الحسني : الاسرار الخفية .... ، مصدر سابق ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

[٢٧٨] احمد كامل ابوطبيخ : السيد محسن ابو طبيخ ...سيرة وتاريخ ، ، بغداد ، ١٩٩٩ ، ص ٣١١ .

١. توظيف اموال الخزينة العامة للدولة لتسليح الجيش العراقي، ففي وزارة جميل المدفعي في(٩ تشرين الثاني /١٩٣٣) دب الخلاف بين وزرائها حول مشروع الغراف الذي يخدم منطقة الفرات الاوسط بين رستم حيدر، وصالح جبر ضرورة الشروع بالمشروع وبين نصرت الفارسي(وزير المالية)، وناجي شوكت (وزير الداخلية) تأجيل المشروع بحجة أن العراق في حاجة الى تسليح الجيش الذي هو اهم من المشروع ما ادى الى استقالة الوزارة .[٢٧٩] وفي عام ١٩٣٥ "بلغت ميزانية وزارة الدفاع (٢٥٩٦٧٢٠)دينارا، اي اكثر بقليل من نصف المبلغ الاجمالي لميزانية الدولة البالغة (٤٧٢٨٧٨٠) ديناراً،أي استحوذت الوزارة على مانسبته ٥٥ % تقريبا من الميزانية العامة ".[٢٨٠]

فهل يمكن أن يشهد المجتمع تقدما في ظل هذه التخصيصات؟

٢. قانون التجنيد الاجباري، يقوم الجيش العراقي على اساس التطوع ومدة التطوع عامان تمنح للجندي بعد انتهائها حرية العمل اذا ما اوصي باعادته، فضلا عن تخصيص ٢٥ % من ايرادات الدولة السنوية لغرض تغطية نفقات الجيش بموجب المادة (٤) من الاتفاقية العسكرية الملحقة بمعاهدة ١٩٢٤.لقد حاولت الحكومات المتعاقبة فرض نظام التجنيد الاجباري إبتداءً من حكومة السعدون ١٩٢٦.[٢٨١] لقد كان موضوع التجنيد الاجباري موضع اعتراض فئات كثيرة من المجتمع لتضررها من جراء تطبيقه في العهد العثماني، ولكن هناك من يعطي اراء (معاصرة) انسجاما مع توجهات السلطة في مراحل كتابة اطاريحهم فيبرر رفض هذه الفئات للتجنيد الاجباري بالقول " أن موقف الشعب العراقي من التجنيد لم يكن موقفا مجردا موجها ضد فكرة التجنيد باعتبارها أداة بناء الجيش، وانما كانت موجهة

[٢٧٩] سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

[٢٨٠] د.عقيل الناصري : مصدر سابق ، ص ٢١٧ .

[٢٨١] د. رجاء حسين الخطاب : تأسيس الجيش العراقي ..... ،مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

ضد التجنيد لأنه يتم في الوقت الذي مازال العراق تحت الانتداب البريطاني ".[٢٨٢] لقد توحد الشيعة والاكراد في موقفهم من التجنيد الاجباري فقد نشر نائب لواء اربيل مقالا قال فيه "اننا نحن الاكراد متفقون مع أخواننا الجعفريين تمام الاتفاق على أن قانون التجنيد ليس مفيداً، ويسبب في الوقت الحاضر مضار عديدة وسيكون قنبلة هائلة لبلادنا المحبوبة، لذا نوصي الحكومة بالعدول عن هذه الفكرة".[٢٨٣] أخذت حكومة ياسين الهاشمي في (١٢حزيران/١٩٣٥) بتنفيذ قانون الدفاع الوطني، لتجعله الركن الاساس لتوجهات السلطة العسكرية وذلك بجعل الخدمة الالزامية مدة عشر سنوات مع خدمة الاحتياط، وقد شرع قانون جديد هو قانون الدفاع الوطني رقم (٤٠)لسنة ١٩٣٨، بجعل الخدمة الالزامية عشرين سنة بدلاً من عشر سنوات.[٢٨٤] لقد تمت معارضة هذه القوانين بثورات عشائرية في مناطق الفرات الاوسط،وشمال العراق،فحكومة ياسين الهاشمي استخدمت القوة في ضرب المعارضين لهذه القوانين بين السجن، والنفي، والحكم بالاعدام.[٢٨٥] وبهذا كان البعد العسكري للسلطة السبب المباشر في تنفيذ قانون التجنيد الاجباري، وهكذا عدنا الى جندينا ـ الفلاح ـ الذي يخدم عشر سنوات، أو عشرين سنة في الجيش على وفق هذه القوانين، من غير أن يكون له حق من حقوق مواطنته.

٣. لقد لعب البعد العسكري للسلطة دورا كبيرا في اضطراب الاحوال العامة في العراق، وهذا ادى الى عدم نضج العملية السياسية في الدولة، فغدت القوة العسكرية الفاعل الاساس في تسلم مقاليد الحكم فضلا عن مصاحبة ذلك زيادة العنف المستخدم في تصفية المعارضين في اطار هذه العملية. كما لعب القوميون العرب دورا في دعم التوجه العسكري للسلطة من خلال المساهمة في تأسيس المنظمات ذات التوجهات

[٢٨٢] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٧ .
[٢٨٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج ٢ ، ص ١٠٠ .
[٢٨٤] د. رجاء حسين الخطاب : تأسيس الجيش ...... ، مصدر سابق ، ص ١٢١ ـ ١٢٥ .
[٢٨٥] د.سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق ، ص٢٤٧ ـ ٢٤٩ .

العسكرية،لقد اسهمت تداعيات الاحداث في تحطيم الولاء الوطني للعراق،من خلال عدم تحمل المسؤولية التي إضطلعوا بها، فهم لايختلفون عن المفتي الحسيني الذي اثر سلامته الشخصية خلال احداث حركة ١٩٤١، والتفريط بالعراق لاحتلاله مرة ثانية من قبل القوات البريطانية فقد " كان مفتي فلسطين قد فر من تركيا بصورة غامضة، مع بعض موظفي السفارة الايطالية في طهران فوصل الى روما في التاسع من شهر تشرين الثاني ١٩٤١ "[٢٨٦].

ثالثاً: البعد العشائري: ـ أقامت المس بيل المسؤولة عن شؤون العشائر علاقات واسعة مع شيوخ العشائر في العراق، وقد امتازت هذه العلاقات بالودية قبل بدء الاحتلال البريطاني للعراق، ومع التحاقها بالحملة البريطانية لاحتلال العراق اخذت بتجديد صلاتها القديمة مع شيوخ العشائر،والتقرب منهم لدراسة الاحوال الاجتماعية،والاقتصادية، والسياسية مستفيدة من معرفتها السابقة لهم، والتعرف على العشائر التي لم تكن لها صلات سابقة معهم،وبفضل ذلك تمكنت من الحصول على معلومات مهمة فاصبحت حلقة وصل بين القوات المحتلة وهذه العشائر. [٢٨٧] لقد ايقنت المس بيل أهمية دعم سلطة الشيوخ في مناطقهم، منتقدةً السلطات العثمانية لعدم تمكين الشيوخ من فرض نفوذهم في المناطق العشائرية اذ تقول "وبدلاًأن يستخدم الاتراك سلطة الشيوخ،كانوا يتبعون سياستهم التقليدية في محاولة تحسين مركزهم بالقضاء على الموجود من العناصر المحلية التي تحافظ على الأمن و الاستقرار."[٢٨٨]

فقد نظرت الادارة البريطانية الى المجتمع العشائري كيانا قائما بذاته، فـ (اجتهدت) من اجل تنظيم شؤونه، فاصدرت (نظام دعاوى العشائر)، في (شباط / ١٩١٦)، لتنظيم الشؤون الجزائية،والمدنية للعشائر.لقد استخدمت الادارة البريطانية هذا النظام مستهدفة تركيز السلطة بيد الحكام السياسيين الانكليز،و شيوخ العشائر فقد تعاملت

---

[٢٨٦] ناجي شوكت : مصدر سابق ، ص ٤٩٩ .

[٢٨٧] سر ارنلد ويلسون : بلاد مابين النهرين بين ولاءين ...... ج ١ ، مصدر سابق ، ص ١٧٨ .

[٢٨٨] المس بيل : فصول من تاريخ .... ، مصدر سابق ، ص ٦٩ .

مع القضايا المختلفة على وفق ما هو سائد بينها من الاعراف،والعادات التي بموجبها تحل العديد من المشاكل،والخلافات.[٢٨٩] لقد رفع هذا القانون من أهمية الشيوخ،والزم أفراد عشائرهم بالإعتراف بمراكزهم الاجتماعية رسميا وبعد احتلالهم بغداد، اصدرت قوات الاحتلال (نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية) في (١٨ تموز / ١٩١٨)، وبهذا وسعت من تطبيقها لنظام العشائر فقد عد هذا النظام قوة للقوانين التشريعية عند صدور القانون الاساس (الدستور) في عام ١٩٢٥، لقد نصت المادة (١١٤)،" أن جميع البيانات، والانظمة، والقوانين التي اصدرها القائد العام والمندوب السامي، والتي أصدرتها حكومة الملك فيصل في المدة التي مضت بين الخامس من تشرين الثاني ١٩١٤، وتاريخ تنفيذ هذا القانون".[٢٩٠] لقد شهد هذا النظام تعديلات عديدة خلال العهد الملكي.* لقد ساعد سن هذا النظام تقوية نفوذ الشيوخ الموالين للسلطات البريطانية،وجعلهم تابعين لتوجيهات الحاكم العسكري، ما أدى الى تماسك النظام الاقطاعي واصبح الشيخ اشبه مايكون بـ(دولة داخل دولة).[٢٩١] كما تم تعزيز سلطة الشيوخ من اجل أن يكونوا مسؤولين عن افراد عشائرهم امام السلطات البريطانية لذا عملت على توسيع نفوذهم باغداقها المال عليهم،ومنحهم الامتيازات مثل الاعفاء من الضرائب، والاستفادة من الأراضي الاميرية، وبهذا مكنت هذه السياسة السلطات البريطانية من فرض سيطرتهم على العشائر، وجعلهم المسؤولين عن كل مايدور في الحياة الريفية من انشطة أقتصادية، واجتماعية.[٢٩٢] ان هذه الامتيازات لاتمنح الا للشيوخ الذين يعلنون ولاءهم للقوات البريطانية، في حين تنتزع من الذين تجدهم

---

[٢٨٩] المس بيل : فصول من تاريخ .... ، مصدر سابق ، ص ٥٠ ـ٥٢ .

[٢٩٠] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج١ ، مصدر سابق ، ص ٣٥٢ .

* التعديلات : تعديل رقم (٢٦)لسنة ١٩٢٣، تعديل عام ١٩٢٤ ، تعديل عام ١٩٣٣، تعديل عام ١٩٥١، المصدر:مكي الجميل ، تعليقات على نظام دعاوى العشائر وتعديلاته ، مطبعة الكرخ ، بغداد ، ١٩٣٥ .

[٢٩١] د.فاضل حسين : تاريخ العراق المعاصر ، جامعة بغداد ، بغداد ،١٩٩٠ ، ص١٤ .

[٢٩٢] اسماعيل نوري الربيعي :تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ ـ١٩٣٢ ،(رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ، ابن رشد ، جامعة بغداد)،١٩٨٩ ، ص ٩ .

معارضين لها بصرف النظر عن حقوقهم الشرعية.[٢٩٣] كان منح الاراضي للشيوخ من اهم الامتيازت التي عززت المكانة الاقتصادية لهم،وبذلك تحققت غايتان هما" تحويل الاراضي الى الشيوخ من فوق رؤوس الفلاحين،و زيادة القوة السياسية والسيطرة على الشيوخ."[٢٩٤] وبهذا كان التعامل البريطاني مباشرا مع العشائر في مرحلتي الاحتلال، والانتداب فالشيخ وسيلة نفعية فهو الوسيط الاكثر جاهزية في ادارة الريف، وايضا هو الوسيلة في كبح اوانحراف محتمل للملك فيصل، فعندما حاول الملك فيصل العمل على هزيمة مشروع الانتداب اوعزت السلطات البريطانية الى عشائرها المتعاونين معها برفع برقيات تأييد لسلطة الانتداب. [٢٩٥] أما الملك فيصل فيجد السلطة المركزية ضعيفة فيقول ان "الحكومة أضعف من الشعب بكثير.ولو كانت البلاد خالية من السلاح لهان الامر، ولكنه يوجد في المملكة مايزيد على المائة الف بندقية، يقابلها ١٥ الف بندقية حكومية ".[٢٩٦] فهو يعلم جيداً أن هذه (المائة الف) بندقية بيد العشائر التي تشكل قوة ضد السلطة المركزية ففكر بسحب البساط من تحت العشائر دون أن تشعر بذلك اذ يقول "يجب أن لايحس الشيوخ، والاغوات بان قصد الحكومة محوهم، بل بقدر ما تسمح لنا الظروف يجب أن نطمئنهم على معيشتهم، ورفاهيتهم".[٢٩٧] لكن السلطة البريطانية كانت اقوى من امنيات الملك فيصل فلم تكن غاية السلطة البريطانية تحقيق حالة توازن بين الملك فيصل والعشائر، أو بين شيخ، وشيخ وبين اغا، واغا فقد رتبوا الأمر أن يلعب اغوات عشيرة ضد اغوات عشيرة اخرى، أوشيخ ضد شيخ اخر،عن طريق اعفائهم من ضريبة الاملاك، ونظام المعونات، والهدايا النقدية، واستيفاء (الخاوة) من القوافل، والسيارات غير المحروسة فضلا عن قيام العشائر بغارات (مرخصة) على

---

[٢٩٣] صلاح الدين الناهي : مقدمة في الاقطاع ونظام الاراضي في العراق ، بغداد، ١٩٥٥ ،ص ١٨ .

[٢٩٤] علي ناصر حسين : الادارة البريطانية في العراق ١٩١٤ ـ ١٩٢١ (اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية الاداب ، جامعة بغداد) ، ١٩٩١، ص ١٩١ .

[٢٩٥] حنا بطاطو: العراق ...... ، الطبقات .... ج١ ، ١١٦ ـ١١٧..

[٢٩٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج٣ ، مصدر سابق ، ص ٣١٦ .

[٢٩٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٣١٩ .

بعضها، المهم هو تعدد القوى المحلية المتنافسة. فاخذ الملك فيصل بالعمل على (تكتيكات أكثر مداراة ومكرا) من أجل أن يوازن النفوذ البريطاني في استخدامها للعشائر. فاستخدام الاسلوب البريطاني في كسب العشائر المضادة للعشائر صاحبة الحظوة البريطانية. ولاتختلف هذه الوسيلة مع شيوخ العشائر في الجنوب، أو الاغوات في الشمال، ففي السنة ١٩٢٧ أعطى تعليماته لدفع لواء الديوانية للتحرك ضد الاتفاقية العسكرية، والمالية بفضل دورهم في ثورة العشرين للحصول على أفضل الشروط [٢٩٨]. لقد كانت رغبة الملك فيصل الاساس هي رفض الانتداب ليعده خطوة اولى لخطوات متتالية في تأسيس مشروعه الوطني في تأسيس الدولة العراقية. ولكن استخدام العشائر أخذ منحى آخر بعد رحيل الملك فيصل فقد أدخلت العشائر مسرح السياسة، فعقد اجتماع في دار رشيد عالي الكيلاني في الصليخ بتاريخ (٧ كانون الاول ١٩٣٤)، حضره ثمانية من شيوخ عشائر الفرات الاوسط، وقعوا وثيقة تولى كتابتها رشيد عالي الكيلاني شملت مقررات اتخذت اسلوبا لمعارضة الوزارات المتتالية خلاصتها استخدام القوة العشائرية في اسقاط الوزارات، فان لم تسقط (قمنا عليها بقوة السلاح).[٢٩٩] فكان لهذه العشائر الدور الاكبر في اسقاط وزارتي علي جودت الايوبي، وجميل المدفعي (الثالثة) سنة ١٩٣٥.[٣٠٠] لقد كان للتمردات العشائرية في الجنوب أهمية كبيرة فطه الهاشمي (رئيس اركان الجيش) اظهر ميلا الى عدم استخدام القوة ضد هذه العشائر على الرغم من رغبة رئيس الوزراء جميل المدفعي في حكومته (الثالثة)الذي إتخذ قرارا بضرب العشائر، ففي رسالة خاصة من طه الهاشمي الى السيد عبد الرزاق الحسني يجد "أن هذه الحركات تختلف عن التي جرت في السليمانية، وبرزان وضد الاثوريين، من حيث تأثيرها على الرأي العام..... ولها اتصالات بقبائل عفك......، والرميثة، وأن البعض من علماء النجف يشجعها، وأن ثلاثة أعضاء من مجلس الاعيان من مدبريها".[٣٠١] يجد

[٢٩٨] حنا بطاطو : العراق ...... ، الطبقات .... ج١ ، ١٢٢ــ١٢٨.

[٢٩٩] د. سامي عبد الحافظ : مصدر سابق ، ص ١٧٠.

[٣٠٠] د. لطفي جعفر فرج : مصدر سابق ، ص ٩٠ ــ ٩٤.

[٣٠١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج٤ ،مصدر سابق ، ٦٦ .

د. مجيد خدوري أن رجالات السلطة هم اول من استعان بالعشائر اسلوبا في معارضة الحكومات بعيدا عن العملية السياسية وكان "حكمت سليمان، ورشيد عالي الكيلاني الدماغ المنظم لهذه الاعمال".[٣٠٢] فضلاً عن إستعانتها باسلوب اخر هو استخدام العشائر الموالية ضد العشائر المتمردة الاخرى وبذلك "كانت السياسة القبلية في العراق ورقة رابحة عند بعض السياسيين للوصول الى الحكم. وكانت الجهات المكلفة بتأمين العدل وصيانة الحقوق بين المواطنين هي العامل في الاخلال بهذا الامن، وهي الباعث لسلب الحقوق."[٣٠٣] لقد كان لهذا الاسلوب الوقع السيىء على أفراد العشائر، فغالباً ماتتعرض للقصف، والحملات العسكرية فقد استخدم ياسين الهاشمي العشائر لغرض استلام السلطة وعند استلامه للسلطة في (١٧ آذار / ١٩٣٥)، خشي من أن يستخدم الاسلوب العشائري خصومه فعمل على ضرب العشائر وتشكيل المجالس العرفية لتقضي بالاعدام، والسجن، والغرامة في حركات الرميثة الاولى،وحركة سوق الشيوخ، وحركة عشائر الاكرع.[٣٠٤] لقد بدأ ضمور الاستخدام العشائري للوصول الى السلطة مع "إستخدام الجيش لارغام وزارة (ياسين الهاشمي)على الاستقالة،وكان ايضا بطل هذا الاسلوب الجديد حكمت سليمان الذي سبق ان ابتدع أسلوب إثارة العشائر".[٣٠٥] (وكما مر معنا سابقا). لقد ودعت العشائر هذا الاسلوب بعد أن اكتوت بنار التمردات، والثورات، وتعرضت لقصف الطائرات،ورمي المدافع،ولحقت بها خسائر بشرية،ومادية جسيمة فقال قائلها:

---

[٣٠٢] د. مجيد خدوري : نظام الحكم .... ، مصدر سابق ، ص ١٢١.

[٣٠٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ..... ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٦٩ .

[٣٠٤] د. سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٨ .

[٣٠٥] د.مجيد خدوري : النظام السياسي .... ، مصدر سابق ، ص ١٢١ .

وين داخل وين رايح او وين ابن عواد *

اووين ابن السويدي بالخطابة استاد

او وين المدفعي اللي ساكن ببغداد

اللي شرد منهم ولبكه(.....)

اتوبة إنجان إنرد ليه

لقد تباينت مواقف العشائر من حركة (مايس/ ١٩٤١) بين مؤيد ومعارض على وفق مصالحهم مع رجال السياسة في بغداد. ومع عودة عبد الاله، وفرض الاحكام العرفية،فقد سعى عبد الاله الوصي الى أن يكون عنصر استقرار، وتوازن بين النخب المتنافسة، ولكنه لم يكن يعلم بحنكة الملك فيصل السياسية، لقد كانت امامه قوتان العسكر الذي خذل الملكية في عامي (١٩٣٦، و١٩٤١) [٣٠٦].وعلماء الدين (الشيعة والسنة) الذين افتوا بالجهاد في حركة ١٩٤١، لقد حاول المتصرفون، والقائممقامون، وبتوجية من السلطة أن يفتوا فتاوى جديدة ضد فتاواهم القديمة فلم يوفقوا إلا قليلاً، فاضطرت السلطة الى استدعاء رؤساء القبائل،وشيوخ العشائر الى بغداد لكسب ولائهم بعد الاغداق عليهم بالمخصصات والهبات، أما الذين كانوا يستنكفون من قبض النقود فقد خصصت لهم عربات نقل وضعتها تحت تصرفهم، باجور زهيدة فكانوا يؤجرونها بأجور باهظة فيستفيدون من الفرق العظيم بين الاجر الاسمي الزهيد والاجر الفعلي الباهظ. [٣٠٧] وبهذا كانت البداية الجديدة (القديمة) مع العشائر فكانت هذه السياسة قائمة على اساس:ـ [٣٠٨]

* اسماء رؤساء العشائر والوزرا ء الذين اتفقوا على اثارة العشائر المصدر : عبد الرزاق الحسني ، احداث عاصرتها ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

[٣٠٦] د.فرهاد ابراهيم : مصدر سابق ، ص ١٧٩ .

[٣٠٧] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج٦ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط ٧ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٩ .

[٣٠٨] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات .... ج١ ، مصدر سابق ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

- لعب ضباط الارتباط البريطانيون في الألوية الدور نفسه الذي لعبه المسؤولون الاداريون من الانتداب البريطاني في كسب العشائر.
- توحدت جهود عبد الاله ونوري السعيد،واكبر المشايخ، والاغوات، وملاكي المدن، ضد اخطار يشكلها نمو طبقة مثقفي المدن، وطبقة متحالفة مع الجماهير الحضرية تهدد مصالحها.

لقد اثمر الكسب الجديد للعشائر تحقيق مكاسب سياسية، واقتصادية للعشائر من خلال:ـ[٣٠٩]

- زيادة عدد النواب العشائريين الى (٣٧ من مجموع ١١٦) نائبا اي بنسبة ٣١،٩% لسنة ١٩٤٣، ليصل الى (٥٢ من مجموع ١٤٥)نائبا اي بنسبة ٩، ٣٥ % لسنة ١٩٥٨.
- المكاسب الاقتصادية من خلال (قانون تسوية)* الاراضي وهو التطبيق العملي في الأربعينيات والخمسينيات لقانون(اللزمة) رقم (٥١) لسنة ١٩٣٢، حيث عدل بالقانون رقم (٣٦)لسنة ١٩٥٢.

وفي رسالة خاصة من وزير الاعمار (عبد الكريم الازري) في وزارة فاضل الجمالي الثانية سنة ١٩٥٤ الى المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني ايضاحات مهمة حول تطبيق قانون التسوية ؛ فقد شكل تطبيقه حرمان الفلاحين من الاراضي حرمانا يكاد أن يكون تاما، فضلا عن مقاومة الشيوخ، والمتنفذين المستفيدين من هذا القانون في ابطال اية جهود لتعديله" فلم يكن البلاط الملكي مستعدا لارغام الشيوخ على قبول لائحة التعديل لانه كان يعتبرهم دعامة ذلك العهد ".[٣١٠] فضلا عن تغيير صنف الارض من اراض

---

[٣٠٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٠ ـ ١٣٧ .

* قانون اللزمة ، صدر سنة ١٩٣٢ وهو نظام استحدث ليعطي للمتصرف بالأرض الحقوق المخولة في نظام الملكية(الطابو) ، قانون التسوية ، صدر سنة ١٩٣٨ وهو نظام تؤجر بموجبه الاراضي الاميرية ليعطي المستثمرين القادرين حق الاستفادة منها المصدر : طلعت الشيباني واقعة الملكية الزراعية في العراق ،بغداد ، ١٩٥٨ ،ص ٤٣ ـ ٤٥ .

[٣١٠] السيد عبد الرزاق الحسني :تاريخ الوزارات العراقية ، ج ٩ ، دارالشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٧ ، ١٩٨٨، ص ١٠٥ .

اميرية تعود ملكيتها للدولة ممنوحة باللزمة للتصرف بها لاغراض زراعية فقط الى ارض مملوكة تعود للمالك يتصرف كما يشاء بها، وبهذا تحولت هـذه الاراضي الى ملـك صرف باسعار واطئة جداً فقد كانت قيمة المتر المربـع الواحـد بـين (ثلاثـة فلـوس الى خمـسة فلوس)، لتحويلها فيما بعد الى اراض سكنية تباع باسعار (خياليـة).[٣١١] وهكـذا كـان " المستفيدون الحقيقيون من هذه التسويات لم يكونوا فلاحـي العـراق، بـل مـشايخه وأغواته ورأسماليو مدنه وكبار مسؤوليه ".[٣١٢] لقد كـان منطـق الـشيوخ يتجـسد في عبارة (جياد الشعلان) احد النواب الشيوخ " والله.... نحن قوة مسلحة والثورة العراقية (١٩٢٠) قامت على رؤوسنا لا على رؤوس الافندية".[٣١٣] وبهذا فلهم الحـق في التمتـع في هذه المزايا، كما لعبت سياسة المحاباة في تفضيل السلطة احدى العشائر على الاخـرى في إثارة الفتن بين العشائر وبالتالي الاقتتال الذي يؤدي الى ضعف العـشائر امـام الـسلطة، فقد اثارت محاباة الوصي عبد الاله للعشائر في الديوانية خلق المشاكل التي ادت الى القتال العنيف بين هذه العشائر.[٣١٤] أما نوري السعيد فعزز سياسة المحاباة للعشائر بتأسـيس حزب (الاتحاد الدستوري) سنة ١٩٤٩، الذي ضم ثلة من الاقطاعيين، واصحاب المصالح من شيوخ العشائر.[٣١٥] ويبقى سؤال هل حققت السلطة في اعتمادها على العشائر التي شكلت احدى ابعاده تعزيزاً حقيقياً؟ لقد شكل اعتماد الـسلطة عـلى النـواب الـشيوخ اعتمادا هشّاً، فالمجالس النيابية شهدت غيابات النواب الشيوخ عـن حـضور جلـسات المجلس النيابي، فليس من الصدفة تكرار اجـازات هـؤلاء النـواب باعـذار تـترواح بـين (الاسباب الصحية والاشغال الخاصة) في كل جلسة، فالجلسة الثالثة على سـبيل المثـال

---

[٣١١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ....ج٩ ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

[٣١٢] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات .... ج١ ، ص ١٣٧ .

[٣١٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج٨ ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط٧ ، ١٩٨٨ ،ص ٢٤ .

[٣١٤] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية ، ج ١٠ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٧ ، ١٩٨٨ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

[٣١٥] السيد عبد ارزاق الحسني : تاريخ الوزارات ...... ج٨ ، مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

من الاجتماع الاعتيادي لمجلس النــواب لــسنة ١٩٤٥ أُجلــت ثــلاث مــرات لعــدم اكتمــال النصاب القانوني، فضلاً عن إفتتاح الجلسة الرابعــة بقــراءة اجــازات هــؤلاء النــواب والموافقة عليها.[٣١٦] لقد حملت مناقشتهم في المجلس أن للــسلطة الفــضل الاكــبر فيمــا يتمتعون به من مزايا، والاعــتراف الصريــح بانهم استــولوا على اراضي الفلاحــين فقــد قال احد النواب الشيوخ "أن الفلاحين يقولون لم تبق لنا أرض فــان جميــع الاراضي قــد اخذها الاقطاعيون ـ الافندية "فقال الاخر مقاطعاً" لماذا لايقولون الــشيوخ؟" فيجيــب الاول "نعم الشيوخ،الافندية، وانت منهم، داعيك مــنهم".[٣١٧] فالــسلطة بالنــسبة لهــم عادلة، وكما عبر احد النواب "فالحكومة هي الرؤوفة وهي التي تفتح الانهار وتوصــلها الى الاراضي الخربة وتقسمها وتعطيها لافراد الامة وتسجلها بالطابو وهذا إنــصاف مــن الحكومة ثم ان قوانين الحكومة عادلة اثناء تطبيقها على الــشعب".[٣١٨] فالنائــب يعلــم جيداً أن افراد (الامة) هم الاقطاعيون من الشيوخ، وأفندية المدن الذين اســتحوذوا عــلى جميع الاراضي.فلم تحمل مناقشتهم اكثــر مــن قــضاياهم الخاصــة ومــصالحهم دون التطرق الى القضايا العامة، فكانت معارضتهم ضد اللوائح التي تتعارض وما يتمتعــون به من مزايا هي (الهم) الاكبر لهم مما ولد نقمة عليهم داخل المجلس وخارجه،فقد قال احد النواب الناقمين "هناك قرية اميرية كانت تعطى بالايجار الى سكانها الفلاحين الذين يقطنونها ويزرعونها مباشرة ولكن عند انتهاء عقد الايجار وضعت في المزايدة فزاد احــد المزارعين (الاقطاعيين) الايجار الى مبلغ فاحش وهذا ما لم يستطع دفعه سكان القريــة وادى الامر الى ان يستولي هذا الرجل ويستأجر هذه القرية فأصبح هؤلاء القروين تحت رحمته ".[٣١٩] يعول نوري السعيد على قانون الوراثة لتفتيت ملكية الاقطــاعيين قــائلاً

[٣١٦] محضر الجلسة الثالثة من الاجتماع العادي لمجلس النواب لسنة ١٩٤٥ / ص ٦ ـ ١٠ .
[٣١٧] محضر الجلسة الثامنة عشر من الاجتماع العادي لمجلس النواب لسنة ١٩٤٥ / ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
[٣١٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٩ .
[٣١٩] محضر مجلس النواب ، الجلسة في ١٩٤٩/٥/٨ ، ص٥٩٣ .

"أن الوراثة بعد موت الملاك تفتت الملكيــة".[٣٢٠] منطلقــاً مــن أهميــة الــشيوخ في دعــم السلطة موضحاً "هل كان في وسع حكومة ناشئة كالحكومة العراقية، أَنْ تشق طريقها الى النمو..... وهل كان في امكانها ان تدفع هذه القبائل القوية الــشكيمة، ذات التقاليــد، والعادات المتأصلة، الى تغيير طريقة معيشتها وتحويلها من حياة الغزو الى حياة الزراعة بدون رؤسائها".[٣٢١]

لقد كانت حججاً واهية للدفاع عن الاقطاعيين امام ملكية الشيوخ والاغــوات الــذين يتنصلون عن دفع اية حقوق للدولة فقال أحد النواب "نحن عندما نتحدث عن الاقطــاع والاقطاعيين انما نبحث الامر من وجهتين الاولى طريقــة الاســتثمار والنــاتج مــن هــذه الاراضي واهمال الاقطاعيين لاعمار الكثير منها، والثانيــة بالــضرائب وبمــوارد الدولــة، فالقاعدة التي سارت عليها الحكومات المتعاقبة هي ان تفرض عــلى اي كــان مــن غــير هؤلاء الاقطاعيين ضرائب متعددة ومتصاعدة.... اما سادة الاقطاع فلا يكلفــون بــشيءٍ يتصل بدخولهم وارباحهم مهما بلغت، ولا يحاسبون على هذه الارباح".[٣٢٢]

لقد سجلت محاضر مجلس النواب ردود فعل القــوى المعارضــة عــلى اللــوائح التــي تعطي حقوقا لصالح الشيوخ الاقطاعيين، فقد علق احــد النــواب عــلى لائحــة تــسوية الاراضي لعام ١٩٥٢ قائلا "أن الشيء المؤلم أن هذه اللائحة جــاءت بمبــدأ اعطــاء نــصف الاراضي المتصرف بها للمتصرفين الكبار الامر الذي يخالف الاتجاه العام لتحديــد الملكيــة ولنشر الملكية الصغيرة بين المزارعين ".[٣٢٣] لقد كانــت الفائــدة (اليتيمــة) التــي جنتهــا السلطة من دعمها للمشايخ هي ابعاد الريف العراقي عن التمردات العشائرية المعروفة، ولكن هذه الفائدة (اليتيمة)كمنت في جوفها بوادر المعارضــة الحقيقيــة للــسلطة، مــن خلال المشكلات التي تولدت جراء تحطيم العلاقة بين الشيوخ والفلاحين ومــا نجــم عــن

---

[٣٢٠] محضر مجلس النواب ،الجلسة في ٦/٥/ ١٩٥١ ، ص ٧٥١ .

[٣٢١] محضر الجلسة الثانية من الاجتماع العادي لمجلس النواب لسنة ١٩٥٠ /ص ١٩ .

[٣٢٢] محضر مجلس النواب ، الجلسة ٧ /٤/ ١٩٥٢ ، ص ٣٨٤ .

[٣٢٣] محضر مجلس النواب ، الجلسة ٧ / ٤ / ١٩٥٢ ،ص ٣٨٤ .

هجرة الفلاحين الى العاصمة بغداد وما تسبب عن هذه الهجرة من مشكلات اقتـصادية، واجتماعية، وسياسية، فقد اصـبحت مجتمعـات المهجـرين مرتعـاً للاحـزاب الثوريـة المتطرفة. فلم يكن هذا البعد الا احد أسباب انهيار السلطة في ثورة (١٤ تموز /١٩٥٨).

ويمكن ايجاز السمات العامة للسلطة في العهد الملكي: ــ

١. لقد شكلت أبعاد السلطة الواقع الفعلي لممارستها الحقيقية.على الرغم مـن وجـود القانون الاساس (الدستور)،والنظام النيابي الذي ينظم الحيـاة النيابيـة، فقـد كـان الحصول على السلطة ينحصر بابعاده الطائفية، والعسكرية، والعشائرية، فـاذا كـان البعد الطائفي يشهد ضمورا على صعيد ممارسات مجتمعية مثـل (قـضية الموصـل)، فعند زيارة اللجان الدولية لتقرير مصير الموصل "قد شـهد الـوزراء والموظفـون مـن جميع الطبقات والوجهاء جميعهم بعدم امكانية تقسيم العراق، ثم تخلى الرجال عـلى اختلاف أحزابهم عن جميع إختلافاتهم.... اما الصحف المحلية فسلوكها ممتـاز".[٣٢٤] فقد كان سؤال اللجنة عن طبيعة السلطة في العراق فكـان الجـواب: "الرجـال الـذين حاربوا في الحجاز وشيعة العراق".[٣٢٥] فتبعد المس بيل فكرة "أن فيـصلاً الـسني قـد فرضناه بالاكراه على شيعة العراق ".[٣٢٦] الا أن هذا البعد ظل محافظاً على قوته، حتى مع مشاركة وزاريـة للـشيعة جـاءت بنـسبة " ٦ % في الفـترة ١٩٤٧ ــ١٩٥٨ ".[٣٢٧] ويمكن تفسير هذه المشاركة للنتيجة الحتمية لاحداث انقـلاب ١٩٣٦، وحركـة ١٩٤١، فقد (اكلت) هذه الاحداث عتاة الرجـالات الـسنية عنـد تـصارعهم في الحـصول عـلى السلطة بين قتيل،وسجين،ومنفي،ومغضوب عليه.اما البعد العسكري فقـد لعـب دوراً للحصول على السلطة وشكل تعزيزاً لها، ويمكن عد مرحلـة سـيادة هـذا البعـد بـين السنوات ١٩٣٣ ــ ١٩٤١، وجاءت العودة لهذا البعد في نهاية العهـد الملكـي عنـد فـشل

[٣٢٤] المس بيل : العراق في رسائل .... ، مصدر سابق ، ص ٥٧٤ .

[٣٢٥] المصدر السابق نفسه ،ص ٥٧٦ .

[٣٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٥٧٧ .

[٣٢٧] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات ..... ج١ ، مصدر سابق ، ص ١٣١ .

التنظيمات السياسية في العمل على تقويض السلطة أو تغييرها الا بالاعتماد على البعد العسكري فجاءت ثورة (١٤ تموز / ١٩٥٨).اما البعد العشائري فكان اوهى الابعاد التي استخدمت لتعزيز السلطة، فقد شكل تقويضا وقتيا للتمردات العشائرية، ولكنه حمل معه تناقضات كبيرة كانت سبباً في انهيار السلطة.

٢. شهدت الحياة النيابية قصورا كبيرا، ولعل كلمات نوري السعيد اكثر صدقا وصراحة عن الواقع النيابي في العراق حين قال "هل بالامكان ـ انشدكم بالله ـ أن يخرج احد نائباً مهما كانت منزلته في البلاد ومهما كانت خدماته في الدولة مالم تأت الحكومة في البلاد وترشحه؟ فانا اراهن كل شخص يدعي مركزه، ووطنيته فليستقل الان، ويخرج ونعيد الانتخابات ولا تدخله الحكومة في قائمة الحكومة ونرى هل هذا النائب الرفيع المنزلة الذي وراءه ماوراءه من المؤيدين يستطيع أن يخرج نائباً؟"[٣٢٨]. فكانت قوائم السلطة هي الفائزة دائما، فضلاً عن ترشيح الاسماء الاخرى بالتزكية. اما مسألة القدرات البرلمانية للشخصيات التي نوه عنها (ايرلاند) فهذه حقيقة واقعة فمن خلال قراءة محاضر مجلس النواب تبرز قدرات برلمانية جادة فعندما طرح توفيق السويدي منهجه الوزاري في (شباط /١٩٤٦) قال النائب محمد رضا الشبيبي "ترددت كثيرا في الكلام بهذه المناسبة مناسبة تقديم الوزارة الجديدة منهاجها الى المجلس لان الكلام في الواقع إذا كثر أصبح مملاً والمنهاج نفسه نوع من الكلام لا اكثر ولا اقل وليس العبرة في الكلام وانما العبرة في التطبيق".[٣٢٩] وقال سائلا "ماهي التدابير في سبيل تفريج الازمة وانقاذ العراقيين على اختلاف طبقاتهم من ارتفاع أسعار الاجور، وماهي اجراءات الحكومة في وضع حد لانتشار البطالة بين ارباب الحرف والمهن ". [٣٣٠] اما عن تكرار ظاهرة الفيضانات فيقول النائب رزوق غنام "تحدث الفيضانات من وقت الى اخر وتقع الاضرار ويزيد بؤس الفقراء على الاخص ثم يتبرع البعض من ذوي القلوب

---

[٣٢٨] محاضر مجلس النواب من الاجتماع العادي لسنة ١٩٤٣ ، ص ٣١ .

[٣٢٩] محضر الجلسة الحادية والعشرين من الاجتماع العادي لمجلس النواب لسنة ١٩٤٥ ،ص ٢١١ .

[٣٣٠] محضر الجلسة الثلاثين من الاجتماع العادي لمجلس النواب لسنة ١٩٤٥ ، ص٢٩٥ .

الرحيمة والشفوقة بالشيء البسيط للمصابين فنشكرهم وينتهي الامـر وبعـد بـضع سنين يقع الامر ذاته..... وهكذا يستمر الحال بدون ان نعمل شيئا للقضاء على اسباب هذه الكوارث ".[٣٣١] ولاتختلف اسماء كثيرة اخرى في طرح المشاكل لكن الحلول تبقـى قاصرة، فكان المجلس النيابي منبراً للخطابة أكثر منه سلطة تشريعية تمثل الشعب.

٣. لم تنبثق عملية تشكيل الوزارات مـن البرلمـان، فغالبـا مـايتم تـشكيلها بموافقـات شخصية تتراوح بين الملك او الوصي ونوري السعيد، فالسعيد هو القاسـم المـشترك في تشكيل الوزارات،فان لم (يقلد) رئاسة الوزراء فيها فهو وزير دفاعها،أو خارجيتها،أو داخليتها، فقد تـرأس (١٤) وزارة مـن مجمـوع (٥٩) وزارة في العهـد الملكـي فكلمـا اشتدت الحاجة الى اجراءات سريعة أو القيام بعمـل (خطـير)، كـان هـو رجـل هـذه المهمات، ففي وزارتيه الاولى والثانية (١٩٣٠ ـ ١٩٣٢)عقدت معاهدة ١٩٣٠، وفي عهـد وزارته الثالثة والرابعة والخامسة (١٩٣٨ ـ ١٩٤٠)، ولي عبد الاله وصيا عـلى العـرش، وفي وزارته السادسة السابعة والثامنة (١٩٤٢ ـ ١٩٤٥)، اعلن انضمام العراق الى الدول الديمقراطية واعلنـت الحـرب عـلى دول المحـور وفي عهـد وزارتـه التاسـعة اجريـت الانتخابات العامة، انسجاما مع متغيرات عـالم مابعـد الحـرب العالميـة الثانيـة.[٣٣٢] وهكذا مع مهمات الاحداث الاخرى، أما الوزارات الاخرى فلم تكن إلَّا صدى لوزاراته أو هي مراحل انتقالية لاحداث ممهدة لوزاراته المتعاقبة.لقد كانت سمة الوزارات بـشكل عام عدم الاستقرار فضلا عن افتقارها لمناهج عمل لها.فلم تكن المراسيم بعيـدة عـن عمل هذه الوزارات، فلم تعمر هذه الوزارات كمعدل عام أكثر من ستة اشهر..

---

[٣٣١] محضر الجلسة الثالثة والعشرين من الاجتماع العادي لمجلس النواب لسنة ١٩٤٥ ، ص ٢٣١ .

[٣٣٢] السيد عبد الرزاق الحسني :تاريخ الوزارات ......ج٨ ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .

الفصل الثالث

المراحل التاريخية لعلاقة المثقف بالسلطة

يتضمن هذا الفصل المراحل التاريخية التي مرت بها علاقة المثقف بالسلطة من خلال مناقشة المؤثرات التي عملت على صياغة هذه العلاقة والسمات التـي تميـزت بهـا كـل مرحلة.

المبحث الاول

تعددية التأسيس ١٩٢١ـ ١٩٣٣

نتعرف على طبيعة علاقة المثقف بالسلطة من خلال المؤشرات الاتية :ـ

المطلب الاول : المثقف بين احتلالين: كان لابد من بدء الحديث عن طبيعـة العلاقـة بين مثقفنا العراقي وسلطة الاحتلال البريطاني لان هذه العلاقة هي الـركن الاسـاس في المراحل التاريخية المختلفة التي حددت طبيعة علاقة المثقف بالـسلطة، فلـم يكـن وداع الدولة العثمانية بالامر الهين على الرغم من ذكريات وداعها المتمثلة بـسلطة الاتحـاديين الذين وحسب تعبير د.يوسف عز الدين "الاتحاديون يقلبون ظهر المجن"[1]. عبروا فيهـا عن سياسة البطش، والارهاب، فشهوة السلطة أعمتهم عن شعاراتهم التي نـادوا بهـا،

---

[1] د. يوسف عزالدين :تطور الفكر الحديث ....، مصدر سابق، ص ٣٨ .

فقد ظنوا أن السياسة المتمثلة في تتريك القوميات عامل نجاح، لأنهم اقلية بالنسبة لشعوب الدولة العثمانية ولاتقدر الاقلية على الحكم إلا بالعنف والبطش.ولكن مثقفنا العراقي ولنقل شاعرنا العراقي وتحت (شعار) الرابطة الاسلامية وقف مع اول معركة حربية خاضتها الدولة العثمانية عندما أعلنت الحرب العالمية الاولى في (٥ تشرين الاول / ١٩١٤)، فكانت واقعة الدردنيل في (شباط /١٩١٥)، وفشل انزال الحلفاء في مضيق الدردنيل، فكان لهذا الفشل اثر كبير في نفوس الشعراء، فقد نشرت مجلة(العالم الاسلامي)،التي كانت تصدر في الاستانة قصيدة باللغة التركية ترجمها شعرا معروف الرصافي التي سجل فيها انتصار العثمانيين نذكر منها :

تقحم ثغر الدردنيل مهاجما عدوان للاسلام في البر والبحر

ولكن امد الله ـ بالنصر ـ جيشنا فكان ـ من الفولاذ ـ حصنا على الثغر[٢]

وعند انزال القوات البريطانية في البصرة في (٢٣ تشرين الثاني /١٩١٥)،وبعد اصدار الفتاوى الدينية بالجهاد وكما مر معنا سابقاً،نظم الشعراء قصائد تهاجم الاحتلال البريطاني مادحةً الجيش العثماني،ومن الشعراء الذين نظموا قصائد تؤرخ معارك الجيش العثماني في العراق (عبد الرحمن البناء)، و(محمد رضا الشبيبي) ،و(رشيد الهاشمي) ، و(معروف الرصافي)، و(محمد حسن ابو المحاسن) ويبرز الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) الذي نظم قصيدة طويلة هاجم فيها الانكليز مهاجمة عنيفة مادحاً فيها القائد العثماني انور قائلا :

ألا أيها الجيش اللهام المعسكر تقدم فأنت المستطيع المظفر

رعى الله للدنيا ولـلدين انورا فقد سله سيفا له النصر جوهر[٣]

---

[٢] د. يوسف عزالدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٨٠ .

[٣] جميل صدقي الزهاوي : ديوان شعر، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد، ١٩٣٩، ص ١٧ .

لقد انبرت جريدة (صدى الاسلام)التي اصدرتها السلطة العثمانية في بغداد في(٢٣تموز /١٩١٥)، والتي جاءت ردا على اصدار سلطة الاحتلال البريطاني جريدة (الاوقات البصرية) في البصرة، فاشرف على صدورها الجيش العثماني لقد كانت مسؤولية الجريدة مناطة برئيس بلدية بغداد (رؤوف بك الجادرجي)، أما أبرز من كتب فيها: (جميل صدقي الزهاوي)، و(خيري الهنداوي)، و(ابراهيم حلمي العمر)، و(عبد الرحمن البناء) ، و(محمد مهدي البصير)[٤] وكانت الجريدة منبراً لقصائد هؤلاء الشعراء. فضلاً عن أهدافها الأخرى المتمثلة في نشر المقالات الدينية، والوطنية، ونشر اخبار الحرب، ومحاولة احكام الرابطة بين المسلمين خدمة لاهداف الحرب المعلنة. فضلاً عن تأليف محمد حبيب العبيدي كتابين اولهما (حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في الاسلام)،والثاني(جنايات الانكليز على البشر وعلى المسلمين خاصة)[*] وفي الكتابين يُحرض الناس على حرب الانكليز ويبين مظالمهم.

وبعد دخول القوات البريطانية بغداد وقف بعض الشعراء متباكين على الدولة العثمانية فقد قال (معروف الرصافي) قصيدة طويلة يعبر فيها عن ألمه ،ويختمها ببيتين قائلاً:

أنا باق على الوفاء وان كا

نت بقلبي ممن أحب جراح

فاليهم ومنهم اليوم أشكو

بلغيهم شكايتي يارياح [٥]

ولكن هذه (اللوعة) على فراق الدولة العثمانية لم تستمر طويلاً فمع الصحف التي أخذت سلطة الاحتلال البريطاني باصدارها تحول مدح الدولة العثمانية الى ذم، فسلطة

---

[٤] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الصحافة ....ج ١، مصدر سابق، ص ٧٢ .

[*] الكتابان طبعا في بيروت سنة ١٩١٦ .

[٥] د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ١٠٨ .

الاحتلال كانت قد اصدرت جريدة (الاوقات البصرية) في اوئل عـام ١٩١٥، بـاربع لغـات وهي العربية، والانكليزية، والفارسية، والتركية وبقيت تصدر خمس سـنوات.[٦] كانـت الجريدة وسيلة لنقل أخبار القتال في جبهات الحرب المختلفة، فضلاً عن التركيز على ظلم الدولة العثمانية لشعوبها فكانت الـسياسة العامـة للجريـدة لاتختلـف عـن اراء قـادة الاحتلال البريطاني في العراق التي ترى "أن الاتراك لم ينالوا ثقة الناس وكـان نظـامهم، حقا والى ابعد حد، لايعدو ظلم الاكثرية الشيعية عن عمد وحـساب، كمـا كـان إحتقـار اليهود، والنصارى من مميزات هذا النظام ".[٧] كما أن الجريدة إمتازت بتدوين مجريات الامور، كما يرى (ويلسون)، بالدقة التي عرفـت بهـا الـصحف اللندنيـة، فـضلاً عـن الاهتمام بنشر الشعر والمقالات ذات الطابع الادبي. [٨]

لقد أخذت جريدة (الاوقات البصرية) بالانتشار على الرغم من تفشي الاميـة، فكانـت تقرأ من قبل الاشخاص المتعلمـين بـصوت عـالٍ عـلى رواد المقـاهي، كمـا انهـا اخـذت بالانتشار في بغـداد.[٩] وفي بغـداد اصــدرت الـسلطـات البريطانيـة المحــتلة (جريـدة العرب)في (٤تموز ١٩١٧)،لقد جاء في تعريفها (يوميـة ـ سياسـية أخبارهـا تاريخيـة، ادبية، عمرانية المبدأ والغرض)،فكانت العربيـة لغتهـا،وأسـهم في تحريرهـا فريـق مـن الكتاب العراقيين يقف في مقدمتهم (الاب انستاس ماري الكرملي) ،(وشكري الفـضلي)، و(كاظم الدجيلي)، و(عبد الحسين الازري)، و(عطا امين)، و(جميل صـدقي الزهـاوي)، و(محمد مهدي البصير)، وغيرهم ممن كانوا يوقعون مقالاتهم بتواقيع مستعارة تهربا من تهمة مصانعة الانكليز وقد تولت المس(بيل) ادارة الجريدة. استمرت الجريدة تـصدر بانتظام الى أواخر عام ١٩٢٠لقد كان من اهتمامات الجريدة الرئيسية الـدعوة الى البيـت

---

[٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الصحافة .... ج١، مصدرسابق، ص ٧٤ .

[٧] سر ارنلد ويلسون : بلاد الرافدين ...... ج١، مصدر سابق، ص ١٣٦ .

[٨] المصدر السابق نفسه، ص ١٣٩ .

[٩] المس بيل : فصول من تاريخ ......، مصدر سابق، ص ٦٢ .

الهاشمي والاسهام في تأييده تمهيدا للاحداث المقبلة.[10] لم تكن تلك الاحداث الا تنصيب الامير فيصل عاهلاً لعرش العراق، كما أصدرت سلطة الاحتلال مجموعة من الصحف في كركوك، والسليمانية، ولاتختلف هذه الصحف عن جريدة العرب في خدمة أغراض الاحتلال، ولكن للدكتور(سيار الجميل) رأياً اخر في جريدة الموصل التي اصدرتها سلطة الاحتلال فانها أسهمت في "بناء الوعي الاجتماعي، والدعائي، والقانوني قد ميزها كعلامة بارزة في تطور ثقافة الموصل".[11] لم تكتفِ سلطة الاحتلال باصدارها لجريدة العرب في بغداد فقد أصدرت مجموعة أخرى من الصحف مثل جريدة (الاوقات البغدادية)، ومجلة(دار السلام)، وجريدة (العراق)التي حلت محل (جريدة العرب) بعد توقفها عن الصدور،فقد عنيت بالنواحي الاقتصادية، والثقافية، والتاريخية، والعلمية.[12] لقد خضعت هذه الصحف لسلطة الإحتلال المباشرة وكان هذا واضحا جدا من خلال مادونته المس (بيل) حول هذه الصحف اذ تقول "أجريت ترتيبات مع صاحب الجريدة المعتدلة في بغداد تسمى العراق بأن يأتي لزيارتي مرتين أو ثلاثا في الاسبوع لأزوده بالاخبار والافكار ".[13]

يقتضب المؤرخون العراقيون عند تدوين وتحليل الاحداث الخاصة بتعاون مثقفينا مع سلطة الاحتلال البريطاني، والتغير من دعاة (الرابطة الاسلامية)، في مدحهم لجميع مراتب السلطة العثمانية الى مدح (لا)، بل التعاون مع العدو البريطاني (الكافر)، فهذا الشاعر (عبد الرحمن البناء) الذي كان يخشى على الاسلام قائلاً:

جوامعكم غدت بيعا،وفيها

سما فخرا على الحق الضلال

---

(10) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الصحافة .... ج١، مصدر سابق، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(11) د.سيار الجميل : زعماء وافندية ....، مصدر سابق، ص ٣١١ .

(12) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الصحافة ... . ج١، مصدر سابق ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(13) المس بيل : العراق في ....، مصدر سابق، ص ٢٦٤ .

أيرسم فوق محراب صليب

وفي افق الهدى يزهو الـهلال [١٤]

فكيف تغيرت المواقف المعارضة الى مواقف داعمة للاحتلال؟ فبعـد أن كانـت جريـدة (صدى الاسلام)، منبرا لقصائد تمدح الجيش العثمـاني، وتـسجل آيـات الفخـر للقـواد العثمانيين، مباركة الدفاع عن الاسلام تحول كتابها الى جريدة (العرب)، فتحول مدحهم للدولة العثمانية الى هجاء، ومدح للانكليز.ولابد هنا من الاستعانة بمجموعة مـن الاراء التي تحاول توضيح هذا التغيير الجذري في المواقف. يـرى د.(عـلي الـوردي) أن سـلطة الاحتلال البريطاني إجتذبت المثقفين ،وبذلت لهم الاموال والاجور المغرية لكل شـاعر ،أو كاتب ينشر في هذه الصحف ،ولكنهم كانوا ينشرون نتاجاتهم بتواقيع مـستعارة لانهـم يخشون عودة الاتراك الى بغداد فينتقمون منهم.[١٥] وبعد أن يبدي الدكتور(يوسـف عـز الدين) أسفه لان الكثير من شعر هذه المرحلة قد ضاع أو أُتلف عن عمد، ولكن يمكـن ان يعطينا الاثر الباقي صورة واضحة عن حالة الاضطراب والحيرة والقلق النفسي لـشعراء هذه المرحلـة ،فقـد عكـست الحالـة النفـسية البـشرية في وفائهـا وتملقهـا ونفاقهـا وخضوعها ومداهنتها للقوة، فيعود ثانية ليجد تبريراً قائلاً "الذين مدحوا الانكليـز قـد كانوا خائفين وجلين مضطربين، وحالتهم النفسية التي تعقب الحروب مـضطربة وقـد رسموا المثل العليا ، والاهداف الاجتماعية التي تختلف باختلاف الحاكم".[١٦] أمـا (منـير بكر التكريتي) فيُعد محرري جريدة العرب وكتابها من" خيرة رجال العلم والادب الـذين اغرتهم سلطة الاحتلال بان الجريدة وسيلة لبث الروح القومية وخدمـة اللغـة العربيـة وتثقيف الشعب، كما انها اغرتهم بالاموال التي اغدقتها عليهم ".[١٧] وللـدكتور (سـيار

[١٤] د.يوسف عزالدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٨٨ .

[١٥] د. علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج٥، القسم الاول، مصدر سابق، ص ٧٧ .

[١٦] د.يوسف عزالدين : الشعر العراقي الحديث .... ، مصدر سابق، ص ١١٤ .

[١٧] منير بكر التكريتي، مصدر سابق ، ص ١١٧ .

الجميل) رأي آخر إذ يقول فيه "من الممكن أن نستجلي العديد من المواقف المضطربة غير الثابتة التـي غرسـها المثقفـون العراقيـون مـن أبنـاء الرعيـل الاول حيـال الـسلطات الاستعمارية البريطانية، فمصانعة المحتل الجديد هو تكتيك مرحلي لتهيأة مناخ وطني، وارضية خصبة للنزال".[١٨] وعلى هذا فهذه الاراء تجـد أن الاغـراء المـادي احـد العوامـل المهمة في جذب المثقفين للعمل في هذه الصحف، فضلاً عن الحالة النفسية المضطربة التي اتسم بها المثقف التي املتها عليه ظروف الحرب ،وتغيير الحاكم، امـا عـن (مـصانعة) المحتل وتهيأة ارضية للنزال، فهذا الرأي اكبر مما تتحمله مواقف المثقف. ولااعـرف لمـاذا البحث عن اسباب تبريرية لمواقف واضحة ومعبر عنها مـن قبـل احـد هـؤلاء الـشعراء فالشاعر الدكتور (محمد مهدي البصير) الذي نشر اكثـر قـصائده في جريـدة (العـرب) ومجلة (دار السلام) كان أكثر صراحة عندما قال رأيـه في النـاشرين في هـذه الـصحف بقوله" كانوا طلاب شهرة اولاً، ومال ثانياً لذلك ارتموا في أحضان المحتـل وطـالبوا لـه، واثنوا عليه ".[١٩] أن مسألة الاغراء المادي من المسائل التي من الصعوبة تجاوزها لصالح المثقف لاننا أمام مثقف وليس عاملا مستخدما في ميناء في البصرة اجبرته لقمة العـيش ليعمل عتالا عند قوات الاحتلال. لقد خلق لنا هذا التعاون مثقفـا انتهازيـا يتقلـب مـع الاحداث ولعل الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) ضرب الرقم القياسي في التقلب وحـسب تعبير د.علي الوردي فـ (الزهاوي) القائل في الدولة العثمانية بعد أن كان مادحا لها:

وماهـي الادولـة همجية تسوس بها يقضى هواها ويعمل

فترفع بالاعزاز من كان جاهلا وتخفض بالاذلال من كان يعقل[٢٠]

ويقول الزهاوي مادحا الاحتلال البريطاني :

---

[١٨] د. سيارالجميل : أنتلجنسيا العراق : التكوين .... الاستنارة ..... السلطة، مصدر سابق، ص ٣٨٨ .

[١٩] منير بكر التكريتي : مصدر سابق، ص ١١٨ .

[٢٠] جميل صدقي الزهاوي : مصدر سابق، ص ٧ .

وجدت الانكليز اولي احتشام

اباة الضيم حفاظ الذمم

تصادقهم تجد اخلاق صدق

لهم والصدق من شيم الكرام

أحب الانكليز واصطفيهم

لمرضيِ الاخاء من الانام

بحبلهم اعتصم فتعيش حراً

تسير على البسيطة في سلام [٢١]

ولايختلف الكثير من الشعراء في مدح الاحتلال البريطاني، الذين أخذوا الكتابة بأسماءَ مستعارة مثل (ابن السليقة)، و(ابن ماء السماء)، و(ابن الرثاء)، والاخير قال شعراً في رثاء (الجنرال مود)، بعد موته، حيث أظهر اسفه قائلاً:

لله أي مصاب فادح عظيمٍ

أورى زنده ضرما

خطب ألم فأشجى المكرمات وقد

فاضت لفجيعته عين الفخار دما

أودى الحمام بمود باسل فغدا

شمل العلا بددا اذ كان منتظما

قد مات بحر الندى والمكرمات وكم

قد فاض زاخره بالجود ملتطما[٢٢]

وتبقى كلمات المس (بيل) أكثر صدقا في تصوير حالة التقلب هذا، حين قالت "أنـي حائرة من وضع الادباء الذين هم من اعز أصدقائنا الان، فهم كانوا في عهد الاتراك

[٢١] جميل صدقي : مصدر سابق، ص ٢٧ .

[٢٢] د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ١٢٠ .

يكتبون المقالات العنيفة ضد الانكليز. وهم الان يكتبون المقالات العنيفة ضد الاتراك، فالكلمات عند الشرقيين مجرد الفاظ لاتعني شيئاً فقد يقولون اليوم شيئاً وينقضونه غداً. وهم لايتركون هذه العادة ابداً."[٢٣]

ولعل الجواب الذي جاء من الملك فيصل أصدق تعبيراً، عندما جاءت المس(بيل) شاكية من حالة تقلب مماثلة لاحد السياسيين العراقيين قائلاً: " أني أعلم أن هذه هي الكيفية التي تفكرين بها أنتِ، ولكنها ليست الكيفية التي نفكر بها نحن، تذكري أننا عبيد لمدة ستمائة سنة، وعلى العبد أن يحمي نفسه بالمكر. أنه مجبر على أن يضع قدما في المعسكرين معاً، وحتى أنا أفعل هذا.فلم نكن نتمتع بقرون عدة من الحرية التي نتدرب في ظلها على أن نكون أحراراً."[٢٤] وبهذا فالمواقف الانتهازية لمثقفينا هي النتيجة الطبيعية لحالة التأرجح بين إحتلال عثماني مُدبر ،واحتلال بريطاني مقبل، فهل تتغير المواقف مع هذا الاحتلال ؟وكيف ستكون طبيعة العلاقة لاحقاً؟ هذا ما سنحاول بحثه.

المطلب الثاني : المثقف وثورة العشرين : إذا كان للشاعر الباع الطويلة في الصفحات السابقة في التأرجح في المواقف، فاحداث ثورة العشرين تظهر لنا فئات من المثقفين تفاعلوا مع أحداث الثورة ،وان تميّز الشعراء بمواقفهم المختلفة من الثورة ايضاً.وعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي تناولت ثورة العشرين، فهي تبقى قاصرة عن معرفة التباين في المواقف بين التعاون الذي لم يكن بعيد عهد عن الاعلان عن إنفصام العلاقة مع السلطة البريطانية المحتلة. فبعد أن تبنت جريدة (العرب)، حملة للتبرع لاقامة تمثال للجنرال (مود)، وأخذت بنشر اسماء المتبرعين لاقامة التمثال وكانت اسماء المتبرعين من جميع فئات الشعب العراقي من ذوي الحرف المحلية البسيطة فضلا عن الشخصيات العلمية والموسورين منهم[٢٥]، تعصف أحداث الثورة في (٣٠ حزيران

---

[٢٣] د.علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج ٤، مصدر سابق، ص٤٢٨ .

[٢٤] المس بيل : العراق في ....، مصدر سابق، ص ٤٤٧ .

[٢٥] جريدة العرب الاعداد من ١آذار / ١٩١٨ الى ٤ تشرين الثاني / ١٩١٨.

/ ١٩٢٠)، وتتغير المواقف من مواقف داعمة للوجود البريطـاني الى رافـضة لـه. فكانـت النبرة الحماسية هي السمة الغالبة على جميع ما كُتب عن الثورة، والذي يؤرخ احداثها ويرى خذلان المطالب الوطنية التي أعقبت (عمليـة الاسـتفتاء) بكونهـا احـد الاسـباب المهمة للثورة، فعلى الرغم من تجاذبات الكتاب في أحقيـة الادوار التـي لعبتهـا بغـداد أو منطقة الفرات الاوسط في هذه الثورة، يبقى دور مثقفي بغداد في التمهيد لاحداث الثورة من خلال اجتماعات شهر رمضان التي تقول عنها المس (بيـل) "فقـد سـلكوا مـسلكا تصعب علينا مقاومته، بتوحيد الصف بين السنة والشيعة وهم يسيرون في مسلكهم هذا الى النهاية.ويتم هذا في احد جوامع السنة واخر في أحد جوامع الشيعة فيحضرها الجميع من الطائفتين معا"[٢٦]. فكانت مناسبة للشعراء والخطباء في القـاء القـصائد والخطـب الحماسية المنددة بـالاحتلال البريطـاني ومـنهم محمـد مهـدي البـصيرو عبـد الـرزاق الهاشمي وتوفيق المختار وعثمان الموصلي وعبد الرحمن البنـاء ومحمـد عبـد الحـسين وشاعر شعبي من أهل الكاظمية يدعى محمد حسن الحداد وقد تميزت قـصيدة للـسيد حبيب العبيدي الموصلي بشجبها الإنتداب والوصاية وتطرق الى مدح أهل البيـت فاصـبح لهذه القصيدة أهمية كبيرة جدا مع تصاعد وتيرة الاحداث منها :

أيها الغرب قد جئت شيئاً فريا

ماعلمنا غير الوصي وصيا

قسما بالقرآن والانجيـل

ليـس نرضـى لقبيل

أو تسيـل الدماء مثل السيول

أفبعد الوصي زوج البتـول

نحن نرضى بالانكليز وصيا[٢٧]

---

[٢٦] المس بيل : العراق في .... مصدر سابق، ص ١٣٥ .

[٢٧] د. علي الوردي : لمحات .... ج٥ القسم الاول، مصدر سابق، ص ٢٠٧ .

وقد كان الخطباء والشعراء يبذلون جهدهم في تحريض الناس على محاربة الاحتلال فقد كانت الخطب والقصائد مسابقة وطنية سمت في روحها ووجدانها ومشاعرها، فقد كان القاء هذه القصائد يكسب الشاعر فخراً وعزاً لسببين الاول: المناسبة الوطنية التي تلقى فيها هذه القصائد، والثاني ماتضفيه الجماهير على الشاعر من احترام يملأ النفس غبطة. [٢٨] فلم تكن تلك الاجتماعات إلَّا جزءاً من نشاط التنظيمات السياسية المختلفة التي قام بتأسيسها مجموعة مختلفة من المثقفين ضمن الفئات المثقفة العراقية التي تعرفنا عليهم سابقاً، فجمعية (النهضة الاسلامية) السرية في النجف الاشرف التي تأسست في عام ١٩١٨. التي ضمت مجموعة من المثقفين أصحاب الدراسات التقليدية أمثال محمد جواد الجزائري ، والسيد محمد علي بحر العلوم والشيخ علي الدمشقي وعباس الخليلي قد لعبت دورا كبيرا في ثورة النجف التي تمكنت القوات البريطانية من اخمادها بالعقوبات المختلفة بين الاعدام والنفي والسجن والغرامة. وجمعية (العهد العراقي)، التي تأسست في دمشق عام ١٩١٨ وضمت الفئات المثقفة من خريجي الدراسات العسكرية أمثال نوري السعيد وجعفر العسكري وجميل المدفعي، لقد إمتازت اهداف الجمعية بضرورة تحقيق المطالب الوطنية عن طريق المفاوضات وتنظيم الاجتماعات وفتحت لها فروعاً في بغداد والموصل والبصرة. أما جمعية (حرس الاستقلال) التي تأسست في بغداد اواخر شباط ١٩١٩ من قبل الفئات المختلفة من مثقفي بغداد أمثال محمد الصدر وعلي البزركان ومحمود رامز وجلال بابان ومحمد باقر الشبيبي، فقد كان من أهداف الجمعية تأليف حكومة دستورية ملكية تحت ملوكية أحد انجال الملك حسين. وما لبثت أن فتحت لها فروعاً في الكاظمية والحلة والنجف والشامية وبعقوبة. [٢٩]

---

[٢٨] د.يوسف عز الدين : الشعرالعراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ١٥٠ .

[٢٩] د. عبد الامير هادي العكام : الحركة الوطنية ١٩٢١ ـ ١٩٣٣ ، مطبعة الاداب، النجف الاشراف، ١٩٧٥، ص ٢٤ ـ ٢٩ .

واذا إبتعدنا عن مجريات المعارك الحربية للثورة، فان فئات المثقفـين التـي افرزتهـا الثورة من علماء الدين الذين أفتوا فتاواهم الدينية التي جاءت في فتوى المجتهد (محمـد تقي الشيرازي) التي قال فيها "أن مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهـم التوسـل بـالقوة الدفاعيـة اذا امتنـع الانكليز من قبول مطالبهم".[٣٠] أما الكتاب والصحفيون فقـد اصـدروا مجموعـة مـن الصحف قبل إعلان الثورة وخلالها منها مجلة (اللسان) التي صدرت في بغداد في (تموز / ١٩١٩)، و(جريدة الاستقلال) التي صدرت في بغداد (ايلول / ١٩٢٠)، وجريـدة (الفـرات) التي صدرت في النجف في (أيلول / ١٩٢٠)وجريدة (الاستقلال)النجفيـة التـي صـدرت في (تشرين الاول / ١٩٢٠).[٣١] وكان من أصحاب هذه الاصـدارات احمـد عـزت الاعظمـي، وعبد الغفور البدري ومحمد حسين الكاظمي، ومحمد باقر الشبيبي أما كتابها فهم مـن العاملين في الحركة الوطنية. واما الفئة الاخرى فكانت من الضباط والمـوظفين خريجـي المدارس العسكرية والمدنية في استنبول الذين يصفهم لونكريـك "الموظفـون الـسابقون الذين يتسكعون في المقاهي بائـسين معـدمين"[٣٢]. فكانـت مـشاركتهم في الثـورة ذات منطلق مصلحي فهم أفنديـة د.عـلي الـوردي الـذين فقـدوا امتيـازاتهم مـع الاحـتلال البريطاني. وهذا مايؤكده محمد مهـدي البـصير بقولـه"موظفـو الحكومـة الـسابقة وضباط الجيش.... معظمهم بائسون بلا عمل وكـانوا يبيعـون املاكهـم او يرهنونهـا وينفقونها في سبيل المعيـشة " [٣٣]. فقـد كـان الكثـير مـنهم يـشغل دوائـر الحكومـة العثمانية بنسبة ٧٠ % فضلاً عن ٩٠ %من العـسكريين يـشغلون المراتـب العـسكرية المختلفة في البلاد.[٣٤] أن حرمان هذه الفئة مما كانت تتمتـع بـه مـن مناصـب اداريـة

---

[٣٠] عبد الرحمن البزاز: مصدر سابق، ص١٠٠ ـ ١٠١ .

[٣١] ابراهيم الوائلي :ثورة العشرين في الشعر العراقي، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٦٨، ص١٣ ـ١٧ .

[٣٢] هميسلي ستيفن لونكريك : العراق الحديث ......، مصدر سابق، ص ١٨٥ .

[٣٣] محمد مهدي البصير :تاريخ القضية العراقية، بغداد، ١٩٢٤.ص ٦٧ .

[٣٤] هنري أ. فوستر : مصدر سابق، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

وعسكرية مهمة شكلت رد فعل قوي لها، وعن مشاركة هؤلاء في الثورة يقول د. وميض عمر نظمي " أن البريطانيين قدموا خدمة لاتقدر بثمن للوطنيين العـراقيين بتجهيـزهم بفئة من الشعب سهلة التعبئة وعظيمة النفوذ"(٣٥). كما لعـب الـضباط دورا في احـداث تلعفر من خلال نشاطات جمعية العهد.(٣٦) واخيراً لنا وقفـة مـع الفئـة الاخـيرة التـي إحتلت حيزاً كبيرا في ما تمَّ تناوله من دراسات في ثورة العشرين، وهي فئة الـشعراء، اذ يرجح إهتمام العراقيين بالشعر بأن " الطبيعة العراقيـة ادنـى الى الطبيعـة القبليـة، أو العشائرية تثيرها الحمية، والنخوة وتطرب لسماع الشعر وتهتز له. فقـد كـان الـشاعر يقتنص المناسبات المختلفة ليتخذ مـن قـصيدته عنوانـاً لمناقـشة ظـاهرة سياسـية أو اجتماعية أو أدبية ".(٣٧) فالقصيدة الشعرية وكما يجدها د.عبد اللطيف حمزة في العراق هي "مقالة مقفاة "(٣٨) ويمكن تقسيم فئات الشعراء في ثورة العشرين الى :ـ

اولا: الشعراء الذين لم يشاركوا في الثورة بشعرهم وقد تعددت اسباب عدم مـشاركتهم لوجودهم خارج العراق، فالشاعر عبد المحسن الكـاظمي، كـان في مـصر يعمـل في جريدة المقطم المعروفة بميلها للانكليز. أما الشاعر معـروف الرصـافي فقـد كـان في الاستانة ثم انتقل الى القدس للتدريس فيها، والشيخ محمـد رضـا الـشبيبي، كـان موفداً الى الحجاز لمفاتحة شريف مكة الحسين لترشيح احد ابنائه لعرش العراق.(٣٩) وعلى الرغم من ذكر هذه الاسباب فغالباً مايؤخـذ علـيهم موقـف عـدم المـشاركة بالثورة.

ثانيا: الشعراء الذين لعبوا دوراً في التمهيد للثورة وقيادتها ومؤازرتها، فقد اشـترك عـدد من الشعراء المعروفين وغير المعروفين من الشباب الذين لم يكن لهـم قبـل الثـورة

(٣٥) د.وميض جمال عمر نظمي : ثورة ١٩٢٠ ......، مصدر سابق، ٢٠٦ .

(٣٦) المس بيل : فصول من تاريخ ....، مصدر سابق، ص ٤١٩ .

(٣٧) منير بكر التكريتي : مصدر سابق، ص ٢٢٤ .

(٣٨) المصدر السابق نفسه، ص ٦ .

(٣٩) ابراهيم الوائلي : مصدر سابق، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

نتاج ملحوظ أمثال محمد مهدي الجـواهري وعبـد الـرحمن البنـاء ومحمـد عـلي اليعقوبي ومحمد باقر الحلي وعبد الرزاق الهاشـمي وحـسن الجـواهري ومحمـد الجزائري ومحمد باقر الشبيبي وصالح بحر العلوم وعبد الكـريم العـلاف وصـالح الجعفري.[٤٠] وقد تميز شعرهم "بالنبرة الحماسية والاسلوب الخطابي الذي يعتمد على العبارات السهلة الواضحة ولكنه في الاعم دون المستوى الادبي الرفيع وذلك امر طبيعي لا في شعر هؤلاء الشعراء فحسب بل هـو شـأن كـل ادب تخلقـه الاحـداث والمناسبات".[٤١] وهذا ما قد اكده د. يوسف عز الدين عندما قال"فكل شعر يكون في مثل هذه المناسبات نصيبه مثل شـعر هـذه الثـورة لان الثـورة انـدفاع وحمـاس وعاطفة متأججة ولامجـال للرويـة فيهـا فازدهـار الفكـر في أيـام هـدوء الامـة واستقرارها. اما شعر الثورة فهو الوقود لاذكاء الشعور بالالفاظ والموسـيقى".[٤٢] ولعل ابرز هؤلاء الشعراء محمد مهدي البصير الذي يقول في قصيدة له :

بين الاسنة والقواضب

شرف المبادى والعواقب

ابلغ السلام فان تخب

فيما قصدت له فحارب

فاض الفرات جحافلا

وجرى ديالى بالمناقب[٤٣]

ثالثا: الشعراء الذين اصابتهم خيبة أمل من نتائج الثورة وانتفاع المتعاونين مع سلطات الاحتلال من خلال توليتهم المناصب الحكومية وتبعثر زعماء الثورة ومثقفيها بـين

---

(٤٠) د. عربية توفيق لازم : مصدر سابق، ص ١٣٤ ـ ١٣٤ .

(٤١) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٣ .

(٤٢) د.يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ١٥٠ .

(٤٣) محمد مهدي البصير : البركان، بغداد، ١٩٥٧، ص ٥٨ .

المنافي والسجون فصور الشعراء المرارة والخيبة في شعرهم ومنهم محمد حسن أبو المحاسن القائل :

ثورة أصبح من اثارها

حظوة الخائن والمفتتن [٤٤]

ومحمد مهدي البصير القائل :

كافحت اعدائي ولست بواثق

أن النجاح مقدر لكفاحي [٤٥]

وعلى الرغم من أن الشيخ علي الشرقي قد حارب الانكليز عام ١٩١٥ في (معركة الشعيبة)، كما ساند الثوار في ثورة النجف عام ١٩١٨ ومعنى الثورة يتضح في شعره الانه قال في الثورة :

يا ثـورة أعقبتهـا

ندامـة الثـوار [٤٦]

وهذا المعنى نجده متكرراً في شعر محمد رضا الشبيبي واحمد الصافي النجفي ومحمد حسين الشبيبي ومحمد مهدي الجواهري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ومحمد صالح بحر العلوم ومحمد باقر الشبيبي.

رابعا: يبرز الشاعر جميل صدقي الزهاوي من الشعراء الذين عارضوا الثورة، فلقد أثارت قصيدته التي قالها مرحبا بالمندوب السامي السير برسي كوكس في (١١ تشرين الاول / ١٩٢٠)، والثورة تكاد تنتهي فمدح فيها الاحتلال وذم القائمين على الثورة وقد اثار عددا من ردود الفعل المنتقدة للزهاوي لموقفه من الاحتلال البريطاني، ويمكن أن يكون الزهاوي صورة (صادقة) و(صريحة) لنموذج

---

[٤٤] ابرهيم الوائلي : مصدر سابق، ص ١٠٨ .

[٤٥] محمد مهدي البصير : البركان، مصدر سابق، ص ٧٢ .

[٤٦] عبد الحسين مهدي عواد : مصدر سابق، ص ٤٢ .

المثقف المتقلب الذي مر معنا سابقا، ويأتي الاهتمام به دليلا على المكانة العلمية التي يتمتع بها، فهناك الكثير من الشعراء الذين عرفوا بمواقفهم المتقلبة ولكنهم لم يحظوا بالدراسة والنقد اللذين حظي بهما الزهاوي. فهو القائل في قصيدته المرحبة بالمندوب السامي :

عد للعراق واصلح منه ما فسدا

وابثث به العدل وامنح أهله الرغدا

الشعب فيه عليك اليوم معتمد

فيما يكون كما قد كان معتمدا

الى أن يصل الى ذم الثوار قائلاً :

أرأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا

اثارة الشر فيه وهو ماقصدا

فيا لها فتنة عمياء ثائرة

قد عذبت من بنيها الروح والجسدا

أحزم بناس رأوا في ارضهم فتنا

فلم يكونوا لمن قاموا بها سندا[٤٧]

لقد قال السير برسي كوكس بعد أن القى الزهاوي القصيدة "ياجميل أفندي، ويا أيها المندوبون.ن دولة بريطانيا أرسلتني للمساعدة والاتفاق مع أشراف ورؤساء العراق لنحصل على الغاية المطلوبة للطرفين".[٤٨] ولكن ماذا قال عنه كتابنا العراقيون؟

[٤٧] ابراهيم الوائلي : مصدر سابق، ص١٥٣ ـ١٥٧ .

[٤٨] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج١، مصدر سابق، ص ١٦ .

وللتذكير وقبل أن ننتقل الى الاراء النقدية نذكر أن للزهاوي قـصيدة رائعــة قالهــا راثيــا فيها شهداء الرميثة في ثورة العشرين منها:

ماذا بضاحيــة الرميثة

من غطارفة جحاجـــــح

ولمن اقيمت في البيــو

ت على كرامتهــا المنــاوح

طالبوا مساواة الحقــو

ق فطوحت بهــم النوائــح

قتلى الدفاع عليهـــم

ناحت من الحـزن النوائــح

ترك العدى فتيانهـــم

صرعى على طوال المسارح

لهفي على الغر الشبا

ب مجندلين على الصحاصح [٤٩]

ولنتعرف اهم الاراء التي قيلت في الزهاوي عنـد ترحيبــه بـسلطة المنـدوب الـسامي البريطاني، لقد علق السيد عبد الرزاق الحسني [٥٠]بآيات من القرآن الكريم، مــن ســورة الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاوون * الم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون). أما د.علي الوردي فيجد أن التاريخ يبقى رقيباً على كل مايكتبه المثقــف، أو يفعله من خلال أن المثقفين " مفضوحون اذ هم يعلنون نتــاجهم الادبــي عــلى النــاس، ينشرونه في الصحف أو يدونونه في الكتب، فاذا إنقلبوا مــع الـزمن ســجل التــاريخ ذلــك

---

(٤٩) ابراهيم الوائلي : مصدر سابق، ١٦٠ ـ ١٦٣

(٥٠) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات .... ج١، مصدر سابق، ص ١٦ .

عليهم. أما غيرهم من الناس فأن التاريخ لايسجل من أعمالهم وأقوالهم إلا نادراً واذا ما ماتوا مات ذكرهم معهم في الغالب ".[٥١]

ويختصر علي البزركان رأيه قائلاً: "أن ولاء الزهاوي وإخلاص الشاعر الزهاوي للانكليز غير خاف عن الجميع".[٥٢] فهو يطلق رأيه في الزهاوي بولائه للانكليز دون ذكر الاسباب في هذا الولاء. وأما ابراهيم الوائلي فيجد في قصيدة رثاء شهداء الرميثة تكفيراً عن مواقف الزهاوي المرحبه ببرسي كوكس " أن يكفر عن موقفه الاول بعد أن لاكته الالسنة بما يجب وبعد أن اتهم. كما يقولون بالولاء للانكليز ".[٥٣]

وعلى الرغم من اتفاق هذه الاراء على تصنيف الزهاوي ضمن المثقف الانتهازي فهو صورة لشخصية معلن عنها، فعندما نشر قصائده في جريدة (العرب) نشرها بإسمه الصريح فالكثير من الشعراء كانوا ينشرون قصائدهم ومقالاتهم باسماء مستعارة خشية عودة الاتراك فهم لايختلفون عنه في مواقفه المتقلبة ولكنهم لايصرحون بذلك، كما أنهم اقل منه شهرة، وربما يوجد من يغبطه لانشاده الشعر بين (يدي) المندوب السامي رمز السلطة أو الاحتلال الجديد ومايحمله هذا التقرب من مزايا يغتنمها الشاعر لاحقا، وقصيدة الرثاء التي قالها في شهداء الرميثة تعبر عن موقف انساني بعيدٍ عن موضوعات القصائد الاخرى التي تحث على القتال الذي يجده الزهاوي (تهلكة) ولاسيما أن له موضوعات وإهتمامات في الدعوة الى السلام ونبذ الحرب، فضلا عن أن قراءة متأنية لدراسة د. داود سلوم (اثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي)[*] يظهر مدى تأثره بالفكر الغربي والمظاهر العامة في المجتمعات الغربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فنجد أن انتهازيته تنبع من بحثه الدائم عن منقذ

---

[٥١] د.علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج٤، مصدر سابق، ص ٤٢٩ .

[٥٢] علي البزركان : مصدر سابق، ص ٢٠٥ .

[٥٣] ابراهيم الوائلي : مصدر سابق، ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

[*] انظر : د. داود سلوم، اثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي، مصدرسابق .

للاوضاع المتخلفة المحيطة به فجاء تأثره بقانون (دارون) التناحر على البقـاء والبحـث عن(سوبرمان) فقد كتب شعرا في (السوبرمان) وغيرها مـن الموضـوعات التـي تعـالج مسائل المقارنة (بين الشرق والغرب).

وبهذا فأن الفئات التي أفرزتها أحداث ثورة العشرين سـترافقنا في دراسـة تطـورات العلاقة مع السلطة، فمن هذه الفئات من يحتل الصدارة بل يحتل (السلطة)، ومنهم من يتنحى جانبا ومنهم من يحاول جاهدا تغيير انتمائه لفئة معينة، فـضلا عـن انـضمام فئات أخرى سنتعرف عليها فيما بعد.

المطلب الثالث: المثقف ومظاهرالتعددية : يطلق بعضهم في دراساتهم للعهد الملكي في العراق نعوتا متعـددة منهـا عهـد (الديمقراطيـة)، وعهـد(الليبراليـة) وهـذه التسميات حملتها مؤلفات لكتاب عـراقيين في مراحـل مختلفـة مـن التـاريخ الحـديث والمعاصر للعراق. لقد كان الاساس في إطلاق هذه التسميات من الحالة التعددية المتمثلـة في إصدار الصحف وتأليف الاحزاب فضلاً عن الاستشهاد بنصوص مواد القانون الاساس (الدستور)، فبعد أن يُبعد د. (عامر حـسن فيـاض) الفئـات الاجتماعيـة (التجاريـة)، وملاك الاراضي (العقارية) عن الاضطلاع بالمبادرة في تبني الديمقراطية الليبرالية فـضلا عن أبعاد الفئة الصناعية نظرا لضعفها في تبنيها للديمقراطية الليبراليـة ايـضا وبـذلك تفتقر عملية تبني هذا الفكر إلى الدعامة الاقتصادية ـ الاجتماعية.ولكنه يجد في الفئـات المثقفة من تتبنى هذا الفكر منطلقاً من مسألة إختيارها الواعي في هذا التبني [٥٤].ولكن هذا التبني يبقى قاصرا على الرغم من محـاولات اسـقاط سـمات الفكـر الـديمقراطي الليبرالي مثل الفردية والعقلانية والطبيعية على ما تم تأليفه من قبل المثقفين العـراقيين، فلم يكن هذا التبني إلا جزءاً من الحركة الجديدة التي عرفت بكل شيء عصري، فالادب عصري والرأي عصري والالفاظ عصرية فأخذ المثقف يدعم كتاباته بالفاظ عصرية مثل

---

[٥٤] د. عامر حسن فياض : جذور الفكر الديمقراطي............، مصدر سابق، ص١٤٦ ـ ١٤٧ .

الحضارة والتمدن والتطور و(سوبرمان) فضلاً عن الجاذبية والهيدروجين والنترون.[٥٥] فلم تكن الفئات المثقفة تستند الى طبقة واضحة المعالم في المجتمع، ولم تكن قد نضجت في العشرينيات من القرن الماضي ،وتطورت الى الحد الذي يؤهلها للقيام بادوار كبيرة فلم تستطع أن تقوم بالدور الذي كان يجب أن تقوم به بحكم وضعها الفكري ودرجة تطورها.[٥٦] فلم تتمكن هذه الفئات من المشاركة الفعلية بتأسيس المكونات الاساسية لممارسة السلطة فقد كان دورها محصورا في المعارضة،أما الفئة التي استطاعت ان تلعب الدور الكبير في نشأة هذه التكوينات فلم تخرج عن إطار الفئات(العسكرية والادارية)التي أطلق عليها بـ (أصحاب السخط السياسي)، لقد كان منطقهم في التعامل مع السلطة بعيدا كل البعد عن دعوة افلاطون (الفضيلة هي المعرفة) وعليه يجب ان يكون (الفيلسوف) على رأس السلطة السياسية في الدولة.فلم تكن هذه الفئة من الفلاسفة وهذا شيء اكيد، ولكن مهاراتها الحرفية الادارية والعسكرية جعلتها تضطلع بمهام السلطة لقد كان هؤلاء حلفاء السلطة المركزية فالسلطة المركزية هي الوحيدة القادرة على فرض الامن والاستقرار وهيبة القانون وكل ذلك ضروري لحفظ الملكية الخاصة التي تتمتع بها هذه الفئات، لهذا كانت السلطة إمتداداً لهذه الفئات من حيث أن هذه الاخيرة كانت تمدها بابنائها الذين كانوا يحتلون المناصب الادارية والعسكرية المهمة ومع هذا فان مصالح الفريقين ـ السلطة وهذه الفئات ـ لم تتفق كلياً فقد كان هناك بعض التوتر في علاقتهما، واسبابها الحفاظ على مصالحهم الخاصة من اجراءات اعتباطية تؤثر في مصالحهم الخاصة، وتبني الحركة (الوطنية) لوجود الاجنبي المستعمر، فكانت هذه الفئات تدعو الى حفظ الحقوق المدنية للمواطنين وتجعل المواطنة اساس دعوتها السياسية. غير أن مفهومها للمواطنة بالفعل كان متحيزا فيُحصر بفريق (يستحقون)صفة من صفات طبقة الذوات ومن الفئات التي بدأت تستقطبهم

[٥٥] د. يوسف عز الدين : تطور الفكر ......، مصدر سابق، ص ٥٧ .

[٥٦] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة في العراق .... ، مصدر سابق، ص ٩٠ ـ ٩١ .

من فئات جديدة من فئات المثقفين الاخرى. فهذه الفئات هي النواة الاساسية لاقامة حكم دستوري ولتعزيز الحرية المدنية، اي حرية الفرد في ماله وسلوكه السياسي.[٥٧] وعليه فان "تاريخ الحرية الفردية يدل بوضوح على انها امتياز عادة ينتزعه اصحاب القوة الاجتماعية وينتقل منهم الى فئات الشعب من العامة".[٥٨] فلم تكن خصائص الديمقراطية الليبرالية ومظاهرها إلا نوعا من التعددية التي تفتقر الى اسس الديمقراطية ـ الليبرالية التي عرفتها المجتمعات الغربية. فان"سير نظام الحكم في العراق ماهو إلا نتاج التفاعل المستمر بين الشكل أو التركيب الظاهري للحكومة العراقية المتأثرة بالمبادىء الغربية و بين القوى والظروف المحلية السائدة في تاريخ وتقاليد العراق الاجتماعية".[٥٩] وبهذا فان التعددية التي عرفها تاريخ العراق الحديث كانت من صنع (أصحاب السخط السياسي)من الفئات (العسكرية والادارية) فقد كانت تسعى الى تحقيق : ـ

١. تعزيز المركزية في الحكم من خلال اتفاق المصالح بينها وبين ممثل السلطة الملك فيصل في تحقيق مشروعه الوطني المتمثل في تأسيس الدولة العراقية، وهذا الاتفاق لا يلغي الصراع والتنافس بينها وبين الملك من جهه والتنافس على السلطة بين مكونات هذه الفئة من جهة اخرى.

٢. امتداد جسور سياسية من طبقة الذوات (العسكرية والادارية) الى الفئات الاخرى من المثقفين الذوات ايضا اصحاب (الدراسات التقليدية)، فضلاً عن محاولات كسب الفئات المثقفة من طبقة أهل الكفاية(الطبقة الوسطى) التي اتسمت بضعفها الفكري ـ السياسي.

---

[٥٧] د. ايليا حريق : مصدر سابق، ص ٨ ـ ٩ .

[٥٨] المصدر السابق نفسه، ص٩ .

[٥٩] د. مجيد خدوري : نظام الحكم ....، مصدر سابق، ص ١١٤ .

٣.قيادة الحركة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني كانت نابعة من الاحلال مكان المستعمر في المجالين الاقتصادي والسياسي في الحفاظ على مصالحهم في هذين المجالين.

٤. شهدت الفئات(العسكرية والادارية) منافسة من الفئات المثقفة من أهل الكفاية (الطبقة الوسطى) التي سبق أن حاولت مد الجسور معها وكسبها وذلك لاختلاف وجهات النظر معها فيما يتعلق بالعدالة الاجتماعية، فقد أخذت الفئات المثقفة (الطبقة الوسطى) تمثل (أصحاب السخط الفكري).

٥. الخروج التدريجي من كونها (فئات مثقفة) الى الاحتراف المهني البحت واتخاذ الوسائل من اجل الاحلال بل السيطرة على السلطة، لتخلق بذلك الفجوة بينها وبين الفئات المثقفة من(اصحاب السخط الفكري) وليتطور الصراع معها.

٦. استفادة الفئات المثقفة من (أصحاب السخط الفكري) مما حققته فئات (اصحاب السخط السياسي) من وسائل استطاع المثقفون استغلالها للتعبير عن ارائهم الفكرية في المجالات السياسية والثقافية، جاءت مظاهر للتعددية التي أطر المثقف نشاطه فيها مثل الاحزاب والصحافة. التي أصبحت من وسائل المثقف في صراعه مع السلطة.ويمكن بحثها من خلال :ـ

اولا: المثقف والاحزاب السياسية :ـ على الرغم من شيوع مصطلح الاحزاب السياسية في العراق منذ الكتابات التاريخية المبكرة للباحثين في الشأن العراقي، الا أن واقع حال هذه الاحزاب يفتقر الى الكثير من الخصائص البنيوية التي عرفت بها الاحزاب وعلى الرغم من ذلك فهناك احزاب لعبت ادوارا مهمة في تاريخ العراق الحديث ولا نريد الدخول في البحث عن خصائص الاحزاب، بقدر مايتعلق الامر بالاحزاب التي غدت وسيلة من وسائل المثقف الذي استخدمها في صراعه مع السلطة. فهل كانت هذه الاحزاب تمثل (المثقف الجماعي) حسب طرح غرامشي الذي يرى "أن كل فرد ينتمي الى حزب سياسي، مرتبط بفئة اجتماعية، لا يلبث ان يندمج بالمثقفين العضويين التابعين لطبقات مختلفة في الحزب، ويكون ارتباطه

وثيقاً لذلك فأن كل اعضاء الحزب السياسي لايمكن اعتبارهم الا مثقفين".[٦٠] لقد جاء تأليف الاحزاب على أثر صدور قانون الجمعيات في (٢تموز / ١٩٢٢).[٦١] أن اختلاف وجهات النظر بشأن الحياة الحزبية بين من هو مؤيد لها ومن هو رافض لها، فقد تمثلت في نقاشات مجلس الوزراء وقد أُخذ برأي (ساسون حسقيل) الذي يرى السماح بتأليف الاحزاب لان طبيعة الحياة الدستورية بحاجة الى الاحزاب، فاذا منعت الحكومة حرية تأليف الاحزاب تألفت الاحزاب والجمعيات السرية.[٦٢] لقد كانت باكورة الاحزاب التي تألفت في العراق هو الحزب (الوطني العراقي) الذي أجيز في (٢آب/ ١٩٢٢)، وقد ضم الحزب في صفوفه أعضاء سبق أن اسهموا في ثورة العشرين تحت لواء جمعيتي (حرس الاستقلال) و(العهد)، وتألفت لجنته التنفيذية من محمد جعفر أبو التمن والشيخ أحمد الداود وبهجت زينل ومولود مخلص وعبد الغفور البدري ومحمد مهدي البصير وحمدي الباجه جي.[٦٣] لقد كان للحزب هدفان مهمان هما: تحقيق الاستقلال من السيطرة البريطانية، ووحدة الشيعة والسنة. وعلى الرغم من اغلاق الحزب بالقوة بعد ولادته مباشرة على خلفية مظاهرة مندددة بالانتداب البريطاني بالاشتراك مع حزب النهضة ونفي الهيأة المؤسسة للحزب واعضاء من حزب النهضة وتعطيل جريدتي (المفيد)، و(الرافدين)ونفي صاحبي الجريدتين ابرهيم حلمي وسامي خوندة الى جزيرة هنجام في الخليج العربي من قبل المندوب السامي البريطاني بعد توليته امور البلاد أثناء مرض الملك فيصل [٦٤]. الا أن اعادة تشكيل الحزب في العام ١٩٢٨ اخذ لونا

---

[٦٠] انطونيو غرامشي : قضايا المادية التاريخية ....، مصدر سابق، ص١٤١ـ ١٤٢.

[٦١] د.مجيد خدوري : نظام الحكم ....، مصدر سابق، ص ١٠٠ .

[٦٢] د. علي الوردي : لمحات اجتماعية .... ج٦ القسم الاول، مصدر سابق، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

[٦٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الاحزاب العراقية ١٩١٨ ـ ١٩٥٨، الابجدية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٢ .

[٦٤] عبد الرزاق عبد الدراجي :، مصدر سابق، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

يفوق كونه حزبا وطنياً بحتا فقد ضم عددا كبيرا من المثقفين الذين يمثلون فئات اجتماعية مختلفة مثل محمد مهدي كبة وسعيد الحاج ثابت وجعفر أبو التمن من التجار المتوسطين ومن مفكرين وطنيين مثل فهمي المدرس والكاتب والشاعر محمد مهدي البصير والمحامي علي محمود الشيخ ورئيس (جمعية المحامين) بهجت زينل و ضباطا شريفيين مثل عبد الغفور البدري ومولود مخلص ومحمود رامز. يجد حنا بطاطو أن اهمية الحزب تتمثل في قيادة جعفر أبو التمن له فهو يعده مصدرا للتنظيمات النقابية والتيارات الحزبية مثل تأسيس (جمعية أصحاب الصنائع)، في العام ١٩٢٩ التي قادت عددا من الاضرابات العمالية، فقد وضع الحزب اول مرة العمال ضمن الخريطة السياسية التي قادت الى تأسيس النقابات العمالية الاخرى التي بُعثت فيما بعد تحت تنظيمات شيوعية.أما اهم التيارات الحزبية التي خرجت من تحت عباءة الحزب فهي ثلاثة تيارات أساسية تشكل معارضة المستقبل وهي: الاصلاحية العروبية التي تمثلت بنادي المثنى وحزب الاستقلال، والجناح اليساري للشعبوية العراقية المتمثلة بمجموعة (الاهالي) و(جمعية الاصلاح الشعبي) والحزب الوطني الديمقراطي والتيار الثوري الذي جاء تعبيره في (لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار) والحزب الشيوعي العراقي.[٦٥]
لقد جاء الحزب باسلوب العمل المشترك مع الاحزاب الاخرى مثل توحيد العمل مع حزب (النهضة) الذي اجيز بالعمل في (اب / ١٩٢٢)، لم تتمتع الشخصيات المؤسسة للحزب بالمكانة السياسية والفكرية التي تمتعت بها شخصيات الحزب الوطني العراقي الا بعض الشخصيات مثل محمد الصدر، وقد كانت ثمرة هذا التعاون رفع منشور الى الملك فيصل تضمن المنشور مجموعة من النقاط منها: الكف عن التدخل البريطاني في امور البلاد، وتأليف وزارة من الاكفاء، وان لاتعقد

[٦٥] حنا بطاطو : العراق .... الطبقات الاجتماعية .... ج١، مصدر سابق، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٤ .

أية معاهدة ولا تجري مفاوضة فيها قبل تأليف المجلس التأسيسي الذي ينتخب اعضاؤه بحرية كاملة[٦٦]. وتآخى الحزب الوطني العراقي مع حزب الاخاء الوطني الذي ضم ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وحكمت سليمان وناجي السويدي وعلي جودت الايوبي وكامل الجادرجي ويوسف غنيمة.لقد كانت الظروف المحيطة بتصديق المعاهدة العراقية البريطانية لعام ١٩٣٠، العامل المباشر في هذا التآخي.[٦٧] الا ان وصول اعضاء من حزب الاخاء الوطني الى السلطة وتأليف الوزارة برئاسة احد اعضائه وهو رشيد عالي الكيلاني واحتلال ياسين الهاشمي وزارة المالية، ادى الى اعراب الوزارة المُشكلة عن عدم معارضتها لمعاهدة ١٩٣٠ ضمن (احترام العهود الدولية) وبذلك "اجهز قادة حزب الاخاء الوطني على (وثيقة التآخي)مع الحزب الوطني العراقي وانهوه بعد ان لمسوا بأنها لم توصلهم الى تحقيق أطماعهم في الوصول الى السلطة ".[٦٨] لقد تمسك الحزب الوطني العراقي بدور المعارض المخلص فلم يكن يؤمن بالمشاركة في الانتخابات واللعبة الانتخابية البرلمانية، فقد كان يخشى أن يتردى الحزب الى مستوى المساومة والمماحكة مع السلطة حول المقاعد البرلمانية.[٦٩] فكثيرا ما كان جعفر أبو التمن يردد "أن هؤلاء الاشخاص العاملين معي في الحزب عندما يصبحون نوابا فانهم لم يبقوا ثابتين على رأيهم في المجلس وانما سينقلبون الى حكوميين لتولي المناصب الوزارية "[٧٠]. لقد جسدت شخصية جعفر أبو التمن دور المثقف الذي اتخذ الحزب الاداة الفاعلة في جذب المثقفين ذوي الانتماءات الاجتماعية والتعليمية المختلفة في معارضة السلطة، فقد تمثلت هذه المعارضة في الوقوف ضد عقد المعاهدت غير المتكافئة مع بريطانيا،

---

[٦٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الاحزاب السياسية ....، مصدر سابق، ص ٥٧ .

[٦٧] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

[٦٨] المصدر السابق نفسه، ص ٣٣٣ .

[٦٩] حنا بطاطو : العراق ...... الطبقات الاجتماعية ......ج١.، مصدر سابق، ص ٣٣٣ .

[٧٠] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص ٢٨٧ .

ومقاطعة الانتخابات النيابية لتدخل السلطة فيها، فضلاً عن بحث الصيغ الملائمة للحصول على الاستقلال ورفض الانتداب.لقد تراوحت وسائل السلطة في التعامل مع أعضاء الحزب بين المهادنة ،المساومة ،والمضايقة فبتأثير من نوري السعيد الذي تولى رئاسة الوزراء الاولى له عام ١٩٣٠ استطاع مساومة بهجت زينل احد اعضاء الحزب فقدم استقالته من الحزب رغبة منه بعدم مقاطعة الانتخابات النيابية فضلا عن استقالة محمد مهدي البصير الذي كان رافضاً مقاطعة الانتخابات وحصوله على بعثة دراسية الى فرنسا، اما مزاحم الباجه جي فقد كان ثمن تخليه عن الحزب حصوله على منصب وزير الاقتصاد في وزارة نوري السعيد وهذا ادى الى فصله من الحزب. اما عن اسلوب المضايقة للحزب فجاءت من خلال ابعاد فهمي المدرس عضو الهيأة الادارية المركزية للحزب مع رفائيل بطي صاحب جريدة الاخبار وغلق الجريدة المذكورة، فقد اتهم فهمي المدرس بكتابة مقالة تمس الذات الملكية وطبق بحقه قانون العشائر.[٧١] وتبقى شخصية جعفر أبو التمن البعيدة عن مساومات السلطة فتجربته العملية في مجال العمل السياسي هي السمة الاساسية لهذه الشخصية مبتعدة عن مجالات (التنظير)، فهو بعيد عن الدخول في المتاهات الفكرية الجدلية، ففي مذكرة مرفوعة من جعفر ابو التمن الى مجلس الوزراء حول الحرية الفكرية حدد بنقاط واضحة أهمية الحرية الفكرية في القول أو النشر التي ذهبت قوانين الامم المدنية الى تقديسها، فلايمكن أن تكون قوانين المطبوعات اداة تنكيل بحرية الفكر وسبيلا للانتقام من خصوم السلطة والحيلولة دون نشر اراء المعارضة، وأن المماطلة في الموافقة على منح اجازات الصحف والمجلات وجعل هذا المنح بيد اناس بعيدين عن تقدير المسؤولية ولَّد رد فعل لدى قادة الرأي في البلاد.[٧٢]

---

[٧١] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص ٢٧٢ ـ ٢٨٩ .

[٧٢] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة رقم ١٠٦٣ /٣١١، ص ٦ /١٤، المذكرة في ٨ اذار ١٩٣١ .

واذا ما أردنا التعرف على الشخصيات الاخرى التي جذبها العمل الحزبي،فلابد من تجاوز اسماء كثيرة فقد كانت هذه الشخصيات بعيدة كل البعد عما عرفناه في شخصيات الحزب الوطني العراقي أو حتى حزب النهضة.فالحزب (الحر العراقي) الذي جاء بناءً على ايعاز من المندوب السامي البريطاني الى اكبر انجال عبد الرحمن النقيب المدعو محمود بتأسيس هذا الحزب لدعم السياسة البريطانية اذ تقول المس بيل: "لقد ظهر السيد محمود النقيب على مسرح الحوادث بفعل الدفع والنخس، باعتباره رئيسا للحزب المعتدل. أن قوة الدفع الحقيقي فيه هو الشيخ علي السليمان(*) اذ جاء عليٌّ بجميع شيوخ العشائر الكبار وجعلهم يوقعون في حزب السيد محمود النقيب".[٧٣]

وليس شيئا غريبا أن يكون الشاعر جميل صدقي الزهاوي ويوسف رزوق غنيمة وناجي شوكت وتوفيق الخالدي اعضاء في هذا الحزب، وهنا لابد أن نتوقف قليلا عند بعض شخصيات الحزب وليس جميعها فلا حاجة للوقوف كثيراً عند الشاعر الزهاوي فهو القائل في خطبته في افتتاح الحزب "أن الحزب قد امتلك اربع مزايا مهمة وهي الجاه والعلم والعمل والمال".[٧٤] بل لابد من الوقوف عند ناجي شوكت الذي يمثل نموذجا اخر من المثقفين العراقيين الذين تميزوا بغلبة العمل السياسي على سيرتهِ التاريخية، فبعد أن كان في جمعية (حراس الاستقلال)، اي معسكر ثورة العشرين فاذا به ينتمي الى الحزب الحر ثم الى تطور جذري آخر في حركة ١٩٤١ (فيما بعد)، يقول في تغيير مواقفه "غيرت رأيي في جدوى مواجهة الانكليز بشكل مباشر ورأيت ان اتبع سياسة الاصلاح من الداخل، فالعاطفة الوطنية في نفسي لم تخب وهذا يفسر موقفي في عام ١٩٤١". [٧٥] وعلى الرغم من ذكره القيام بـ (سياسة الاصلاح)، فلم نلمس هذه السياسة من خلال

(*) شيخ من شيوخ الدليم الموالي للانكليز .

(٧٣) المس بيل : العراق في ....، مصدر سابق، ص ٤٣٠ .

(٧٤) فائق بطي : صحافة الاحزاب والحركة الوطنية، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٦٩، ص ٢٠ .

(٧٥) د. محمد انيس و د.محمد حسين الزبيدي : مصدر سابق، ص١٤ .

نشاطاته الحزبية أو في مواقفه الاخرى حين شغل مناصب وزارية كثيرة فهو " ليس في صف نوري السعيد في عمالته وليس في صف كامل الجادرجي في شجاعته... فلم يصل في الوطنية الى الحد الصدامي لاتنفع اهميته الكبيرة في السياسة ولكن في التاريخ ".[٧٦] وبالفعل فان اشتغاله في السياسه خلق لنا مثقفا(شاهد عيان)[*] لكل الاحداث التي عاصرها، لم تخرج تحليلاته للوقائع السياسية الى التنظير (الفلسفي) بقدر ما كانت واقعية تعكس حالة الصراع على السلطة فقدم تقويما للتجربة الحزبية سائلا: "عن الفائدة من احزاب مؤلفة من اشخاص متبايني النزعة مختلفي الغاية لا تناسُبَ بين تحصيلهم وثقافتهم ولا وحدة فكرية ولاغاية مشتركة لهم ؟ فالمعروف أن للاحزاب غايتين هما: اما لمساندة الحكومة او لمعارضتها، كما أن الكثير من الاشخاص دخلوا احزابا مختلفة ثم خرجوا منها فظاهرة التقلب في الانتماء تكاد تكون طبيعية لغايات اكثرها شخصية، فهناك تطاحن الاحزاب ما ادى الى عدم بقاء وزارة على دست الحكم اكثر من سنة".[٧٧] فلم تكن لشخصيات الحزب الا المواقف التي تمالىء الأنكليز وتدعم وزارة عبد الرحمن النقيب الثالثة، ومع تقدم الزمن انحل الحزب دون ان يترك اثراً. ولاتختلف الاحزاب الاخرى مثل حزب (التقدم) الذي اسسه عبد المحسن السعدون في (١٦ تموز/ ١٩٢٥)، ليسند وزارته ويعزز قوانينها في البرلمان وحزب (العهد) الذي الفه نوري السعيد في (٢٣مايس/ ١٩٣٠)، ليسند وزارته في البرلمان ايضا على خلفية عقد معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا[٧٨].فلم تتميز شخصيات هذه الاحزاب بشيء يذكر، وأن الاغلبية منهم تكاد تكون غير معروفة. اما حزب (الشعب) الذي اسسه ياسين الهاشمي في (٢٦

---

[٧٦] المصدر السابق نفسه، ص ٩ .

[*] يقدم ناجي شوكت وصفا في سيرته الذاتية للفترة التي قضاها في ايطاليا بعد فشل حركة مايس/١٩٤١ وهروبه لا تقل روعة عن ما دوّنه البرتو مورافيا في روايتة (امرأتان)،الذي يتحدث فيها عن تأثيرات الحرب في المجتمع الإيطالي .

[٧٧] د. محمد انيس و د. محمد حسين الزبيدي : مصدر سابق، ص ٨٢ ـ ٨٤ .

[٧٨] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الاحزاب ....، مصدر سابق، ص ١٢ ـ ١٣ .

حزيران / ١٩٢٥) ليكون معارضا في البرلمان الا ان معارضته انتهت بمجرد اشتراكه في وزارة جعفر العسكري الثانية وكذا الحال مع حزب (الاخاء الوطني) الذي اسسه رشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي الذي الف في (٢٥ تشرين الثاني/ ١٩٣٠) انتهى دوره في المعارضة، وكما مر معنا سابقا عند استلامه السلطة. وبهذا فان هذه الاحزاب تكاد تدور في اهتماماتها الاساسية بالسلطة ومعارضة لها او مساندة لها. فهذه الاحزاب قد غابت عن اهداف معارضتها المبادىء العقائدية، فالمعارضة تكاد ان ترتبط بشخصيات معينة، فاذا كانت معارضة أبو التمن ارتبطت بالمعارضة الوطنية رافضاً الوجود البريطاني، كما كان رافضا المشاركة في السلطة دون مقترحات محددة لاصلاح اجتماعي او اقتصادي، اما المعارضة التي قادها ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، وحكمت سليمان فهي وكما يطلق عليها مظفرعبد الله الامين بالمعارضة (الرمزية)، فقد كانت معارضتهم تتقلب بين تأييد المعاهدات البريطانية والوجود البريطاني، وبين رفض ذلك عندما تكون في السلطة وهذا ماكان متجسدا في حزبي (الشعب) و(الاخاء الوطني)[٧٩] فكثيرا ماكان ياسين الهاشمي يشاطر الجمهور في رفض المعاهدات، بل يشاركها في مهرجانات خطابية وفي الجلسات الخاصة يعلن الى اصدقائه عن تأييدهِ لهذه المعاهدات [٨٠]. فهذه الاحزاب تمثل اصحاب السخط السياسي ضد السلطة، اما عن بدايات السخط الفكري ضد السلطة فقد جاءت في هذه المرحلة مع البداية المبكرة للتنظيمات اليسارية في العراق و جماعة الاهالي، وفي الواقع جاءت بدايات هذا السخط مع بروز الاتجاهات الثقافية في العشرينيات من القرن الماضي، فالاتجاه الاول : تجاه يستمد ثقافته من التراث العربي القديم وينحو منحى محافظا ويعد إمتداداً للتيار العربي القديم. ومثقفو هذه الفئة لم يكن يروق اعينهم الا الأدب القديم، فلا يزالون يؤثرونه في كتاباتهم المختلفة. اما الاتجاه الثاني: سلكه الجيل الناشىء، انفتح على

[٧٩] مظفر عبد الله الامين : مصدر سابق، ص ٤١ .

[٨٠] خيري امين العمري : مصدر سابق، ص ١٠٩ .

الثقافة الحديثة، التي أتته من مصر اوائل العشرينيات، بحيث أصبحت الكتب والمؤلفات، وما تحمله من ألوان ثقافية وفكرية جديدة هي مُثل الجيل الجديد، قد خلقت فئة من المثقفين تحمل الاراء والمبادىء غير الناضجة، بسبب ضعف ثقافتها فلم تكن لها القدرة على استيعاب المؤلفات العميقة منها. فقد كانت هذه الفئة ضحلة التفكير، ثم تزايد عددها تدريجيا، وتعمقت ثقافتها، مع مضي الزمن، نتيجة اتساع التعليم والدراسة خارج العراق، لقد شكلت معرفة اللغات الاجنبية مصدرا مهما في الاطلاع على مؤلفات الفكر الغربي والتحرر من سيطرة الثقافة المصرية فضلا عن الاطلاع على الفكر التركي الحديث ونزعاته الحرة.[٨١] كما تأثرت هذه الفئة بالادب الواقعي وقد حدد سليم طه التكريتي الواقعية في العراق بقوله "دخل الادب العراقي مرحلة جديدة لدى ظهور الواقعية فيه ببروز طبقة جديدة من الأدباء الشباب تفتحت أبصارهم ليس فحسب الى مايبدعه الفكر الغربي من علوم وفنون وما يدين من عقائد وأفكار وانما الى واقع الحياة العراقية وما يعج به المجتمع العراقي من تناقضات وما يصطرع بين طبقاته المتخاصمة من رغبات. "[٨٢] وبهذا فقد جذب الادب الروسي مثقفي هذه الفئة لما يصطرع فيه من تناقضات الواقع الاجتماعي الى جانب دراسة النفس البشرية والمشاكل الاجتماعية،فضلا عن الشخصيات الروائية من قديسين وشياطين وفلاحين (اقنان) وتلاميذ وبغايا.وبكاء وتطهير وفداء وثورة ومشاهد التغني بالطبيعة.[*]

وجاءت بداية التنظيمات اليسارية مع حسين الرحال في العام ١٩٢٤، الذي جسد رحلة حياته في بدايتها الاولى القاص محمود احمد السيد في قصة (جلال خالد) وكما مر معنا سابقاً، ولابد هنا من التوقف عند شخصية محمود احمد السيد الذي يمثل تطوره الفكري نموذجا لمثقفي جيل الشباب الذي عبر عن هذا التطور من خلال الاطلاع على

---

[٨١] د.عبد الاله احمد : نشأة القصة و تطورها في العراق ....، مصدر سابق، ص٩٢ ـ ٩٥ .

[٨٢] د. احمد مطلوب : مصدر سابق، ص ٢٥٦ .

[*] انظر : يحيى حقي، فجر القصة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٨١ ومابعدها .

كتّاب الادب الروسي امثال دستوفسكي وشيخوف وغوركي وتولستوي ومن الادباء الفرنسيين اميل زولا فالكتابة يجب وحسب مايقول "تصوير(الحياة الشعبية) لتظهر للعيان الجوانب الكاملة منها والناقصة التي يسعى المصلحون الى اصلاحها."[٨٣] لقد انضم محمود أحمد السيد الى تنظيم حسين الرحال الماركسي وبهذا يجد حنا بطاطو ان اول العناصر الماركسية كان في تفكير جماعة ادبية لم يكن هذا التنظيم يعلن عن نفسه بتنظيم ماركسي وانما جماعة (الافكار الجديدة)،وقد ضمت محمد سليم فتاح ومصطفى علي وعوني بكر صدقي وعبدالله جادو. وعبرت هذه الجماعة عن افكارها في جريدة (الصحيفة) التي صدرت في الأعوام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥، ومدة قصيرة من عام ١٩٢٧. ولم تسعَ الجريدة الى الربح المادي، ولم تساير اهتمامات الصحف الاخرى، فقد ركزت على المشكلات الاجتماعية وتغيير الافكار عند الناس، فقد تناولت موضوعات مثل حرية المرأة والاقطاع، والثورة على التقاليد الدينية، وبعد معارضة الاتجاة التقليدي لم تستمر جريدة(الصحيفة) فتحول نشاط هذه المجموعة الى نادي (التضامن) الذي قاد بعض النشاطات السياسية.[٨٤] وعلى الرغم من اننا لسنا امام حزب سياسي الا أن التأثير الشخصي للرحال له الاثر الاكبر في نمو النشاطات، بل التنظيمات اليسارية في العراق، بتأثير زكي خيري وعاصم فليح و أسماء مؤسسي (جماعة الاهالي) حسين جميل وعبد الفتاح ابراهيم وعبد القادر اسماعيل.فلم يدخل السخط الفكري لهذه الفئة ضمن الصراع المباشر مع السلطة، وانما ترجمت هذا الصراع في نقد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع العراقي.فهذه الفئة وكما يجدها د.سعد الدين ابراهيم قامت باذكاء السخط على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وترويج الاحساس بهذا السخط بين افراد المجتمع، فقد اظهروا بشاعاته وفساده وتخلفه وبشروا بمجتمع جديد تسوده

[٨٣] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة وتطورها في العراق ......، مصدر سابق، ص ٢٠٣ .

[٨٤] حنا بطاطو : العراق ...... الحزب الشيوعي .....ج٢، مصدر سابق، ص ٤٣ ـ٤٥ .

الحرية والعدالة والمساواة.[٨٥] ومن هنا جاءت مقالات وقصص محمود أحمد السيد وذو النون ايوب وانور شاؤول وعبد الحق فاضل فكان الحافز الاجتماعي ـ السياسي الذي دفع الكاتب الى كتابة نتاجه بنزعة واقعية لم يخرج عنها، فكانت قصصهم أقرب الى المقالات الاجتماعية ذات النزعة السياسة.[٨٦]

واخيرا نقف مع(جماعة الاهالي) التي جاءت على خلفية علاقات شخصية بين مجموعة الطلبة التي توثقت بعد مشاركتهم في احداث سياسية مختلفة فضلا عن علاقات دراسية توثقت خارج العراق. فبعد عودة حسين جميل في العام ١٩٣١ حاملا شهادة الحقوق من سوريا جدد اتصالاته مع عبد القادر اسماعيل خريج حقوق بغداد، فقد تعاونا سابقا في ادارة وتحرير مطبوعات مختلفة من صحف ودوريات كما كانا قد كتبا عدداً من المقالات والقصص القصيرة، وفي العام نفسه كان قد عاد عبد الفتاح ابراهيم من الولايات المتحدة قبل ان يحصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية، كما عاد محمد حديد من لندن بعد دراسته علم الاقتصاد.فكان اهتمام هذه المجموعة بعدم اقتصار معنى الوطنية على العمل السياسي وهو المطالبة بالاستقلال الذي درج عليه السياسيون، بل المطالبة بترقية مصالح الشعب أو الاهالي واوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وان المطالبة بالاستقلال يجب ان تستند الى الشعب وان ذلك يقتضي نشر الوعي السياسي بأساليب عصرية بين الاهالي. [٨٧] وبعد استحصال موافقة وزارة الداخلية صدر العدد الاول من جريدة الاهالي في (٢ كانون الثاني / ١٩٣١)، وعالجت الجريدة موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية، فقد كانت الجريدة تعمل على نشر مبادىء ما اتفقوا على تسميته (منهاج الشعبية)، بتحقيق ديمقراطية حقيقية واستقلال وطني وتبني الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي داخل البلاد ومناهضة

---

[٨٥] د. سعد الدين ابراهيم : تجسير الفجوة ....، مصدر سابق، ص ١٥ .

[٨٦] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة وتطورها في العراق ....، مصدر سابق، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

[٨٧] د. عبد الامير العكام : تاريخ الحركة الوطنية ....، مصدر سابق، ص٤٨٥ ـ ٤٨٦ .

الاستعمار في البلدان الاخرى وتحقيق مطامح الناس بحياة أفضل، كما تناولت الجريدة أحوال المعيشة المريعة لفقراء الناس في الارياف والمظالم التي يرزحون تحتها على أيدي الشيوخ وموظفي الحكومة الفاسدين وكانت الاخبار ترد الى الجريدة من المراسلين المتطوعين المنتشرين في ارجاء البلاد واشهرهم مراسل الجريدة في الناصرية يوسف سلمان (فهد) .[٨٨] فالسخط على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية يبدو واضحا جدا في تفكير وعمل هذه الجماعة، كما يتضح دور(جماعة الاهالي) في حقب لاحقة من تاريخ العراق، من خلال الادوار السياسية والثقافية التي لعبتها هذه الجماعة فضلا عن اسماء الشخصيات السياسية التي اسهمت في تحديد مستقبل العراق منهم الوزراء امثال نصرت الفارسي وعبد الوهاب مرجان وخليل كنة ومنهم من انضم الى الحزب الشيوعي امثال عبد القادر اسماعيل وعاصم فليح ويوسف سلمان (فهد) وزكي خيري والأكاديميين امثال د. احمد عزت الاعظمي ويوسف عزالدين ود. فاضل حسين والقوميين مثل يونس السبعاوي و فائق السامرائي والكتّاب والشعراء امثال علي الوردي ومحمد مهدي الجواهري وهاشم جواد وغيرهم الكثير.[*]

ثانيا : المثقف والحياة الصحفية : احترف المثقفون الصحافة للتعبير عن ارائهم في المجالات المختلفة، فقد كانت تعددية الصحافة نقلة في الحياة الثقافية في التواصل والتفتح من خلال الاختلاف في الافكار، فقد حملت الصحف الفنون الادبية المختلفة التي إهتمت بأحوال المجتمع والاحداث التاريخية والوقائع السياسية والاقتصادية، وتطورت اساليب الكتابة، فتزحزحت المفاهيم القديمة عن قوالبها الجامدة، وبدأت تستخدم المصنفات الادبية كالقصة والمسرحية والرواية والشعر الرومانسي والقومي والوطني. لقد سيطر التيار السياسي في العراق في هذه الحقبة الذي غطى كثيرا من نواحي الفكر المتشعبة، فقد كان العراق مشغولا بكل قواه في القضايا السياسية وفي مقارنة لعدد

[٨٨] مظفر عبد الله الامين : مصدر سابق، ص٦٢ ـ ٦٨ .

[*] انظر : مظفر عبد الله الامين، ملحق كتاب جماعة الاهالي، مصدر سابق، ص٢٥٤ ـ٢٦٦ .

الصحف والمجلات الادبية بعدد الصحف السياسية فانه يبدو ضئيلا. ومن السهل تصنيف الصحف الى :

١ـ الصحف الوطنية (المستقلة) التي تبنت الدفاع عن الاستقلال، والمطالبة بحياة نيابية وتشكيل حكومة دستورية، فضلاًعن اهمية اطلاق حرية الصحافة، وإطلاق حرية تأسيس الاحزاب والجمعيات، وعليه جاءت الصحف (الاستقلال)، و(الفلاح)، و(النهضة)، و(الرافدين)، و(العالم العربي) في عشرينيات القرن الماضي.[٨٩] وقد قادت عملية المطالبة بالمطالب الوطنية الى غلق العديد من الصحف كما شكل عقد المعاهدات العامل الاكبر في غلق جريدة (الاستقلال) التي عطلت ست مرات في السنة الواحدة، وشهد العراق اول محكمة صحفية بحق عبد الغفور البدري صاحب الجريدة ومحمد مهدي البصير وقاسم العلوي على خلفية عقد معاهدة ١٩٢٢.[٩٠]

٢ـ الصحف الموالية للسلطة فهي الصحف الداعمة للسلطة في مواقفها، وتشمل الصحف المتبناة من قبل سلطة الانتداب وصحف الاحزاب التي تشكلت لدعم سياسات الوزارات التي شغلت السلطة، فانبرت جريدة (العراق) الى متابعة تأسيس السلطة منذ استقبال المندوب السامي الى قيام حكومة فيصل، كما سخرت مقالاتها الافتتاحية لهذا الشأن.وجريدة (العاصمة) لسان الحزب الحر العراقي التي جاء في عددها الاولى(رفض فكرة التهور واتباع الاهواء)، فترجمت هذه الفكرة بمساندة وزارات النقيب ومسايرة السياسة البريطانية.[٩١] وكذا الحال مع جريدة(التقدم) لسان حزب التقدم الداعم لوزارة السعدون وجريدة(الشعب) لسان حزب الشعب

---

[٨٩] رفائيل بطي : مصدر سابق، ص ٦٥ .

[٩٠] د.محمد حسين الزبيدي :العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام، دار الحرية للطباعة،بغداد ط ٢، ١٩٨٩، ص ١٣ ـ ١٤.

[٩١] فائق بطي : مصدر سابق، ص ١٩ .

حزب ياسين الهاشمي، ولاتختلف جريدة (صدى العهد) لسان حزب العهد حزب نوري السعيد الذي تبنى تصديق المعاهدات العراقية ـ البريطانية.[٩٢]

٣ـ صحف الهزل التي تناولت بالنقد الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فعرفت بغداد بداية القرن العشرين هذه الصحف التي لم تعمر طويلا ،وفي عام ١٩٢٢ عادت صحف الهزل الى الظهور فظهرت صحيفة(بابل) و(المراقب) و(جحا الرومي) و(المداعب) و(صدى الحقائق) و(الرصافة) و(ابو حمد).[٩٣] ومن الصحف المتميزة (سينما الحياة) التي اصدرها ميخائيل تيسي وحسين الرحال،وجريدة (كناس الشوارع)، لصاحبها مخائيل تيسي. ويبرز اسم الملا عبود الكرخي في عالم صحافة الهزل فقد اصدر صحيفة الكرخ وصدى الكرخ وصحيفة الكرخي في اوقات متقاربة لتعرض صحفهِ للتعطيل كما عمل حسين الرحال مدير تحرير لصحيفة صدى الكرخ، اما جريدة (حبزبوز) لصاحبها نوري ثابت فقد صدرت عام ١٩٣١ واستمرت في الصدور الى العام (١٩٣٨) اشتق اسمها من اسم الشقي والفكه البغدادي (احمد حبزبز)، ولاتختلف الصحيفة عن نهج صحف الهزل الاخرى. [٩٤]

٤ـ الصحف والمجلات الادبية وهي مجموعة الاصدارات التي تميزت بمضامينها الادبية مثل صحيفة (المصباح) وجريدة (الفضيلة) وجريدة (الاخلاق) وجريدة (الفجر) الصادق فضلاً عن مجلات (الزنبقة)و(الخزانة) ومجلة (ليلى) ومجلة (الحرية) ومجلة (الصحيفة) ومجلة (الجامعة) و(الاصابة) و(الاقلام) و(النجم)ومجلة (لغة العرب).[٩٥] في وسط هذه التعددية من الصحف والمجلات نسأل: كيف تفاعل المثقف معها؟ وهل وظف المصنفات الادبية لتطوير العلاقة مع السلطة من حالة السخط الى

---

[٩٢] المصدر السابق نفسه، ص ٢٨ـ ٣٠ .

[٩٣] جميل الجبوري : حبزبوز ... في تاريخ صحافة الهزل والكاريكاتير في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص٢٣.

[٩٤] جميل الجبوري : مصدر سابق، ص ٦٦ .

[٩٥] السيدعبد الرزاق الحسني : تاريخ الصحافة .... ج١، مصدر سابق، ص ٤٨ ـ ٥٦ .

صراع؟ وهل تتلاشى هذه التعددية وحرية الرأي مع نضوج تقادم السلطة؟ وهنا لابد أن نبدأ من التساؤل الاخير مع اراء لاجيال مختلفة من الكتّاب العراقيين فقد عبر د. يوسف عزالدين في مصدرين من مؤلفاتهِ عن أن هناك"ظاهرة جديرة بالتسجيل أن الحكومة الانكليزية قد منحت من الحرية ما أمكن بها للعراقيين أن يعبروا عن رغباتهم تعبيرا صادقا لم تعهده وياللأسف الشديد في ادوار الحكومات العراقية المتتابعة بعد معاهدة ١٩٣٠، وقد كانت هذه الحرية في ظل الاحتلال والانتداب اوسع مجالا من الحرية في ظل الحكم الذي شارك فيه العراقيون الاجنبي الا اذا استثنيت فترات قصيرة." [٩٦] ولايختلف رأيه الذي جاء في مؤلف اخر من مؤلفاته فقد قال"الظاهرة الغريبة التي يلاحظ الدارس بروزها في هذه الفترة ـ أقصد فترة الاحتلال البريطاني ـ هي أن المفكرين كانوا قادرين على التعبير عن رغباتهم ومهاجمة الحكم البريطاني، واستثارة الوطنيين ضده ويمكن أن نبدي ملاحظة جديرة بالأسف ان هذه الحرية التي وجدناها تحت الاحتلال البريطاني ضاعت واضمحلت بعد أن حكم ابناء العراق واصبح المفكر خائفا ويخشى من مجرد الاشارة الى السلطة ".[٩٧] فالحرية التي عرفها المثقف في ظل الاحتلال والانتداب البريطاني إضمحلت مع شغل (أهل البلاد) السلطة. أما الرأي الثاني فهو للدكتور عبد الاله أحمد، الذي يجد الاحتلال إيذاناً بتغير كبير في الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد اتصل مثقفو العراق بأوروبا اتصالاً مباشرا. فكانت النتيجة المباشرة في هذا الاتصال ظاهرة (التفرنج) في الفكر والملبس والسلوك والعادات، فازداد احساس العراقيين بتخلفهم وسوء واقعهم وضرورة تغيير هذا الواقع، فشهد العراق حركة علمية وأدبية، ساعد على نموها إزدياد عدد المطابع ودور الكتب ورخص الطباعة. [٩٨] فالاحتلال البريطاني جعل العراق وجهاً لوجه مع

---

[٩٦] د. يوسف عزالدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٢٠٤ .

[٩٧] د.يوسف عز الدين : تطور الفكر الحديث ....، مصدر سابق، ص ٦٨ .

[٩٨] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة وتطورها في العراق ....، مصدر سابق، ص ٧٨ ـ ٨٠ .

الحضارة الأوروبية بجوانبها المادية والفكرية. واخيرا مع الرأي الثالث للدكتور سيار الجميل الذي يقول "انتعشت الحالة الثقافية في العراق ابان السيطرة البريطانية، كرد فعل غير مباشر ازاء المحتل الجديد. وقد أدى ذلك الى نمو الوعي والطموح السياسي للجماهير التي انهكتها حالة الحرب والاقتصاديات المنهوكة. لقد انتشرت وسائل جديدة في المجتمع جلبها الانكليز معهم وبدأ العراقيون يطلعون على الاحداث المحلية والعربية مع تحسن نسبي في ظروف المعيشة."[٩٩]

وبهذا يتفق الكتاب على أن الحرية الفكرية في زمن الاحتلال والانتداب البريطاني كانت أفضل من الفترات اللاحقة من الحكم الوطني. واذا اردنا الوقوف عند المدة الزمانية فهي السنوات التي بدأت مع الاحتلال ١٩١٤ الى قيام الدولة العراقية ١٩٢١ .

ثم المدة الممتدة الى العام ١٩٣٢ وهو تاريخ إنضمام العراق دولة مستقلة الى عصبة الامم على وفق المعاهدات المعقودة مع (الحليفة)بريطانيا، ويجد د.مجيد خدوري "ان حياة الملك فيصل السياسية انتهت في الواقع في عام ١٩٣٢، على الرغم من انه توفي بعد عام من ذلك التاريخ أي في سنة ١٩٣٣ ". [١٠٠] فالوجود البريطاني لم ينتهِ بدخول العراق عصبة الامم، ولكن الواقع هو غياب الملك فيصل وظهور النزاعات الشخصية بين ساسة العراق في تصارعهم على السلطة، جعلت الحرية الفكرية في حالة تناقص بل تلاشي وهذا ماظهر لاحقا في مدد زمنية قادمة فبين القوانين العرفية والمراسيم التي أخذت تحدد الحياة الحزبية والصحفية، وبالتالي الحياة الفكرية.فقد سعت سلطة الانتداب المحافظة(قدر الامكان) على حرية الصحافة على الرغم من الإجراءات التي اتخذتها حيال الصحف وقادة الرأي عند عقد معاهدة ١٩٢٢، فزيارة المندوب السامي برسي كوكس المنفيين في جزيرة هنجام وطرح عليهم حرية الاختيار بين العودة او السفر الى البلدان

---

[٩٩] د.سيار الجميل : أنتلجسيا العراق : التكوين ..الاستنارة ... السلطة ...، مصدر سابق، ص ٣٨٩ .

[١٠٠] د. مجيد خدوري : نظام الحكم ....، مصدر سابق، ص ١١٦ .

التي يرغبون فيها.[١٠١] تأكيد على أهمية دورهم في الحياة السياسية والثقافية.وغضب المندوب السامي على قرار مجلس الوزراء غلق جريدتي الزمان والنهضة.[١٠٢] ما ادى الى توجية مذكرة يسأل فيها عن سبب التعطيل، ويؤكد فيها ضرورة الرجوع الى مستشار وزارة الداخلية، في خطوات مماثلة.[١٠٣] ولكن لايمكن الجزم في أن الدافع هو الحرص على حرية الصحافة، فكانت قرارات التعطيل التي يتخذها مجلس الوزراء ازاء الصحف تتراوح بين ثلاثة أسباب وهي تهييج الرأي العام، والطعن بالذات الملكية والدعوة الى التفرقة. [١٠٤] لقد كانت توجيهات الملك فيصل الى مجلس الوزراء تتركز على ابعاد الصحف عن اثارة التفرقة بين أبناء الشعب بقوله "أن الصحف بدلاً من أن تكون اداة صالحة في لَمِّ شمل الامة ودعوتها الى التفاهم والاتحاد في سبيل التغلب على المصاعب والازمات التي تهدد البلاد باخطار عظمى، فهناك من يسعى الى تبديد الجهود بدلا من ارشاد الامة الى مكافحة ازماتها..... فالايعاز الى كافة الصحف على اختلاف نزعاتها بالكف عن نشر كل مايكون فيه اي تعرض للشخصيات او نشر الحوادث المغايرة للحقيقة."[١٠٥] فكان الملك فيصل يجد ان التفرقة هي أهم المشاكل التي تواجه وحدة البلاد فقد لفت نظره مقال في احدى الصحف فيه تحامل على علماء الدين، فوجه مذكرة الى مجلس الوزراء في أن هذا الحال "مالايجوز السكوت عنه في مثل هذه الظروف

---

[١٠١] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص٢٠٥ .

[١٠٢] دارالكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم ١٠٦٢/٣١١، ص١٧ / ٣٠، ديوان مجلس الوزراء الكتاب المرقم /٤٠٧٤، والمؤرخ في ١٢ / تشرين الثاني ١٩٢٧ .

[١٠٣] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي، رقم ١٠٦٠/ ٣١١، ص ١٥ /٢٦، مذكرة مؤرخة في ١٣ تشرين الثاني /١٩٢٧.

[١٠٤] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم ١٠٦٢ /٣١١، ص ٣١ / ٢٦،

[١٠٥] دارالكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي، رقم ١٠٦٣ /٣١١، ص ١٢ /٢٠، مذكرة رقم ح /٥٣٩ في ٣٠ أيلول /١٩٣٠ .

الحرجة".[١٠٦] فقد خضع العمل الصحفي بعد إعلان النظام الملكي لقانون المطبوعات العثماني لسنة ١٩٠٩ استنادا لما نصت عليه المادة (١١٣) من القانون الاساس على أن تعدد القوانين العثمانية مرعي في العراق الى أن تستبدلها السلطة التشريعية، وقد ظل قانون المطبوعات وتعديلاته نافذ المفعول حتى الغي بقانون المطبوعات رقم (٥٦)لسنة ١٩٣٢ ثم الغي بالقانون رقم (٥٧) لسنة ١٩٣٣المعدل بقانون تعديل قانون المطبوعات رقم (٣٣)لسنة ١٩٣٤.[*]

وظف المثقف الفنون الادبية(المقالة، والشعر، والقصة) في الصحف الصادرة وكما يأتي :ـ

١ـ **المقالة:** كانت النبرة الحماسية هي السمة الغالبة لموضوعات المقالات ازاء مختلف القضايا الوطنية كالانتداب، والانتخابات والمعاهدات و الحياة النيابية، فقد انبرت الصحف الموالية للسلطة مثل جريدة (العاصمة) و(العراق) تحمل العناوين الاتية في الرد على صحف المعارضة مثل : (اخاديعهم لاتنطلي على الشعب) و(هل تستمر المعارضة في طغيانها الاثيم)، (ماذا يريد المفتونون)[*]. اما الصحف المعارضة مثل الاستقلال والبلاد والاخبار والاخاء فكانت ترد عليهم بمقالات لاتقل في نبرتها الحماسية عن الصحف الموالية للسلطة فتحمل العناوين الاتية: (الخرس لهذه الافواه) و(يكيدون للشعب)[**].فلم تتميز هذه المقالات بافكار تحدد ملامح العلاقة مع السلطة، سوى المواقف الانية التي تولدها الاحداث السياسية. وتبقى مقالات (فهمي المدرس) التي تبدو في ظاهر الامر غير بعيدة عن الاطار السياسي العام،الا أن الطرح الفكري لهذه المقالات يحدد طبيعة السلطة وعمل مكوناتها التي يدعو اليها،

---

[١٠٦] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي رقم ١٠٦٠ /٣١١، ص ٣ /٥، مذكرة رقم ر١٠ /٥٩٨ في ١٦ تشرين الثاني /١٩٢٤.

[*] انظر: تفاصيل هذه القوانين.. السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة ...... ج١، ص ٨ ـ ١٥.

[*] انظر: صحف العراق، الاعداد ٣٣٣١، ٣٣٣٢، ٣٣٣٣، السنة الحادية عشر / ١٩٣١ .

[**] انظر : صحف البلاد والاستقلال والاخاء، السنة الاولى / ١٩٣١ .

ففي مقالة (الامم الاخلاق) يجد المدرس علاقة وثيقة بين الاخلاق ونهضة البلاد بقوله"لاتصلح البيئة والتربية الا في الاوساط الحرة المالكة لارادتها.... لذلك لم يكن الحكم المطلق في زمن من الازمان صالحاً لتنفيذ نظام الاخلاق.... والعراقيون منذ تأسست الحكومة الوطنية لايزالون يفتنون في كل عام مرة او مرتين فقد كان عمر الوزارة حولاً كاملاً فتقاصر حتى أصبح نصف حول أو اقل... فطموح الكثيرين الى النيابة والوزارات والوظائف والمقامات ممن ليسوا اهلا لها ".[107] كما انه يستبعد حل مشكلات السلطة في العراق بإختيار نموذج (الحجاج)، فيذهب الى تفنيد ذلك بالقول" الحجاج إنما احتمله العراق لا لانه الحجاج بل لان وراءه عبد الملك بن مروان، وخزائن الدولة الاموية وجنودها وتلك السطوة وذلك الجبروت".[108] ويجد تجاهل السلطة لرأي المعارضة في عقد معاهدة ١٩٣٠ "أن المعاهدة سارت في طريق غير مطروق منذ عرفت المعاهدات بين الامم الى يومنا هذا وكيف قام رئيس الوزراء وحده بتنجيز امر خطير يتناول حياة أمة.... والمعارضون لم يألوا جهداً في عرض ما لاح في بنودها الثقيلة على انظار الوزارة والمجلس والرأي العام." [109] فنقد السلطة جاء من خلال اظهار سلبيات الحياة النيابية وتشكيل الوزارة الذي غالبا ما يأتي على خلفية الطموح الشخصي لساسة العراق، وان قصر عمر الوزارات وأزماتها لايمكن حلها بـ(اسطورة) حاجة العراق الى حكم حجاج اخر، كما أن التفرد في تقرير عقد المعاهدات من خلال تجاهل الرأي المعارض في البلاد شديد الوطأة على أهل الرأي.

٢- **الشعر:** يجد د. يوسف عزالدين أن هذه المرحلة كانت من أخصب مراحل الشعر السياسي، فقد برز عدد كبير من الشعراء في حقل النضال السياسي، فلم تخلُ صحف العراق وصدى الاستقلال والبلاد وصدى الوطن والزمان والشعب وغيرها من الصحف

---

[107] فهمي المدرس : مقالات .... ج١، مصدر سابق، ص ٣٢ ـ ٣٧ .

[108] المصدر السابق نفسه، ص ٤٢ـ ٤٥ .

[109] فهمي المدرس : مقالات ..... سياسية، تاريخية، إجتماعية،، ج٢، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٢، ص ٤ـ ٧ .

من قصائد شعراء العراق، التي تحمل مفـردات الاستـشارة ـ المستـشار ـ الانتـداب ـ الحرية ـ الاستقلال التام ـ الكفاح ـ كرسي الوزارة ـ النواب ـ السيادة ـ الـدخيل.(١١٠) وقبل ان ننتقل الى نصوص بعض الشعراء لابد مـن الوقـوف عنـد رأي (عبـد الكـريم غلاب) في أن شعر هذه الحقبة كان مسجلاً للحركة الوطنية ولم يكن باعثا لهـا، فقـد كان الشعراء ينتظرون الاحداث التي تتزعمها الاحزاب الوطنية أو القـادة الوطنيـون ويخوضها الشعب ويذهب ضحيتها الكثيرون ثم يـأتي الـشعر ليمثـل دور الرثـاء او الهجو للسلطة اوللانكليز، فلم يهتم الشعراء بالافكار، فليس هناك فكـرة جديـدة الا الفكرة البدائية التي يرددها رجل الشارع، ولم يلتصق الشعراء بالشعب الا من خـلال النظرة السياسية البارزة، فالشاعر بعيد عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في حياة الشعب التي تشكل العامل الاساس في مطالبته بالاستقلال، فبؤس الشعب الذي يعيش حياة متخلفة اقتصاديا واجتماعيا لم تكن تثير الشعراء، فـالتطور الفكـري بمعنـاه الاعمق لم يظهر في شعر هذه الحقبة الا سطحيا.(١١١)

ولابد من الاتفاق مع هذا الرأي، فلم تحمل قصائد الشعراء التـي تلقـى في مناسـبات الاحداث السياسية الكثيرة افكاراً محددة في طبيعة السلطة التـي كثـيراً مـاتقع تحـت هجوهم فقط أو الغاية من المناداة بالحرية ونقد الحياة البرلمانية ورفض المعاهدات دون البحث عن سبيل اخر وغيرها من الموضوعات. والغريب أن اكثر الـشعراء الـذين رفـضوا ممارسات السلطة نراهم مادحين اقطاب السلطة، فلا تكاد تخلو سيرة احد من الساسة العراقيين من مدح الشعراء أنفسهم الذين كانوا يهجون ممارستهم في السلطة، فانتحار (عبد المحسن السعدون)(*)، شكل مناسبة تسابق الـشعراء في نظـم قـصائد الرثـاء ولا تختلف مناسبات مدح أقطاب السلطة عن رثائهم كثيراً، وعلى الرغم من تناول الـشعراء

(١١٠) د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ١٩٧ ـ ٢٠٣ .

(١١١) عبد الكريم غلاب : تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي، من كتاب الشعر والفكر المعاصر : د. عناد غزوان واخرون، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

(*) انظر سيرهم في : مير بصري : أعلام السياسة في العراق الحديث، ج١ و ج ٢، مصدر سابق .

قضايا الاحوال الاجتماعية والاقتصادية مثل الفلاح والاقطاع والمرأة وغيرها من الموضوعات في اوقات لاحقة الا انها تبقى قاصرة في تصوير حالة البؤس والشقاء دون ابعاد فكرية محددة ازاءها. ومن نصوص الشعراء قصيدة الرصافي في حكومة الانتداب نورد منها هذه الابيات:

هذي حكومتنا وكل شموخها كذب وكل صنيعها متكلف

علم ودستور ومجلس امة كلٌ عن المعنى الصحيح محرف

اسماء ليس لنا سوى الفاظها اما معانيها فليست تعرف[١١٢]

وللشاعر باقر الشبيبي قصيدة عن تعاظم دور المستشار قائلا :

قالوا استقلت فى العراق حكومة فعجبت إذ قالوا ولم يتأكدوا

أحكومة والاستشارة ربها وحكومة فيها المشاوَر يعبد

المستشار هو الذي شرب الطلا فعلام ياهذا الوزير تعربد

أما احمد الصافي النجفي فله رأي في رجال السياسة قائلا :

سقطت دولة وجاءت سواها فجرى مثل اختها فى قياس

خدعوا الشعب ثم أردوه ميتا بفم باسم وقلب قاسى

ساسة الغرب تخدع الخصم ولكن خادع الشعب فى بلادي سياسى[١١٣]

ولاتختلف موضوعات قصائد الشعراء الاخرى في تناولهم لهذه القضايا. فهي قصائد لا تخرج عن الاطار السياسي العام للمقالات السياسية.

٣ـ القصة: عبرت القصة عن سخط المثقف على الاحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على الرغم مما طرحه النقاد من تخلف القصة في العراق في نواحيها الفنية. فقد حملت الصحف السياسية والمجلات الادبية [*]هذا اللون الادبي، ولعل

---

[١١٢] معروف الرصافي : مصدر سابق، ص٤٤٣ .

[١١٣] عبد الكريم الدجيلي :مصدر سابق، ص ٦١ و ٦٨ .

[*] انظر : فهرس القصص والروايات المنشورة في الصحف والمجلات العراقية : د.عبد الاله احمد، نشأة القصة وتطورها في العراق، مصدر سابق، ص ٤٤١ ومابعدها .

المضمون الاجتماعي من أهم المضامين التي تناولها القصاصون في هذه الحقبة، التي عبر كتابها عن التصاق الحياة الاجتماعية المعتمة بالصراع السياسي الذي عاشه العراق، فقد عبر الكتاب عن ارتباط استقلال العراق بانجاز الاصلاحات الاجتماعية التي تسهم في تطوره وتقدمه، فقد عكست هذه القصص التيارات السياسية والاجتماعية في المجتمع، وقد تميز ابطال هذه القصص بالتمرد على المجتمع ونظمه الجائرة، فغالبا مايميلون الى الشكوى من مشكلات المجتمع المتعددة، فيندفعون في محاولات اصلاح فاشلة، مثل اصدار جريدة يتخذونها وسيلة للإصلاح، ولكن مشروع الجريدة يلقى صعوبات كثيرة منها مشكلة التمويل والاغلاق، وفي الواقع ان هذا الطرح يمثل محنة المثقف في الواقع الاجتماعي المتخلف.[١١٤] فدور المثقف وكما عبر عنه(ذو النون ايوب) في مقدمة مجموعته القصصية (رسل الثقافة) في قوله " اعطاء صورة صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة، وشخصيات غريبة، وأنظمة، وقوانين حكومية أو شعبية، يدخل ضمن تلك القوانين غير المكتوبة التي يخضع تحت تأثيرها المجتمع وينتقدها غير خائف عقابا أو راجٍ ثوابا."[١١٥] لقد كان واقع سخط هذه الفئة السياسي على السلطة فيه عرض كثير من الحقائق الاجتماعية والسياسية على نحو ما فيه من الجرأة والشجاعة التي تظهر بوضوح في الثلاثينيات،فالفكر يعكس الواقع الاجتماعي والسياسي في العراق لما فيه من فساد الجهاز الاداري والسلوك الانتهازي وفقدان القيم.

وهكذا عبر المثقف عن علاقته بالسلطة بالوسائل المتاحة المتمثلة بتعددية الاحزاب والصحف، فاذا كان اصحاب السخط السياسي اتخذوا هذه الوسائل ضمن الغايات التقليدية المتمثلة بالمعارضة والصراع على السلطة، فاصحاب السخط الفكري كان صراعهم مع السلطة ضمن ابعاد اجتماعية واقتصادية، الاان حداثة هذه الفئات المثقفة التي هي من فئات الشباب التي تتميز بضعفها التنظيمي والفكري جعلها تتخبط في

---

[١١٤] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة وتطورها في العراق ....، مصدر سابق، ص ٢٠٥ ـ ٢٢٣ .

[١١٥] ذو النون ايوب :رسل الثقافة، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٧، ص٣ .

الدفاع عن قضايا كبرى في المجتمع فتعلن الحرب على ممارسات اجتماعية واقتصادية دون أن تتسلح بادوات فعالة في هذا الصراع فمحمود أحمد السيد الذي اخذ ينشر تراجم الادب الروسي في الصحف المحلية معلنا" أن حياة الفلاح عندنا تماثل حياة فلاحي الروايات الروسية فنحن أجدر بالاطلاع عليها"[١١٦]. الا أنهم لم يستطيعوا تقديم فكر في قصصهم عن حياة الفلاحين عندنا مماثلة لما قدمه الادب الروسي فضلا عن القضايا الاخرى التي انبروا للدفاع عنها،فتبقى هذه الفئة وكما يجدها د.(جميل سعيد) تنزع الى التقليد واخذ الثقافة مما حولهم من الكتب ثم الرجوع الى الحياة وتجاربها معينا لثقافتهم فكانت حياتهم قلقة غير مستقرة وثابة الى نصرة الحرية والحق[١١٧]. إلا أنهم في هذه المرحلة يبقون اضعف من اصحاب السخط السياسي مقابل السلطة، وربما تغير هذه الفئة وسائلها في مراحل لاحقة.

المطلب الرابع : الملك فيصل والمثقف : يذهب د. سيار الجميل بالقول الى أن الملك فيصل عمد الى تجسير الفجوة بينه وبين المثقفين العراقيين من خلال اعتمادهِ على اسماء متعددة من المثقفين العراقيين، كما كان استماعه الى الاراء والانتقادات على لسان أكثر من صحفي وشاعر[١١٨]. ان مفهوم التجسير وكما طرحه د.سعد الدين ابرهيم يقر ضمنا بأن كلا من الحاكم والمثقف يقف على أرضيتين مرتفعتين وينظران ويتعاملان مع ارضية ثالثة تفصل بينهما، وان كان كلٌّ منهما متّصلاً مع هذه الارضية الثالثة بطريقته.وتجسير الفجوة بهذا المعنى تحويل هذا الوضع الى مثلث متشابك الاضلاع (الحاكم ـ المجتمع ـ المثقف) [١١٩]. ولكن لم يكن المجتمع ضمن المعادلة لكل من الملك فيصل والمثقف اللذين التقيا بعد مد الجسور بينهما، فالجسور مدت مع الفئات (العسكرية والادارية) ورثة الدولة العثمانية فقد التقيا في تحقيق غاية واضحة المعالم،

---

[١١٦] د. عبد الاله أحمد : نشأة القصة وتطورها في العراق......، مصدر سابق، ٢٠١.

[١١٧] د. جميل سعيد : نظرات في التيار الادبية في العراق، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٨.

[١١٨] د. سيار الجميل : انتجليسيا العراق : التكوين .... الاستنارة ..... السلطة، مصدر سابق، ص ٣٩٢.

[١١٩] د. سعد الدين ابراهيم : تجسير الفجوة ......، مصدر سابق، ص ١٣.

الملك فيصل يسعى في تحقيق مشروعه الوطني الى بناء دولة عراقية، وفئات المثقفين الذين تعامل معهم (العسكرية والادارية) يبغون المحافظة على مصالحهم، فلم تكن مرحلة التأسيس سهلة أمام الملك فيصل فهذه المرحلة شهدت ولادة أربع معاهدات عسيرة مع (الحليفة) بريطانيا وهي (١٩٢٢، ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٣٠)، فهل من الممكن أن يخرج الملك فيصل هذه المعاهدات دون إستشارة نوري السعيد أو جعفر العسكري او عبد المحسن السعدون أو دون المعارضة (الرمزية) لياسين الهاشمي؟ ان التجسير الذي يتحدث عنه د.الجميل "لم تكد تخلو وزارة من الوزارات التي تألفت في سنوات عهده الاولى من وزير أديب أو عالم معروف أمثال هبة الدين الشهرستاني وجعفر ابو التمن ومحمد حسن أبو المحاسن ومحمد رضا الشبيبي وغيرهم.كما لم يخلُ اول مجلس للاعيان من وجود بعض الشعراء والصحفيين منهم : جميل صدقي الزهاوي ومحمد علي فاضل، أما المجالس النيابية فقد شغل عضويتها عدد كبير من الادباء والشعراء والصحفيين منهم معروف الرصافي وباقر الشبيبي وخير الدين العمري ومحمد مهدي كبة وحبيب العبيدي وعبد الغفور البدري ورفائيل بطي".[١٢٠] وفي الواقع أن الوزراء المذكورين "يؤتى بهم سدا رخوا وسترا مهلهلا للطائفية الحاكمة، فلم يكونوا في جملتهم اصحاب نفوذ حقيقي"[١٢١]. فلم تطل مدة بقائهم في الوزارة دون أن يخرجوا منها باسباب متعددة تدل على قوة نفوذ من تدعمهم السلطة مقابل هشاشة سلطتهم فوزراء المعارف كانوا على خلاف دائم مع صاحب النفوذ الاول في الوزارة (ساطع بيك الحصري)، الذي يعبر عن تعيين وزير جديد كـ(ابو المحاسن)، بان يُقال له: تعال استلم وزيرك، فيجدهم "من ذوي الثقافة الادبية والدينية، لايعرفون شيئا عن امور الادارة فضلاً عن اساليب التربية والتعليم."[١٢٢] فهل يمكن لوزير ان يستمر بعمله ضمن الحس

[١٢٠] د.سيار الجميل : انتلجيسيا العراق : التكوين ... الاستنارة ... السلطة، مصدر سابق، ص ٣٩٣.
[١٢١] محمد مهدي الجواهري : مذكراتي ..... ج١، مصدر سابق، ص١٣٨ .
[١٢٢] ساطع الحصري : مذكراتي ....ج١، مصدر سابق، ص٦١٣.

الذي عبر عنه الحصري؟ فلم يستطع (وزراء المعارف)[*] احداث تغيـيرات في عمـل وزراة المعارف، وكذا الحال مع تعيين جعفر أبو التمن وزيـرا للتجـارة في وزارة عبـد الـرحمن النقيب الثانية ليضمنوا عدم معارضته لمعاهدة ١٩٢٢، ولكنه فضل الاستقالة مـن أجـل الاستمرار في المعارضة، على الرغم من أن تعيينه "قوبل بالاستحسان من قبـل المحافـل الوطنية لما يتمتع به من سمعة طيبة "[١٢٣]. فهـذا (التجـسير) يـدخل مـن بـاب (جـبر خواطر)، فهناك علاقات شخصية تجمع بين الملك فيصل وهذه الشخـصيات فقـد كـان "الملك يعتمد على جعفر أبو التمن ويستشيره في بعض الامور، وكان يلتقي به اكثـر مـن ثلاث مرات في الاسبوع."[١٢٤] وفي الواقع كان هذا التجسير يحتاج الى اعمدة يرتكز عليهـا متمثلة بشخصيات أمثال نوري السعيد وجعفر العسكري وغيرهم من عتاة الـسياسيين من الفئات (العسكرية والادارية)، فتبقى جسور الملك فيصل التي اقامها مـع المثقفـين من الشمع تذوب مع حرارة أزمات بسيطة فيسقط من يسير عليها الى هاوية سحيقة.

أما عن تجسير الملك فيصل العلاقة مع المثقفين والشعراء منهم بوجه خـاص، فقـد كان على يقين أن البيئة الثقافية العراقية ذات طـابع شـعري، فللـشعراء القـدرة عـلى تهييج الشارع السياسي فعمد الى تخصيص راتب للشاعر جميل صـدقي الزهـاوي فقـد خصص له راتباً قدرهُ (ستمائة روبية) شهريا تدفع من الـصندوق الخـاص للملـك[١٢٥]. وبناءً على علاقة شخصية مع عبد المحسن السعدون تم تعيين الزهاوي عضوا في مجلس الاعيان وانتهت بانتحار محسن السعدون، فلم يكن للزهاوي نـشاط يـذكر في مجلـس الاعيان الا الاعتراض على اللوائح من الناحية اللغوية ليدلل على انـه الفـارس الوحيـد في ميدان اللغة.وقد لازم الزهاوي الى اواخر عمـره سـخط عميـق فلـم ينفـك لـسانه عـن

[*] انظر رأي محمود علي الشيخ في محمد رضا الشبيبي وزير التربية في حكومة ياسين الهاشمي الاولى : ناجي شوكت، مصدر سابق، ص٦٩٣ ـ٦٩٥ .

[١٢٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات ..... ج١، مصدر سابق، ص ٨٩ .

[١٢٤] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص ١٧٤.

[١٢٥] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي، رقم ١٠٦٠/ ٣١١، ص ز / ٢١، مذكرة مؤرخة في ٦كانون الاول / ١٩٢١.

الشكوى لاخراجه من مجلس الاعيان[١٢٦]. ولا يختلف تجسير علاقة الملك فيصل مع الشاعر معروف الرصافي، فالشاعر الرصافي قال شعرا ناقدا جميع اركان السلطة ومنها الملك فيصل فهو القائل :

ودع عنك اخبار العراق فانني
لأعلم منها مايفوق العجائبا
فويحا لاهل الرافدين إذ إنطووا
على الياس من نور يشق الغياهبا
لهم ملك تابى عصابة رأسهِ
لها غير سيف(التيمسيسين)عاصبا
وليس له من امرهم غير أنه
يعددُ اياما ويأخذ راتبا[*]

لقد سعى عبد المحسن السعدون الى التقريب بين الملك فيصل والشاعر الرصافي، فما كان من الملك إلّا أن يقول" يااستاذ الرصافي، أ أنا الذي يعدد أياما ويقبض راتبا؟ وأنا مثقل بالمشاكل والتحديات، بهموم أمة بأسرها ؟."[١٢٧] لقد كانت ثمرة هذا (التجسير) الذي ظل مشوبا من بقايا حقد ملك ذي منحدر بدوي، بأن يخصص الملك فيصل للشاعر الرصافي راتبا سخيا (خمسمائة روبية) شهريا.[١٢٨] ومع دعم نوري السعيد حصل الرصافي على عضوية الدورة الانتخابية الثالثة لعام ١٩٣٠، وليحصل على عضوية ثلاث دورات قادمة، للمدة من١٩٣٥ــ ١٩٣٩ [١٢٩]. وليس غريبا أن يطلب الشاعر الزهاوي من

---

[١٢٦] خيري امين : مصدر سابق، ص ٧٦ــ ٨٣.

[*] انظر نص القصيدة :عبد الحميد الرشودي، الرصافي .. حياته ــ اثاره ــ شعره، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨، ص ٣٣.

[١٢٧] محمد مهدي الجواهري : مذكراتي ...... ج١، مصدر سابق، ص ٢٣٧ .

[١٢٨] المصدر السابق نفسه، ص ٢٣٨ .

[١٢٩] عبد الحميد الرشودي : مصدر سابق، ص ٣٨ .

الملك فيصل ان يكون شاعره الخاص لما عرف عن الزهاوي من المواقف المتقلبة ولكـن أن يطلب الشاعر الرصافي من الملك أن يكون شاعره الخاص[130] وهو القائل :

من ايـن يرجى للعراق تقدم
وسبيل ممتلكيه غير سبيلـه
لاخير في وطن يكون السيف عنـ
ـد جبانه والمال عند بخيـلـه
والرأي عند طريده والعلم عنـ
ـد غريبه والحكم عند دخيلـه
وقـد استبد قليله بـكثيره
ظلمـا وذل كثـيره لقليلـه [131]

ويذكر د. يوسف عزالدين أن الملك فيصلا لما سمع (الحكم عند دخيلـه) خـرج تاركـا محل حفل ألقى الرصافي قصيدته فيه.[132] فلم يكن هناك تجسير ضـمن المفهـوم الـذي طرحه د.سعد الدين ابراهيم، فهذه العلاقات يغيـب عنهـا الـضلع الثالـث مـن معادلـة التجسير وهو المجتمع فلم تكن هناك ثمرة ايجابيـة للمجتمـع ضـمن هـذه العلاقـات، فتدخل هذه العلاقة ضمن العلاقات الشخصيه التي تعرف بـين الامـراء والمثقفـين مثـل علاقة الشيخ علي الشرقي بعبد المحسن السعدون وغيرها من العلاقـات الاخـرى، وهـل يمكن ان نطلق على تعيين الشاعر محمد مهدي الجواهري في بلاط الملك فيصل تجـسيرا؟ فقد جاء تعيينه على خلفية توسط السيد محمد الصدر عند الملك فيـصل، او أن يعطـي الملك فيصل (٧٠٠ روبية) للجواهري بعد أن اصـدر جريدتـه(الفـرات) وتركـه العمـل في

[130] محمد مهدي الجواهري : مذكراتي .... ج ١، مصدر سابق، ص ٢٣٣ .
[131] معروف الرصافي : مصدر سابق، ص ٤١٥ ـ ٤١٦ .
[132] د.يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث ....، مصدر سابق، ص ٢٤٧ .

البلاط الملكي بدل (اشتراك)في جريدته[١٣٣]. فتبقى امارات (التجسير) شاخصة بين عطايا الملك وكلمات مدح الشعراء.

واخيرا اذا اردنا أن نحدد ملامح هذه الفترة فهي :

١ ـ تعد هذه المرحلة من أهم مراحل تاريخ العراق السياسي والثقافي الحديث، لقد اتسمت هذه المرحلة بالاضطرابات التي سببها دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى وماكان للعراق من نصيب في هذه الحرب سوى الاحتلال البريطاني،وما اعقبه من ادارة بريطانية وولادة الدولة العراقية ونظامها السياسي، لقد انعكس الوضع السياسي بشكل واضح على ثقافة هذه المرحلة فبين التأرجح بين الاحتلال العثماني والبريطاني، جُعِل المثقف امام خيارات امليت عليه وليس له فيها إختيار سوى التخبط في المواقف، وكان من حسنات هذه المرحلة التعددية التي ولدتها ظروف سياسية اكثر من كونها ثقافية.

٢ـ كانت الصحافة الميدان الذي حقق المثقف فيه نوعا من الحرية الفكرية.وعلى الرغم من ان الصحف كانت عرضة للتعطيل، فقد كانت لها ضمانات بان تبقى الجريدة المعطلة ملكا لصاحبها لاينازعه فيها منازع، حتى انقضاء فترة التعطيل، بل لا يحرم مالك امتياز جريدة معطلة من الحصول على امتياز جريدة جديدة يتولى اصدارها او يستعير جريدة لاتوالي الصدور. ومن الانصاف أن يكون الحكم في حدود ظروفه، فلنا وقفة مع هذا المثال فبعد أن نشر فهمي المدرس مقالة في جريدة الزمان حول معاهدة ١٩٣٠، عطلت وزارة نوري السعيد الجريدة تعطيلا اداريا، وحكم على فهمي المدرس بستة اشهر ولما أحيل الحكم الى محكمة الاستئناف انزلت عقوبة السجن الى شهرين فقط وعند إحالة قرار محكمة الاستئناف الى محكمة التمييز لم تصادق على حكم محكمة الجزاء وابانت أن ليس في المقالة ما يُعَدُّ طعنا في الذات الملكية واوعزت باطلاق سراح السجين، فاطلق سراحه. ولكن تبقى عقوبة "اغلاق

---

[١٣٣] محمد مهدي الجواهري : مذكراتي ...... ج١، مصدر سابق، ص ٣٤٧ .

الصحيفة كالاعدام" بالنسبة الى فهمي المدرس.(*) وتعد هذه الحالة شيئا وارداً في اجراءات السلطة ازاء الصحف. فهناك تناغم في علاقة المثقف بالسلطة لم تصل قط الى نقطة حرجة أو القطيعة التامة.

٣ـ أفرزت هذه المرحلة فئتين من المثقفين وهما: أصحاب السخط السياسي الذين جاء سخطهم من خلال الصراع على السلطة، وليس ضد السلطة، فقد كان توظيفهم للاحزاب والصحافة لايخرج عن اطار المنافسة بين فئات ذات رؤية واحدة، بل هدف واحد ازاء القضايا المختلفة، ولكن هناك اختلاف في ترجمة الوسائل فهي فئات مهادنة تعمل من أجل مصالحها الخاصة، وأصحاب السخط الفكري فهي فئات تفتقر الى درجات متقدمة من التطور الفكري وغير واضحة المعالم، وتبقى رغبتها في التغيير العامل الاساس لتلعب ادواراً اكثر أهمية في مراحل لاحقة. فترجمت سخطها ضد السلطة من خلال نقد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية الذي حملته صفحات الصحف والمجلات المختلفة. ولم تتطور مواقفهم بشكل واضح من اجل الدخول في تصنيفهم الى فئات واضحة فهي فئات تتأرجح في مواقفها بين البحث عن الاصلاح أو التغيير.

٤ ـ من المستبعد أن نطلق على العلاقات الشخصية بين المثقفين ورجالات السلطة (تجسير العلاقة بين المثقف والسلطة) فقد لعبت العلاقات الشخصية بين اقطاب السلطة وفئة الشعراء في أن يغدوا لسان حالهم، ويظهر ذلك بشكل واضح من خلال علاقة عبد المحسن السعدون بالشاعر الرصافي الذي اصدر جريدة (الامل) لتكون لسان حال السعدون، وكذلك علاقة السعدون بعلي الشرقي.وغيرها من هذه العلاقات، ومن السهل على الشعراء تغيير ولائهم للسياسيين.

(*) انظر : مقالة (الاستفتاء ومصيره) ومقالة(الحكومة والصحافة)،فهمي المدرس : مقالات .... ج١، مصدر سابق، ص ١٢٠ ـ ١٢٣ وص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ .

المبحث الثاني

النهضة المضطربة ١٩٣٣ ـ١٩٤٦

تميزت هذه المرحلة بمظاهر نهضة وعوامل اضطراب عرفها المجتمع العراقي وهـذا ادى الى تغيير العلاقة بين المثقف والسلطة نتعرف على ذلك مـن خـلال مناقـشة النقـاط الاتية :

المطلب الاول: مظاهر النهضة: قادت عمليات التحديث في المجتمع العراقـي مـن جراء المركزية في الحكم والتنوع الوظيفي واتساع التعليم وتطور المواصـلات و(تعمـيم) الثقافة ووسائل الاعلام وتحسن نسبي في الخدمات الـصحية المانعـة للاوبئـة الى إفـراز فئات اجتماعية جديدة ذات نزعات مختلفة في السلوك والاتجاهات السياسية عن الفئات التقليدية فقد شهدت هذه المرحلة ازدياد اهمية طبقة أهل الكفاية (الطبقة الوسـطى)، فهي مرشحة للتوسع عدديا، ذلك لانها تتغذى من العوامل التحديثية التـي كانـت تـدفع جزءاً من الطبقة الدنيا (أهل الكفاف) الى فوق، اي الطبقة التي تليهم مباشرة، أما طبقة الذوات فلم تتسع عدديا في هذه المرحلة لان النمو الاقتصادي كان محدودا فلـم (يخلـق) اثرياء جددا بسرعة أو بأعداد كبيرة. في حين كان التصاعد الاجتماعي يؤثر فعليا في اعداد كبيرة من أهل الكفاف (الوسطى) والفئات الدنيا من طبقة (أهل الكفاف)، فـأن معـدل الولادات بين معتدلي ومتدنيي الدخل اكبر مما هو عليه بين الاثريـاء مـن الـذوات. ومـن العوامل الاساسية التي ساعدت على ازدياد عدد ونفوذ طبقة أهل الكفايـة (الوسـطى) امتداد وتوسع الجهاز الحكومي. فالسلطة المركزية هي اكـبر صـاحب عمـل تـوظيفي وبالتالي اصبحت الفرصة مؤاتيـة لهـذه الطبقـة أن تـدخل في عـداد مـوظفي الدولـة في اختصاصات مختلفة ولم تقتصر وظائفهم على العاصمة التي كانت مهيمنة بل شـملت

بعض المدن الاقليمية الاخرى[١٣٤]. لقد قاد واقع التطور الاجتماعي الى وجود فئة من الطلائع المثقفة من أبناء أهل الكفاية (الطبقة الوسطى) تنزع في تفكيرها نزعة تقدمية واضحة، كان لها دورها الفاعل في الحياة الفكرية والسياسية في العراق من خلال ممارسة النشاط السياسي، وهذا يفسر ارتباط معظم مثقفي العراق بشكل أو بآخر، باتجاهات سياسية محددة تنزع نزعة يسارية مما جعل ادب هذه المرحلة يتميز بصفات خاصة من الواقعية السياسية ذات المنحى الاجتماعي[١٣٥] لقد بلغت الدعوات المتمثلة في (الفن للحياة أوللمجتمع) اوجها في الثلاثينيات، فقد حملت الصحف المقالات التي مثلت هذه الدعوة التي ترمي الى أن يكون الادب واقعياً وبعيداً عن الذاتية فمثل محمود احمد السيد وعبد المجيد لطفي وانور شاؤول ومحمد رضا الشبيبي تحولا كبيرا ازاء قضية (الفن للمجتمع) بل حصل تطور اخر مع جرجس يوسف اعمق كثيرا، فلم يشأ ان يرضى بالادب الذي يصور الواقع وصفا مجردا، لانه غير قادر على خلق واقع جديد، لذا حتم على الادب الانقضاض على الواقع الفاسد ليحل محله واقع جديد سليم[١٣٦] وبذلك اتجه الفكر اتجاها تقدميا متطرفا يرتبط بالنواحي السياسية ويعبر عنه تعبيرا فيه الكثير من الحدة حتى اصبح مظهرا بارزاً من مظاهر الصراع السياسي والاجتماعي الذي كانت تقوده الفئات المثقفة، ولعل اللغة القصصية التي امتاز بها ذو النون ايوب تعد نقلة في القصة العراقية، لالتصاقها بقضايا الشعب وجرأتها في تعرية السلطة من الاثر الجارف في الحياة الفكرية والادبية، وهو امتداد لدعوة محمود أحمد السيد (الادب الشعبي) الذي يكون مرآة لحياة شعب يعبر عن شعوره وآلامه واحزانه ومسراته، فكان ان كتبت في هذه المدة قصص تتحدث عن أبطال ينتهون الى الثورة،

---

(١٣٤) د. ايليا حريق : مصدر سابق، ص ١٢ ـ ١٣.

(١٣٥) د.عبد الاله احمد :الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، ج١، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص٨٠..

(١٣٦) عباس توفيق : مصدر سابق، ص ١٦١ ـ ١٦٧.

يعتنقون المبادىء الشعبية برغم انتمائهم الى فئات اجتماعية ميسورة حين يكتشفون بؤس الطبقات الفقيرة، فيدركون أن الواقع لايمكن أن يتبدل من غير هذا الطريق الثوري، وقد انبرت جريدة (الاهالي) لنشر هذا النتاج[١٣٧]. ويمكن تلخيص دور هذه الفئة في كلمات ذو النون ايوب "مهمة النضال السياسي حينما يكون في امة مستعمرة أومضطهدة يحكمها الطغاة والخونة، ان عليه في مثل هذه الحالة أن يكرس قلمه لرفع الحيف وفضح الظلم، والثورة على الطغيان".[١٣٨] لقد شملت مظاهر النهضة التي شهدها المجتمع مشكلة الصراع بين التقدم والتخلف وبين تقاليد المجتمع وثورة التغيير، انها الظاهرة التي قادها نخبة من المثقفين في مجالات مختلفة. فقد تنوع نشاط هذه الفئة بين تأسيس التنظيمات ذات الانشطة الثقافية والاجتماعية فضلا عن ابعادها السياسية. لقد مر معنا تنظيم (جماعة الاهالي)، التي يبرز دورها بشكل فاعل في الثلاثينيات من خلال جريدة الاهالي التي تبنت (المبادىء الشعبية) التي هي مزيج من الاشتراكية والليبرالية وكما يقول حسين جميل أن كلمة الشعبية "منسوبة الى الشعب بمعنى ان المبدأ الذي يحمل عنوان الشعبية مقتبس من حاجات الشعب ومصالحه، ويستهدف تحقيق سيادته ورفاهه، فهو من الشعب وللشعب."[١٣٩] فاذا كانت الاحزاب الوطنية جادة في دعوتها الاستقلالية مثل (الحزب الوطني) بزعامة جعفر ابو التمن فان جماعة الاهالي ترى ان تحرير الوطن والمواطنين لايتم بالتخلص من النفوذ الأجنبي على العراق وشؤونه فقط، انما بتحرير الوطن والمواطنين من الاستغلال أياً كان مصدره الاجنبي، اوفئة من العراقيين، اي أن دعوة (الاهالي) هي التحرر الخارجي من الاستعمار والتحرر الداخلي من الاستغلال.[١٤٠] وبهذا غدت قضايا المجتمع تحتل الاولوية في

---

[١٣٧] د.عبد الاله احمد: الادب القصصي في العراق..........ج١، مصدر سابق، ص ١٩٤ ـ١٩٦.

[١٣٨] المصدر السابق نفسه، ص ٢٠١.

[١٣٩] حسين جميل: الحياة النيابية. ....، مصدر سابق، ص ٣٩.

[١٤٠] المصدر السابق نفسه، ص ٤٠.

نشاطات المثقف العراقي فأخذ يعطي مضمونا اوسع من الاستقلال السياسي وهو المضمون الاجتماعي من خلال العناية بمصالح الشعب وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد طالبت جريدة الاهالي بتأميم شركة الكهرباء وتأسيس بنك اهلي وعارضت قانون حقوق وواجبات الزراع لما تتضمن احكامه من غمط لحقوق الفلاح والغاء دعاوى قانون العشائر وتبنت مشروع مكافحة الامية وطالبت المحاكم بحق تعطيل الصحف بدلا من السلطة التنفيذية ودعت الى حرية الاجتماع، فضلاً عن موضوعات ثقافية اخرى فقد ترجم عبد الفتاح ابراهيم تاريخ مذكرات (المهاتما غاندي) وترجم محمد حديد فصولا عن اراء (هارولد لاسكي) ونشر مقالات عن الجمعيات التعاونية، وكتب عبد القادر اسماعيل مشاهدات في اهوار العمارة[١٤١].

مثلت (جماعة الاهالي) بدعواتها الاهتمام بقضايا العراق الداخلية المختلفة، فجاء (نادي المثنى) رد فعل على أفكار (جماعة الاهالي) الذي تأسس في ١٩٣٥على خلفية النشاطات القومية التي بدأت مع المستخدمين العرب في العراق والتأثر الكبير بمبادىء القومية والأحداث التي رافقتها في المانيا وايطاليا. وينتمي مؤسسو نادي المثنى الى فئتين عقائديتين، أولاهما القوميون التقليديون مثل صائب شوكت وسعيد ثابت، وكانوا من العاملين مع الملك فيصل في السابق، والفئة الثانية تتألف من عناصر شابة مثل محمد مهدي كبة ومحمد حسن سلمان ويونس السبعاوي[١٤٢]

ويجد محمد مهدي كبة أن تأسيس النادي جاء رد فعل على" تبدل الاحوال في الثلاثينيات عما كانت عليه من قبل، فقد انتشرت الثقافة، واتسعت المدارك، وتوافرت وسائل الاتصال بين مختلف أنحاء المعمورة، بما فيها من علوم وآداب وثقافات فبرزت النظريات الاجتماعية والاقتصادية المتباينة، وأخذت هذه المبادىء والنظريات، تتبلور

---

[١٤١] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٦٣، ص ٨ ـ٩.

[١٤٢] مظفر عبد الله الامين : مصدر سابق، ص ٤٧.

وتتركز يوماً بعد آخر وراحت بعض الفئات تنحو بهذه المبادىء منحى عالميا محضاً، من شأنه أن يصرف النشىء الجديد عن تاريخ أمته ومقومات قوميته."[١٤٣] لقد ابتعد النادي عن القضايا الوطنية الخاصة بالعراق الى الاهتمام بالقضايا العربية والتغلغل من خلال الانشطة الثقافية في المدارس والثانويات والمنتديات والجمعيات والصحافة والاذاعة فضلاً عن المقالات والاشعار والاناشيد والخطب والمحاضرات التي يلقيها ساطع الحصري في النادي عن (نشوء القومية الالمانية) و(نشوء القومية الايطالية) فضلاً عن اصدار النادي مجلة (المثنى) وكانت جميعا ذات طابع قومي واقامة الصلات مع النوادي العربية في دمشق مثل (النادي العربي)، لقد لعب المستخدمون العرب من الفلسطينيين والسوريين في توجيه سياسة النادي القومية ولعل ابرزهم اكرم زعيتر[١٤٤]. فيعد نادي المثنى ناديا قوميا لايُعنى بسياسة البلاد الداخلية ويجد صائب شوكت "أن النادي إذا ما إنجرف في تيار السياسة الداخلية عرض كيانه إلى الانهيار، واعضاءه الى الانشقاق، وتخلى عن رسالته القومية التي كرس جهوده في سبيل أدائها"[١٤٥]. وبهذا فان النادي هو امتداد لعمل التجمعات القومية التي اسسها المستخدمون العرب في العراق مثل (جمعية الجوال العربي) التي تأسست في ١٩٣٤ وكانت تنظيما قوميا ذا صفة عسكرية برئاسة الفلسطيني درويش المقدادي، ومن نشاطات الجمعية اصدار مجلة (الفتوة) والعمل على تدريب أعضائها تدريبا عسكريا ورعاية نظام الفتوة في العراق فضلا عن الاصدارات القومية مثل (المنهج القومي العربي) الذي تضمن اسس الحركة القومية[١٤٦]. ومن التنظيمات الاخرى (جمعية الاصلاح الشعبي) التي تأسست في عام ١٩٣٦ وضمت كامل الجادرجي ويوسف ابراهيم وعبد القادر اسماعيل وصادق كمونة ومكي جميل ومحمد

[١٤٣] محمد مهدي كبة : مصدر سابق، ص ٥٤.

[١٤٤] غانم وحيد الجبوري : مصدر سابق، ص ١٥٢.

[١٤٥] محمد مهدي كبة: مصدر سابق، ص ٥٦.

[١٤٦] غانم وحيد الجبوري: مصدر سابق، ص ١٠٣ ـ ١٠٦.

صالح القزاز. الا أنها لم تباشر أي عمـل وأهمـل أمرها بعد نحو شهر بـسبب اتهامهـا بالشيوعية[١٤٧].ولايختلف منهج الجمعية عن منهج الشعبية لجماعة الاهالي مـن خـلال اهتماماتها الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمجتمع العراقي. أما عن تأسيس الحـزب الشيوعي فقد مر معنا سابقا بأن اولى الحلقات الماركسية قد تشكلت في عام ١٩٢٤ مـن المجموعة التي تلتف حول حسين الرحال ومحمود أحمد السيد ،وعُرفـت بنـشاطها مـن خلال جريدتهم (الصحيفة) وفي عامي ١٩٢٧ و١٩٢٨ تم تنظيم خلايا شيوعية في البصرة والناصرية، ويجد حنا بطاطو أن الازمة الاقتصادية العالمية في العام ١٩٢٩، التـي ادت الى تراجع أسعار التمور والحبوب العراقية واسعار كل الصادرات العراقية بنـسبة (٤٠ %). وتأثير هذا التراجع في عائدات الدولة أدى الى خفض الرواتب وزيادة الضرائب، وقد شـمل هذا التخفيض معدلات الاجور الممنوحة للعمال غـير المهـرة في مينـاء البـصرة والـسكك الحديد وحقول النفط. ومع ازدياد حدة الكساد، أصبح واضـحا أن الافكـار الـشيوعية إكتسبت بعض الهيمنة بين شباب العراق[١٤٨]. وعلى الـرغم مـن ذلـك يثـير حنابطـاطو سؤالا" إذا كنا نعرف اليوم، والى حد كبير من الدقة، كيـف وصـلت الـشيوعية الى هـؤلاء البغداديين ورفاقهم في الجنوب، فإنه لايمكننـا أن نـذكر بالتأكيـد مـاهو الـسبب الـذي جعلهم يتقبلون استنتاجاتها، يومها لم تكن الشيوعية تُعْلـم بموضـوعية كمـا أصـبح الامر في الاربعينيات والخمسينيات، وكانت ترتبط كثيراً بكل مـاهو شخـصي، وللاسـف، فإننا لا نستطيع سبر غور الدوافع الشخصية نظراً لان روح الانـسان كثـيرا مـا تكـون شديدة التعقيد في تفاصيلها. "[١٤٩] في (اذار /١٩٣٤) تأسس الحزب الشيوعي، مـن قبـل يوسف سلمان يوسف (فهد) وعاصم فليح ومهدي هاشـم ويوسـف اسـماعيل وزكـي

---

[١٤٧] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية. ..... ج٤، مصدر سابق، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩.

[١٤٨] حنا بطاطو : العراق. ...... الحزب الشيوعي. .... ج ٢، مصدر سابق، ص ٦٣ ـ ٦٤.

[١٤٩] المصدر السابق نفسه، ص ٦٤.

خيري[١٥٠]. وعند الاطلاع على الاعضاء الرئيسيين للجماعات المختلفة التي انضوت عام ١٩٣٥ تحت راية (جمعية مكافحة الاستعمار) التي شكلت نواة الحزب الشيوعي في العراق، يتضح بشكل جلي سيادة أهل الكفاية (الطبقة الوسطى) اعضاء الحزب فضلا عن التنوع الديني والمذهبي والتعليمي والوظيفي[*] وفي الواقع شملت مظاهر النهضة في المجتمع العراقي الاهتمام بجوانب حياة المجتمع الاخرى، فبعد انتشار الفنون (الموسيقى ـ الغناء ـ التمثيل) منذ مطلع القرن العشرين بشكل فوضوي فأسست وزارة المعارف في نهاية ١٩٣٦ (معهد الموسيقى) يُدرس الموسيقى وهو بداية ونواة لمعهد اوسع وباقسام متعددة تغطي كل الفنون الاخرى، وارسال الكوادر الضرورية لادارته للدراسة في باريس وعند عودة الرواد الكبار تولى(حقي الشبلي) قسم التمثيل، و(فائق حسن) تولى قسم الرسم، و(جواد سليم) تولى قسم النحت، وتحول اسم (معهد الموسيقى) الى معهد الفنون الجميلة بأقسامه المسرح والموسيقى والرسم والنحت في العام١٩٤٠وتميزت أسماء كثيرة من خريجيه بأن تلعب ادوراً متنوعة مهمة اجتماعية وثقافية فضلاً عن تأسيس إتجاهات فكرية وفنية معاصرة. فقد تأسست فرق مسرحية من خريجي المعهد قسم التمثيل وكان الخريجون نخبة من الشباب المنفتح والمجتهد والمحب للتعليم وبعد الاطلاع على التراث المسرحي العالمي فضلاً عن قراءة ما يتيسر من الكتابات المسرحية العربية بدأت هذه النخبة تدرك أن دور المسرح يتغير عما هو سائد من خلال: أن المسرح لم يعد يخاطب نخبة المجتمع والبلاط وعلية القوم فحسب، بل أخذ يخاطب الشرائح الاجتماعية الواسعة ولاسيما ذات الاغلبية المسحوقة، وينحاز اليها ويكشف عن معاناتها وتطلعاتها ويرفع من وعيها. كما ازداد وعي فناني المسرح، فالمسرح الحقيقي هو من الفنون الراقية يحمل رسالة يقولها وينأى بنفسه عن

---

[١٥٠] مظفر عبد الله الامين : مصدر سابق، ص ٤٨ ـ ٤٩.

[*]انظر: حنا بطاطو، العراق...الحزب الشيوعي. .... ج٢، مصدر سابق، الجدول رقم ٤ ـ ٢، ص ٦٦ ـ ٧٣.

الاسفاف والسوقية[١٥١]. وبهذا فقد اطر عمل المسرح في هذه المدة قضية (الفن للحياة أوالمجتمع). وعلى اثر اتساع عروض دور السينما في بغداد مثل (أولمبيا)، و(سنترال سينما)، و(السينما العراقي) و(السينما الوطني)، و(سينما الرشيد)، و(سينما الزوراء) وعرض افلام مثل(خطايا البشر) و(كل شيء هادىء في الجبهة الغربية) وبعد وصول السينما الناطقة في اوائل الثلاثينيات[*]. برز تأثير دور السينما وزيادة اهتمام الصحافة بالنشاط السينمائي، فجرت محاولات لانتاج أفلام في العراق، احداها سنة ١٩٣٠ فقد سافر حافظ القاضي الى انكلترا لجلب أجهزة ولوازم السينما تمهيدا لانتاج فيلم في العام ١٩٣٨ إلا أن المحاولة لم تسفر عن شيء وفي الاربعينيات شرع جماعة من الشباب المتحمسين للسينما بتكوين(شركة أفلام بغداد المحدودة) باموال خاصة، حيث ظلت الشركات الخاصة المستورد والموزع في العراق منذ العام ١٩٠٩ واجيزت (شركة بغداد المحدودة) للعمل في العام ١٩٤٢، ولم ينتج فيلم إلّا في العام ١٩٤٦، من قبل (شركة أفلام الرشيد العراقية ـ المصرية) وكان الفيلم بعنوان(إبن الشرق) الذي اخرجه (إبراهيم حلمي) الذي عرض في (سينما الملك غازي) في (٢٠ تشرين الثاني/ ١٩٤٦)، ثم توالت محاولات إنتاج الافلام، فانتج فيلم (القاهرة ـ بغداد)في العام ١٩٤٧، وفيلم (عليا وعصام) في العام ١٩٤٩ ثم توالت الافلام ذات المضامين الاجتماعية المختلفة وبرزت اسماء كثيرة من العاملين في هذا المجال[١٥٢] وكان لعودة الطلبة الدارسين خارج العراق الاثر في تأسيس الجمعيات الفنية فبعد عودة أكرم شكري عام ١٩٣١ من لندن الذي تشبع بفكرة العمل لتكوين جماعة فنية اسوة بالفنانين الأوروبيين فضلاً عن عودة فائق حسن من باريس، واخذت فكرة تأسيس جمعية تتبلور لدى الشباب الفني المثقف

---

[١٥١] لطيف حسن : فصول من تاريخ المسرح العراقي. ... معهد الفنون الجميلة واكاديمية الفنون الجميلة. www.cinemaion.com

[*]انظر : عباس بغدادي، بغداد في العشرينيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ٨١ ومابعدها.

[١٥٢] ليث عبد الكريم الربيعي : تاريخ السينما العراقية قراءة متأنية. www.cinemaion.com

وهكذا تأسست (جماعة أصدقاء الفن)، بشكل جمعية للفنون التشكيلية، فتقدم كل من أكرم شكري وعيسى حنا وكريم مجيد بطلب الى وزارة الداخلية لتأسيس الجمعية وتمت الموافقة في (٧ كانون الثاني/ ١٩٤١)، وانتخب أكرم شكري رئيسا للهيأة الادارية وعضوية عطا صبري وجواد سليم. فتأسيس الجمعية يدل على الحاجة الملحة التي اقتضتها ظروف المثقف العراقي للتعاون المعرفي والمهني[١٥٣].كما كان تأسيس الاذاعة من مظاهر النهضة التي تعرف عليها المجتمع العراقي، فقد كان لولع ومعرفة الملك غازي بالعمل اللاسلكي الأثر في تأسيس اذاعة (قصر الزهور)في العام ١٩٣٦، لتكون اذاعته الخاصة وقد أنشأها في دار ملاصقة لقصر الزهور فقد بدأت الاذاعة بمحطة واحدة بسيطة نصبت وتناولت بث الاغاني والأخبار والروايات العالمية والمحاضرات العسكرية، ثم تطورت لتكون مسموعة في الاقطار المجاورة وخصوصا في بداية العام ١٩٣٩، عندما أصبح للاذاعة خمس محطات[١٥٤]. أما اذاعة بغداد فقد تأسست في (١تموز / ١٩٣٦) وكانت تعرف بـ (الاذاعة اللاسلكية للحكومة العراقية) فكانت ملحقة بوزارة المعارف ثم بوزارة المواصلات والاشغال ثم بوزارة الداخلية ثم أصبحت تابعة لمديرية الدعاية العامة وتنوعت برامجها الثقافية والاجتماعية والفنية[١٥٥]. فأسهمت الاذاعة العراقية بعد تأسيسها في إذكاء النشاط الثقافي في العراق، باستدعائها عدداً من الادباء لالقاء قصائد أومحاضرات ادبية على مستمعيها. وقد خلقت هذه المواد تعقيبات نقدية واسعة في الصحف العراقية[١٥٦]. كما إتسعت في هذه المدة زيارة رجال الفكر والثقافة العرب منهم أحمد حسن الزيات فقد أنتدب للتدريس في (دار المعلمين العالية) في بغداد، ود. زكي مبارك المنتدب للتدريس ايضاً، وإبراهيم عبد القادر المازني مندوب عن جريدة (البلاغ)

---

[١٥٣] موقع وزارة الثقافة، العراق، تاريخ الفن العراقي، جمعية اصدقاء الفن ، www.minstryofculture.com

[١٥٤] د. لطيف جعفر فرج : مصدر سابق، ص٢٢٠ ـ ٢٢١.

[١٥٥] عبد الرزاق الهلالي :معجم العراق. ..... ج١، مصدر سابق، ص ٥٧ ـ ٥٨.

[١٥٦] عباس توفيق : مصدر سابق، ص٤٨.

للعمل في العراق وغيرهم الكثير، كما توافدت الفرق المسرحية المصرية لتقديم عروضها في بغداد مثل فرقة (فاطمة رشدي) التي مثلت روايات (دليلة)، و(زيتون)، و(ليلة من الف ليلة)، وكانت فرقتها قد زارت العراق سابقا وقدمت عروضا منها(كليوباذترة)، و(السلطان عبد الحميد)[157]، فضلا عن زيارات سابقة لفرقة (جورج أبيض) وتقديمها العروض المسرحية مثل (لويس الحادي عشر)، و(هاملت)، و(يوليوس قيصر)[158]. كما كانت لزيارة فرقة (يوسف وهبي) الى بغداد في (تموز / ١٩٣٦) أهمية كبيرة لتنقلها في ألوية العراق وتقديمها الروايات منها: (نجم هوى)، و(اولاد الفقراء)، و(الدفاع)، و(اولاد الذوات)، و(الاستعباد)، و(الشهيدة)[159]

كما كان للصحف والمجلات دور ثقافي فهي تعنى بالادب والفكر في هذه المرحلة، فلقد صدرت العديد من الصحف والمجلات الادبية ومنها المجلات الاتية: (الحاصد) لصاحبها أنور شاؤول، و(الوميض) لصاحبها لطفي بكر صدقي، و(المؤرخ) لرزوق عيسى، و(الاعتدال) لمحمد علي البلاغي ، و(عطارد) لصاحبها محمد محمود القشطيني، و(الهاتف ـ النجف ثم بغداد) لجعفر الخليلي، و(العصر الحديث) لعبد الرسول الخالصي، و(فتاة العراق) لحسيبة راجي، و(المجلة ـ الموصل) لعبد الحق فاضل، و(الغري ـ النجف) لصاحبها عبد الرضا كاشف الغطاء وغيرها من المجلات. أما الصحف فمنها من واصل الصدور من مدد سابقة، أما الصحف التي صدرت في هذه المرحلة منها: (الطريق) لتوفيق السمعاني، و(العقاب) ليونس بحري، و(صوت الاهالي) لكامل الجادرجي، و(الثبات) لمحمود رامز ، و(العندليب) لعبد الامير الناهض، و(المبدأ) لجعفر أبو التمن، و(الناقد) لميخائيل تسي، و(النداء) لتوفيق السمعاني، و(الانقلاب) لمحمد مهدي

[157] غانم وحيد الجبوري : مصدر سابق، ص ١١٤ ـ ١٣٤.

[158] عباس بغدادي : مصدر سابق ، ص ٨١ ـ ٨٢.

[159] غانم وحيد الجبوري : مصدر سابق، ص ١٣٤.

الجواهري، و(الاخبار) لرفائيل بطي، و(الرأي العام) لمحمد مهدي الجواهري وغيرها من الصحف. [١٦٠]

أما عن إسهامات الشعراء فيرى يوسف الصائغ بقوله "لقد شغل شعراء العراق مسافة طويلة من الواقع الشعري مستجيبين في أحسن الاحوال الى حاجات العراق السياسية والاجتماعية عن طريق الشعر، مساهمين الى حد كبير في تحديد الذوق الشعري لجمهورهم والربت عليه، وتبقى حقيقة في أن هولاء الشعراء مايزالون يمارسون أساليب الشعر القديمة، وإن إبتعدوا أحيانا عن تزويقات الفترة السابقة وأنهم ظلوا حتى نهاية حياتهم لايجدون غضاضة في أن يكثروا شعر المناسبات، وأن يقتصر تجديدهم على صياغة الأفكار الحديثة شعرا ، فقد عالجوا بالشعر المشاكل السياسية والاجتماعية، وتنازلوا عن الولع بالمحسنات البديعية إلّا أنهم لم يضيفوا شيئا كبيرا ."[١٦١] الا أن للدكتور يوسف عزالدين رأيا اخر فهو يرى أن الشعراء عالجوا المشكلات الاجتماعية مشكلة المرأة (السفور ـ الحجاب ـ التعليم)، ومشكلة الفلاح والاقطاع (الفقر ـ المرض ـ الجهل ـ الاقطاع ـ التعليم) فقد تناول الشعراء هذه المشكلات دون حلول أوالتركيز على فكرة محددة للاصلاح انها عواطف ثائرة اتقدت عندما رأوا ـ على سبيل المثال ـ حالة الفلاح المتردية فأراد أن يصلحها باسعاد الفلاح ورفع مستوى حياته وليس من عمل الشاعر ان يقدم مشاريع إصلاحية انما عليه ابراز الحالة السيئة لينبه الشعور ازاء هذه القضايا[١٦٢]. ولكن الشاعر بقي أسير دراساتهِ واهتماماتهِ التقليدية، وهذا ماجعله بعيدا عن تطورات التيارات الفكرية التي أخذت تنتشر معالجةً مختلف القضايا الاقتصادية والاجتماعية فلا يتعدى اطلاعه الا بعض المفاهيم الشائعة فالشاعر معروف الرصافي التقى في رحلاته المتعددة الى تركيا والشام

[١٦٠] د. عبد الاله أحمد : نشأة القصة وتطورها في العراق........، مصدر سابق، ص٤٣٢ ـ ٤٣٦.
[١٦١] يوسف الصائغ : مصدر سابق، ص ١٣ ـ ١٤.
[١٦٢] د. يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث. ....، مصدر سابق، ص٢٧٠ ـ ٢٧٢.

بشخصيات يسارية أو اطلع على الاداب التي تدخل ضمن (الفن للمجتمع أوللحياة)، فأخذ ينشد قصيدته (الى العمال) في الحفل الذي أقامته جمعية عمال الميكانيك في (١ كانون الثاني / ١٩٣٣) قائلاً:

انما الحق مذهب الاشترا
كية فيما يختص بالأموال
مذهب قد نحا اليه أبو ذر
قديما فى غابر الأجيال
ليس فرض الزكاة فى الشرع
الاخطوة نحو مبتغاه العالى[١٦٣]

وعلى الرغم من ذلك فهناك صور مبكية يصورها الشاعرمعروف الرصافي في تناول القضايا الاجتماعية فقصيدته (اليتيم في العيد) يقول فيها :

ألا ليت يوم العيد لاكان انه
يجدد للمحزون حزنا فيجزع
يرينا سرورا بين حزن وانما
به جد والسرور تصنع
فمن بؤساء الناس فى يوم عيدهم
نحوس بها وجه المسرة أسفع
قد أبيض وجه العيد لكن بؤسهم
رمى نكتا سودا به فهو أبقع[١٦٤]

كما أعطى الشاعر أحمد الصافي النجفي صورة صادقة لحالة الفلاح قائلاً:

[١٦٣] عزيز السيد جاسم : معرف الرصافي. .... قصة خمسين عاما في كبرياء الشعر، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٩٠، ص ١١١ ـ ١١٢.

[١٦٤] عزيز السيد جاسم : مصدر سابق، ص ١٠٢.

رفقـــا بنفـــسك أيهـــا الفـــلاح
تـــسعى وســـعيك لـــيس فيـــه فـــلاح
لـــك فى الـــصباح علـــى عناتـــك غـــدوة
وعلـــى الطـــوى لـــك فى المـــساء رواح
فى الليـــل بيتـــك مثـــل دهـــرك مظلـــم
مـــا فيـــه لا شمـــع ولا مـــصباح
فيخـــر ســـقفك إن همـــت عـــين الـــسما
ويطـــير كوخـــك إذ تهـــب ريـــاح
عـــرق الجـــبين يـــسيل منـــك لآلـــئً
فيـــزان منـــه للغـــنى وشـــاح
يتنـــازعون علـــى امتلاكـــك بيـــنهم
ولهـــم عليـــك تـــشاجر وكفـــاح
يـــاواهب الخيـــر الجزيـــل لـــشعبـه
أكـــذا يجـــازي بالعقـــاب سمـــاح[١٦٥]

ويبدو أن حالة الفلاح وما عليها من فقر وفاقة وظلم قد احتلت عند الشعراء منزلة في شعرهم، فالشاعر محمد صالح بحر العلوم قـال قـصيدة في بـؤس الفـلاح ماجعلـه عرضة لحكم مؤبد من اجلها من قبل المجلس العسكري ألا أنـه شـمل بـالعفو في العـام ١٩٣٥، حيث قال :

أيهـــا الفـــلاح فـــيمن ترجـــى
فـــرج وخـــير الفـــرج
وحواليـــك أفـــاعٍ لـــسعت
قـــصب الكـــوخ بنـــاب الحـــرج

[١٦٥] عبد الكريم الدجيلي : مصدر سابق، ص ٧٣ ـ ٧٤.

كـــــم نعـــــيم أحرزتـــــه فئـــــة
هـــو مـــن دونـــك بـــؤس فانـــك
وقـــــــصور ســــــلبتها ســــــلطة
منـــك بـــالجور وأنـــت المالـــك
ومـــــــصابيح علتهـــــــا بهجـــــــة
هـــــى لـــــولاك ظـــلام حالـــك
أبهـــــذا الوضـــــع تحيـــــا أمـــــة
وبهـــا الظلـــم وبـــاء هالـــك [١٦٦]

ولاتختلف مضامين قصائد الشعراء الاخرى عـن هـذه القـصائد مثـل محمـد رضـا الشبيبي، وعلي الشرقي ومحمد مهدي الجواهري وغيرهم من الشعراء الذين اعطوا بعـدا اجتماعيا لمضامين قصائدهم. فالغاية الاولى من هذه القصائد هي إثارة الـسخط وهـذا واضح جدا في قصيدة الجواهري حيث يقول :

ألا قـــوة تـــستطيع دفـــع المظالـــــم
وانعـــاش مخلـــوق عـــلى الـــذل نـــائم
ألا أعـــين تلقـــى عـــلى الـــشعب هاويـــا
الى حمـــاة الـــدفاع نظـــرة راحـــــم
وهـــل مـــايرجى المـــصلحون يرونـــه
مواجهـــة ام تلـــك اضـــغاث حـــــالم
تعالـــت يـــد الاقطـــاع حتـــى تعطلـــت
عن البت فى احكامها يـد حـــاكم [١٦٧]

---

[١٦٦] عبد الكريم الدجيلي : مصدر سابق، ص ٧٥.

[١٦٧] د. يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث. ....، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

ويبدو أن الشاعر محمد صالح بحر العلوم الذي وصف حالة الفقـر أكثـر صراحـة في أن يلقي تبعات التخلف الاقتصادي والاجتماعي على السلطة من خلال :

فـالظلم منتـشر والعـدل مـندرس
والزيـغ متبـع والحـق مهتـضم
حكومـة صـوت مـن يـشكو ظلامتـه
لهـا يبعـده عـن سـمعها الـصمم
ومجلـس فيـه اخـشاب مـسندة
بلا حـراك فـاين الـنفط والـضرم[١٦٨]

وبهذا فان مظاهر النهضة في المجتمع العراقي تميزت :ـ

١. تبوأ طبقة أهل الكفاية(الوسطى) قيادة مظاهر النهضة التي عرفها المجتمـع، لقـد جاءت هذه التطورات مع حيثيات التطورات الاقتـصادية، والاجتماعيـة التـي عرفهـا المجتمع.
٢. احتلت مشكلات المجتمع أولويات تفكير المثقف العراقي، ولاسيما الفئات التي تنـزع نزعة تقدمية (يسارية)، فجاءت دعوة (الفن للحياة أوالمجتمع) ابـرز الـدعوات التـي اطرت النشاطات الادبية، (قصة، مقالة) فيما تميزت قصائد الشعراء باثارة الـسخط ضد الاوضاع المتخلفة الاقتصادية أوالاجتماعية، دون الولوج بـدعوات فكريـة تـؤطر هذا السخط.
٣. الولوج في العمل التنظيمي والتنوع في نشاطات هذه التنظيمات منهـا ماكـان يهـتم بقضايا العراق الداخلية والاقتـصادية والاجتماعيـة مثـل (جماعـة الاهـالي) ومنهـا ماكانت اهتماماته قومية مثل (نادي المثنى)، أو العمـل الايـدلوجي الحزبـي متمـثلاً بالحزب الشيوعي، وتنظيمات جاء اهتمامها فنياً بحتاً مثل (جماعة أصدقاء الفن).

[١٦٨] المصدر السابق نفسه، ص٢٨٦.

٤. الاهتمام المعرفي للنشاطات الفنية (التمثيل ـ الغناء ـ الرسم ـ النحت) من خلال فـتح معهد الفنون الجميلة أو إرسال البعثات العلمية من أجـل تـوفير الكفـاءات العلميـة للمعهد. والريادة للدفعات الاولى مـن الخـريجين ليقومـوا بتـأليف الفـرق المـسرحية، أوالنشاطات الفنية الاخرى.

٥. قادت مظاهر النهضة الى استقطاب بغـداد للشخـصيات العربيـة المثقفـة والفـرق المسرحية في أن تقدم عروضها على مسارح بغداد وبعض ألوية العراق. ومن خلال هذه العروض المسرحية التي تضمنت روائع الفن المسرحي العالمي تغـيرت النظـرة الى دور المسرح رافدا ثقافيا مهما يمكن أن يلعب دوراً في نهضة المجتمع.

٦. التنوع في اصدارات الصحف والمجلات الثقافية، فقد جذب العمل الصحفي الكفـاءات الادبية المختلفة، فقد ترأس تحرير هذه الصحف والمجـلات خـيرة الخـبرات العراقيـة المثقفة، فقد بلغت الاصدارات من الصحف والمجلات في بداية عقد الاربعينيـات الى(٦٤) صحيفة، و(٦٥)مجلة(*).

٧. طرق المثقف العراقي باب التأليف الحديث والخروج عما هو معروف مـن التـأليف في مجال الدراسات التقليدية، فكتب عبد الفتاح ابراهيم (على طريق الهند ـ ١٩٣٢ واعيد طبعه في ١٩٣٥)، و(مقدمة في الاجتماع ـ١٩٣٩) الذي تناول فيه النظريات الاجتماعية المختلفة. وبدأت رحلة السيد عبد الرزاق الحسني في توثيـق تـاريخ العـراق في مختلـف المجالات فكتـب (تـاريخ الـصحافة العراقيـة ـ ١٩٣٥)، و(الثـورة العراقيـة الكـبرى ـ١٩٣٦)، و(العراق في دوري الاحتلال والانتداب ـ١٩٣٥)، وكتب متي عقراوي (العـراق الحديث ـ١٩٣٦)، وكتب هاشم جواد(مقدمة في تـاريخ العـراق الاقتـصادي ـ ١٩٤٦)، وكتب عبد الرحمن الجليلي (النظام النقدي في العراق ـ ١٩٣٦)، وكان قد صدر في اوائـل الثلاثينيات (مقالات ١٩٣١ ـ١٩٣٢) لفهمي المدرس في جزءين وكتب عبـاس العـزاوي

(*)انظر : زاهدة ابراهيم، كشاف الجرائد والمجلات العراقية، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٦.

(العراق بين احتلالين ـ ١٩٣٥)وكتب طه الهاشمي (جغرافية العراق ـ ١٩٣٦)وغيرهـا من مؤلفات هذه المرحلة التي إهتمت بالشأن العراقي.

٨. كان لتأسيس اذاعة (بغداد) واذاعة (قصر الزهور) صدى إعلامي جديد تعرف عليـه المجتمع العراقي، ولاسيما ماكان يقدم من نشاطات ثقافية أوفنية لم يعهدها المجتمع العراقي من قبل، فكانت اذاعة بغداد من الاذاعات الرائدة في الشرق.

المطلب الثاني : عوامل الاضطراب :

من أهم العوامل التي اسهمت في عدم الاستقرار في المجتمع العراقـي وسـيادة حالـة الاضطراب هـي:

اولاً: العامل السياسي: لقد قاد التضارب في السلوك والاتجاهـات بـين أبنـاء طبقـة (الذوات) إلى تجاهل الوسائل السياسية المتاحة في الصراع السياسي من أجل الوصـول الى السلطة فلم تكن تلك الوسائل كافية حسب اعتقادهم بوصفها قاعـدة اساسـية لبنـاء صرح انظمتهم السلطوية لذلك اتجه (الذوات ـ السياسيون) الى بناء جهاز شخصي مـن الاتباع الذين يمثلونهم في الطمـوح للـسلطة وبـذلك، كانـت خطـواتهم تفـرغ الهياكـل السياسية المتعارف عليها من فحواها السياسية ويجعلونها نظماً شكلية تكـاد تكـون فاقدة العصب والروح[١٦٩] ولم تكن خطوات اقحام العـشائر والجـيش مـن قبـل رجـال السياسة الا اولى الوسائل التي قادت المجتمع الى اضطراب عام تجد نتائجه على مر تاريخ العراق الحديث. اذا اردنا أن نحدد الشخصيات التي لعبت دورا في اثارة الاضـطراب، مـن أجل اطماعها في السلطة، نجد أن السلطة كانت بالنسبة لهذه الشخصيات هـي الغايـة الاولى والاخيرة، فلم تكن هناك ادوار للاحزاب التي أسسوها، ولا للمعارضة التي قادوها تحت (شعارات وطنية) يرددونها، فغاياتهم واحدة وهي (السلطة) وان إختلفت وسـائل الوصول اليها، فاذا كان نـوري الـسعيد وياسـين الهاشـمي يـشكلان قطبـي العمليـة

[١٦٩] د. ايليا حريق : مصدر سابق، ص ١٤ ـ ١٥.

السياسية في عقد المعاهدات العراقية - البريطانية، فالسعيد يتولى القيادة الموالية للانكليز والهاشمي يتولى القيادة المعارضة للانكليز وكأنما العملية لاتخرج عن مناورة سياسية متفق عليها، فتحدي نوري السعيد في الولاء التام للانكليز هو الذي خلق معارضة ياسين الهاشمي ولعل د. فاضل حسين كان دقيقا جدا في وصف ياسين الهاشمي بالمعارض الموالي(loyal opposition)[١٧٠] فقد كانت معارضتة اقحام العشائر في السياسة واسقاط الحكومات المتتالية وكما مر معنا سابقا في ابعاد السلطة، فعلى الرغم من معارضته للنفوذ الانكليزي في العراق يعلن في حديث مع مراسل (الديلي ميل) البريطانية في بغداد بعد وفاة الملك فيصل[*] "الكل يعتقد باني من المعادين للانكليز واني أعرف أن الناس في انكلترا والانكليز هنا يعتقدون هذا الرأي، فاني أصرح للديلي ميل بانني لست من المعادين للانكليز ... وسواء أكنت ضد الانكليز ام لا فسيثبت ذلك بكل وضوح المستقبل القريب"[١٧١]. فكانت كل خطواتة في المعارضة هي خطوات نحو السلطة، إبتداءً من معارضته في عقد المعاهدات، وتغذية الاضرابات العمالية لسنة ١٩٣١، فقد نشأ الاضراب بين الحرفيين والعمال الصناعيين والباعة احتجاجا على قانون رسوم البلدية الذي شرعته حكومة نوري السعيد في (٢حزيران / ١٩٣١)، فبدأ الاضراب في بغداد ليمتد الى كل ألوية العراق، فقد تحول الاضراب من تظاهرة عمالية الى سلاح سياسي بيد ياسين الهاشمي من خلال طلب العون من رئيس جمعية (أصحاب الصنائع)

---

[١٧٠] د. فاضل حسين : مقدمة كتاب ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية. ...، للدكتور سامي عبد الحافظ القيسي، مصدر سابق، ص٦.

[*] يجد د. سامي عبد الحافظ القيسي أن فشل ياسين الهاشمي في تزويج ابنته الصغرى من الملك غازي والاسراع بتزويج الملك غازي من الاميرة عالية السبب المباشر في الاعلان الصريح في التحول الى الجانب البريطاني لقد اراد الارتكاز على جانب قوي، وهذا ما أكده ناجي شوكت برأيه المتمثل بسعي نوري السعيد الحثيث على عدم اتمام زواج الملك غازي من ابنة ياسين الهاشمي، فنوري السعيد كان يردد(هاي عايزة ياسين يصبح عم الملك). المصادر : سامي عبد الحافظ القيسي، مصدر سابق، ص ١٦٣ وناجي شوكت، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

[١٧١] د. سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

محمد صالح القزاز إلى الاستمرار في الاضراب، ومع تفاقم الاوضاع أغلقت السلطة جمعية (أصحاب الصنائع) وفروعها، وامرت بتوقيف رؤوساء النقابات وطاردت المضربين فاحتجت الاحزاب المعارضة على القساوة التي مارستها الشرطة ضد المضربين. وعزى الى ياسين الهاشمي أن الاضراب سيستمر ما لم يجبر نوري السعيد (رئيس الوزراء على الاستقالة) وهنا تكمن اوضح الدلائل على نوايا الهاشمي في صراعه من اجل السلطة[١٧٢]. فكانت ظاهرة عدم الاستقرار السياسي من الظواهر (الطبيعية) فبعد استقالة وزارة جميل المدفعي الثالثة التي لم يمضِ على تأليفها اكثر من أحد عشر يوماً بعد أن تحركت العشائر الموالية لرشيد عالي الكيلاني وياسين الهاشمي بحيث جاءت وزارة ياسين الهاشمي الثانية في (١٢ آذار / ١٩٣٥)، لتضرب السلاح الذي استخدمته هي سابقا وذلك بضربها العشائر خوفا من أن يستخدم ضدها من قبل السياسيين الطامعين في السلطة. فكانت خطوات هذه الحكومة وكما يقول ناجي شوكت تمثل "كل الكوارث التي إنصبت على أبناء البلاد نتيجة لتحزب رجال السياسة والاحزاب لفريق من رؤساء العشائر دون فريق"[١٧٣]. فأعلنت الاحكام العرفية في الرميثة وسوق الشيوخ ومنطقة بارزان وسنجار والدغارة بتوقيف تنفيذ قانون أصول المحاكمات الجزائية وقانون ادارة الألوية وقوانين الجمعيات والاجتماعات والتجمعات. وقانون دعاوى العشائر وقانون المطبوعات وقانون انضباط موظفي الدولة والخدمة المدنية وقانون القضاة والحكام[١٧٤]. لقد صدرت احكام قاسية في حوادث الفرات الاوسط فكانت بين الاعدام والسجن المؤبد والنفي والغرامات ومصادرة الاملاك والجلد وكما مر معنا سابقا ولكن لنر ماذا يقول ياسين الهاشمي عن هذه الاوضاع في رسائل خاصة الى ناجي شوكت منها" لابد وقد اطلعتم على تأديب العشائر .... فالأمور هدأت

---

[١٧٢] د. سامي عبد الحافظ القيسي: مصدر سابق، ص ١٣٦ ـ١٤٢.

[١٧٣] ناجي شوكت: مصدر سابق، ص ٢٦٥.

[١٧٤] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات. .... ج ٤، مصدر سابق، ص ٩٩ ـ ١٠٨ .

من كل الجهات، وليس الهدوء ناشئا من إرشاد أوإقتناع فحسب بل إجراءات اتخـدت في الديوانية وفي المنتفك بواسطة الشرطة، والشدة استعملت في بغداد. ...."[١٧٥] لقـد كانـت خطوات الهاشمي نحو الحكم الدكتاتوري من خلال الهالة التي احاطت اسـمه اشـعاعا وزادت الدعوات في أجهزة الاعلام السورية والعراقية وصار الهاشمي الرمـز الـذي يمثـل (القومية العربية)، فالعراق بروسيا العرب وأن الهاشمي بسمارك العـرب[١٧٦]. وجـاءت مقالات جريدة الاخاء الوطني التي أخذت تؤكـد أن دكتاتوريـة موسـوليني في ايطاليـا ليـست بالحكم الفردي المستبد ولا خرجت في ممارستها على القانون، بل قامت في نطاق القانون لتعزيزه. انها الحكم الذي تدين له الامة بالثقة والتأييـد، كمـا أخـذ الهاشـمي يستنكر النظام الدستوري ووصفه أنه غير فعال، ولا يساعد على تحقيـق اداء الرسـالة التاريخية المترتبة على هـذا الـشعب[١٧٧]. لقـد اسـهمت اجـراءات الهاشـمي في تحديـد تصرفات الملك غازي المتمثلة بمنعه من الاتصال بضباط القوة الجوية في زيادة الاسـتياء ضد سلطته كما ازدادت حدة المعارضـة نتيجـة لاسـتخدامه القـوة في معالجـة الامـور فرفعت المذكرات الاحتجاجية الى الملك غازي من قبل جعفـر أبـو الـتمن ومحمـد رضـا الشبيبي وتوفيق السويدي وعبد العزيز القصاب وحمدي الباجه جي وقابل الملـك غـازي جعفر أبو التمن وحكمت سليمان، فكانت خشية الهاشمي[*] كبيرة من أن يسحب الملك غازي ثقته عن وزارته[١٧٨]. لقد ازدادت الـدعوات لاقامـة النظـام الـدكتاتوري فأخـذت الاصوات المساندة للهاشمي تثني "على الحكومة أن تستخدم الجيش لنهضة العراق وان تعتمد عليه باعتباره اساس الحياة كما استخدمه مصطفى كمال لنهضة تركيـا وكمـا

---

[١٧٥] ناجي شوكت : مصدر سابق، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

[١٧٦] د. حسين فاضل : مقدمة كتاب. ...، مصدر سابق، ص ٦.

[١٧٧] د.سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق، ص ١٩٦ ـ١٩٧.

[*]لكن هرب اخت الملك غازي مع خادم فندق يوناني ابعدت عن الهاشمي قلقه وتمكن من احكام قبضته على الملك غازي، المصدر :لطفي جعفر فرج، مصدر سابق، ص ١١٢.

[١٧٨] لطفي جعفر فرج : مصدر سابق، ص ١١٠ ـ ١١٢.

استخدمه الشاه لنهضة ايران"[179] واخيرا جاء الإعلان صريحا باعلان النظام الدكتاتوري لتوفر الزعيم لهذا النظام " تحدث هناك مسائل في المستقبل تجبرنا على إعلان الدكتاتورية وادارة العراق وفقا للطريقة الدكتاتورية. ..... يجب أن نجعل من الهاشمي زعيما يقود هذا البلد ويجب أن نطلب من الهاشمي ان يمشي بخطوات غير اعتيادية."[180] أما الشخصيات الاخرى التي لاتقل طموحا وطمعا في السلطة وكانت مصدر اضطراب، مثل حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني، فهما وحسب تعبير ناجي شوكت "فرسا رهان يتسابقان فيتفقان حينا ويختلفان حيناً اخر."[181] فهما ابتدعا تدخل العشائر والجيش في السياسة، ولنقف عند حكمت سليمان فاذا كان ياسين الهاشمي يشكل القطب المواجه لنوري السعيد سياسيا، فان حكمت سليمان يشكل (القطب) المواجه لياسين الهاشمي، وأن كان أقل منه جدارة في العيب للوصول الى السلطة، فيجد د. مجيد خدوري أن أسلوب اقحام الجيش في السياسة جاءه "من نجاح أخيه محمود شوكت باشا وبطولته في قيادة الحملة من سلانيك وارغام السلطان عبد الحميد الثاني على النزول عن العرش."[182] ولهذا برز في عالم السياسة بنفوذ اخيه، ولكنه فقد هذا النفوذ بعد مقتل أخيه وعودته الى بغداد سنة ١٩١٣[183]. لقد كان إنضمامه الى (جماعة الاهالي) على خلفية تأسيس (جماعة الاهالي) جمعية سرية، تعمل في ضوء (المبادىء الشعبية) لجماعة الأهالي، وهنا يظهر السلوك السياسي لجماعة الاهالي في استقطاب الشخصيات السياسية وجعلها قوة معارضة للسلطة، فقد نجحت في استقطاب جعفر أبو التمن للعمل في (جمعية السعي لمكافحة الامية)، واستقطاب حكمت سليمان لمعرفتهم السابقة لسخطه على سلطة الهاشمي لحرمانه من منصب

---

[179] محاضر مجلس النواب، محضر الجلسة الرابعة عشر، في (٣١ كانون الاول / ١٩٣٥)، ص ٧٧.

[180] محاضر مجلس النواب، محضر الجلسة السادسة عشر، في (٦ كانون الثاني / ١٩٣٦)، ص ١٠٧.

[181] ناجي شوكت: مصدر سابق، ص ٢٦٣.

[182] د. مجيد خدوري: نظام الحكم . ....، مصدر سابق، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

[183] مير بصري : أعلام السياسة. ... ج٢، مصدر سابق، ص٢٦٦.

وزارة الداخلية واسنادها الى رشيد عالي الكيلانـي، لقـد لعـب كامـل الجـادرجي دورا في عملية الاستقطاب، وقسمت قطاعات الاتصال على أعضاء الجمعية السرية فقـد كلـف جعفر أبو التمن الاتصال بجماعته من الحزب الوطني، واخذ حكمت سـليمان الاتـصال برجال الجيش بوساطة بكر صدقي، وعهد الى كامل الجـادرجي وعبـد الفتـاح ابـراهيم ومحمد حديد الاتصال بالشباب المثقف والموظفين الحكوميين[١٨٤]. وفي الواقع أن البحـث في المواقف المضطربة التي خلفتها هذه الشخصيات ليس الغاية لاننا سبق أن تناولنـاه في أبعاد السلطة ولكن الوقوف على طبيعة عمل التنظيمات الوطنيـة المتمثلـة في (جماعـة الاهالي)، والقومية المتمثلة بـ(نادي المثنى)، فقد أثار إشتراك (جماعة الاهالي) في إنقـلاب (٢٩ تشرين الاول / ١٩٣٦)وفي الحكم الذي إنبثق عنه سؤالٌ هو" كيف تـشترك جماعـة ديمقراطية تقول ان الديمقراطية لديها وسـيلة عمـل، وغايـة تـستهدف تحقيقهـا في المجتمع ؟"[١٨٥] فهذا كامل الجادرجي يعلل الاشتراك بالانقلاب بقولـه "أن الديمقراطيـة ترى من حقها، بل من واجبها عدم التقيد بأساليبها المعتادة، حينما ترى في البلاد حكماً مطلقا غاشما لايسمح بحرية الرأي، ولا بحرية النشر، ولا بحرية الاجتماع، ولا بتأليف الاحزاب. وحينما تستولي على البلاد دكتاتوريـة غاشـمة تخنـق انفـاس الديمقراطيـة، ولاتدع لها مجالاً لاي عمل حر. وحينئذ تسلك طريق الثورة. "[١٨٦] وهذا ماأكده ايـضا في مذكراته حين قال " اذا سدت بوجه الشعب جميع السبل الديمقراطية فلا بد من اللجوء الى إستعمال القوة "[١٨٧]. ويجد جعفر أبو التمن أن الانقلاب جـاء رد فعـل عـلى سـلوك حكومة الهاشـمي المتمثلـة في " اتبـاع سياسـة التحـزب، وتقـديم المحـسوبين عليهـا والمنسوبين اليها وتحقيق المصالح الشخصية والمنافع الذاتية، ذلك ممـا زاد في الاسـتياء

---

[١٨٤] كامل الجادرجي :مذكرات كامل االجادرجي وتاريخ الحزب الـوطني، بـيروت، ط ١، ١٩٧٠، ص ٢٩ ـ ٣٢.

[١٨٥] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق. ......، مصدر سابق، ص ٢٥٣.

[١٨٦] المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

[١٨٧] كامل الجادرجي : مصدر سابق، ص ٢١٠.

العام، وسخط الجمهور العراقي. "[188] أما حكمت سليمان فيبرر ذلك بقوله " أن الوسائل الديمقراطية مفقودة، فالمجلس النيابي صنيعة الوزارة، الفئة من أخصائها وانصارها والاجتماعات العامة ممنوعة، صحف المعارضة معطلة والجواسيس في كل مكان. ... ايش تعمل، الثورة اشكال، هل تُحرض القبائل كما هم حرضوها.... الجيش ايضا ضاق ذرعا بقمع الفتن. ...لم يبق أمامنا الا الالتجاء الى الجيش. .... "[189]. ويدرج حسين جميل (حق) الثورة من خلال ابراز الوثائق الدولية، منها اعلان الاستقلال الاميركي في (٤ تموز / ١٧٧٦)، ودستور فرنسا لسنة ١٧٩٣، ودستور الجمهورية الرابعة، والاعلان العالمي لحقوق االانسان لسنة ١٩٤٨[190]. على الرغم من سوق هذه المبررات يثار سؤال هل هو إعلان صريح لافلاس المثقف من البحث عن وسائل عمل يستطيع فيها تقويض السلطة؟ وهل الصراع وصل الى الحد الذي يستخدم فيه الجيش لتغيير السلطة ولم يمضِ على تأسيس الدولة العراقية الاخمسة عشر عاماً؟ وعلى الرغم ممايذكره كامل الجادرجي بانه لعب الدور الاساس في عملية إستقطاب العناصر المناوئة للسلطة، فهل كان المثقف الاداة الايدلوجية والواجهة الشرعية بيد الطامعين في السلطة وهما (حكمت سليمان ـ بكر صدقي)؟ وفي الواقع لم تكن عملية الانقلاب الا صراعا من أجل السلطة فعلى الرغم من تبني (جماعة الاهالي) الانقلاب فقد أعطت هذه الجماعة الفرصة للطامعين في السلطة، فكان طموحها يمثل طموح الفئات المثقفة من أهل الكفاية (الوسطى) للسلطة التي بدأت تبحث عن موقع قدم في مواقع السلطة المختلفة، فعلى الرغم من التغيرات التي حدثت في المجتمع بقيت القيادات التقليدية مسيطرة على جميع المراكز المهمة في الدولة فقد ضمت وزارة الانقلاب اربعة وزراء جدد لم يسبق لهم الاستيزار بعيدين عن الاسماء المتعارف عليها في الوزارات السابقة وهم

---

[188] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق. ......، مصدر سابق، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

[189] المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٧.

[190] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق. .....، مصدر سابق، ص ٢٥٨ ـ ٢٦١.

نــاجي الاصــيل وكامــل الجــادرجي وعبــد اللطيــف نــوري ويوســف عزالــدين ابراهيم[*].بعضهم يشير (عن بعد) بأنه انقلاب قاده (الاكـراد والـشيعة) وفي الواقـع أن الجماعة قد ضمت فئات مذهبية مختلفة فكامل الجادرجي صاحب الـدفاع المـستميت عن الانقلاب، لم تكن آراؤه في الشيعة تـذكر بطيـب[**]. عـلى الـرغم مـن أن منـشورات الانقلاب التي القيت من سماء بغداد صبيحة يـوم الانقـلاب قـد صـيغت في بيتـه وهـذا مايؤكده السيد عبد الرزاق الحسني قائلاً "وقد علمنا مـن أوثـق المـصادر أن الـذي هيـأ مسودة هذا المنشور هم السادة محمد جعفر أبو الـتمن، وكامـل الجـادرجي، ومحمـد حديد، كما أن هؤلاء الذوات هم الذين اعدوا صيغة الكتـاب الـذي وقعـه الفريقـان بكـر صدقي وعبد اللطيف نوري ورفعاه الى جلالـة الملـك (غـازي) وقـد تـم كـل ذلـك في دار الجادرجي كامل."[١٩١] وجعفر أبو التمن (الشيعي المعتـدل)، وحكمـت سـليمان وبكـر صدقي (من السُنة) ولكنهما لايعيران للمذهب اهتماما كبـيرا فمـن يطلـع عـلى سـيرة حياتهما يجدهما اصـحاب مجـالس" أنـس وشرب "[١٩٢]. لقـد فـشل تحـالف المثقـف (الوطني) الذي مثلته (جماعة الاهالي) والجيش فقد لمسا تلاعـب جماعـة بكـر صـدقي بنتائج الانتخابات النيابية للمجلس في (٢٠ شـباط / ١٩٣٧)، فقـد حـصلا عـلى (١٢) مقعدا في حين حصل أنصار بكر صدقي على أغلبية المقاعـد ومنـذ ذلـك التـاريخ أخـذت علاقة (جماعة الاهالي) ببكر صدقي تزداد سوءا لأنهم أخذوا يلمـسون ميلـه للتـدخل في شؤونهم عن طريق فرض ممثليه في اوساطهم[١٩٣]. فكانـت النتيجـة ان قـدم كـل مـن جعفر أبو التمن (وزير المالية) وكامل الجادرجي (وزير الاقتصاد والمواصلات) ويوسـف

---

[*] انظر : ظروف تشكـيل الوزارة، السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الـوزارات. .... ج٤، مـصدر سـابق، ص ٢٢٩ ـ٢٣١.

[**] انظر: مير بصري، اعلام العراق...... ج٢، مصدر سابق، ص ٢٧٨ ومابعدها.

[١٩١] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات. ...... ج٤، مصدر سابق، ص ٢١٣.

[١٩٢] المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٧.

[١٩٣] كامل الجادرجي: مصدر سابق، ص ٤٤.

عز الدين ابراهيم (وزير المعارف) استقالتهم من الوزارة في (٤ حزيران/ ١٩٣٧)، وساند موقفهم صالح جبر (وزير العدل) فقدم استقالته[١٩٤]. وعطلت حكومة الانقلاب (جريدة الاهالي) الى أجل غير مسمى، فضلا عن تجريد عبد القادر اسماعيل وشقيقه يوسف من الجنسية العراقية لميولهما اليسارية، وهكذا تم القضاء على (جماعة الاهالي) كقوة فعالة سياسية في الظروف الراهنة[١٩٥]. أما الشخصية الاخرى التي كانت مصدراً للاضطراب، فهي شخصية رشيد عالي الكيلاني فقد لعب لقب (الكيلاني) دوراً فاعلاً في صعوده السريع الى تبوئ السلطة، ومن السلطة جاءت ثروة الكيلاني فقد صار يمتلك مساحات واسعة من الاراضي باساءة آلية تسوية الاراضي فضلاً عن استغلال نفوذه وزيراً للداخلية في حكومة الهاشمي (الثانية) سنة١٩٣٦ ليبتز ايجارات حائزي الاوقاف القادرية التي أصبح في السنة نفسها وصياً عليها[١٩٦]. لقد برز الكيلاني الى الواجهة من خلال تحريضه للعشائر واسقاط الوزارات من خلال تحالفه مع الهاشمي. وبعد تعيينه في منصب وزير الداخلية ساند الهاشمي في ضرب العشائر وفي رسالة خاصة لناجي شوكت يوضح عملية ضرب العشائر قائلاً "برهن الجيش الباسل على مقدرته وتأديبه في ضرب العشائر الذين أكثرهم من افرادها .. والآن نحن مشغولون بالإجراءات الفعالة في تحصيل الغرامات، وجمع الاسلحة من العشائر المتمردة، والتأديب من شنق وحبس وترحيل لئلا يجرأ من تسول له نفسه بالخيانة"[١٩٧]. فضلاً عن الاجراءات الاخرى المتضمنة اشغال دور العشائر المتمردة بواسطة الشرطة وجعلها مخافر لهم، وقطع النخيل المحيط بمناطق النزاع وجعلها مناطق مكشوفة[*]. لقد كانت السلطة غايته

---

[١٩٤] د. لطفي جعفر فرج: مصدر سابق، ص ١٥٤.

[١٩٥] مظفر عبد الله الامين: مصدر سابق، ص ٢٣١.

[١٩٦] حنا بطاطو: العراق. ...... الطبقات. .... ج١، مصدر سابق، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

[١٩٧] ناجي شوكت: مصدر سابق، ص ٢٧٢.

[*] انظر: البيانات الرسمية لوزارة الداخلية، السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات. ... ج٤، مصدر سابق، ص ١٢٥ ـ١٢٧.

فحبه المطلق للمنصب يجعله"ينفجر باكياً ذات مرة لأن اصـدقاءه شـطبوا اسـمه مـن الوزارة "[198]. وشكلت أحداث حركة(مايس/ ١٩٤١) اضطرابا كبيرا في المجتمع فقد اثار الكيلاني "حرباً كان (العراق) عنها في غنى، ثـم إختـار الفـرار ولـم يـواس الخائـضين غمارها. وقد تزعم جموعهم وترك الجيش وليس له عدة والمجتمع تعج به الثواكل وتقيم المناحات والمآتم. "[199]ولعل أبيات الشاعر عبد الحسين الأزري جاءت معبرة جداً في قائـد الحركة :

أين الذي أختار الفرار، وعنده   أن الفرار من الجهاد محرم

من كان يؤمن مثله بجهاده   لم يغنه غير الشهادة مغنم [200]

لقد جاء تحالف المثقف (القومي) الذي يمثله (نـادي المثنـى) والتجمعـات القوميـة الاخرى، مع الطامعين في السلطة بقيادة الكيلاني، متخذين الجيش الوسـيلة للحـصول على السلطة. لقد أملت الشخصيات العربية (القوميـة) مـن خـلال إحتلالهـا المناصـب التربوية في العراق (تطبيق النظام العسكري) في مدارس العراق بهدف (ترويض) الناشئة على تحمل المصاعب وشظف العيش، وكان للفلـسطيني درويـش المقـدادي الـذي تبـوأ مراكز تربوية في وزارة المعارف (القدح المعلى) في اخذ هذه الافكار في سبيل التطبيـق مـن خلال (نظام الفتوة) الذي شرع قوانين متتالية : قانون رقم (٥٠) لسنة ١٩٣٧ ،وقـانون رقم (٢١) لسنة ١٩٣٩ ،وقـانون رقـم (٣٧)لـسنة ١٩٤١. فـضلاً عـن تأسـيس العـرب المستخدمين في العراق (الحزب العربي القومي) برئاسة المقدادي.لقد اقام الحزب علاقته مع (كتلة الضباط القوميين)، فكان بمثابة جناح مدني للكتلة العسكرية القوميـة. أن التنظيمات القومية المعلن عنها:(جمعية الجوال العربي)، و(نادي المثنى)، والاشراف على

[198] حنا بطاطو: العراق. ...... الطبقات. .... ج١، ص ٢٤١.

[199] مير بصري: أعلام العراق. .... ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٥٥.

[200] المصدر السابق نفسه، ص٢٤٧.

(نظام الفتوة) والاتصال بـ(الضباط القوميين)، كان يقف خلفها (تنظيم سري)[*] عرف بـ(جماعة الوحدة) برئاسة المقدادي[٢٠١]. وعلى خلفية المد الذي قاده المثقف القومي دخل العراق دوامة الاضطراب السياسي من خلال الانقلاب العسكري وتشكيل حكومة الدفاع الوطني ودخول العراق الحرب وكما مر معنا سابقاً في البعد العسكري للسلطة. لقد حصد المجتمع العراقي (ثمارها) بين تشكيل (كتائب الشباب)وعسكرة الشباب العراقي واقامة الفتنة الدينية بين المسلمين واليهود وقيام اعمال النهب والسلب على خلفية الخيبة التي حصدها العراقيون من دخول حرب تقف الدوافع الشخصية للسلطة في مقدمتها. لقد جاء البيان الرسمي للاحداث الدامية التي أعقبت الحرب ليومي (١و٢ حزيران / ١٩٤١)في بغداد، عن مقتل(١١٠) أشخاص بضمنهم (٢٨) أمرأة من مسلمين ويهود أما عدد الجرحى فبلغ (٢٠٤) فضلا عن نهب الممتلكات اليهودية التي بلغت(٥٨٦) محلا، وتقدر أثمانها بـ (٢٧١٤٠٢) دينار ، وعدد الدور المنهوبة (٩١١) وكانت تقطن تلك الدور (٢٣٩٥) عائلة ومجموع أفراد تلك العوائل (١٢٣١١) نسمة ، وأن الضرر الذي لحقهم بلغ (٣٨٣٨٧٨) دينارا، لقد وقعت الاحداث على أيدي رجال الجيش والشرطة، فضلا عن مشاركة الاهلين فيها، وقد تعددت مسؤولية إثارة العنف بين المفوضية الالمانية والمستخدمين العرب والفتوة وكتائب الشباب ومحطة الاذاعة الالمانية باللغة العربية[٢٠٢]. ويبدو أن المجتمع العراقي إبتلي بموجة الطموحات الشخصية للسلطة (تيمنا) بما شهده العالم في هذه المرحلة من بروز القيادات الدكتاتورية مثل هتلر، وموسوليني، وفرانكو، واتاتورك، وبهلوي.ولانريد الدخول في متاهات الحياة الشخصية للملك غازي التي شكلت أحد مصادر الاضطراب، بقدر

---

[*]لم تكن نشاطات الجمعية السرية بعيدة عن نشاطات (د. غروبا)الوزير الالماني المفوض في بغداد انظر: نجدة فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسيين. ...، مصدر سابق، ص٨٥ ومابعدها.

[٢٠١] غانم وحيد الجبوري : مصدر سابق، ص ١٠٤ ـ ١٠٨.

[٢٠٢] السيد عبد الرزاق الحسني: الاسرار الخفية. ....، مصدر سابق، ص ٢٨١ ـ٢٩١.

مايتعلق بسعي حكومة ياسين الهاشمي الى التضييق على حياة الملك غازي التـي يجـدها السيد عبد الرزاق الحـسني ذات دوافـع اخلاقيـة[٢٠٣]. لقـد بعـدت الـشقة بـين الملـك والهاشمي على خلفية عزم الهاشمي على خلع الملك وإعلان الجمهورية، فلم يكـن الملـك غازي بعيداً عن مجريات انقلاب بكر صدقي على الرغم من تظاهر الملـك بأنـه فـوجىء بالانقلاب. الا أن الانقلاب لم يحقق تطلعات الملك نحو الزعامـة الشخـصية المتمثلـة بـــ (القيادة القومية)، فقد سيطر بكر صدقي على السلطة الفعلية في الـبلاد[٢٠٤]. لقـد اولى الملك غازي القضايا العربية في (سوريا ـ فلسطين ـ الكويت) الاهتمام الاكبر متأثراً بالمـد القومي. وكانت إذاعة قصر الزهور أشبه ما تكون بمحطـة سريـة يـديرها فريـق مـن القوميين المتطرفين[٢٠٥]. فقد حول الملـك غـازي في منتـصف عـام ١٩٣٨ اذاعـة (قـصر الزهور)الى منبر لاذاعة أخبارٍ وقصائد حماسية[٢٠٦]، وتقف مسألة ضم الكويت الى العراق من اولويات مهام هذه الاذاعة فتعد هذه المسألة من الاسباب المهمة التي قادت الى نهاية حياة الملك غازي لما لهذه المسألة من مساس بمصالح الانكليز في الصميم[٢٠٧]. لقد شكلت نهاية حياة الملك غازي مظهراً من مظاهر الاضطراب الذي شهده المجتمع العراقي. لقـد قادت عوامل الاضطراب السياسي الى بروز شخصيتين سيقدر لهما لعـب ادوار الهيمنـة التامة على الحياة السياسية في العراق حتى نهاية العهد الملكي، فعلى الـرغم مـن تنـصل الوصي على العرش عبد الاله مـن مـسؤوليات الـسلطة في بعـض المواقـف إلا أن نـوري السعيد بقي وفيّاً لنفسه في الاعراب عن رغبته وعبادته وقدرته في الوصول الى السلطة.

[٢٠٣] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات. .... ج ٤، مصدرسابق، ص ٢٠٢.
[٢٠٤] د.لطفي جعفر فرج : مصدر سابق، ص ١٣٥ ـ١٤٧.
[٢٠٥] مير بصري: أعلام السياسة. ..... ج٢، مصدرسايق، ص٢٠٧.
[٢٠٦] د. لطفي جعفر فرج: مصدر سابق، ص ٢٢١.
[٢٠٧] محمد مهدي كبة: مصدر سابق، ص ٩٥.

ثانياً: العامل الاقتصادي: لقد تفاقمت الصعوبات الاقتصادية في العراق مع حالة الاضطراب السياسي، فضلا عن آثار الحرب العالمية الثانية التي كانت شديدة الوقع على الوضع الاقتصادي، ومن أهم اسباب تردي الاوضاع الاقتصادية[٢٠٨] :ـ

١. عدم فاعلية القوانين التي إتخذتها وزارة نوري السعيد الرابعة إثر إعلان الحرب العالمية الثانية في(أيلول/ ١٩٣٩)، منها (قانون تنظيم الحياة الاقتصادية)، و(قانون منع الاحتكار) فقد هيمن لفيف من الاعيان والنواب والوزراء وكبار الموظفين على السوق مشترين ومحتكرين.

٢. عدم فاعلية (مديرية التموين)التابعة لوزارة الاقتصاد التي أنشأتها وزارة نوري السعيد السادسة، على الرغم من محاولات احصاء الموجود في السوق من المواد الغذائية الاساسية. فقد استمرت أسعار المواد الاساسية الغذائية في الارتفاع.

٣. وجود الجيش البريطاني في العراق بعد إحتلاله للمرة الثانية على خلفية أحداث (مايس/ ١٩٤١)، منافسا في شراء المواد الغذائية. على الرغم من أن السفارة البريطانية، قد نفت في بيان لها ان الجيش البريطاني يدخل منافسا في شراء المواد الغذائية الرئيسية. فقد أكدت أنها تستورد المواد الغذائية من ايران وفلسطين، كما ذكرت أنها وفرت (١٢٠٠٠) فرصة عمل للعراقيين تنفق عليهم ما يزيد على (٣٠٠٠٠) دينارٍ شهرياً. ألا أنها لم تنف قيامها بشراء الرز والشعير واللحوم والسمك، ولم تنف تشغيلها اليد العاملة العراقية لزراعة الخضر لمصلحة القوات البريطانية. الامر الذي حمل الزراع العراقيين على ترك زراعة الخضر للشعب العراقي ليشتغلوا في زراعتها للقوات البريطانية.

---

[٢٠٨] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج٦، مصدر سابق، ص ٨٠ ـ ٨٢.

٤. أسهم انفاق القوات البريطانية في زيادة النقد المتداول بنسبة (٥٠ %)، فبلـغ مقـداره أكثر من عشرة ملايين دينار وكان يتزايد بتزايد النفقات وقد صحب هذا جشع لكـسب أرباح فاحشة وحركة مضاربات في السوق وتخزين احتكاري للبضائع(٢٠٩).

٥. إعلان العراق الحرب على دول المحور ليلة(١٦ـ١٧كـانون الثـاني ١٩٤٣)، فاشـتدت أزمة التموين وارتفعت أسعار الملبوس والمـأكول ارتفاعـا جنونيـا فاحـشا، وأختفـت الحاجات الضرورية والمـواد المعاشـية مـن الاسـواق العلنيـة. فـاقر مجلـس النـواب لائحةاحـداث وزارة التمـوين في (آذار/١٩٤٤) لتتـولى الاشراف عـلى أمـور الاسـتيراد، والتصدير وتنظيم بطاقات السكر، والشاي، والمنسوجات، والخامات وغيرها من المـواد المعاشية والمنزلية والبنائية(٢١٠).

٦. تراكم على بريطانيا ديون ضخمة للعراق هي أثمان السلع والخـدمات التـي قـدمها العراق للمجهود الحربي البريطاني، وقد عدت السفارة البريطانية تلـك الـديون بأنهـا المنفعة الأساسية الناجمة من التحالف البريطاني ـ العراقي وتقدر بمئة مليون باونـد (استرليني)، وقد إدعت الحكومة البريطانية أنها غير قادرة على تسديد ديونها، ما ادى الى عقد العراق وبريطانيا(اتفاقية العملة الصعبة) في (حزيـران /١٩٤٦) التـي نـصت على أن يسلم العراق بريطانيا كل مايحـصل عليـه مـن عملـة صـعبة، مـن إيراداتـة النفطية بالدرجة الاولى، على أن تحفـظ بريطانيـا بالمقابـل مبلـغ (١٤) مليـون دولار لغرض استيرادات العراق، فقد رُبط العراق بمنطقة الاسترليني، كما أن ديـون العـراق ستسدد على أقساط صغيرة وعلى مدى مدة غير محددة(٢١١).

ولابد من الاشارة الى ان ذوات السلطة ماكانت تـشعر بـشيء مـن مـصاعب الحيـاة الاقتصادية، فكانت الحنطة والرز والـسمن حتـى الخـضر والفواكـه تنقـل اليهـا مـن

---

(٢٠٩) مظفر عبد الله الامين : مصدر سابق، ص ١٥٠.

(٢١٠) السيدعبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ....ج ٦، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

(٢١١) مظفر عبدالله الامين : مصدر سابق، ص ١٥٣ ـ١٥٤.

معارفها المزارعين ورؤساء القبائل بدون ثمن، وكانت تتدارك حاجاتها من السكر والشاي والمنسوجات من المخازن الحكومية بالسعر المنخفض. أما العامة من الناس فكانت حياتهم ليست بأفضل من نهايه حياة امواتهم، الذين يقبرون بألبستهم لعدم وجود الاكفان اللازمة لتكفينهم[٢١٢]. وتبقى رواية (النخلة والجيران)، للروائي غائب طعمة فرمان أصدق حالة تصور لنا تأثيرات الحرب في المجتمع العراقي[*].

المطلب الثالث : المثقف والسلطة بين النهضة والاضطراب :

إذا اردنا التعرف على طبيعة علاقة المثقف بالسلطة، لابد هنا من إثارة بعض الاسئلة، وهي كيف أثرت عوامل الاضطراب في مظاهر النهضة التي اضطلع بها المثقف؟ وهل يتحمل المثقف جزءاً من عوامل الاضطراب أم تبقى السلطة هي المسؤولة عن اثارة عوامل الاضطراب ؟ نحاول الاجابة عن هذه الاسئلة من خلال مناقشة النقاط الاتية : ـ

اولا: الحياة الحزبية: لقد تعرضت الحياة الحزبية للتعطيل ولعل التعطيل الجماعي الذي قامت به وزارة ياسين الهاشمي الثانية أتى في مقدمة اعمالها فبعد وصوله الى السلطة قام حزب الاخاء الوطني الذي يتزعمه، بحل نفسة في (٢٩ نيسان / ١٩٣٥)، فقد جاء في البيان الذي اصدره الحزب " لابد من إفساح المجال لابناء البلاد الغيارى على مصلحتها أن ينبذوا التحزبات القديمة ويتحدوا لتكوين جبهة واحدة تعضد الخطط الاصلاحية المنوي تطبيقها. وعليه توقف جلسات الحزب، وتعطل أعماله السياسية، على أن يسعى رجاله لتوحيد كلمة الامة وإدماج الاحزاب في هيأة واحدة"[٢١٣]. لقد أفرز هذا التعطيل أن يكون المجلس النيابي الذي ارتفع عدد نوابه من (٨٨) عضوا الى (١٠٨) أعضاءً نتيجة إعطاء قادة العشائر مقاعد جديدة في

[٢١٢] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات........ ج٦، مصدر سابق، ص ٨٢.

[*]انظر: غائب طعمة فرمان، النخلة والجبران، بيروت، ١٩٦٦.

[٢١٣] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات. .... ج٤، مصدر سابق، ص ١٠٢.

البرلمان اكثر مما كان لهم في السابق، بناء على وعد الوزارة لهم قبل مجيئها الى السلطة اغراءً لهم بتأييدها. فكان المجلس النيابي اداة تشريعية صورية تعمل ماتهواه الوزارة، فقد تميزت المعارضة بضعفها في المجلس[٢١٤]. وقد إستمر تعطيل الحياة الحزبية الى سنة ١٩٤٦، فقد استعان السياسيون بالعشائر والعسكر بدلاً من الاحزاب للوصول الى السلطة فقد ابعدت السلطة التنظيمات الحزبية عن العملية السياسية، فعلى الرغم من تأييد الشيوعيين إنقلاب بكر صدقي من خلال موجة المظاهرات المؤيدة للانقلاب التي إجتاحت الألوية العراقية يومي (٢و٣ تشرين الثاني / ١٩٣٦) للجهد المشترك مع (جماعة الاهالي)، وفي حالات معينة كان دور الشيوعيين أكبر من دور(جماعة الاهالي)، فكانت كل خطواتهم مؤيدة للحركة (الاصلاحية)، التي تبناها الانقلاب، وكانت ثمار هذا التأييد فوز مرشحين من (جماعة الاهالي) من المقربين جداً للشيوعيين بعضوية مجلس النواب وهما عبد القادر اسماعيل وعزيز شريف[٢١٥]. ولكن في يوم (١٨/آذار ١٩٣٧)، شن قائد الانقلاب بكر صدقي هجوماً عنيفاً على الشيوعيين واستبعد أن يكون العراق شيوعيا مبرراً ذلك بقوله "ليس العراق تربة صالحة للشيوعية ... أين معاملنا وأين مشروعاتنا الاقتصادية الصناعية ورؤوس أموالنا وارباب رؤوس الاموال عندنا حتى يستثمروا اموالهم بارهاق الناس فينشأ بذلك بين ظهرانينا طبقة عمال .... الذين يريدون شرا بالبلاد فيتخذون الشيوعية وسيلة لتسويد صفحة العراق وحكومته ... ولاشك في أن وراء هولاء يد الأجانب ودسائس اجنبية .... ثم أن الشيوعية لاتتماشى مع الحكومة الملكية ... أن الجيش مستعد ان يقاوم حتى النفس الاخير كل حركة. .. ويقضي على تلك الحركة القضاء المبرم أكانت شيوعية ام غيرها ..."[٢١٦] لقد إتخذت السلطة

[٢١٤] د. سامي عبد الحافظ القيسي: مصدر سابق، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.
[٢١٥] حنا بطاطو : العراق. ...... الحزب الشيوعي ج٢، مصدر سابق، ص ٩٥ ـ٩٦.
[٢١٦] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق. ......، مصدر سابق، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣.

الاجراءات العنيفة بنزع الجنسية عن عبد القادر اسماعيل وشـقيقه، ونفـي محمـد صالح القزاز الى عانه، وإغلاق (جمعية الاصلاح الـشعبي).ويجـد حـسين جميـل أن نشر حديث بكر صدقي وهذه الاجراءات كان المقصود منها (جماعة الاهالي) ومعهـم "كل الجماعـات اليـسارية والتقدميـة والديمقراطيـة."[٢١٧] ومـع أحـداث حركـة (مايس/١٩٤١)، والتي (تُوجت) خاتمتها بإعلان الاحكام العرفيـة وتعطيـل الحيـاة الحزبية بموجب الارادة الملكية المرقمة (٢٥٥) لسنة ١٩٤١، "بتوقيف قـانون أصـول المحاكمات الجزائيـة، وقـوانين إدارة الألويـة، والجمعيـات والاجتماعـات ودعـاوى العشائر والمطبوعـات وانـضباط مـوظفي الدولـة، والخدمـة والحكـام، والقـضاء، والقوانين الاخرى. "[٢١٨] وبهذا كان تعطيل الحياة الحزبيـة احـد نتـائج الاضـطراب الذي قاده ممثلو السلطة بصراعهم المستميت على الـسلطة. وحرمـان المثقـف مـن احدى الوسائل المهمة في تأطير النشاطات السياسية والثقافية.

ثانياً:الحياة الصحفية : لقد تبنت السلطة الوسيلة نفسها التي إتبعتهـا سـابقاً ازاء الصحف، وهي رشوة الصحف المؤيدة لها، وإغلاق الـصحف المعارضـة لهـا، فقـد تنافس رجال السلطة على اصوات الصحفيين من اجل تعزيز سياستهم إزاء مختلف القضايا، ويجد الشاعر محمد مهدي الجواهري هذه الوسـيلة مـن الوسـائل التـي يتقوى بها السياسي في مجالات الاشياع والاتباع، فياسـين الهاشـمي كـان يحـذر الجواهري من نوري السعيد قائلاً (مهـدي لايخـدعك). في حـين أن التنـافس بـين السياسيين يوفر فوائد مالية كبيرة للعاملين في الصحافة، فعندما أصدر الجـواهري جريدته (الفرات) في بداية الثلاثينيات اوعز نوري السعيد (الوزارة الـسعيدية الاولى) بتوقيعه وبإسمه الى كل المتصرفين في الالويـة العراقيـة، امـراً بمـساعدة جريـدة

---

[٢١٧] المصدر السابق نفسه، ص ٣٣٥.

[٢١٨] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات. ...... ج٦، مصدر سابق، ص ١٠ ــ ١١.

(الفرات)، وانهالت الاشتراكات والتحويلات عـلى الجريـدة[٢١٩]. وعنـد وزارة ياسـن الهاشمي (الثانية)، اتخذت السلطة أسلوباً واضحاً جداً في رشـوة المثقـف وهـي أن معظم ارباب الصحف أصبحوا نواباً في المجلس النيابي، فحرم الشعب ممـن ينطـق بلسانه، أوينتقد سلوك السلطة في إدارة شؤون البلاد[٢٢٠]. وقد عبر نوري السعيد عن وجود ارباب الصحف هؤلاء في رسالة خاصة الى نـاجي شـوكت قـائلاً "أن قـضية الانتخابات سوف ترى نتائجها من خلال وجود رفائيـل بطـي واتباعـه في المجلـس النيابي وهكذا خلت الدار ممن يحميها وأصبحت (الواوية)[*] كما يقولـون تـنهش وتأكل كما تشاء وتريد"[٢٢١]. فكانت جريدة البلاد لـصاحبها رفائيـل بطـي تبـارك جميع خطوات السلطة، فعند تشكيل الهاشمي (هيأة نيابيـة) في المجلـس النيـابي تقوم مقام الاحزاب ويستند اليها المجلـس النيـابي برئاسـة الهاشـمي، إمتـدحت الجريدة هذه الخطوة، قائلة (أنها وضعت حداً للخصام والنزاع، وأن الهاشـمي اراد بها تحقيقا لكرامة الاشخاص وعزة البلاد ومصلحة الشعب.. وأن المجلـس النيـابي يتميز بكفاءة اعضائه وتجانسهم الفكري .. فهو أقـوى مجلـس عرفـه العـراق.) فضلاً عن المقالات الاخرى التي حملت عناوين (هل تكـون بروسـيا مثـالا يحتذيـه العراق) و(العراق في البلاد العربية كبروسيا في ألمانيـا ـ الهاشـمي وبـسمارك)، أمـا المقالات التي إمتدحت نظام الفتوة من خلال القول(اذا كان لموسـوليني أن يفتخـر بشبابه الفاشست وهتلر يباهي بشبابه النازي فيحق للعراق وللعروبة جمعـاء أن تتباهى بشبان الفتوة البواسل)[*] كما خصصت سلطة الهاشمي مخصصات سرية

---

[٢١٩] محمد مهدي الجواهري: مذكراتي. ....ج١، مصدر سابق، ص٢٤٥ ـ٢٤٧.

[٢٢٠] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات . ... ج٤، مصدر سابق، ص ١٣٢.

[*]يبدو أن هناك أنواع من (الواوية) واوية السلطة، و واوية المثقفين ولايختلف الاثنان في العمل مـن أجـل مصالحهم الخاصة.

[٢٢١] د. محمد أنيس ود.محمد حسين الزبيدي :مصدر سابق، ص ١٥٧ ـ١٥٨.

[*]انظر مقالات جريدة البلاد : للسنوات ١٩٣٥ و١٩٣٦.

للكتاب والشعراء و(الزعماء) العرب، وكانت تصرف على شكل منح ورواتب منها ما كانت تمنح للصحف الفلسطينية مثل (الدفاع) و(فلسطين) و(الجامعة الاسلامية)(٢٢٢). أما صحف المعارضة التي تصدرها (جماعة الاهالي) فكان مصيرها التعطيل فقد صادرت سلطة الهاشمي جريدة (الاهالي) وعطلت جريدة (صوت الاهالي) مدة سنة بعد أن إنتقدت الجريدة الوضع في البلاد بعد تمرد العشائر، كما عطلت جريدة (البيان) لنشرها مقالة بقلم محمد حديد عن (إتفاقية السكك الحديدي)، التي عقدها العراق مع الجهات البريطانية والتي صدرت بعد أن عطلت السلطة جريدة (المبدأ) لجعفر أبو التمن(٢٢٣). كما كان الهاشمي مؤيداً لوزيره رشيد عالي الكيلاني (وزير الداخلية) بعدم منح إجازات جديدة للصحف، فضلاً عن تأييده في إغلاق العديد من الصحف منها (الطريق) بعد أن نشرت مقالة (عصابة يد الموت) منتقدةً الاوضاع الداخلية، كما لحق المصير نفسه جريدة (العالم العربي)، على الرغم من أن صاحبها عضو في مجلس النواب، بسبب مقالة (امرنا عجيب نحن العراقيين المسرفين) الذي عدته السلطة خطراً على الامن العام وسلامة الدولة(٢٢٤). ويبدو أن المثقف عرف اللعبة التي تصل به الى النيابة فالشاعر محمد مهدي الجواهري نشر قصيدة (حالنا اليوم في سبيل الحكم)، التي يقول فيها:

ولم يبق معنى للمناصب عندنا   سوى أنها ملك القريب المصاهر(٢٢٥)

فبعد أن اغلقت السلطة جريدة(الاصلاح) التي نشرت القصيدة عين صاحب الجريدة مظفر فهمي مدير (ناحية) في احد ألوية العراق، تعويضا له عن اغلاق الجريدة وينطلق الجواهري سالماً غانماً ايضا يقول " كما لو كنت قد مدحت الحاكمين ولست القائل

(٢٢٢) د.سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق، ص ٢٠٢ ـ٢٠٣.

(٢٢٣) كامل الجادرجي : مصدر سابق، ص ٣٥ـ ٣٩.

(٢٢٤) د.سامي عبد الحافظ القيسي : مصدر سابق، ص ٢٠٥ ـ٢٠٧.

(٢٢٥) محمد مهدي الجواهري : مذكراتي. .... ج١، مصدرسابق، ص٣١٠.

عنهم ماقلت. "[٢٢٦] بل ان الهاشمي عرض عليه نيابة لواء النجف وكربلاء قائلاً له: (اريدك للمجلس النيابي على أن لاتحرجني بقوة معارضتك)[*]. ومع إنقلاب بكر صدقي وتغيير السلطة، تغيرت لهجة جريدة (البلاد) وأخذت تنشر مقالات عن (قائد الانقلاب) تتوسط المقالات صورة لبكر صدقي ممتطيا جوادا أبيض، فبعد أن نعت رفائيل بطي الهاشمي في جلسات البرلمان الهاشمي (بابي الشعب) بايع بطي بكر صدقي بالزعامة ونعته بـ (حبيب الشعب)[٢٢٧]. فضلا عن دعوة لفيف من الصحفيين العرب في مصر وفلسطين وبيروت والشام الى زيارة العراق، وانتداب رفائيل بطي لتنسيق هذه الزيارات فجاء الصحفيون الى العراق على نفقة الدولة العراقية، واقاموا فيه مدة، ثم عادوا الى بلدانهم وجيوبهم (مثقلة بالدنانير وأقلامهم مهيأة للكتابة لتمجيد سلطة الانقلاب)[٢٢٨]. فضلا عن جريدة (الانقلاب) لصاحبها محمد مهدي الجواهري التي كانت تحت السيطرة المطلقة للشيوعيين التي دعمت الانقلاب[٢٢٩]، وأن أُغلقت على خلفية محاربة سلطة الانقلاب القوى اليسارية، واعتقل الجواهري على خلفية مجموعة من مقالات فيها انتقاد للسلطة[*]. ثم توقفت صحيفة(الاهالي)على أثر استقالة وزراء(جماعة الاهالي) من حكومة حكمت سليمان، ولم تصدر جريدة (جماعة الاهالي) الى (أيلول /١٩٤٢)، فقد اصدروا جريدة (صوت الاهالي) لصاحبها ومدير تحريرها كامل الجادرجي. فأخذت تطالب بالحقوق الدستورية كحرية الانتخابات وتأليف الجمعيات والاحزاب وحرية

---

[٢٢٦] المصدر السابق نفسه، ص ٣١٢.

[*] أنظر: تفاصيل هذا العرض.. محمد مهدي الجواهري، مذكراتي. .... ج١ مصدر سابق، ص ٣١٦ ومابعدها.

[٢٢٧] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق. ....، مصدر سابق، ص ٣٣٦.

[٢٢٨] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج٤، مصدر سابق، ص ٢٤٠.

[٢٢٩] حنا بطاطو : العراق. ..... الحزب الشيوعي. ... ج٢، مصدرسابق، ص ٩٤.

[*] أنظر: المقالات (بعد خمسة اشهر)و(حصة الشباب من الانقلاب)و (قوموا الحكم أن صديقكم من صدقكم)، جريدة الانقلاب نيسان ومايس /١٩٣٧.

النشر وحرية الاجتماع[٢٣٠]. في حين خضع العمل الصحفي لسيطرة السلطة مع بدء الحرب العالمية الثانية بناءً على ضرورة الإبتعاد عن نشر الاخبار الاستفزازية التي ترجح الوقوف الى احد الاطراف المتحاربة[٢٣١]. وبهذا كانت الصحف الوسيلة المباشرة لعلاقة المثقف بالسلطة. التي اصابها من عوامل الاضطراب الشيء الكثير، فكانت الصحف المعارضة عرضة للتعطيل، اما المؤيدة لخطوات السلطة فكانت تحظى بمباركة السلطة.

ثالثا: المثقف الوطني والسلطة : لانريد أن ندخل في سجالات (الوطنية)، التي حملت في الكثير من الاحيان نوعا من المزايدة في(ضخ) المشاعر الحماسية، فالوطني الذي نتعامل معه هو المثقف الذي يرجح معالجة القضايا العراقية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ولقد مر معنا هذا المثقف قاصاً وناقدا وفنانا ومسرحيا ونحاتا ورساماً وشاعراً ومؤلفاً في مختلف المجالات. فقد كانت نشاطات هؤلاء المثقفين تمثل سخطا فكريا على الاوضاع السائدة في المجتمع ولم يكونوا يوجهون انتقاداتهم للسلطة بشكل مباشر لأن الكتابة المباشرة محفوفةٌ بالمخاطر ويجد حنا بطاطو أن لهجة ذو النون ايوب في سبيل المثال " كانت أقرب الى لهجة إصلاحية منها الى لهجة ثورية"[٢٣٢].وهذا ما أكده د. عبد الاله احمد في أن قصص ذو النون ايوب تعالج موضوعا مفضلاً لدى القاص وهو الحديث عن فساد الجهاز الحكومي الاداري والسلوك الانتهازي، فلم يقصره على ديوان وزارة من الوزارات، فالتفسخ الاخلاقي والسياسي اللذان تميز بهما الجهاز الحكومي في الثلاثينيات مكرس في قصصه (رسل الثقافة) التي عالجت الفساد المستشري في وزارة المعارف، وقصة (البيك المثقف)، صورة لرجل دخل في ميدان العمل يحمل مثله الخاصة التي يفقدها في غمرة الاوضاع الفاسدة في الحياة

[٢٣٠] كامل الجادرجي : مصدر سابق، ص ٥٣ ـ٥٥.

[٢٣١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات........ ج٥، مصدر سابق، ص ٢٠٣ ـ٢٠٤.

[٢٣٢] حنا بطاطو :العراق. ..... الحزب الشيوعي. ...... ج٢، مصدر سابق، ص ١٥٢.

العملية، أما مجموعته (برج بابل) التي ضمت ثلاث شخصيات، رجلا جاهلا بدد ثروة ابيه للحصول على (النيابية) في المجلس النيابي، وصحفيا فاشلا أراد أن يستغل صاحبه (الجاهل)، وعالم دين قضى زهرة عمره في تحصيل علوم الدين واللغة إلا أنه ادرك أن سهر الليالي في بلاده لايوصله الى غايته في الاصلاح، ومجموعته الاخرى(الكادحون)التي جاءت مكرسة لحياة العمال والفلاحين في تصوير واقع البؤس الاجتماعي لهذه الفئات المهضومة الحقوق في المجتمع[٢٣٣]. فتعكس هذه الشخصيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العراق ولايختلف المثقفون الذين تناولوا الاهتمامات بهذه الاوضاع، فهناك ترجيح واضح للاهتمام بقضايا المجتمع العراقي، وان إختلفت درجات الطرح في معالجة هذه القضايا. فكيف كانت ردود الفعل الموجهة للطرح الوطني في المجال السياسي المباشر ضد السلطة؟ لم يكن الطرح الوطني في المجال السياسي لـ (جماعة الاهالي) ابرز تنظيم وطني موضع ترحيب من قبل فئات متعددة في المجتمع، وان إختلفت أسباب عدم الترحيب فقد جاءت من خلال :ـ

١ ـ تبلور اتجاهات داخل الجماعة قبل الانقلاب في وجود جناح يميني يقوده حكمت سليمان وجعفر أبو التمن، يرى عدم جدوى مقاومة سلطة ياسين الهاشمي بالوسائل الديمقراطية والشعبية بل ضرورة الاستعانة المباشرة بالجيش، لان سلطة الهاشمي تقابل الوسائل الديمقراطية من صحف واحزاب بمزيد من الاجراءات الصارمة. أما الجناح اليساري الذي يقوده عبد الفتاح ابراهيم وعبد القادر اسماعيل يرى أن تتحول الجماعة الى حزب سياسي علني يقف موقف المعارض للسلطة القائمة بالطرق القانونية. في حين بقي كامل الجادرجي ومحمد حديد في الوسط ينتظران ترجح احد الطرفين وان كانا يميلان الى الجناح اليميني[٢٣٤]. فاذا كان عبد الفتاح إبراهيم يحرص

[٢٣٣] د. عبد الاله احمد : نشأة القصة في العراق. ......، مصدر سابق، ص ٢٦٦ ـ٢٧١.

[٢٣٤] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص ٤٠٣ ـ٤٠٤.

على أن يحافظ تنظيم الجماعة على البعد الفكري وعدم فتح الابواب لمحترفي السياسة من المدرسة القديمة التي يمثلها حكمت سليمان لاستغلال هـذا التنظـيم لاغراضـهم السياسية.قـاد الاخـتلاف بوجهـات النظـر الى اسـتقالة عبـد الفتـاح ابـراهيم مـن الجماعة[٢٣٥]. بينما يرى كامل الجادرجي أن الانقلاب قد ولد اتجـاهين همـا : الاتجـاه الاول اليميني الدكتاتوري المتمثل في بكر صدقي والاتجاه الثـاني المتطـرف اليـساري، ولاسيما عند عبد القادر اسماعيل الذي كان يتولى شؤون جريدة الاهالي، كما تجلى هذا التطرف اليساري عند جماعة الشيوعيين، وهذا ما أثار بكر صـدقي، ولاسـيما فيمـا يتصل بتغلغل الشيوعيين في الجيش، فاضطره الى ان يبدأ حملة ضارية ضد اليـساريين عموما[٢٣٦]. في الواقع كان الاختلاف الفكري للمثقف حيال السلطة ذا مـردود ايجـابي فقد قاد هذا الاختلاف الى ولادة احزاب تشهدها مرحلة قادمة مـن المراحـل التاريخيـة لعلاقة المثقف بالسلطة.

٢ـ واجه المثقف الوطني ردود فعل تمثلها وجهة النظر القومية، عـلى خلفيـة الخطـاب الذي القاه جعفر أبو التمن بإسم الحكومة المنبثقـة عـن الانقـلاب فقـد جـاءت نقـاط الخطاب مؤكدة الاهتمام بالشأن العراقي من خلال انتقادهـا لـسلطة الهاشـمي التـي استهانت بالدماء التي اريقت، وتفننت في اضطهادها للحريات فخنقت الصحف الحـرة، وعطلت الحياة الحزبية، وأعلنت الاحكـام العرفيـة. واشـار الخطـاب الى ضرورة وضـع خطة اصلاحية للمعارف وتقوية روح الثقافة التي تكفل الوحدة العراقية وتقـضي عـلى النزعات والفوارق.وتوزيع الاراضي الاميرية غير المملوكة وغير المفوضة وغـير المزروعـة منها على ابناء البلاد وتوسيع الري والزراعة وأن حكومة الهاشمي لم تتنح عـن كـراسي الحكم الابعد ان تركت الخزينة في عوز، واكد الخطاب على تحسين الـصلات الوديـة مـع

---

[٢٣٥] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق. ....، مصدر سابق، ص ٢٤٥.

[٢٣٦] كامل الجادرجي : مصدر سابق، ص ٤٣ ـ ٤٥.

الدول المجاورة وتوثيق الروابط مع الدول العربية[٢٣٧]. لقد جاء عـدم ترحيـب القـوميين بالخطاب لمساندتهم لسلطة الهاشمي الذي يمثل طموحاتهم القوميـة فهـو (بـسمارك العرب)، فضلا عن أن الوزارة قد ضمت عناصر من أصول اثنية وقومية مختلفة (فقائـد الانقلاب بكر صدقي كردي، وحكمت سليمان تركي، وكامل الجادرجي تركي مـستعرب ويوسف عزالدين كردي وجعفر أبو التمن عربي شيعي)[٢٣٨]. كما أن الخطـاب أكـد عـلى المساواة في الحقوق بين العناصر والاديان، والخطـاب لـم يـشر الى القوميـة العربيـة الا اشارة عابرة، والتأكيد على تقوية العراق في محيطـه الاقليمـي. وقـد رفـض القوميـون الاعلان الصريح بالعجز المالي في الميزانية العراقية الـذي خلفتـه سـلطة الهاشـمي عـلى خلفية صرف مكافآت نقدية الى قسم من منتسبي الجيش والشرطة المـشاركين في قمـع التمردات العشائرية وفي مجالات خاصة لتعزيز سلطته، وضرورة عدم ذكر هـذا العجـز لانه (يؤثر) في الاقتصاديات والامكانيات المالية للعراق بـين الـدول. وقـد انـبرت جريـدة (الاستقلال) ومجلة (نادي المثنى) منبرا للمقالات القومية[٢٣٩]، فضلاً عن تكوينهم لجنة عليا من الضباط القوميين والسياسيين لمقاومـة الحركـة الاصـلاحية باتخـاذ أسـاليب سياسية للتفريق بين قادة الانقلاب(بكـر صـدقي وحكمـت سـليمان) وبـين (جماعـة الاهالي)عن طريق اختيار علي محمود الشيخ للاتصال ببكر صدقي ومحمد علي محمـود للاتصال بحكمت سليمان وقد (اثمر) هذا الاتصال عن ايقاف دعايتهم ضـدهما مقابـل تخليهما عن جماعة الاهالي[٢٤٠]. وبهذا يظهر جليا مـن هـو المقـصود مـن الاعتراضـات القومية.

[٢٣٧] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج٤، مصدر سابق، ص ٢٤٤ ـ٢٤٦.
[٢٣٨] مظفر عبد الله الامين : مصدر سابق، ص ١١٨.
[٢٣٩] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص ٤٣٢ ـ٤٣٧.
[٢٤٠] طالب مشتاق :أيام النكبة، بيروت، ١٩٣٧، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦.

٣ـ لقد أثارت الاهتمامات الاقتصادية والاجتماعية لـ(جماعة الاهالي) الاقطاعيين وملاك الاراضي وشيوخ العشائر ولاسـيما اشـارة أبـو الـتمن الى توزيـع الاراضي الاميريـة، فأظهروا تخوفهم ووصفوا الحكم الجديد بالشيوعية[٢٤١]. فقد حملت مناقشة النواب من جماعة الاهالي في مجلس النواب، مشكلات الفقر وتقليـل الفـوارق الاقتـصادية، والعناية بالقرى والريـف وسياسـة الـضرائب والرسـوم ومـسألة الاراضي ومـسألة السكن وحق العمال في تأليف النقابات وتعديل قانون المطبوعات ومكافحـة الفـساد الاداري، كما جاء خطاب العرش للملك غـازي مؤيـداً لخطـوات الحكومـة الجديـدة بضرورة توزيع الاراضي الاميرية على الزراع الحقيقيين على صورة تتفـق مـع العـدل والمصلحة العامة[٢٤٢]. لقد نفى أبو التمن مايشاع عن سياسة الوزارة بانها شـيوعية، فأكد "أن غاية الوزارة هي رفع مـستوى الفـلاح البـائس الـذي يلاقـي ارهاقـاً مـن الاقطاعيين، والعامل الذي يشتغل الساعات الطـوال بـالاجور الزهيـدة، وأن المـسألة لاتتعدى إنصاف الفقراء والضعفاء، والذي جعل البعض يعتبرون هذا العمل شيوعية، فاللهم اجعلنا من الشيوعيين."[٢٤٣] وفي الواقع أن المواقف المعترضـة عـلى الاجـراءات الاصلاحية التي تبناها المثقف الوطني المتمثلة في (جماعة الاهالي)، تمثـل اعتراضـات السلطة التي يقف ممثلاً عنها (الفئات القومية وملاك الاراضي)لان هذه الفئات تمثل أبعاد السلطة الحقيقية(الطائفية ـ العسكرية ـ والعشائرية).

رابعاً: المثقف القومي والسلطة: يجد حنا بطاطو أن القومية التي دعا اليها المثقف القومي في العراق تتوجه الى القلب ولاتقدم للعقل شيئاً، فهي تتألف مـن عواطـف وذكريات وكثير من البلاغة وأنها تتوجه بقوة نحو ماضٍ جُعل رومانسياً ولاتظهر

---

[٢٤١] عبد الرزاق عبد الدراجي :مصدر سابق، ص ٤٣٨.

[٢٤٢] حسين جميل : الحياة النيابية في العراق.....، مصدر سابق، ص ٢٨١ ـ٢٩٨، ومحاضر مجلس النـواب لسنة ١٩٣٧.

[٢٤٣] عبد الرزاق عبد الدراجي : مصدر سابق، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١.

أكثر من إدراك ضعيف للاوضاع السائدة وحاجـات الـشعب العراقـي[٢٤٤]. فكيـف تعامل المثقف القومي مع التاريخ بوصفه أحد الأسس في (تكـوين) الامـة ؟ لقـد لقيت طروحات ساطع الحصري حول أهمية التاريخ صداها عند المثقف القـومي العراقي، تلك الطروحات التي ركـزت عـلى(أن التـاريخ ذاكـرة الامـة)وأن وحـدة التاريخ أحد الاسس المهمة في التكوين القومي، فتدريس التاريخ للتلاميذ يجب أن يتضمن تصوير الوقائع والاحداث عـلى نحـو يـؤثر في مخيلـة التلاميـذ وجعلهـم يتخيلونها كأنهم يرونها، وإثارة شعور وعواطف التلاميذ في إختيار الوقـائع التـي تؤثر فيهم[٢٤٥]. ولعل محاضرة سامي شوكت مدير المعارف العام (هـذه أهـدافنا من آمن بها فهو منا) تبين مفاهيم المثقف القومي ازاء التاريخ التي جاء فيها"أن بسمارك جعل الفخر كله للمعلم في (وحدة المانيا) فلاشـك في أن معلـم التـاريخ في المقدمة، فهو يلقن من يكون تحت اشرافه وادارتـه مـن التلاميـذ كرامـة الامـة وأمجادها وعظمتها من مفاخر وعز.... فهناك نوعان من التـاريخ تـاريخ للعلـم وتاريخ للتثقيف والتوجيه، أن التاريخ الذي يطلب تدريسه للتثقيف والتوجيه وأن الغاية من التاريخ ينبغي أن تتركز على جعل التلميذ العراقي يحس الثقة والايمان، أما التاريخ للتاريخ فلا شأن له في مجتمعنا الحاضر وهو يخـص الاختـصاصيين والمتفرغين الى العلم فقـط. ..ويجـب اعـادة النظـر في الكتـب التاريخيـة المقـررة وتخليصها من كل ما يشم من رائحة الضعف والإهانة والمس بكرامة العـرب."[*] لقد التقى المثقف القومي متمثلاً بـ(نادي المثنى) والتنظيمات القومية الاخرى مع السلطة في محطات كثيرة فمع المد القومي الذي اجتاح المانيا وايطاليا انبرى هـذا المثقف لتأييد خطوات ياسين الهاشمي مقتدياً بالتجربة النازية والفاشية، فـوفر

---

[٢٤٤] حنا بطاطو : العراق. ....، الحزب الشيوعي. ..... ج٢، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

[٢٤٥] ساطع الحصري : مذكراتي. ...... ج١، مصدر سابق، ص ٣٧ ومابعدها.

[*]انظر :سامي شوكت، "محاضرة هذه أهدافنا من آمن بها فهو منا "، وزارة المعارف، بغداد، ١٩٣٩.

له الارضية المناسبة في تنفيذ السياسات المختلفة في تـدعيم وتعزيـز سـلطتة مـن السيطرة على نظام المعارف باستقدام الاساتذة العرب الذين تميـزوا باتجاهــاتهم القومية للتدريس في مدارس العراق" فقد قام سامي شوكت بزيارة الدول العربية وتنظيم عقود هؤلاء الاساتذة "[٢٤٦]. فضلاً عن تعمـيم نظـام الفتـوة في المـدارس وتغيير المناهج الدراسية التي تجعل الجيل الجديد يهضم المبادىء القومية عقائـد مقدسة لايحيد عنها ولا يفرط بها قيد شعرة[٢٤٧]. ويجد حنا بطـاطو "أن الميـدان السياسي كان حكراً عليهم في الفترة ١٩٣٧ و١٩٤١. ثم وقعت سلطة الدولة تحـت نفوذهم، وتحركت الجماهير باتجاهاتهم. ولكن طموحــاتهم تجـاوزت قـدراتهم ودفعتهم الى الاصطدام المباشر مع الانكليـز."[٢٤٨] لقـد تحمـل المجتمـع العراقـي ويلات هذا الاصطدام فليس من السهل أن تقرأ احداث هذا الاصـطدام بعـد فـشل حركة(مايس / ١٩٤١)، من غير أن تتفاعل مـع الاحكـام التـي أصـدرتها (هيـأة المجلس العرفي) التي تراوحت بـين الاعـدام والاشـغال الـشاقة، وزج الكثـير مـن العراقيين في السجون والمعتقلات[*]، في الوقت الذي هرب فيه قادة الحركـة بطـرق متعددة خارج العراق ناجين بأنفسهم، وناسين في الوقت نفسه (دروس التـاريخ) التي جعلوها بعيدة عن (رائحة الضعف والإهانة). بل ليحل قائد الحركـة"الـسيد الكيلاني ضيفا على حكومة الرايخ الالماني وليستجير بجلالة الملك عبـد العزيـز آل سعود فيما بعد"[٢٤٩]. أما في العراق فنفذت احكام الاعدام في الذين تم اسـترجاعهم بعد هربهم بطرق إنتقامية على باب وزارة الدفاع ليتعرف المجتمـع العراقـي عـلى

---

[٢٤٦] غانم وحيد الجبوري :مصدر سابق، ص ١٣٢ ـ١٣٣.

[٢٤٧] جريدة البلاد، حزيران / ١٩٣٦.

[٢٤٨] حنا بطاطو : العراق. .... الحزب الشيوعي. ... ج٢، ص١٣٣.

[*]انظر تفاصيل الاحكام :المصدر: السيد عبد الرزاق الحسني، الاسرار الخفية. ...، مصدر سايق، ص٣٠٨ ومابعدها.

[٢٤٩] السيد عبد الرزاق الحسني : الاسرار الخفية. ......، مصدر سابق، ص٣٢٦.

وسائل (مبتكرة) لصيغ العنف ولتأتي وزارة المعارف "بأخصائيين من البريطانيين برئاسة الدكتور هملي والمصريين واللبنانيين للقضاء على الذهنية النازية التي يراها د.هملي منتشرة في المعارف والمدارس، واعادة تنظيم المناهج المدرسية"(٢٥٠). فهل يتحمل المثقف القومي هذه النتائج؟ لقد وجدنا جوابا متأخراً في سيرة د.فاضل الجمالي في رسالة خاصة الى الاستاذ مير بصري بتاريخ (آب / ١٩٨٠)، قال فيها "كان خطأنا الأساسي في الثلاثينيات من هذا القرن أننا لم نؤكد على الوحدة العراقية في سياستنا التربوية قدر تأكيدنا على القومية العربية. "(٢٥١)

واخيرا يمكن ايجاز السمات العامة التي تميزت بها هذه المرحلة :ـ

١. قاد المثقف مظاهر نهضة اتسمت بها الحياة الثقافية في العراق شملت، العمل التنظيمي المتنوع، والاهتمام المعرفي للنشاطات الفنية، والتنوع في إصدار الصحف والمجلات، والتأليف في مختلف المجالات، فضلاً عن إحتلال مشكلات المجتمع اولويات تفكير المثقف ضمن مفهوم (الفن للحياة أوللمجتمع).

٢.ولدت الصراعات الشخصية على السلطة مظاهر اضطراب كثيرة، افرزت حالة من عدم الاستقرار السياسي، لقد حافظ رجالات السلطة على الذهنية العثمانية في معالجة حالات الاضطراب التي ولدوها فقد أهملت الصيغ السياسية للوصول الى السلطة واستعاضوا بالعسكر والعشائر في الوصول الى السلطة.

٣. ظاهر الامر أن المثقف يقود نهضة والسلطة تقود إضطراباً، ولكن الواقع أن المثقف اسهم ايضا في عوامل الاضطراب، من خلال التنظيمات التي تنوع عملها بين الاهتمامات بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العراقي المتمثلة بـ (جماعة الاهالي)، والعمل القومي المتمثل في (نادي المثنى)، فقد تناقضت اهدافهما مع وسائلهما في صيغ التعامل مع السلطة.

(٢٥٠) السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ..... ج٦، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٢٥١) مير بصري :أعلام العراق. ...... ج٢، مصدر سابق، ص ١٤.

٤. افرزت هذه المرحلة فئتين من المثقفين هما :ـ

أ- المثقف الوطني: الذي يرجح الاهتمام بمشكلات المجتمع العراقي المتنوعة، وعلى الرغم من هذه الاهتمامات، فقد اعطى هذا المثقف الفرصة للمتصارعين على السلطة من خلال اشتراك (جماعة الاهالي) في إنقلاب بكر صدقي، والاشتراك في الحكومة المنبثقة عن الانقلاب وهي الوجه الشرعي للانقلاب، ولكن الايام أثبتت فشل هذا التعاون غير العملي بين المثقف والجيش "ذلك الالتحام غير العملي مع الجيش الذي لم يكن قائماً على أي تقارب أيديولوجي بين الطرفين"[*].

ب- المثقف القومي: الذي يرجح الاهتمام بالقضايا القومية على حساب القضايا الوطنية، فقد اسهم هذا المثقف في تعزيز السلطة الدكتاتورية، مقتديا بالتجارب النازية والفاشية. فضلاً عن مسؤوليته المباشرة في إحداث حركة (مايس / ١٩٤١)، وما افرزته تلك الحركة من نتائج.

٥ . تميز صراع المثقف مع السلطة بزيادة وتيرة العنف فبين الانقلاب والاغتيال والحرب والسلب والنهب والسجن والنفي والاعدام اهملت مشكلات المجتمع العراقي الذي عانى الفقر والامية والامراض وغيرها الكثير من المشكلات.

[*] انظر : د. محمد أنيس، جماعة الاهالي ونشأة اليسار العراقي، مجلة الهلال، العدد الاول، يناير / ١٩٦٥.

المبحث الثالث

المرحلة الراديكالية ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨

لم يكن من السهل حدوث تغيرات جذرية في المجتمع من غير ان تقف خلف هذه التغيرات عوامل أسهمت بل عجلت في انزال زلزال التغيير، فلابد من مناقشة نقاط عدة من أجل التعرف على هذا التغيير.

المطلب الاول: راديكالية المثقف : لقد تجمعت أسباب متعددة تقف خلف راديكالية المثقف نتعرف عليها من خلال :

اولاً: الواقع الثقافي: لقد استمر تأثير طبقة أهل الكفاية (الوسطى)، برفد أجيال من المثقفين والمتعلمين من أبنائها، فضلاً عن (إتساع) التعليم الذي شكل فرصة لتلبية طموح الفئات الفقيرة من أهل (الكفاف) في الخروج من دائرة الامية والفقر معاً[٢٥٢]. لقد ازدادت فاعلية المؤثرات السياسية والفكرية في نمو هذه الفئات التي سيقدر لها لعب ادوارٍ مختلفة في هذه المرحلة. فلقد كان تأثير إعلان الحرب العالمية الثانية، ومارافق تلك الحرب من أحداث داخلية الاثر الاكبر في الحياة العامة في المجتمع العراقي، فبعد أن إمتنعت الصحف عن نشر ما يتعلق بالأدب والثقافة، مهتمة بانباء المعارك والوقائع الحربية وتتبع الاخبار عن سير المعارك، التي ازداد إهتمام الجمهور بها، ولا سيما بعد أن اخذت تؤثر في شؤون عيشهم، فقد زادت هذه الحرب من حدة الوعي السياسي بين أفراد المجتمع، فإنصرف العديد من الكتاب الى كتابة الدراسات والبحوث السياسية والاجتماعية التي تتصل بنضال الشعوب

[٢٥٢] يوسف الصائغ : مصدر سابق، ص٦.

من أجل تحرير بلدانهم من السيطرة الاجنبية المباشرة وتقويض دعائم الاستغلال، وتحقيق العدالة الاجتماعية. فأضحى الانتاج الادبي في المجالات المختلفة عبارة عن مقالة سياسية أو اجتماعية اتخذت الشكل الادبي إطاراً لها، وإزدادت العناية بالمضمون الهادف، دون النواحي الفنية[٢٥٣]. في المقابل تعالت الاصوات المطالبة بأهمية توحيد الشكل والمضمون في الادب الاجتماعي وفي هذا الصدد يقول الروائي غائب طعمة فرمان "أن النفس البشرية لايمكن أن تتخيل وهي لاتنعم بواقع الحياة. .. فالأديب كلما كان أكثر تجربة وممارسة للحياة واتصالا بالواقع كلما كان اوسع افقا واعذب خيالا واطرب نغما "[٢٥٤]. وبهذا إستمر تأثير دعوة (الفن للمجتمع أو الحياة)، بل اطرت هذه الدعوة ضمن مصطلح جديدٍ هو (الالتزام)، فقد تسلل هذا الاصطلاح الجديد عن طريق الادباء الماركسيين المصريين. وليس في الدعوة الى الادب الملتزم شيء جديد يضاف الى القضية الاجتماعية في الادب (الفن للمجتمع أو الحياة)، وان كانت هذه الدعوة ترفض ما ذهب اليه الروائيان الفرنسيان (زولا) و(بلزاك) وغيرهما من الذين وصفوا المجتمع بأعينهم المجردة مستعينين بمواهبهم فقط في تصوير المجتمع دون التفسير الغامض والمضطرب في قضايا المجتمع المختلفة. أن دعوة الالتزام ضمن(الفن للحياة أو للمجتمع)، لم تقابل باستحسان من قبل كتاب اخرين فقد وجدوا فيها تقييدا لحرية الابداع عند الادباء، وتضييق حرية الاديب، ويوسع الطريق امام الكتاب المتملقين الذين يلتزمون النفاق بدل الصدق في نتاجاتهم. فهم يجعلون هذا النتاج وسيلة لعرض وجهة نظر سياسية[٢٥٥]. وفي هذا الصدد يقول الشاعر (بلند الحيدري) في فكرة الالتزام عنده "أنه شاعر مطلق من اي قيد سياسي، ولذا فانه لايتبع فكرا سياسيا

---

[٢٥٣] د. عبد الاله أحمد : الادب القصصي في العراق. ...... ج١، مصدر سابق، ص ٣٥ ـ٣٧

[٢٥٤] عباس توفيق : مصدر سابق، ص ١٦٩.

[٢٥٥] عباس توفيق :مصدر سابق، ص ١٧٣ ـ ١٧٥.

معينا في ادبه ولا يريد أن ينقل مبادىء ذلك الفكر الى الادب. وأن الادب نتاج العواطف الخاصة ولايمكن أن يكون مبدعا إذا اراد الخروج عليها."[٢٥٦] فقد مثل رأي بلند الحيدري الكتاب من معتنقي دعوة (الفن للفن) بعد الحرب العالمية الثانية، الذين يؤمنون بأن، على الفن ألا يخرج عن ذات الانسان ويصير عبدا للسياسة. فالشاعر(بدر شاكر السياب) يجد أن الشيوعيين هم الذين عزفوا على نغمة (الفن للفن) أو (الفن للمجتمع أوالحياة) واكدوا أن ليس هناك من فلسفة صحيحة غير الفلسفة المادية وأن ليس هناك من حلول صحيحة لأي مشكلة غير الحلول الشيوعية المستمدة من كتب ماركس وانجلز ولينين وستالين. لقد جاءت دعوة (جان بول سارتر)حجة لغير الشيوعيين بأن الادب الواقعي والادب الملتزم ليس وقفا على الشيوعيين. وقد اتجه الالتزام بعد ذلك إتجاهات منها : الالتزام الشيوعي وأولى أن يسموه (إلزاما)، والالتزام الحزبي وهو لايختلف عن الالتزام الشيوعي، ثم الالتزام اللاشيوعي اللاحزبي النابع من نفوس الأدباء، وقد اتضح هذا الالتزام في الشعر والقصة والمقالة[٢٥٧]. وفي الواقع وعلى الرغم من خلق نوع من التمييز بين هذه الدعوات إلّا أن هناك حقيقة هي أن معظم الكتابات قد اتجهت اتجاها اجتماعيا من خلال تصوير واقع التخلف في المجتمع وتناول الطبقات المسحوقة، وما تعانيه من بؤس واضطهاد، وهنا لابد من الاشارة الى قول الروائي غائب طعمة فرمان الذي يجد أن "نظرية الادب الماركسي غير واضحة المعالم في أذهاننا ولكن تعلمنا من القراءات الفكرية العامة، ومن مطالعة (غوركي) أن على الاديب أن يعبر عن الشعب. "[٢٥٨] وعلى الرغم من استمرار تأثير كتاب الادب الروسي شيخوف ودستوفسكي وغوركي، فأن حركة الترجمة الواسعة في سوريا ولبنان في

---

[٢٥٦] المصدر السابق نفسه، ص ١٧٧.

[٢٥٧] د. أحمد مطلوب : مصدر سابق، ص ٣٧٠ ـ ٣٧١.

[٢٥٨] يوسف الصائغ : مصدر سابق، ص ١٢٢.

بداية الخمسينيات قادت المثقف العراقي الى الاطلاع على عيون الفكر العالمي التي اصدرتها دار اليقظة العربية في دمشق و(سلسلة كنوز القصص العالمية) التي ترجمها (منير البعلبكي)، ومجموعات القصص والروايات التي اصدرتها دار الآداب والتي أشرف عليها (سهيل إدريس) وأن انحصر جل إهتمام هذه الدار في مؤلفات كتاب المدرسة الوجودية في فرنسا (سارتر، وكامو، وسيمون دي بوفوار) فضلاً عن الاطلاع على النتاج المصري المتمثل في كتابات (توفيق الحكيم، وطه حسين، وعبد القادر المازني ومحمود تيمور، ومحمود أمين العالم). [٢٥٩]كما كان لتأثيرات التجمعات الادبية في مصر مثل (مدرسة الديوان) و(جماعة ابولو) في الثلاثينيات ركيزة تجديدية مناصرة للنهضة الادبية والفنية في العراق، فقد ضمت (مدرسة الديوان) نخبة من المثقفين المصريين منهم (عباس العقاد، وعبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري)،أما (جماعة ابولو) فقد ضمت (ابراهيم ناجي، وعلي محمود طه، واحمد ضيف ود.علي العناني). فضلاً عن تأثيرات شعراء المهجر. [٢٦٠]وسط تلك المؤثرات يبرز سؤال وهو كيف تفاعل مثقفنا العراقي مع تلك المؤثرات؟ ففي المجال القصصي استمرت القصة العراقية تعكس الاوضاع الاجتماعية، فقد برز جيل جديد بعد الحرب العالمية الثانية ينتج ادبا قصصيا يعبر بشكل اعمق عن شواغل مجتمع خلف وراءه مرحلة النهضة ليدخل في مرحلة وعي يتزايد مع الايام ويقف في مقدمتهم (عبد الملك نوري، ونزار سليم، وشاكر خصباك، وفؤاد التكرلي، وعبد الرزاق الشيخ، وخليل رشيد، وصلاح الدين الناهي، وغائب طعمة فرمان)[٢٦١]. أما في مجال الشعر فقد كان محمد مهدي الجواهري يمثل نموذجاً بارزاً وطاغيا بسبب

---

[٢٥٩] د. عبد الاله أحمد : الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، ج٢، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٨ ـ ٢٩.

[٢٦٠] د.عربية توفيق لازم: مصدر سابق، ص٢٤١-٢٤٥

[٢٦١] د.أحمد مطلوب : مصدر سابق، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

أن شعره كان يمثل الـشكل الاكثـر تكـاملاً للـشعر التقليـدي ولاسـتجابة شـعره للظروف والشعارات السياسية ولموقفه الشخصي من الاحداث السياسية والفكرية وتبني القوى السياسية له. على أن التناقض يكمن في مدى قدرة الـشعر التقليـدي (لغة وبناء) على الاستجابة لمتطلبات الافكار الجديـدة، ولاسـيما أن هنـاك نمـاذج شعرية عربية متمثلة بقصائد (علي محمود طه، والياس أبوشبكة، وسـعيد عقـل، وبشارة الخوري، وعمر أبو ريشة، ونزار قباني) برومانـسيتها التـي تـتراوح بـين الكآبة والتمرد، بين الطبيعة والمرأة بين الحاضر والماضي، بـين التهتـك والـصوفية. فضلاً عن الاطلاع على نماذج الشعر المترجم لـ(رمبـو، وبـودلير، واليـوت، وايلـور، ولوركا، ونيرودا، وناظم حكمت). فقد أظهرت هـذه النمـاذج للـشعراء العـراقيين الشباب المتطلع الى الجديد تأخر النماذج التقليدية والقيود الـشكلية التـي يعيـشها الشعر التقليدي. ولم يكن البوح بارائهم شيئا سهلا، فهناك قناعات ترسخت قرونا عديدة من الصعوبة تغييرها وعلى الرغم من ذلك ولد الشعر الحر[٢٦٢]. يجد (يوسـف الصائغ) أن تسمية الشعر الحر تأتي أهميتها "لصفة الحر التي تضمنتها التسمية أثر في أنتشارها فقد كانت كلمة الحرية والتحرر في تلك الظـروف وقعـا في النفـوس عبر أكثر من مجال وبخاصة في المجال السياسي والفكري والاجتماعي "[٢٦٣].والتـي تتلخص بحرية التعبير عن الذات، كما شكلت التجمعات واللقـاءات الادبيـة، التـي عقدت في الكثير من المقاهي المنتشرة في بغداد مثل مقهى (حسن عجمي) ومقهـى (البلدية) ومقهى(الصباح) ومقهى (الرشيد)ومن ثم مقهى (البرازيليـة) ومقهـى (السويسرية)، مظهراً بارزاً من مظاهر الحياة الثقافيـة في بغـداد في الاربعينيـات والخمسينيات، فقد شهدت هذه المقاهي، وهي مقـاهٍ عامـة، الكثـير مـن لقـاءات المثقفين ومناقشاتهم الحامية وثرثراتهم، التـي أسـهمت الى حـد كبـير في انـضاج

---

[٢٦٢] يوسف الصائغ :مصدر سابق، ص ٣٢ ـ ٣٦.

[٢٦٣] المصدر السابق نفسه، ص ٣٨.

العديد منهم وبلورة اتجاهــاتهم الفنيــة والفكريــة. كمــا اســهمت مجموعــة مــن المثقفين الشباب في تكوين جماعة (الوقت الضائع) وعلى الرغم من ضعف دورها في الحياة الثقافية، الا أنها تعطي صورة واضحة لتطلعات بعض افراد ذلك الجيل مــن المثقفين وطموحهم الى تحقيق مايصبون اليه من تغيير في واقــع الحيــاة في العــراق وضــمت (بلنــد الحيــدري)، و(حــسين مــردان)، و(نــزار ســليم)، و(جميــل حمودي)وغيرهم وكان إختيارهم هذا الاسم (الوقت الـضائع) اسـماً لتجمعــاتهم تحديا وسخرية مريرة وتأكيد حقهــم في الوجــود، أمــام اتجاهــات فكريــة وادبيــة محافظة وأمام سلطة حكومية تشدد الخناق على مثل تلك التجمعات وقــد اتخــذت تلك الجماعة مقهى خاصا بها باسم مقهى (واق واق)، فضلا عن اصــدارها نــشرة بعنوان (الوقت الضائع) كما اصدرت ديوان شعر لبلند الحيدري (حفنة من الطين) ومجموعتين قصصيتين لنزار سليم (أشياء تافهة) و(فيض)[٢٦٤] وبهذا يمكن لمــس تغيير فعلي في الاتجاهات الثقافية لفئات مــن المثقفــين ســئموا النمــاذج المتكــررة والموضوعات المطروقة، يريد المثقف أن يستقل ويبدع لنفسه شــيئا يــستوحيه مــن حاجات العصر ولاسيما بعد الاطلاع على الاداب الغربية، فالشعراء الذين حملوا لواء التجديد بعد الحرب العالمية الثانية ممن درسوا الأدب الانكليزي كالشاعر (السياب، ونازك الملائكة). لقــد بــدأ هــؤلاء المثقفــون يتطلعــون الى عــوالم مليئــة بالثقافــة والتجارب الجديدة[٢٦٥] وفي الواقع ما من انتاج أدبي أوفني في هذه المرحلة يخلو مــن محتوى فكري يعكس المؤثرات الفكرية التي شكلت رافدا ثقافيا مهما تفاعل معها المثقف[٢٦٦] ونُشرت الدراسات الجريئة والبحوث الجادة التي كتبها باحثون عراقيون في نواح مختلفة في شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخيــة

---

[٢٦٤] د.عبد الاله أحمد : الادب القصصي في العراق...... ج٢، مصدر سابق، ص ١٣ ـ١٥.

[٢٦٥] د.جلال الخياط :الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ص١١١-١١٢

[٢٦٦] احسان سركيس : الادب والدولة، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص ١١٨.

واللغوية مثل كتابات (عبدالفتاح ابراهيم، وابراهيم كبة، وعلي الوردي، واحمد سوسة، وطه باقر،ومصطفى جواد) وغيرهم الكثير. في حين جمعت السياسة عددا من المثقفين الشباب منهم (بدر شاكر السياب، ورشيد ياسين، ومحمود البريكان، وأكرم الوتري، وعبدالرزاق عبد الواحد وكاظم جواد، وزهير أحمد القيسي، وكاظم التميمي، وسعدي يوسف). وجمعت الاتجاهات الفنية والوجودية بين(بلند الحيدري، وصفاء الحيدري، وحسين مردان، وجواد سليم) كما ضمت حلقة أخرى كلّاً من (فؤاد التكرلي، ونهاد التكرلي، وعبد الملك نوري، وعبد الوهاب البياتي، وشاكر حسن ال سعيد). ولقد كانت تلك التجمعات على علاقة وطيدة سلباً وايجاباً ببعضها يصف بلند الحيدري ذلك قائلاً:

كانت تحملنا قصاصات من ورق عبر أمسيات كثيرة،

من مقهى الى مقهى لنستمع الى هذه المحاولة الجديدة،

وننتقد تلك القصيدة، ونحن نحاول أن نفلسف العالم من حولنا.

وظل البعض منا يحاول يائساً أن يوفق بين ماركس ونيتشه لينتشل نفسه من صراع مر[٢٦٧]

فهناك انفتاح في أفق المثقف على التيارات السياسية واالفكرية العالمية، وعلى الرغم من ذلك ارتبط المثقف بالواقع العراقي بجميع أبعاده السياسية والإقتصادية والاجتماعية، فكان من مهام المثقف محاولات الكشف عن المضامين الصراعية التي يمر بها الواقع المتخلف، فهناك ثورة فكرية حاول المثقف تجسيدها في مضامين الرواية والشعر والفن.ويعطينا غائب طعمة فرمان في روايته(خمس أصوات)[*]صورة لمثقف هذه المرحلة بين الروائي والصحفي والشاعر،تختلف في الاراء وتتفق في المواقف الكبرى فهناك وعي لحقيقة التعددية في الواقع الثقافي.

---

[٢٦٧] يوسف الصائغ : مصدر سابق، ٢٧ ـ ٢٨

[*] انظر : غائب طعمة فرمان : خمس أصوات، بيروت، ١٩٦٧.

ثانيا: الواقع الاقتصادي: أدى النظـام الاقطـاعي دورا بـارزا في تفكيـك الاحـلاف العشائرية في مختلف انحاء العراق وتغيير مركز الشيوخ مـن رؤسـاء عـشائر تـربطهم روابط اجتماعية بأفراد قبائلهم الى رؤساء مجتمعات زراعية تقوم على العلاقات الماديـة بين أفرادها. لقد استطاعت المزارع الواسـعة التهـام المـزارع الـصغيرة بـسبب الازمـات الزراعية وعجز المالكين وصغار المزارعين عـن تـسديد ديـونهم، فانتزعـت الاراضي مـن صغار الفلاحين لتضاف الى أراضي الشيوخ وزعماء القبائل وكبـار الحكـام والمـسؤولين وتحول الفلاحون الى عبيد وأقنان لهم.[٢٦٨] فكان عدد الفلاحـين الـذين لايملكـون شـبراً واحـــداً مليونـــاً ونـــصف المليـــون، وأن أكثـــر مـــن (٨٨،٢٨%) مـــن المـــالكين يملكـون(١٢،٢٤%)مـن مـساحة الاراضي الزراعيـة، وأن(٢٠، ١٠ %) مـن المـالكين يملكون(٢٤،٤٠%)من هذه المساحة، وأن (١،٥٢%) من المـالكين يملكـون (٣٦،٦٣ %) من المساحة الكلية من الاراضي الزراعية.[٢٦٩] ان (قانون حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣)الذي نصت أحكامه على منع إنتقال الفـلاح طـول مـدة المقاولـة أوالـسنة الزراعية الا بعد إنهاء المدة ووفاء الدين الزراعي، وما أكثر المستندات والاوراق التي كانت بحوزة الاقطاعي التي يتمكن من ابرازها حقا أوباطلا[٢٧٠] وليس للفلاح قـانون يحميـه من الاقطاعي فهو يطرده متى اراد ويلاحقه بالديون التي أخذها ليأكل بهـا وقـد حكـم عليه هذا القانون بالبقاء في خدمة الاقطاعي حتى يسدد ديونه ولا يجوز لمالـك اخـر أن يستخدمه ما دام مدينا.ومن هجر القرية تخلـصا مـن هـذا الـرق فالـسلطات تلاحقـه وتحجز اجره اليومي لتسديد ديون الاقطاعي وكان من المستحيل على الفـلاح أن يـسدد هذا الدين مهما كان بسيطا لانه يحمل سنويا فوائد تزيـد عـلى (٥٠ %)[٢٧١]. أن حـصة

[٢٦٨] عبد الكريم فرحان : ثورة ١٤ تموز في العراق ' دار الطليعة، بيروت ١٩٧٨، ص ٥٧ ـ ٥٨.

[٢٦٩] وزارة التخطيط :دائرة الاحصاء المركزية، نتائج الاحصاء الزراعي والحيواني في العراق ١٩٥٨ ـ١٩٥٩.

[٢٧٠] د.يوسف عبد الله الصائغ : أقتصاديات العالم العربي (التنمية بعـد ١٩٤٥، البلـدان الاسـيوية) ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٦.

[٢٧١] محمد توفيق حسين : نهاية الاقطاع في العراق، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨، ص ١١٣.

الفلاح لاتتجاوز٥٠ % من الحاصل المزروع، فان الاقطاعيين يفرضون مختلف الضرائب و(الخاوات)على الحاصل فمن الضرائب المفروضة في لواء العمارة ضريبة الميري ١٠% وكيلة (جيلة) المضيف وكيلة المأمورية وكيلة الشحنة وكيلة القهوجي وكيلة الناطور وخمس كيلات للتجار...فضلاً عن أعمال السخرة (العونة) وهي العمل في الارض الخاصة بالاقطاعي المتمثلة في بناء المضيف وسخرة البردي لجلب الوقود وسخرةالحشيش للحيوانات[٢٧٢] لقد جاء في تقرير(بعثة البنك الدولية)التي زارت العراق في (٢٥ شباط/ ١٩٥١) " ازدحام السكان في المدن بهجرة الفلاحين من أراضيهم تهربا من حياتهم الشاقة في الريف وسعيا وراء العمل والارتزاق، فكان حال الكثيرين منهم التسكع في ضواحي المدن أو العيش في الاراضي الشاغرة، وهم يعيشون في أكواخ بدائية مشيدة من الطين أوالحصير من غير وسائل صحية، وفي بغداد نحو(٦٠٠٠٠) من هؤلاء المعروفين بسكان الصرائف، وفي البصرة مالايقل عن (٢٠٠٠٠) وهاجر أكثر هؤلاء من لواء العمارة. "[٢٧٣]

أن دخل الاسرة الفلاحية، كان يبلغ (٢٠)دينارا ولم يتجاوز (٣٠) دينارا سنويا في أحسن الاحوال فقد كان الفلاح يبيع منتوجاته الزراعية قبل حصادها (على خضر) ويستلف القروض بربا فاحش لايقل عن(٥٠%) من أصل المبلغ ولمدة لاتتجاوز ستة اشهر.[٢٧٤] وبذلك إستمرت الهجرة الى بغداد حتى بلغت في الخمسينيات في مناطق الصرائف شرقي بغداد (١٦٠٠٠) اسرة فلاحية. [٢٧٥]لقد حملت مناقشات مجلس النواب تردي الحالة الاقتصادية العامة التي غالبا ماكانت تبرر بمؤثرات الحرب العالمية الثانية

[٢٧٢] سعاد خيري : من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق، ج١، بغداد، ١٩٧٥، ص١٨٧ ـ١٨٨

[٢٧٣] تقرير بعثة البنك الدولي (باللغة الانكليزية جون هوبكز بريس/الولايات المتحدة الامريكية، ١٩٥٢)، ص٥٧ ـ ٥٨

[٢٧٤] وزارة الاصلاح الزراعي، بحوث مؤتمر الاصلاح الزراعي المنعقد في بغداد(٢ ـ١٢ /نيسان ١٩٦٧)، ص ٣٠

[٢٧٥] وزارة الاصلاح الزراعي، منشورات الارض للفلاح، ١٩٦٣، ص٦

في الاقتصاد العراقي، فكانت أزمة الخبز تحتل الاولوية في هذه المناقــشات فقــد ارتفعــت اسعار الخبز بحيث وصلت قيمة كيس الطحين المخــصص للــصمون(٢٠٠، ٥٣) دينــارا فضلا عن أن كلفة المعيشة إرتفعت الى سبعة اضعاف عما كانت عليه عــام ١٩٣٩ بينمــا كان معدل اجــور العمــال الــذي ارتفــع مــن(٥، ٣) دنــانير الى (٦) دنــانير أي أقــل مــن الضعف[٢٧٦] لم تقدم الوزارات المتعاقبة حلولا ناجعة لمعالجة الوضع الاقتــصادي فغالبــا ما اقتصرت الحلول على تخفيض عدد الموظفين والغاء جميع المخصصات الممنوحة لهــم مثل مخصصات غلاء المعيشة وايقاف البعثات العلمية او فرض مختلف الــضرائب التــي لاتقع أعباؤها إلا على الفئات الفقيرة وتملص المتنفذون على جميع المستويات منها.[٢٧٧] لقد كان للوضع الاقتصادي الاثر السلبي في الاوضاع التعليميــة والــصحية فقــد جــاء في تقرير بعثة البنك الدولي حول الوضع التعليمي، فعلى الرغم من ارتفــاع عــدد المــدارس في الخمسينيات مقارنة بالسنوات السابقة من (٢٦٢)الى (١١٠٠) مدرسة وعــدد التلاميــذ ارتفع من (٣٢٧٥٠) الى (١٧٥٠٠٠) ومعلمي المدارس الابتدائية مــن (١٣٢٥) الى (٦٥٨٨) معلماً الا أن عدد الطلبة أخذ بالنقصان كلما تقدم التلاميذ في صفوفهم، وأن نسبة الامية بين الرجال (٨٠%) والنساء (٩٥). [٢٧٨]أما الوضع الصحي فعند تأسيس الدولة العراقيــة ظهرت وزارة الصحة في(١٢ أيلول / ١٩٢١)، الا انها الغيت وأصبحت مديرية عامة تابعة لوزارة الداخلية، وفي العام ١٩٣٩ الحقت بوزارة الشؤون الاجتماعية التي احدثت في ذلــك التاريخ، وبقي الحال كذلك حتى عام ١٩٥٢ حيث احدثت وزارة خاصة للصحة بموجــب القانون رقم (٢٨)لسنة ١٩٥٢. [٢٧٩]ولا يبدو أن الوضع الــصحي كــان موضــع إهتمــام

---

[٢٧٦] محاضر مجلس النواب، محضر الجلسة ٢٠ /٢ /١٩٥٠، ص ٧٩.

[٢٧٧] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات.... ج٨،مصدر سابق، ص٢٢- ٢٤.

[٢٧٨] تقرير بعثة البنك الدولي، مصدرسابق، ص ٦٥.

[٢٧٩] عباس أمين الجادرجي : دراسة مقارنة للتأمين الصحي والانظمــة الــصحية في العــراق مــع مختلــف اقطار العالم،(رسالة ماجســتير غير منشورة جامعة بغداد ـ كلية الطــب ـ طــب المــجتمع)،١٩٨٠، ص ٣٥ ـ٣٦

الحكومات المتوالية وهذا ما أكده تقرير بعثة البنك الدولي فقد جاء في تقريره أن نسبة الوفيات بين المواليد مرتفعة حتى بلغت(٢٥٠) بالألف من المواليد. وأن نسبة بعض الامراض المستوطنة مرتفعة كالرمد الحبيبي والبلهارزيا والملاريا والانكلوسترما وكثير من الامراض المتفشية الناتجة عن المياه الملوثة وسوء الاحوال المعيشية الناجمة عن الفقر والجهل، فقد سببت الملاريا في وفاة (٥٠٠٠٠) شخصٍ سنويا، وأن نسبة الاصابة بالبلهارزيا والزحار والامراض المعدية مرتفعة جداً في ألوية العمارة والمنتفك والكوت[٢٨٠]. فالاحوال الاقتصادية لم تشهد تحسنا على الرغم من ازدياد (ايرادات النفط)[*] بعد التعديلات التي حصلت على الاتفاقيات النفطية بين العراق والشركات الاجنبية في الخمسينيات.وكان قد أنشىء (مجلس الاعمار) سنة١٩٥٠ وبموجب قانون هذا المجلس تدفع ٣٠% من واردات النفط سنويا للموازنة الاعتيادية وأن تصرف ٧٠ % الباقية على مشاريع تكوين رؤوس أموال إنتاجية. [٢٨١]ويجد د. كاظم حبيب أن من عوامل انشاء (مجلس الاعمار) فضلاً عن الزيادة في عوائد النفط، التوصيات المتكررة من ممثلي الهيئات الدولية الرأسمالية والمؤكدة ضرورة استخدام جزء من موارد العراق المالية والقروض الدولية التي تمنح لاغراض الانماء الزراعي ومحاولة تخفيف التناقض الاجتماعي المتفاقم الذي تقوده الطبقة الوسطى المتوسعة ضد الحكومات المتعاقبة. وقد توضحت سياسة (مجلس الاعمار) من خلال الابتعاد الواضح عن التنمية الصناعية وتوجيه جزء رئيس من الموارد المالية نحو بناء الهياكل الاساسية للاقتصاد الوطني مثل الطرق والجسور والكهرباء والماء ومشاريع الري والبزل واستصلاح الاراضي الزراعية، غير أن هذا التوجه قوبل بمعارضة شديدة من القوى الوطنية لانه لايخدم العملية

---

[٢٨٠] تقرير بعثة البنك الدولية، مصدرسابق، ص٥١ ـ٥٢.

[*] كانت تعديلات الاتفاقيات النفطية العراقية مع الشركات الاجنبية نتيجة لحركة د. مصدق رئيس الوزراء الايراني بتأميم النفط الايراني: انظر السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات. .....، ج٨، مصدر سابق، ص ٢٦٠ ومابعدها.

[٢٨١] د. فاضل الجمالي : العراق الحديث. .....، مصدر سابق، ص ٦٦.

الاقتصادية لعدم إحتوائه على مشاريع صناعية ضـخمة تخـدم الاقتـصاد والتنميـة في العراق[٢٨٢]. وينتقد د. فاضل الجمالي المجلس ايضا لابتعاد المجلس عـن إعطـاء الاولويـة للمشاريع الصناعية والزراعية والخـدمات الـشعبية كإنـشاء القـرى العـصرية ونـشر التعليم، والتأخير الواضح في تنفيذ المشاريع المهمـة وضرورة اسـتخدام الاختـصاصيين وتوزيع العمل على دوائر اختصاصية تعمل باشراف المجلس[٢٨٣]. لقد جاء في تقرير خبـير منظمة التغذية والزراعة الدولية " أن البشرية في العصر الحاضر لايمكـن ان تقبـل هـذا الوضع في العراق ولايمكن أن يطمئن الضمير العالمي لشعب يتضور جوعا وسط الازدهار الزراعي والمظاهر الخداعة للشبع ".[٢٨٤]ويصل حنا بطاط وبعد دراسته المستفيضة عـن الانقسامات الطائفية والطبقية في المجتمع العراقي التي مـرت معنـا سـابقا الى نتيجـة مهمة وهي "من الضروري أن نتذكر أن التماثل بين الانقسامات الطائفية والطبقية لـم يكن كاملاً ابداً، وأنه كان هناك سنة فقراء جداً،وأن هؤلاء وفقراء الشيعة كانوا إخوة في الشدة. كما يجب أن نتذكر، أن بغداد كانت في أيام العهد الملكـي، كـسائر أنحـاء العـراق بشيعتها وسنتها، كما كانت في العصور الوسطى:

دارا لأهل المـال واســعة

وللصعاليك دار الضنك والضيق"[٢٨٥].

ثالثا: الواقع السياسي : لقد حمل خطاب الامير عبد الاله الوصي على العرش، في (٢٧ كانون الاول /١٩٤٥) وعودا بمرحلة سياسية جديدة، جاءت مع تصريحات دول الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. بضرورة اجراء تغييرات في أوضاع الدول التـي كانـت

---

[٢٨٢] د.كاظم حبيب :دراسات في التخطيط الاقتصادي، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

[٢٨٣] د.فاضل الجمالي : العراق الحديث.....، مصدرسابق، ص ٦٩.

[٢٨٤] تقرير منظمة التغذية والزراعة الدولية، (باللغة الانكليزية /١٩٥٤)، ص ٧٧.

[٢٨٥] حنا بطاطو : العراق. ......الطبقات. ....ج١، مصدرسابق، ص ٧٠ ـ٧١. علماً أن بيت الشعر للقـاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي

تحت احتلالها أوانتدابها ولاسيما وجود القوانين الاستثنائية وإجراءات الهيمنة على الصحافة والمراسلات البريدية والتلفونية، والتضييق على الحريات العامة. لقد اكد الخطاب أن السياسة الداخلية للسلطة تستهدف توفير فرص عمل للعاطلين ورفع المستوى المعيشي للعمال والفلاحين، وصيانة كرامة الفرد وحياته. وتحقيق العدل الاجتماعي بعيدا عن التفرقة بسبب العنصر، أوالمذهب. وفسح المجال للشباب المثقف لتولي أعباء الحكم والمسؤولية.[٢٨٦] وبهذا فالخطاب ركز على أمور ثلاث وهي : الوضع الاقتصادي المتدهور للفئات المسحوقة للشعب، والابتعاد عن السياسة الطائفية للسلطة، والاهتمام بابناء اهل الكفاية (الطبقة الوسطى) من الشباب المثقف لتوليهم مسؤوليات الحكم. ويجد د. (فاضل حسين) "أن الانكليز ونوري السعيد هم الذين اشاروا عليه بالقاء هذا الخطاب لتهدئة الشعب وكسب الوقت لكي يعودوا بعد قليل الى الاساليب التقليدية في الاستبداد".[٢٨٧]ويبدو أن الامر الثالث من الخطاب المتضمن فسح المجال لابناء الطبقة (الوسطى) المثقفة قد تحقق من خلال الحياة الحزبية فقد شهدت تلك المرحلة بعث الحياة الحزبية التي جمدت منذ وزارة ياسين الهاشمي الثانية في(١٧ آذار/ ١٩٣٥)، فقد اجازت وزارة الداخلية في (٢ نيسان /١٩٤٦) تأليف الاحزاب السياسية الخمسة الاتية : حزب الاستقلال وحزب الاحرار والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني فقدم (كامل الجادرجي، ومحمد حديد، وحسين جميل) طلبا الى وزارة الداخلية بتأليف الحزب الوطني الديمقراطي، كما قدم (عبد الفتاح إبراهيم) طلبا بتأسيس حزب الاتحاد الوطني وقدم (عزيز شريف) طلبا بتأليف حزب الشعب وقدمت بعض العناصر الاصلاحية طلبا بتأسيس حزب الاحرار وقدم (محمد مهدي كبة، وداود السعيدي وعلي القزويني) وغيرهم طلبا بتأليف حزب الاستقلال وقدم الشيوعيون طلبا بتأسيس حزب التحرر الوطني ولكن وزارة الداخلية رفضت الطلب[٢٨٨]

[٢٨٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ..... ج٦، مصدر سابق، "نص الخطاب"، ص ٣١٢ ـ٣١٦.
[٢٨٧] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني.......، مصدر سابق، ص ٢٩
[٢٨٨] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ...... ج٧، مصدر سابق، ص ٢٤ ـ ٥٤

فهذه الاحزاب امتداد عمل (جماعة الاهالي) بشخـصياته المعروفـة (كامـل الجـادرجي، ومحمد حديد،وحسين جميل،وعزيز شريف،وعبد الفتاح ابـراهيم) المتمثلـة بـــ(المثقـف الوطني)، أما حزب الاستقلال فهو امتداد لعمـل نـادي (المثنـى)، المتمثـل بـــ(المثقـف القومي). لقد استطاعت هذه الاحزاب من توحيـد نـشاطاتها إزاء الاحـداث الـسياسية المهمة، فكانت الصحف الناطقة بإسمها أحدى الوسائل المعبرة عن مواقفها ازاء الاحداث السياسية فضلا عن المذكرات الاحتجاجية. فقد أصدرت هذه الاحزاب الـصحف الاتيـة: الاهالي وصوت الاهالي ونداء الاهالي التي اصدرها الحزب الوطني الديمقراطي، أما صحف حزب الاستقلال فهي لواء الاستقلال وصدى الاستقلال، وصـوت الاحـرار التـي كانـت لسان حزب الاحرار، وأصدر حزب الاتحاد الوطني صحيفتي السياسة وصوت الـسياسة أماصحيفة الوطن فكانت لسان حزب الشعب.[٢٨٩]ولكن بعث الحياة الحزبيـة لـم يكـن موضع ارتياح لاقطاب السلطة، فقد تزعمت صـحف الـسلطة مثـل صـحيفة (البعـث القومي) حملة ضد بعث الحياة الحزبية مقتدية بخطاب رئيس الوزراء (ارشد العمـري) في (حزيران / ١٩٤٦) الذي ساوى بين بعث الحياة الحزبية وضياع المصلحة العامـة[٢٩٠]. وكان من اسباب رفض بعث الحياة الحزبية مما (قـد) تـسببه مـن (بلبلـة في النفـوس واضطراب في الصفوف). وجاءت باكورة نشاطات هذه الاحزاب ازاء القـضايا الوطنيـة والقومية على خلفية تنظيم حـزب التحـرر الـوطني غـير المجـاز و(عـصبة مكافحـة الصهيونية)[*] اللذين مثلا واجهة الحزب الـشيوعي العراقـي الـسري، مظـاهرة في (٢٨ حزيران /١٩٤٦) احتجاجا على الاوضاع في فلسطين، ومعالجة مشكلة البطالة واطـلاق سراح الموقوفين السياسيين. فاستعملت الشرطة الـسلاح ضـد المتظـاهرين، فاحتجـت الاحزاب الخمسة على هذا الحادث ورفعت مذكرة الى رئيس الوزراء، ضمت مجموعة مـن

---

[٢٨٩] فائق بطي : مصدر سابق، ص٧٦.

[٢٩٠] قيس عبد الحسين الياسري : الصحافة العراقية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ثورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص١١١

[*] تأسست العصبة مع انبثاق الحياة الحزبية في ١٩٤٦واصدرت جريدة العصبة التي سرعان ماعطلت على خلفية دعوتها الى الاضراب المصدر :فائق بطي، مصدر سابق، ص ٦٥ ـ٦٦.

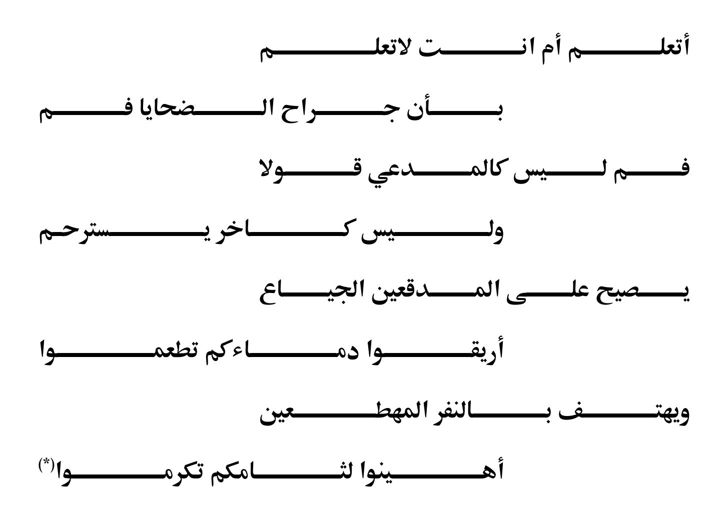
المطالب منها الاسراع في اطلاق سراح الموقوفين وتأليف هيأة قضائية لتحديد مسؤولية اطلاق النار واعادة النظر في سياسة الوزارة واطلاق حرية الصحف المعطلة والكف عن التضييق على الحريات العامة بما فيها حرية النشر والاضراب والتظاهر[٢٩١]. ولم تختلف وسائل الاحزاب ازاء القضايا الوطنية الاخرى ومامر اعلاه، ووقفت في مقدمة تلك الاحداث حادثة (كاوور ياغي) في كركوك التي اطلق عليها مؤرخو العراق الحديث بـ(الفاجعة) و(المجزرة) و(المذبحة)، فقد أضرب عمال شركة النفط العراقية في كركوك في عهد وزارة ارشد العمري الاولى في(٣تموز/١٩٤٦) وتجمهروا في حديقة (كاووريـاغي) احتجاجا على عدم اجابة الشركة المذكورة لمطالبتهم على عدم قبول التمتع بالامتيازات التي أعطيت لنفس عمال الشركة في فلسطين. وقد استدعت الشركة السلطة الحكومية على هؤلاء العمال، فما كان من هذه السلطة إلا أن وجهت قوة كبيرة من الشرطة الى مكان المضربين، وطوقتهم وأحاطت بهم من كل جانب ووجهت إليهم نار أسلحتها فسقط عدد غير قليل من القتلى والجرحى.[٢٩٢] لقد الهبت تلك الحادثة معركة معارضة الاحزاب ضد السلطة، فكانت السبب المباشر في اسقاط وزارة ارشد العمري[٢٩٣]. لقد تميزت تلك المرحلة باحداث سياسية مهمة اصبح للشارع العراقي دور كبير في صياغة نتائجها ولكن تبقى هناك ادوار خفية في مسؤولية اللعب في صياغة تحريك الشارع العراقي ازاء تلك الاحداث فمن الصعوبة الجزم الفعلي على الرغم من اتفاق مؤرخي العراق على تدوين تلك الاحداث في مصادرهم التاريخية المختلفة، لاسيما أن من بين من أرخ تلك المرحلة قادة الاحزاب السياسية أومن عايش احداثها بكل تفاصيلها.فجاءت تفاصيل أحداث (الوثبة) ١٩٤٨بكل مجرياتها من اضرابات وسقوط الشهداء واعتراضات الاحزاب واستقالة بعض النواب والوزراء ومحاولة الاستعانة بالجيش وقصيدة الجواهري في اخيه الشهيد جعفر التي القيت في جامع الحيدر خانه التي يقول فيها:

---

[٢٩١] د. فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ......، مصدر سابق، ص ٥٠ ـ ٥١

[٢٩٢] محمد مهدي كبة : مصدر سابق، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

[٢٩٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج٧، مصدر سابق، ص ١٢٩



أتعلم أم انت لاتعلم
بأن جراح الضحايا فم
فم ليس كالمدعي قولا
وليس كاخر يسترحم
يصيح على المدقعين الجياع
أريقوا دماءكم تطعموا
ويهتف بالنفر المهطعين
أهينوا لثامكم تكرموا[*]

وتمخضت تلك الاحداث عن استقالة وزارة صالح جبر ورفض معاهدة (بورتسموث).[**] ويجد حنا بطاطوأن أحداث الوثبة وحدت الاحزاب "الشيوعيون وشركائهم ـ الديمقراطيون التقدميون ـ والشعبيون والاكراد الديمقراطيون ... والحزب الديمقراطي الوطني وحزب الاستقلال "[٢٩٤]. فقد شهد الواقع السياسي تلاحم القوى السياسية المعارضة المتمثلة بالاحزاب وفئات المثقفين والشارع العراقي. لقد اضحى الشارع العراقي عرضة لردود افعال القوى السياسية المختلفة، بل كان صدى للانعكاسات والاحداث السياسية في الدول العربية، فلقد لعبت الاحداث الناجمة عن اندحار الجيش العربي في حرب فلسطين وقيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ الاثر الاكبر في

[*] انظر نص القصيدة : محمد مهدي الجواهري، مذكراتي، ج٢، قم، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٣٢٩.

[**]وتبقى الرسالة الخاصة من د.فاضل الجمالي الى المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني يشير فيها أن للمعاهدة نصوصاً غير مدونة لصالح(المسألة الفلسطينية) ، ولكن رفض المعاهدة حال دون تطبيقها، ويضيف الحسني أن من حرك الشارع العراقي عناصر وجدت أن رفض المعاهدة عاملٌ قويٌّ في صرف الانظار عن ماكان يخطط لقيام دولة اسرائيل. أنظر : السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات. ..... ج ٧، مصدر سابق، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١.

[٢٩٤] حنا بطاطو : العراق. .... ج٢، مصدر سابق، ص ٢٠٩.

انتفاضة (تشرين الثاني / ١٩٥٢) فوظفت القوى السياسية الانتفاضة حين حولتها من نطاقها الطلابي في(كلية الـصيدلة والكيميـاء)[*] حاملـة مطالـب الاحـزاب الـسياسية بوجوب الاخذ بالانتخاب المباشر، اساسا للانتخابات القادمة، والقيام بالاصلاحات الانية اللازمة لصيانة الحريات ومواكبة التطور العـالمي. وشـملت الانتفاضـة منـاطق بغـداد والكاظمية والاعظمية وكربلاء والنجف والحلة والديوانية والناصريـة والبـصرة. وبعـد سلسلة الانقلابات في سوريا ومصر ولبنان تـشجعت الاحـزاب (الـوطني الـديمقراطي) و(الاستقلال) و(الجبهة الشعبية) و(الامة الاشتراكي)[**] للمطالبة بالاصـلاح الجـذري الشامل للسلطة من خلال مذكرات الى الوصي عـلى العـرش الامـير عبـد الالـه شـاجبة الاوضاع القائمة ومطالبة بتحقيق الاصلاحات السياسية والاقتصادية وتعديل القـانون الاساس ليضمن في نصوصه سـيادة الـشعب وضـمان الفـصل بـين الـسلطات والاخـذ بالانتخـاب المبـاشر واطـلاق الحريـات الـسياسية، والـضرب عـلى أيـدي المفـسدين والمستغلين.[٢٩٥] لقد جاء الرد الاميري على المذكرات بمـشاطرتهم الـرأي حـول الاحـوال المتردية التي تعيش فيها البلاد وحاجة البلاد الى الاصلاح في ضوء القواعد الدستورية التي أقرها القانون الاساسي.فاستشفت الاحزاب السياسية بأنه لم يكن لدى السلطة رغبة في الاصلاح الحقيقي. [٢٩٦]فضلا عما جاء في مـؤتمر الـبلاط في (٣تـشرين الثـاني / ١٩٥٢) الذي ضم الوصي ورؤساء الاحزاب وبعض رؤسـاء الـوزارات الـسابقة فـإنبرى بعـض

---

[*] ارتأت (كلية الصيدلة والكيمياء)تعديل نظامها الداخلي بجعل الطالب المعيد في بعض الدروس معيـدا في كافة مواضيع صفه، فجاء الإضراب. انظر السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ...، ج٨، ص ٣٢٠ ومابعدها.

[**] تأسس حزب الجبهة الشعبية في (٢٦ أيار / ١٩٥١) من مجموعة من الشخصيات المثقفة والـسياسية. وأسس صالح جبر حزب الامة الاشتراكي في (٢٤ حزيران / ١٩٥١) ، بعد أن اسس نوري الـسعيد حزبـه الاتحاد الدستوري الذي ضم عدداً من الاقطاعيين في (تشرين الثاني /١٩٤٩). أنظر : السيد عبـد الـرزاق الحسني، تاريخ الوزارات. ..... ج٨، مصدر سابق، ص١١٨، ص٢١٧، ص ٢١٣.

[٢٩٥] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ......، مصدر سابق، ص ٢٩٣ ـ٢٩٧.

[٢٩٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .....ج٨، مصدر سابق، ص ٣٠٥ ـ٣٠٨

رؤساء الاحزاب محذرين من أن الاوضاع في العـراق تقـود الى النتيجـة نفـسها في الـدول الاخرى في ايران وسوريا ولبنان ومصر، ولكن اقطاب الـسلطة نـوري الـسعيد وتوفيـق السويدي عولوا على التقدم التدريجي في قضايا الحريـات العامـة، كمـا حملـوا الـشعب نفسه المانع في التقدم والاصلاح لانتشار الجهل بين اوساطه وعدم ضرورة تعديل النظام الانتخابي. [٢٩٧]وذهب الوصي الى تحميلهم المسؤولية في تردي الاوضاع قـائلاً: "مـن هـو المسؤول عن كل مايحدث من مشاكل وقلاقل ومفاسد هل أنا المسؤول والبلاط عـن كـل ذلك. .. لا: أنكم انتم المسؤولون، أنتم الحاضرون هنا. وقـد تـولى معظمكـم مـسؤوليات الحكم في البلاد، ولسنا نحن المسؤولين".[٢٩٨]

قاد تدهور الاوضاع الامنية الى إستقالة وزارة مصطفى العمري وكلف الوصي رئـيس أركان الجيش نور الدين محمود رئيسا للوزراء وهكذا وحسب تعبير محمد مهـدي كبـة "أدخل الجيش في هذا المعترك السياسي، وأنيط منصب رئيس الـوزراء الـسياسي لـرئيس أركان الجيش، الموظف الذي يفترض فيه أن يكون تابعاً لهيأة الحكومة، ولـيس رئيـساً لها. فكانت سابقة أخطر بكثير من السوابق التي كان يبدي بعـض الـساسة تخـوفهم منهـا، كتعـديل قـانون الانتخـاب بمرسـوم."[٢٩٩] وأعلنـت الاحكـام العرفيـة ومنعـت المظاهرات وأغلقت الاحزاب وعطلت الصحف. وشرع في الانتخاب المباشر الـذي قاطعتـة الاحزاب لتدخلات السلطة فيه. شهدت الحالة السياسية تغييرا مؤقتاً مع نهاية وصـاية الامـير عبـد الالـه وتوليـة الملـك فيـصل الثـاني سـلطاته الدسـتورية للحكـم في (٢مايس /١٩٥٣)، فقد رفع (كامل الجادرجي) رئـيس الحـزب الـوطني الـديمقراطي و(محمد مهدي كبة) رئيس حزب الاستقلال مذكرتين الى الملك فيصل الثاني ركزتـا عـلى المطالب الاتية: إنهاء الاحكام العرفية واعادة الحياة الحزبية وإعلان حرية الصحافة، فلم

---

[٢٩٧] محمد مهدي كبة : مصدر سابق، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٣.

[٢٩٨] المصدر السابق نفسه، ص٣٤٣

[٢٩٩] المصدر نفسه، ص ٣٤٩.

يتلقيا جوابا مقنعاً بتلبية المطالب. ولكن مع وزارة د.فاضل الجمالي صدرت الارادة الملكية بتاريخ (٥تشرين الثاني/١٩٥٣)بإنهاء الاحكام العرفية وعودة الحياة الحزبية والصحفية. وعلى الرغم من التغيير الذي حدث مع وزارتي الجمالي الاولى والثانية، بادخال العناصر الشابة والكفوءة والنزيهة ومحاولة الوزارة معالجة الاوضاع الاقتصادية الا أن عمل الوزارة تعرض الى طعون دستورية من قبل مجلس النواب لاعلانها الاحكام العرفية على خلفية اضراب عمال شركة النفط في البصرة وتعرض بغداد الى كارثة الفيضان وفي الواقع، كانت خطوات الوزارة الرامية الى تطهير جهاز الدولة من المتنفذين المحسوبين على نوري السعيد وعبدالاله السبب المباشر في عرقلة عمل الوزارة ولاسيما أن وزارتيه ضمتا عددا كبيرا من المثقفين منهم عبد الكريم الازري وزيرا للمالية وزيرا للاعمار فقد عرف عن الازري سعيه الى تقليد العناصر المثقفة (ثقافة عصرية) المناصب الادارية ولاسيما في (مجلس الاعمار) [*] وأنه كان يسعى أن يبعد المجلس عن مزايدات (الثقل السياسي).[٣٠٠] لقد سجلت استقالة وزارة الجمالي في (١٩نيسان/١٩٥٤) الاعلان عن بدء مرحلة نتعرف عليها في صفحات اخرى. وبذلك إجتمعت عوامل ثقافية واقتصادية وسياسية تقف خلف راديكالية المثقف تتضح نتائجها مع بحث راديكالية السلطة وانفصام علاقة المثقف بالسلطة، فالواقع الثقافي يعلن عن وجود مثقف يؤمن ويعمل من أجل التغيير والواقع الاقتصادي بحاجة ملحة للتغييرات الجذرية فضلاً عن أن الواقع السياسي يعلن ايضا عن عدم استجابة السلطة للاصلاح.

المطلب الثاني : راديكالية السلطة: لقد مرت السلطة بمحطات (مصيرية)، جاءت مع انقلاب بكر صدقي سنة (١٩٣٦)، وحركة مايس(١٩٤١) فقد شكلت تلك التهديدات خطرا كبير الاقطاب وجدت أن التخلي عن السلطة بات امر حياة أو موت، على

[*] انظر: رسالة السيد عبد الكريم الازري الى المؤرخ عبد الرزاق الحسني. المصدر : تاريخ الوزارات. ....ج٨، ص١٨٢ ومابعدها.

[٣٠٠] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ....ج٩، ص ٩٧ ـ ٩٨.

الرغم من أن نتائج تلك الاحداث قد عملت على تصفية الكثير من الشخصيات بين مقتول ومنفي ومغضوب عليه، وكما مر معنا سابقا. اعلنت تلك المرحلة عـن الـسيادة المطلقـة لشخصية نوري السعيد، فعلى الرغم من تعدد الوزارات التي تداخلت مع وزارتـه الا انـه صاحب القدح المعلى في إتخاذ القرارات المهمة والمحـرك الفعـلي للاحـداث. ففـي وزارتـه العاشرة (كوفحت)الشيوعية،وفي العـامين ١٩٥١ و١٩٥٢، كانـت ايـران تغـلي كالمرجـل بسبب تأميم نفطها ومصر معرضة لاحتلال بريطـاني وامـام العـراق مـشكلة تـسوية قضاياه النفطية على أساس مبدأ المناصفة تـولى الـسعيد وزارتـه الحاديـة عـشرة،ومع تأليف الوزارة الاصلاحية للجمالي غادر السعيد العراق الى لندن غاضبا ومحاولا أن يقنـع الدوائر البريطانية أن مصالحهم في العراق باتت مهددة لتكتل المعارضة في جبهة واحـدة، ولم يعد الا بعد أن ذهب الامير عبد الاله لاسترضاء السعيد وعـاد بـشروط نـأتي عليهـا لاحقا ليؤلف وزارته الثانية عشرة ويدخل العراق في خضم التكتلات الدوليـة مـع (حلـف بغداد). [٣٠١]وليستمر بنفوذه وسطوته حتى نهاية العهد الملكي. ومـن الملاحـظ في هـذه المرحلة ضمور الصراع بين فئات الذوات (العسكرية والادارية) في تكالبهم عـلى الـسلطة فالاسماء التقليدية شعرت أن هناك أخطارا تهددها من خلال بروز قيـادات مـن طبقـة أهل الكفاية (الوسطى)، داخل السلطة فقد تقلدت الوزارات اسماء جديـدة بعيـدة كـل البعد عن الاسماء التقليدية فقد بلغ عدد الوزراء الجدد في عهد وصاية الامـير عبـد الالـه (٥١) وزيراً، لقد قوبل هذا العدد الكبير من الوزراء بانتقادات القيادات التقليدية، فاخذوا يطلقون عليهم بـ(استيزار الموظفين) الذين يبحثون عن الرواتب العاليـة، ويحملـونهم تردي الاوضاع في البلاد لانهم كانوا يعتقدون أن الوزارة منصب سياسي[٣٠٢] لقد تمـسكت القيادات التقليدية بالعمل على وفق الذهنية العثمانية، فقد كانوا بعيدين جداً عن منطق الخدمات الاجتماعية التي ينبغي للسلطة أن تقدمها للشعب ولعل كلمات (عزيز شريف)

---

[٣٠١] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ...... ج٩، مصدر سابق، ١٣٣ ومابعدها.

[٣٠٢] محاضر مجلس النواب، محضر الاجتماع الاعتيادي، لسنة ١٩٤٧، ص ٦٦ ـ ٦٧.

معبرة جداً عن حاجة السلطة لافراد "يشعرون بالخدمات الاجتماعية المتقابلة بين الفرد والدولة، أن المعيدي لايعرف معنى الحكومة سوى انها اشخاص يمثلون الجباية والتجنيد فقط "[٣٠٣]وبذلك بدأت القيادات التقليدية تخشى توسع ابناء الطبقة الوسطى الى مواقع حساسة في مراكز الدولة المدنية والعسكرية، ولاسيما التفاف جحافل الفئات الفقيرة والمعدمة من الطبقات الدنيا (اهل الكفاف) حول أبناء أهل الكفاية (الوسطى) واكثرية هؤلاء من الريفيين والمهاجرين منهم الى المدن، وهم فئات تتصف الى حد كبير بالتأخر المادي والمعنوي وبالنزعة الى تبعية من يترأسهم فضلاً عن كونهم عنصر اضطراب وتقلب سياسي، فغالبا ما كانت تُدفع الى المظاهرات. أن التعاطف بينهما هو نتيجة تقارب الموقع الطبقي، فتجارب العوز هي القاسم المشترك بينهما، فكلاهما من محدودي الدخل وفي الغالب يعانون الفقر والعوز، ما يستدعي منهم نهجا خاصا في الرأي والسلوك السياسي ومن حيث مطالبتهم من المجتمع والدولة[٣٠٤] لقد تعددت وسائل السلطة بقيادتها التقليدية ازاء الاخطار التي اضحت تهددها فمع الحياة الحزبية، اراد نوري السعيد أن يستدرج قيادات بعض الاحزاب للاشتراك في وزارته التاسعة وسعى الى الحزبين الوطني الديمقراطي والاحرار، ولكنه فشل في استيزار(كامل الجادرجي) فقد رشح الحزب الوطني الديمقراطي (محمد حديد) (وزيرا للتموين)فيما رشح حزب الاحرار(علي ممتاز) وزيراً (للمواصلات والاشغال).كانت شروط الحزبين للاشتراك بالوزارة هي:حرية الانتخاب وعدم تدخل السلطة فيه، وحرية الصحافة وفسح المجال للنشاط الحزبي ولكن تلكؤ السلطة بتنفيذ وعودها المتعلقة بالنشاط الحزبي عجل امر استقالة وزيري الحزبين معاً [٣٠٥]وبهذا فشلت سياسة استيعاب السلطة للاحزاب المعارضة بشخصياتها المثقفة، فلجأت الى ممارسة الوسائل التقليدية في محاربة الحرية

[٣٠٣] محاضر مجلس النواب، محضر الاجتماع الاعتيادي، لسنة ٣١ /٥ /١٩٣٧، ص ٢٦٤.

[٣٠٤] د.ايليا حريق : مصدر سابق، ص١٥ ـ١٧.

[٣٠٥] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ..... ج٨، مصدر سابق، ص ١٣٠ ١٣٦.

الفكرية فقد بدأ من خلالها العد التنازلي لحياة السلطة، لقد تجسدت تلك الممارسات في الحياة الصحفية والحزبية التي نتعرف عليها من خلال مناقشتها :

اولا:السلطة والحياة الصحفية: اذا اردنا أن نبدأ في مناقشة الحرية الفكرية في الحياة الصحفية فلا بد أن نبدأ بنص المادة الثانية عشرة من القانون الاساس (الدستور) التي جاء فيها أن "للعراقيين حرية ابداء الرأي والنشر والاجتماع وتأليف الجمعيات والانضمام اليها ضمن حدود القانون ".[٣٠٦]فاذا كانت الصحافة الوسيلة الاولى في التعبير عن الرأي فهل وفرت هذه المادة ضمانات حرية الرأي في مجال العمل الصحفي؟ لقد جاء تعليق د. (عبد الله البستاني) على نص هذه المادة "أن هذا النص على الرغم من تأكيده على المبدأ المذكور فانه لايقدم اي ضمان جدي للصحافة مادام قد جعل حرية إبداء الرأي والنشر محددة بالقانون وقد أدى ذلك الى أن يصدر المشرع العراقي قوانين قاضية على حرية الصحافة "[٣٠٧]فقد منح قانون المطبوعات رقم (٥٧)لسنة ١٩٣٣ وتعديله رقم (٣٣) عام ١٩٣٤ صلاحية منح اجازات الصحف لوزير الداخلية وليس من حق اية سلطة أن تسأل الوزير لماذا منع إجازة المطبوع، لقد تم استغلال هذه الصلاحية بشكل واسع جدا في تلك المرحلة، فضلاً عن تعطيل الصحف الحزبية التي كانت في مأمن عن التعطيل الا بحكم من المحكمة(ليس للحكومة ان تعطل صحيفة سياسية حزبية معلناً فيها انها لسان حزب سياسي مجاز قانونا الا بحكم من المحكمة)، فقد اهمل هذا النص اكثر من مرة ففي وزارة (ارشد العمري) ١٩٤٦ عطلت جميع صحف الاحزاب منها جريدة السياسة لسان حزب الاتحاد الوطني وقدم (عبد الفتاح ابراهيم) للمحكمة، كما قدم (عزيز شريف) رئيس حزب الشعب والمدير المسؤول لجريدة الوطن للمحاكمة. واقيمت

---

[٣٠٦] ديوان التدوين القانوني : مصدر سابق، ص ٣٧.

[٣٠٧] د.عبد الله اسماعيل البستاني : حرية الصحافة دراسة مقارنة، القاهرة، ١٩٥٠، ص ١٠٢.

ثلاث دعاوى على (كامل الجادرجي) صاحب جريدة صوت الاهالي ومديرها المسؤول[٣٠٨] والملاحظة الجديرة بالذكر في تلك المرحلة هي لم تخلُ وزارة من الوزارات المشكلة منذ قيامها من اغلاق عدد من الصحف وسوق اصحابها الى المحاكم، بل تصل احيانا اجراءات السلطة الى اغلاق جميع الصحف، وهنا لابد من إثارة سؤال ماهي النقاط التي شكلت مبررا للسلطة في قيامها بمحاربة الحرية الفكرية؟أن الاجابة عن هذا السؤال ليست صعبة، فليس النقاط التي شكلت الخلاف الذي يصل الى القطيعة بين السلطة والمثقف فلسفية، أومناقشة قضايا ماوراء الطبيعة، لقد تبنى المثقف قضايا الواقع العراقي بجميع ابعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فاذا تتبعنا المقالات التي كانت السبب المباشر في إغلاق الصحف نجد أن معظم تلك المقالات لم تخرج عن اطار المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمجتمع العراقي. ولعل قضايا انتخابات المجلس النيابي تأتي في مقدمة المشكلات السياسية، لقد تلخصت انتقادات الصحف لانتخابات المجلس النيابي في: أن المجالس الانتخابية اضحت وراثية تنتقل من الجد الى الابن الى الحفيد، فقد احتفظ كثيرون بالمقاعد النيابية عدة سنوات، ما ادى الى ضعف الحياة النيابية وعدم تمثيلها تمثيلا حقيقيا وقد نشأ عن هذا عجز المجالس النيابية عن السيطرة على الحكومة ومحاسبتها. فضلاً عن تدخلات السلطة لصالح مرشحيها وتزوير نتائج الانتخابات واللجوء الى القوة المسلحة للحصول على أصوات الناخبين، فضلاً عن تهديد المرشحين للنيابة بعدم ترشيح انفسهم، ما أدى في كثير من الاحيان الى مقاطعة الاحزاب الوطنية للانتخابات،كما اولت الصحافة اهتماما كبيراً للأحداث الوطنية مثل الوثبة ١٩٤٨، وانتفاضة ١٩٥٢فضلا عن تناول الصحف لمشكلات الاقطاع فكتب كامل الجادرجي ثلاث إفتتاحيات في جريدة (صوت الاهالي)

[٣٠٨] قيس عبد الحسين الياسري : مصدر سابق ، ص ٧٠ ـ٧٥.

عن نشوء الاقطاع ودوره في تخريب الدولة.[*] لقد شكل العام ١٩٥٤ عاما حاسما في الحياة الصحفية فقد ركنت وزارة نوري السعيد الثانية عشرة الى سياسة المراسيم، فاصدرت ستة من المراسيم التي انهت بموجبها الحياة الصحفية والحزبية، فالمرسوم الخاص بالحياة الصحفية كان المرسوم رقم (٢٤)لسنة ١٩٥٤ الذي خول فيه وزير الداخلية الغاء اجازات الصحف والمجلات بموجب المادة (٤١) التي نصت " تلغى اجازات الصحف والمجلات كافة الممنوحة بمقتضى قانون المطبوعات رقم (٥٧)لسنة١٩٣٣ وتعديله رقم (٣٣) لسنة ١٩٣٤ اعتبارا من تاريخ نفاذ المرسوم، ويشمل الالغاء اجازات الصحف والمجلات المعطلة والمتوقفة عن النشر لاي سبب كان ". [٣٠٩]وعلى وفق هذا المرسوم تم الغاء جميع الصحف الوطنية على أن يتقدم أصحابها بطلبات جديدة للحصول على إمتيازات جديدة. ولم تمنح امتيازات جديدة لأكثر من سبع صحف بينها جريدة واحدة تصدر باللغة الانكليزية. [٣١٠]وبذلك قضى هذا المرسوم على صحافة الاحزاب الوطنية والصحف الاخرى فقد بلغت الاجازات الملغاة (١٩٣) مابين جريدة ومجلة. وقد تضمن المرسوم (٤٦)مادة توزعت على ثمانية محاور رئيسية هي: شروط المطبوع، الحقوق والواجبات والغاء المجلة أوالصحيفة واصدار الاجانب مجلة او صحيفة والمواد الممنوع نشرها والجرائم والعقوبات واحكام عامة. [**]لقد كان غرض المرسوم الاساس التضييق على حرية اصدار الصحف، فقد بلغ تأمين المطبوع اليومي (الصحيفة) (٥٠٠) دينار، كما جاء شرط الايداع وهو وضع عدد من نسخ الصحيفة أو المطبوع عند الجهات الرسمية من وقت صدور المطبوع وعرضها للبيع أوالتداول، وعلى وفق هذا المرسوم اوجبت

---

[*] انظر : صحف صوت الاهالي، صوت السياسة، صوت الاحرار، الوطن، الشعب وغيرها من الصحف الوطنية للسنوات ١٩٤٧ـ١٩٥٤.

[٣٠٩] جريدة الوقائع العراقية، العدد ٣٥١٠، ١٦ /١١ /١٩٥٤.

[٣١٠] السيد عبد الرزاق الحسني :تاريخ الوزارات. .... ج٩، مصدر السابق، ص ١٥١.

[**]أنظر نص المرسوم :جريدة الوقائع العراقية، العدد ٣٥١٠، ١٦ /١١ /١٩٥٤.

المادة (٩) ارسال عشر نسخ الى وزير الداخلية ونسختين الى المدعي العام، وهذا يحتم اتخاذ الاجراءات القانونية ضد الصحف والمطبوعات الاخرى، اما جرائم النشر واحكامها العقابية فقد حدد المرسوم مسؤولية رئيس التحرير وكاتب المقال ومالك الصحيفة وعدّهم مسؤولين بالتكامل والتضامن، وكذلك مصادرة المطبوع أوالصحيفة لصالح الدولة عند نشر الصحيفة أوالمطبوع مواد ممنوعة أو اتخاذ إجراءات الحبس أوالغرامة. وعلى وفق المادة (٤٣) منع المرسوم المحاكم من سماع أية دعوى تقام بشأن الاجراءات الادارية وفقا لاحكام هذا المرسوم وعلى الرغم من "أن المرسوم لم يشر ضمن احكامه الى موضوع الرقابة على الصحف والمطبوعات الا أن ضمن الاجراءات الادارية العامة تعين السلطة افرادا يطلق عليهم(الرقباء) تخولهم منع نشر الكتابات المضرة بـ(الصالح العام)"[٣١١] وبذلك خضعت الحياة الصحفية لاحكام هذا المرسوم طوال العهد الملكي.

ثانيا:السلطة والحياة الحزبية : جاء بعث الحياة الحزبية في العام ١٩٤٦ بخمسة احزاب علنية: وهي حزب الاستقلال والاحرار والوطني الديمقراطي والشعب والاتحاد الوطني، فقد شكلت تلك الاحزاب مصدر قلق للحكومات المتعاقبة بما نظمته من مظاهرات، وماقدمته من احتجاجات. فعملت السلطة على تحجيم دور الاحزاب الذي جاء مع سحب اجازة حزبي الشعب لمؤسسه عزيز شريف والاتحاد الوطني لمؤسسه عبد الفتاح إبراهيم. لقد جاء البيان الحكومي عن أسباب سحب اجازة الحزبين في (٢٩ أيلول /١٩٤٧): هي تحبيذ المبادىء الهدامة وترويجها والحث على الثورة والاخلال بالنظام العام. [٣١٢]وفي الواقع أن سحب اجازة الحزبين جزء من محاربة أجنحة الحركة اليسارية في العراق علماً أن الحزبين ضما اسماء

[٣١١] د.وائل عزت البكري : مصدر سابق، ص ٣٨ ـ ٤٥.

[٣١٢] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج٧، مصدر سابق، ص ١٧٩ ـ١٨٠.

لشخصيات عراقية مثقفة، أمثال (عزيز شريف،وعبد الفتاح ابراهيم، ومحمد مهدي الجواهري) وغيرهم الكثير ممن يحملون شهادات كلية الحقوق، وقد اخذت الشيوعية تحتل الصف الاول بين الحركات السياسية ففي تقرير لبهجة العطية (رئيس الشرطة السياسية) يشير فيه الى إنتشار الشيوعية انتشاراً واسعا الى درجة أن الحزب الشيوعي اجتذب اليه ٥٠% من شباب الطبقات كافة[٣١٣]

في حين صرح نوري السعيد في مؤتمر صحفي قائلاً "اني لا اعتقد أن في البلد شيوعية ولكن هناك أُنَاساً متذمرين من الحالة فيريدون ان يعبروا عنها بدعايات مختلفة. أن الشيوعية تظهر في البلدان الصناعية اما نحن فلا صناعة عندنا "[٣١٤].لم تشهد حركة سياسية في العراق اضطهادا مثلما تعرضت له جميع أجنحة الحزب الشيوعي على مر تاريخ العهد الملكي، لقد (توجت) سلطة نوري السعيد في وزارتة العاشرة هذا الاضطهاد بشنق الزعماء الثلاثة يوسف سلمان يوسف (فهد) وزكي بسيم وحسين محمد الشبيبي، وقد نفذت الاحكام في (١٤ و١٥شباط /١٩٤٩) في ساحات مختلفة في بغداد: الشبيبي عند باب المعظم وبسيم عند الباب الشرقي وفهد في ساحة المتحف في الكرخ[٣١٥] وشنق ابراهيم صدقي وعلى خلفية (عدالة) نوري السعيد في أن يتناول تنفيذ احكام الاعدام ثلاثة من المدانين على أن يكون احدهم مسلما والثاني يهوديا والثالث مسيحيا ولتعميق هذه (العدالة) كان المسلمان من المذهبين الشيعي والسني. فكان فهد(مسيحيا) وبسيم (سنيا) والشبيبي (شيعيا) وصدقي (يهوديا)[٣١٦]. يجد حنا بطاطو أن نشاط الحزب الشيوعي توسع مع التحالف (السوفياتي ـ الانكليزي) خلال الحرب العالمية الثانية فقد وجد متنفسا في وسائل انتشاره في العراق، ولكنه فقد هذه

---

[٣١٣] حنا بطاطو : العراق. ..... الحزب الشيوعي. .... ج٢، ص ١١٩

[٣١٤] السيد عبد الزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ...... ج٨، مصدر سابق، ص ٨٥.

[٣١٥] حنا بطاطو : العراق. .... الحزب الشيوعي. .. ج٢، ص ٢٢٦.

[٣١٦] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ......ج٨، مصدر سابق، ص ٨٧.

الميزة مع تغير الاوضاع الدولية، فقد تركزت نشاطات الحزب في المدة التي سبقت العام ١٩٤٦في الاصلاح فالسلطة كانت هدفا بعيد المنال، فكان يمد الجسور في اماكن حساسة مثل المدارس والجامعات والمؤسسات الكبيرة والجيش، ولكن بعد العام ١٩٤٦ خرج الحزب عن فكرة الاصلاح الى العمل من اجل الثورة ولكن الثورة كانت خارج امكانيات الحزب فاخذ يلجأ الى انهاك السلطة بضربات صغيرة متكررة، كما كانت الصحافة احدى وسائل الحزب فاصدر(الشرارة) و(القاعدة) و(المجلة) و(المثل العليا) و(العصبة) و(الاساس). فضلا عن مشاركة الاحزاب الاخرى في قيادة الاعتصامات العمالية والانتفاضات الفلاحية.[٣١٧] أما تعامل السلطة مع الاحزاب العلنية فلم تدخر السلطة وسيلة في حرمان تلك الاحزاب من الفوز بمقاعد نيابية، فكانت إجراءاتها في الانتخابات تكاد تكون واضحة جداً في التأثير المباشر في نتائج الانتخابات بين التزوير والفوز بالتزكية لصالح مرشحيها. ولاسيما أنها سعت لتأسيس احزاب مساندة لها في الانتخابات وهذا ماحصل مع حزب نوري السعيد حزب (الاتحاد الدستوري) الذي ضم عدداً كبيراً من الاقطاعيين واصحاب المصالح الكبيرة والمستثمرين والانتهازيين ولم يختلف حزب (الامة الاشتراكي) الذي أسسه (صالح جبر) بتشجيع من الوصي على العرش ليوازي به قوة ونفوذ نوري السعيد. وقد ضم ثلة من رؤساء العشائر وبعض محترفي السياسة وأصحاب المصالح[٣١٨] ولجأت الاحزاب الى العمل المشترك من أجل خوض المعارك الانتخابية، ففي وزارة ارشد العمري الثانية (٢٩ نيسان/١٩٥٤)عقد الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وانصار السلام والحزب الشيوعي وبعض المستقلين سلسلة اجتماعات للاتفاق على ميثاق وطني لخوض الانتخابات، وقد اتفق على ان تكون (الجبهة الوطنية) المنبثقة مقتصرة على الانتخابات ولم يكن متفقا على ان تكون دائمة وقد وقع الشيوعيون على الميثاق تحت تسميات تنظيمات مهنية (العمال،

---

[٣١٧] حنا بطاطو : العراق. .... الحزب الشيوعي. ... ج٢، ص٢٦٣ ـ٢٦٦.

[٣١٨] محمد مهدي كبة : مصدر سابق، ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

الفلاحون، الاطباء، الطلاب، الشباب)، وقد اكد (ميثاق الجبهة الوطنية) اطلاق الحريات الديمقراطية كحرية الرأي والنشر والاجتماع والتظاهر وتأليف الجمعيات وحق التنظيم السياسي والنقابي وحرية الانتخابات وابعاد العراق عن المحالفات العسكرية وتحقيق العدالة الاجتماعية وانهاء الاقطاع ورفع مستوى معيشة الشعب. [٣١٩]

يذكر السفير الأميركي(والدمارغولمان) الذي عايش مرحلة الانتخابات التي خاضتها (الجبهة الوطنية) أن نوري السعيد رفض تشكيل الوزارة بعد استقالة فاضل الجمالي لانه شعر أن ولي العهد عبد الاله لم يكن جادا حقاً حين طلب اليه تأليف الوزارة فغادر الى لندن مقتنعا أن الامور ستزداد اضطرابا عند غيابه عن دفة الحكم، واجريت الانتخابات في (٩ حزيران/١٩٥٤)، فكان التنافس بين (٤٦٦) مرشحاً على مقاعد مجلس النواب التي يبلغ عددها(١٣٥) فالجو السائد لم يكن هادئا فقد توزعت الشرطة في كل مكان، فكانت الاجتماعات السياسية تعقد في جميع أنحاء البلاد وقد انقلب بعضها الى مظاهرات ضد السلطة[٣٢٠] وحصلت (الجبهة الوطنية) على (١١) مقعدا وقد فاز من مرشحي الجبهة :كامل الجادرجي وحسين جميل ومحمد مهدي كبة وفائق السامرائي وخدوري خدوري وعبد الجبار الجومرد وذو النون ايوب ومحمد حديد ومحمد صديق شنشل ومسعود محمد وجعفر البدر.[٣٢١] ويجد (والدمارغولمان) أن فوز مرشحي الجبهة الوطنية كان مبعث استياء البلاط والعناصر المحافظة على الرغم من (تفاهة) العدد لان "هذه الجماعة الصغيرة كانت لديها الوسائل لاثارة كثير من الصعوبات والمشكلات. فهي وحدة متآزرة حسنة الانضباط تستطيع أن تعرقل عمل البرلمان. وتستطيع أن توصل صوتها الى الجماعات اليسارية، وكذلك الافراد الساخطون في البلاد

[٣١٩] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ......، مصدر سابق، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٥.

[٣٢٠] نجدة فتحي صفوت : العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب. ...، مصدر سابق، ص ٢٢٠ـ٢٢١.

[٣٢١] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ....، مصدر سابق، ص ٣٥٦.

كلها "[٣٢٢]. لقد أسهمت السلطة في تزوير الانتخابات يقول كامل الجادرجي "لولا التزوير، أو بالأحرى منع الناس من الانتخاب، لوصل الى مجلس النواب مالايقل من الثلاثين نائبا من مرشحي الجبهة الوطنية "[٣٢٣].لم يكن نوري السعيد وهو في باريس بعيدا عن مجريات الاحداث فقد بعث رسالة خاصة الى احد مقربيه (خليل كنة) يطلب فيها تحذير الجهات العليا في البلاد بضرورة فوز مرشحي السلطة وأن يكون عددهم من (٣٠ـ٨٠) في المجلس النيابي للمحافظة على مركز السلطة.[٣٢٤] وقد اسفرت نتيجة الانتخابات عن فوز حزب نوري السعيد (الاتحاد الدستوري)، فقد نال (٥٦) مقعدا من أصل (١٣٥) لذلك كلف نوري السعيد بتشكيل الوزارة. [٣٢٥]ويذكر (والدمارغولمان) سافر عبد الاله الى نوري السعيد طالبا تشكيل الوزارة، فوافق على تشكيلها بشروط أولها حل المجلس النيابي المنتخب حديثا واجراء انتخابات جديدة وحل الاحزاب السياسية وإطلاق يده في الغاء اجازات الصحف. ولم يعد نوري السعيد الى بغداد لتأليف الوزارة الا بعد قبول تلك الشروط.[٣٢٦] وكان لنوري السعيد ما أراد فقد كان إجتماع المجلس لجلسة واحدة فقط وليعطل قبل أن يعقد أية جلسة أخرى، أو أن يتسع له المجال لتأليف اللجان الدائمة وليُحل بعد أن ألف نوري السعيد وزارته الثانية عشرة في (٣آب / ١٩٥٤).[٣٢٧] ومن اجل القضاء النهائي على الحياة الحزبية حل نوري السعيد حزبه (الاتحاد الدستوري) مشيرا في بيان اصدره لفسح المجال لكل (من يجد في نفسه الكفاية لتمثيل الامة تمثيلاً صحيحا) دون الحاجة الى الاحزاب، وقد مارس نوري السعيد وسائل الاغراء بالوعد بالمناصب الوزارية لاعضاء الاحزاب الاخرى ما ولد داخل تلك الاحزاب الانقسامات

---

[٣٢٢] نجدة فتحي صفوت : العراق في مذكرات الدبلوماسين الاجانب. ...، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

[٣٢٣] كامل الجادرجي : مصدر سابق، ص ٦٣٨.

[٣٢٤] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ..... ج٩، مصدر سابق، ص ١٣١.

[٣٢٥] د.فاضل حسين : تالريخ الحزب الوطني. .....، مصدر سابق، ص ٣٥٦.

[٣٢٦] نجدة فتحي صفوت : العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب. ...، مصدر سابق، ص ٢٢٣.

[٣٢٧] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج ٩، مصدر سابق، ص ١٢٥.

الداخلية ولاسيما حزبي (الامة الاشتراكي) و(الجبهة الشعبية)، مـا ادى الى حـل حـزب الجبهة الشعبية[٣٢٨]. كما اصدر المراسيم الخاصة بالحياة الحزبية منها المرسـوم المـرقم (١٦) لسنة(١٩٥٤) الذي عدل بموجبـه قـانون العقوبـات البغـدادي رقـم (٥١) لـسنة (١٩٣٨)الذي نصت الفقرة الاولى منه (كل من حبذ أو روج ايا مـن المـذاهب الاشـتراكية البلشفية ـ الشيوعية ـ والفوضوية والاباحية وما يماثلها التـي ترمـي الى تغيـير نظـام الحكم والمبادىء والاوضاع السياسية للهيأة الاجتماعية المـضمونة بالقـانون الاسـاسي يستحق عقوبة الحبس لمدة سبع سنوات والحبس المؤبد او الاعدام اذا كـان التحبيـذ قـد جرى بين القوات المسلحة) والفقرة المضافة (سواء كان ذلك مباشرة او بواسطة هيئات او منظمات تهدف الى خدمة المذهب المذكور تحت ستار اي اسـم كـان كانـصار الـسلام والشبيبة الديمقراطية وما شاكل ذلك)[٣٢٩] ومرسوم رقم (١٧) لسنة (١٩٥٤) الذي جاء فيه (لمجلس الوزراء بناء على اقتراح وزيـر الداخليـة اسـقاط الجنـسية العراقيـة عـن المحكوم وفق ذيل قانون العقوبات البغدادي رقم ٥١ لسنة ١٩٣٨ ونـصت المـادة الثانيـة على ان لوزير الداخلية اعتقال الشخص المسقطة عنه الجنسية فور صدور قرار مجلـس الوزراء بذلك والاحتفاظ به الى أن يتم ابعاده).[٣٣٠] أما المراسـيم الاخـرى (١٨ و١٩ و٢٥) لـسنة ١٩٥٤ المتعلقـة بـاغلاق النقابـات والجمعيـات ومنـع الاجتماعـات العامـة والمظاهرات[٣٣١].لقد اصدر الحزب الوطني الديمقراطي بيانا هاجم فيه المراسيم وطالـب بالغائها فاصدر وزير الداخلية امراً بسحب اجازة الحـزب[٣٣٢]. وبعـد مـشاركة عقيمـة لحزب الاستقلال في الانتخابات النيابية التـي اجراهـا نـوري الـسعيد تـدخلت الـسلطة لصالحها في الانتخابات، فما كان من حـزب الاسـتقلال الا أن يقـدم الاحتجاجـات عـلى

[٣٢٨] المصدر السابق نفسه، ص ١٣٩ ـ ١٤١.

[٣٢٩] جريدة الوقائع العراقية، العدد ٣٤٥٥، ١٤ /٩/ ١٩٥٤.

[٣٣٠] المصدر السابق نفسه.

[٣٣١] جريدة الوقائع العراقية، الاعداد ٣٤٥٥ و٣٤٦٧ و٣٤٨٠، والمؤرخة١٤ و٢٢ / ٩ و١٢ / ١٠ /١٩٥٤.

[٣٣٢] د. فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي. .....، مصدر سابق، ص ٣٥٩.

تدخلات السلطة فيها وعلى الرغم من فوز مرشحين للحزب وهما محمد مهدي كبة و(عبد المحسن الدوري)[*] الا أن الحزب قرر الانسحاب من المجلس النيابي، وعلى وفق المرسوم (١٩)لسنة ١٩٥٤ أصدر وزير الداخلية بياناً بالغاء الاحزاب والجمعيات والنوادي على أن تقدم طلبات جديدة. [٣٣٣]وبذلك انهت السلطة الحياة الحزبية العلنية وقضي على الحياة الصحفية ورفضت السلطة أي طلب بقيام حزب علني. لقد قادت راديكالية السلطة الى الانفصام النهائي لعلاقة المثقف بالسلطة نتعرف عليها في الصفحات الاتية .

المطلب الثالث: انفصام علاقة المثقف بالسلطة: من قصر نظر السلطة انها لم توسع افقها السياسي، فلم تول مسألة العدالة الاجتماعية الاهمية التي تستحقها في مجتمع متغير ديموغرافياً وسياسياً ولايعد هذا التقصير اهمالا فحسب، بل نقص في الحكمة السياسية التي كانت تقتضي أن تكون السلطة في مجتمع الفاقة قادرة على مخاطبة الجماهير باللغة التي تهم حاجاتهم الحياتية الملحة بالدرجة الاولى. فبعد أن عطلت السلطة مظاهر الحرية المدنية من الاحزاب والصحافة التي كانت وسيلة المثقفين في التعبير عن معارضتهم للسلطة فضلاً عن انتفاء الحاجة للحياة النيابية بفوز مرشحي السلطة بالتزكية. إنشغلت السلطة بمشاريع التكتلات العربية والدولية فضلاً عن صيغ التدخل في شؤون الدول الاخرى، مبتعدة عن التفكير في محاولات الاصلاح السياسي أوالاقتصادي. فجاء (حلف بغداد)[**]. ومع أزمة السويس١٩٥٦ وتصاعد وتيرة احداثها التي غدت وسيلة ومتنفساً للشارع العراقي بتحريك من القوى السياسية. وبعد تدهور الاوضاع الامنية اعلنت الاحكام العرفية، وعُطلت الدراسة، كما غدت مدينة النجف

---

[*] فضل عبد المحسن الدوري الاحتفاظ بالنيابة، فاستقال من الحزب، المصدر :محمدمهدي كبة: مصدر سابق،ص ٢٦٢.

[٣٣٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ..... ج٩، مصدر سابق، ص ٣٧٦ ـ٣٧٧.

[**]أنظر تفاصيل الحلف: السيد عبد الرزاق الحسني، أحداث عاصرتها، مصدر سابق، ص ٣٢٨ـ٣٦٣.

الأشرف ميداناً للاحداث الصاخبة، فكان من (السهل) على السلطة معالجة الاوضاع بضرب المتظاهرين باستخدام السلاح داخل المرقد العلوي مما ادى الى رفع أصحاب الرأي في النجف برقيات الى الملك فيصل الثاني بضرورة معالجة الامور بالحكمة والابتعاد عن استخدام القوة.لقد حملت تلك البرقيات أسماء علماء الدين وهم (الشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد حسين الحمامي، والشيخ محمد كاظم الشيخ راضي، والسيد محسن الحكيم، والسيد علي بحر العلوم) فضلاً عن البرقيات التي رفعها ثلة من المحامين. لقد سرت حوادث النجف الاشرف سريان النار في الهشيم في جميع ألوية العراق الجنوبية والشمالية فضلاً عن العاصمة بغداد. لقد كان من اجراءات السلطة السريعة ايفاد وفد حكومي الى النجف لتهدئة الاوضاع لما تتمتع به المدينة من مكانة قدسية، كما عمدت الى معاقبة الطلبة بين الفصل أو الحبس أو الابعاد من مختلف انحاء العراق فذهب ضحية ذلك نحو عشرة الاف طالب [٣٣٤]وعلى الرغم من تصاعد وتيرة العنف ضد السلطة إلّا أن اجراءات السلطة القمعية حالت دون القيام باعمال كبيرة بسبب ضعف التنسيق بين القوى السياسية ولاسيما بعد ازدياد نشاط حزب (البعث العربي الاشتراكي)[**]، فقد شكلت (قيادة ميدانية) من ممثلي القوى المختلفة الشيوعيين والبعثيين والديمقراطيين الوطنيين والاستقلاليين في (٢٩ تشرين الاول / ١٩٥٦)، ولكنها لم تستطع فعل شيء للسرعة التي إعتقل بها أعضاؤها.[٣٣٥] لقد افرزت اجراءات السلطة العنيفة فئات من المثقفين تحددت ملامحها في هذه المرحلة بشكل مميز،فبين اصحاب السخط الفكري والسياسي وفئات من العسكريين الذين أفرزتهم متغيرات التطورات

---

[٣٣٤] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ...... ج١٠، مصدر سابق، ص ١١٠ ـ١١٧.

[**] تأسس فرع الحزب في العراق في عام ١٩٥٢، وشارك مع القوى السياسية الاخرى في الاحداث الوطنية مثل انتفاضة ١٩٥٢، كما اصدر صحيفته السرية (الاشتراكي)، و تمثل نشاطه في التنديد بممارسات السلطة في الانتخابات النيابية. المصدر: حنا بطاطو: العراق.. الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، ج٣، قم، مكتبة الغدير، ٢٠٠٥، ص٥٠ ومابعدها.

[٣٣٥] حنا بطاطو : العراق. ..... الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، ج٣، مصدر سابق، ص٥٨ ـ ٥٩.

الاقتصادية والاجتماعية نمت أفكار كان من الصعوبة القبول بهـا والعمـل مـن أجلهـا سابقاً. فهذه الفئات التي تآزرت وعملت على قيادة الاحداث التي قوضت فيهـا الـسلطة وهذه الفئات هي : ـــ

اولاً: المثقفون ذوو المكانة الادبية الرفيعة : من الكتـاب والاسـاتذة والفنـانين الـذين اسـتمروا في التعبـيرعن سـخطهم عـلى الاوضـاع الـسياسية والاقتـصادية والاجتماعية المتدهورة، والذين مهدوا أرضية الرفض وضرورة البحث عـن وسـائل التغيير الجذري، فقصائد الشعراء حملـت المـضامين الـسياسية التـي عـبرت عـن ضرورة تغيير مجتمعهم تبعا للمثل التـي حلمـوا أو آمنـوا بهـا، فطمـوحهم كـان يدفعهم من دون شك الى التمرد والمغامرة والثورة، وعلى الرغم مـن أن آراء (يوسـف الصائغ) حول الشعر الحر في هذه المرحلة الذي ذهب معظمه الى تعميـق الاحـساس بتناقض الواقع الاأن مضامين شعرهم لاتختلف عـن مـضامين الـشعر التقليـدي، فاحتلت حياة الفلاحين من بؤس وشقاء الرقعة الاوسـع في قـصائدهم، في حـين أن حياة العمال لم تشغل حيزا خلال تلك السنوات سوى حيز صـغير لـصغر المـساحة التي تشغلها الطبقة العاملة ونقص خبرة الشعراء بواقع العمل والمعامـل. فجـاءت قصائدهم معبرة عن النماذج المسحوقة في المجتمع فضلا عـن التعبـير عـن قـضايا المجتمع الأخرى.[٣٣٦] وهذا مايمكن لمسه في شعر بدر شاكر السياب وعبـد الوهـاب البياتي وسعدي يوسف وعبد الرزاق عبد الواحد. ولعل قصائد السياب تحتل الاولوية في هذا المجال فهو القائل في قصيدته أنشودة المطر :

مطر...

مطر...

---

[٣٣٦] يوسف الصائغ : مصدر سابق، ص ١٤٧ ـ ١٥٧.

ومنذ أنْ كنا صغارا كانت السماء
تغيم في الشتاء
ويهطل المطر
وكل عام ـ حين يعشب الثرى ـ نجوعْ
ما مر عام والعراق ليس فيه جوعْ
مطر. ..
مطر. ..
مطر...[٣٣٧]

وفي المجال القصصي استمرت القصة العراقية تعمل على ابـراز الشخـصية العراقيـة وتصور البيئة العراقية وتعبر عن الانسان العراقـي بمـشكلاته وتطلعاتـه، كمـا عنيـت بتصوير آثار فساد الحكم واستغلال النفوذ وسوء توزيع الثروة، فالقصص تتحدث عـن أناس عراقيين يعيشون على الارض، واكثر هؤلاء الناس من العامة الذين نلتقـي بهـم في الشارع والسوق والحقل والمصنع ولم يكن الحديث عنهم لمجرد الحديث لان هؤلاء عـادة من الطبقة الفقيرة والبرجوازية الصغيرة، فالواجب المعقول أن تنصف هذه الفئـات وأن تمنح حقها من الحياة الكريمة، وعلى السلطة أن تجد في خدمة هؤلاء وتحسن ظروفهم، فجوهر القصة الواقعية ليس مايحدث بالفعل، وأنما الكـشف عـن الـدلائل الكـبرى لمـا يحدث من خلال التناقض العـام في المجتمـع في سياسـته واقتـصاده وفكـره وفنـه[٣٣٨] فجاءت نتاجات عبد الملك نوري (رسل الانسانية)، و(نشيد الارض)، و(حـصيد الرحـى) لـ(غائب طعمة فرمان)، و(السجن الكبير) لـ(صالح سـلمان) وغيرهـا مـن النتاجـات القصصية، وفي المجال المسرحي لعبت الحركة السياسية اليسارية دوراً هاماً في توجيـه

[٣٣٧] بدر شاكر السياب : المجموعة الشعرية الكاملة، ج١ وج٢، دار مية، دمشق، ٢٠٠٦، ص ٢٥٦.
[٣٣٨] د.عمر الطالب : الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص ٧ ـ ١٤.

المسرح توجيهاً انسانياً يعالج هموم الشرائح العريضة المستغلة في المجتمع العراقي.فكانت الفرق المسرحية مثل (الفرقة العربية للتمثيل) و(فرقة بيت الامة) و(الفرقة الشعبية للتمثيل) (فرقة الفن الحديث)التي مثلت النصوص المسرحية العالمية والعراقية منها (عدو الشعب) و(ايريد يعيش) و(ماكوشغل) و(تؤمر بيك) و(الفلوس)، وتميزت الاسماء الجادة في مجال التمثيل والاخراج المسرحي أمثال (يحيى حقي، وجعفر السعدي، ويوسف العاني، وابراهيم جلال، وجاسم العبودي)[٣٣٩]. وفي الواقع لاتخرج هذه الاعمال الادبية او الفنية من محاولات إثارة السخط على الاوضاع المتخلفة وتحمل السلطة مسؤولية هذا الواقع الذي يعيشه المجتمع ولاتختلف مضامين القصائد الشعرية عن مضامين الفن القصصي أو الفن المسرحي أو بقية الفنون عما كان يردده الشاعر الشعبي والفنان (عزيز علي) الذي اشتهر بغناء (المونولوج)، فكان لوقع أغانيه في الفئات المسحوقة تأثير كبير لبعد هذه الفئات عن نتاجات النخبة من المثقفين، فاشتهرت أغانيه واخذ عامة الناس يرددها منها (عيش وشوف) و(دكتور)و(حبسونه) و(السفينة)و(صلى النبي)،(منة منة) و(هذي السنة سنة) التي غناها مستقبلا بها سنة جديدة وهي سنة ١٩٥٨، وتبقى (كل حال يزول) نبوءة ثورة (١٤ تموز/١٩٥٨)التي سبقت الثورة بمدة قصيرة. والتي تقول كلماتها :

كل حال يزول ما تظل الدنيا بفد حال
تتغير من حال لحال هذا دوام الحال محال
هذا العالم مليان اسرار . .... اسرار تحير الافكار
دولاب الدنيا الدوار صاعد نازل باستمرار
وبكل لحظة وكل مشوار يقبل ويودع زوار زغار وكبار

---

[٣٣٩] لطيف حسن : فصول من تاريخ المسرح العراقي

اطفال يصيرون رجال ورجال يصيرون ابطال
ورجال يظلون اطفال ورجال انصاف رجال
وعلى ها المنوال تمر الاجيال وكل جيل يكول كل حال يزول
احنا بها العالم خطار قصرت اوطالت العمار
وعلى ها المسرح ليل نهار بعض الاشرار
ديمثلون ادوار ادوار يروحون وينزل الستار ويلحكهم عار
يراوونا غرور غرور الانسان بالمال وبالسلطان
وشلون يغره الشيطان ويخرج عن طور الانسان
والعالم فان كل يوم بشان ولازلنا نكول كل حال يزول [٣٤٠]

وليس غريبا أن تبنى الجميع دعوات إثارة السخط وضرورة التغيير من قبل الفئات النخبية للمثقفين وان في ابسط مظاهر التعبير حتى كادت هذه الدعوات تغطي كل مناسبة ففي نهاية أغنية لـ (حضيري أبوعزيز) وهي (على درب اليمرون) نجده ينشد (الثمر للغير واتعب يافلاح).

أما فئات مثقفينا من اساتذة الجامعات العراقية التي عبرت عن سخطها ازاء الاوضاع المتدهورة على خلفيات تداعيات إنتفاضة ١٩٥٦، فيذكر الاستاذ (عبد الرحمن البزاز) المناقشات التي دارت بين رجال التعليم فمنهم من اقترح القيام بالاضراب أوالاستقالة من وظائفهم اوطبع منشورات تندد بسياسة السلطة واخيرا اتفقت الاراء على رفع (عريضة) الى جلالة الملك فيصل الثاني تتناول الاوضاع في البلاد، ولم تحضَ تلك الفكرة بتأييد عدد غير قليل من الاساتذة معللين ذلك انه إشتغال بالسياسة وهو عمل محظور على موظفي الدولة. في حين يجد(عبد الرحمن البزاز) أنه عمل يتفق مع المادة

[٣٤٠] تسجيلات شخصية للفنان عزيز علي.

الرابعة عشرة من القانون الاساس في (أن للعراقيين الحق في رفع عرائض الشكوى واللوائح في الامور العامة الى الملك)، كما أن رجال التعليم عامة يتمتعون بحريات واسعة في التأليف والنشر والقاء المحاضرات وإبداء الرأي في البلدان الراقية[٣٤١]. لقد جاء في مقدمة العريضة المرفوعة سبب الولوج الى هذه الوسيلة هو سد منافذ الطرق الديمقراطية من أحزاب سياسية ومنظمات نقابية وحرفية وصحافة حرة وحياة نيابية تعكس حال الامة وتكون متنفساً أميناً يحول دون الكبت الذي يؤدي بالنتيجة الى الانفجار. وتضمنت العريضة المحافظة على حرمة المعاهد العالية ورجال التعليم، وضمان الحرية الفكرية وفسح المجال لنشاط الطلاب داخل الكليات واطلاق سراح الموقوفين من الطلاب واجراء تحقيق عادل مع الذين اساءوا الى بعض رجال التعليم وعدم اللجوء الى تعطيل الدراسة. [٣٤٢]وأما عريضة نقابة المحامين فقد سجلت اعتراضها على إعتقال عدد من المحامين الذين يمثلون الرأي العام العراقي والمكانة الاجتماعية البارزة[٣٤٣]. وبهذا تعددت وسائل المثقفين للتعبير عن سخطهم ازاء الاوضاع المتخلفة في المجتمع ويبرز سؤال وهو: ما هو رد فعل السلطة ازاء مايحدث؟ على الرغم من تعدد وسائل السلطة إزاء الوضع الفكري للرفض والمعارضة إلا أَنّ هذه الوسائل مثلت خطوات يائسة ازاء مايحدث وفشلا في استيعاب التطور الذي تقوده الفئات المثقفة. ففي مجال الرقابة على المطبوعات شهدت الخمسينيات حملة واسعة قادتها جهات رسمية متعددة تشمل (وزارة الداخلية / شعبة المخابرات ومديرية الامن العامة ومديرية شرطة بغداد ومديرية التوجيه والاذاعة العامة ومديرية المطبوعات العربية، ووزارة العدل ومحكمة جزاء بغداد والادعاء العام).[٣٤٤] وفي الواقع أن الاطلاع على الكتب السرية الكثيرة المتبادلة

[٣٤١] عبد الرحمن البزاز :صفحات من الامس القريب. .... ثورة العراق. ...هل كانت حتمية ؟، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٠، ص ٧٦ ـ٨٦.

[٣٤٢] المصدر السابق نفسه، نص العريضة المرفوعة، ص ١٨٥ ـ١٩١.

[٣٤٣] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج١٠، مصدر سابق، ص١٣٥.

[٣٤٤] دار الكتب والوثائق، بغداد. ملفة ثقافة، رقم الملفة ٥٧.

بين تلك الجهات يبين مدى قلق السلطة من حالات السخط المعبر عنه في مختلف الوسائل، فخضعت جميع الكتب الى مختلف اشكال الرقابة فضلاً عن مصادرة مختلف اشكال المطبوعات ففي العام ١٩٥٣، بلغ عدد الكتب الممنوعة والمصادرة (٩٣) مطبوعا، منها(٣٦) جريدة و(٩) مجلات و(٤٨) كتابا لمؤلفين عرب واجانب أمثال تولستوي ومكسيم غوركي وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد الرحمن الخميسي وخالد محمد خالد[٣٤٥]. فضلا ًعن الكثير من الامثلة الرقابية لمؤلفات عراقية سياسية وادبية مثل خضوع المجموعة القصصية لذو النون ايوب (الرسائل المنسية) للرقابة.[٣٤٦] وكتاب الميثاق القومي العربي للرقابة ايضا[٣٤٧] فضلا عن صدور احكام جزائية بحق (كاظم الشيخ صادق) على وفق مرسوم المطبوعات رقم (٢٤)لسنة ١٩٥٤ بغرامة مالية أو الحبس ثلاثة اشهر ومصادرة جميع نسخ كتابه (زهر الربيع)[٣٤٨]. كما خضعت نتاجات الكثير من الكتاب الى احكام الرقابة مثل الشاعر بدر شاكر السياب وعبد الرزاق عبد الواحد وطه الفياض واحمد الحبوبي وابراهيم كبة. [٣٤٩]ولعل اطرف وثيقة إطلعت عليها الوثيقة المتضمنة الحبس الشديد سنة واحدة بحق (حسن سلمان) لنشره كتاب (الاشتراك في النشاط الانتخابي واجب وطني) والحبس الشديد سنة اخرى لنشره كتاب (تطور الحركة العمالية).[٣٥٠] ويبدو أن السلطة لاترغب في مشاركة الناخبين في

[٣٤٥] دار الكتب والوثائق، بغداد ملفة ثقافة، رقم الملفة ٧٧، الوثائق المرقمة من العدد ١٧ ـ ٢٧.

[٣٤٦] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الملقة ٥٧، رقم الوثيقة، ١٤٤كتاب وزارة الداخلية المرقم ٢٢١، والمؤرخ ٢٧ /١ /١٩٥٨.

[٣٤٧] دار الكتب والوثائق :بغداد، ملفة ثقافة، رقم الوثيقة ٥٧/ ٣٥٣١، كتاب وزارة الداخلية / مديرية الامن العامة، المرقم ١٣١٩١، والمؤرخ١٠ /١٢/ ١٩٥٧.

[٣٤٨] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الوثيقة، ٣٧، ص ٣٨، كتاب محكمة جزاء بغداد، المرقم ٢٠٠٥ والمؤرخ ١٧ /١٠ /١٩٥٧.

[٣٤٩] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، ارقام الوثائق، ٤٠ /٤١، ٣٧ /٨٣، ١٠٩ /١١٢، ٨٦ / ٨٩، ٨٤ /٨٧، ٨١ /٨٣.

[٣٥٠] دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الوثيقة ١٤٩ /١٥٥، كتاب مديرية المطبوعات العربية المرقم ٦٥، والمؤرخ في ٣١ /٣/١٩٥٥

الانتخابات والاعتماد على صيغ الفوز بالتزكية. كما جاء في منع كتاب (الدستور وحقوق الانسان) لمؤلفه عطا بكري لما تضمنه من امور تخالف النظام العام وتثير التشكيك في النظام البرلماني الديمقراطي في العراق. [351]وبذلك تراوحت أسباب المنع والمصادرة بين اثارة الرأي العام، والطعن بالنظام السياسي القائم، فضلا عن أن كل معارض هو شيوعي مهما كان مشربه الفكري. أما وسيلة السلطة الاخرى فكانت إعتقال الاساتذة البارزين والمسؤولين عن رفع عريضة الكوادر الجامعية ونفيهم الى بنجوين ثم تكريت بعد محاكمتهم من قبل المجلس العرفي، وهم (حسن الدجيلي، وفيصل الوائلي، ومحمد حسن البصام، وجابر عمر وعبد الرحمن البزاز).[352] وكانت السلطة قد اقصت سبعة من اساتذة الجامعات عن العمل وهم(صفاء الحافظ، وابراهيم كبة، وفيصل السامر،وصلاح خالص، وعبد الله البستاني، وروز خدوري، وطلعت الشيباني).[353] لم يكن من السهل على هذه الفئات التي مثلت المثقفين ذوي المكانة الادبية من الكتاب والاساتذة والفنانين قيادة الاحداث لما يصطرع في المجتمع من تناقضات وسلطة توسع في كل مناسبة الفجوة بينها وبين المجتمع، وفي هذا الصدد يعبر بلند الحيدري عن ذلك "كان ما يقال من شعر أونثر أدبي يبدو باهتاً لامعنى له إزاء مايحدث، ولقد كان على الشاعر أو القاص أوالرسام أن يوضح مايقوم به، وأن يثبت علماً كرواد القطب كلما تقدم خطوة واحدة، فعليه أن يعمق تجربته ويلطخها بالألوان، بغية إثارة هذا القارىء والغارق في كوم من الاخبار " [354]وعلى الرغم من ذلك هيأت هذه الفئات أرضية تقبل الأفكار التي تدعو الى اثارة السخط والعمل على ضرورة التغيير.

---

[351] دار الكتب والوثائق، بغداد، رقم الوثيقة ١٧٤ /١٤٠، كتاب مديرية التوجيه والاذاعة، المرقم ١٠٨، والمؤرخ ٥/١ /١٩٥٥.

[352] عبدالرحمن البزاز: صفحات من الامس القريب..........، مصدر سابق، ص٥١ – ٥٧.

[353] جريدة الوقائع العراقية، ٧ / ١٠ / ١٩٥٤.

[354] يوسف الصائغ : مصدر سابق، ص ٢٧.

ثانياً: فئات المثقفين من أصحاب السخط السياسي : لقد حصل تغيير في هـذه الفئات يختلف عما عرفناه فقد كانت تضم سابقاً المتعلمين من الفئـات (الاداريـة والعسكرية) التي تتصارع على السلطة، في هذه المرحلة ضمت المثقفين الذين ولجوا العمل الحزبي واطروا نشاطهم بالعمل السياسي، فنجـد في هـذه الفئـات المثقـف الوطني والمثقف القومي على مختلف التسميات الحزبية، كما ضمت ايضا الساسة من الاسماء التقليدية الذين تقلدوا مناصب نيابية ووزارية لقد شعرت هذه الفئـة بتيار السلطة الجارف بقيادة نوري السعيد الـذي يُـصعد الاجـراءات الاسـتبدادية لمحاربة وسائل حرية الرأي في مختلف صورها، فأخذت هذه الفئة تـشعر بـالخطر الكامن الذي يقود الى نتيجة تغيير حتميـة لابـد أن يكونـوا هـم مـن(ضـحاياها) ولاسيما أنهم يتمتعون بالميزات الاقتصادية التي كسبوها بطرق ظاهرها مـشروع وباطنها (القوانين والانظمة التـي مكنـتهم مـن التمتـع بهـذه الميـزات كقـوانين التـسوية واللزمـة وواجبـات الـزراع)، ولـيس غريبـا أن نـرى بيـنهم (حكمـت سليمان)[*] أحد الثلاثة الكبار المسؤولين عـن بـذر بـذور الاقطـاع في العـراق مـع (ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني)[٣٥٥] ، فلم تكن هذه الفئات تكـترث كثـيرا للتغير الجذري بقدر ما يكون العمل على تفـادي الحالـة الحرجـة التـي تـؤدي الى إنهيار السلطة وبالتالي فقدان حالة المحافظة على النظام العام الـذي يـصون لهـم إمتيازاتهم لذلك لم يتعد عملهم سوى مذكرات احتجاجية على الاوضـاع العامـة في البلاد رفعتها الى جلالة الملك فيصل الثاني فقد جـاء في إحـداها" أننـا نعتقـد بـأن

---

[*] لقد تمكن حكمت سليمان من أن يبيع قطعة من اراضيه قبل اندلاع ثـورة ١٤/تمـوز /١٩٥٨ بمليـون دينار.فكان يتوجس التغيير الذي يقود الى فقدان هذه الملكية :المصدر : ناجي شوكت، مـصدرسابق، ص ٢٧٥.

[٣٥٥] ناجي شوكت : مصدر سابق، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

تمادي الحكومة القائمة في سياستها الخرقاء هذه سوف يعرض البلاد الى مخـاطر وكوارث لايعرف مداها إلا الله. ...فضرورة القيام بإجراءات حاسمة تتناول تنحية الوزارة القائمة لتأليف حكومة وطنية تـستجيب لمطالـب الـشعب وتتخـذ تـدابير عاجلة للكف عن إراقة الدماء وازهاق الارواح البريئة."[٣٥٦] وقد حملت تواقيع عـدد من رؤساء الوزارات والاعيان والنواب.لم تجـد تلـك المـذكرات أذنـاً صـاغية مـن السلطة ولاسيما أن الملك فيصل الثاني بعد أن تـولى سـلطاته الدسـتورية وأصـبح الامير عبد الاله وليا للعهد (فقط) ولكنه لم يترك الملك حرا في التـصرف فقـد بقـي عبد الاله ملازماً للملك ليل نهار وكان يملي عليـه إرادتـه ويوجهـه الوجهـة التـي يرتضيها وهكـذا بقيـت الـسلطة بيـد عبدالالـه وأصـبح الملـك فيـصل (خراعـة خـضرة)[٣٥٧] كمـا فـشلت حـالات التقـارب بـين حزبـي (الـوطني الـديمقراطي والاستقلال) وبعض الاسماء التقليدية كحكمت سـليمان وصـالح جـبر فبعـد أن جرت مداولات بينهما تم الاتفاق على وضع القانون الاساس موضع التنفيذ والغاء المراسيم الاستثنائية واحترام التنظيم السياسي وحريـة الـصحافة وحـل المجلـس النيابي واجراء انتخابات حرة ورفع مذكرة الى الملك فيـصل الثـاني بهـذه النقـاط ولكن هذا التقارب قد فشل[٣٥٨]. ويبدو أن هذه الفئات تخشى القيام باي عمـل قـد يقود الى نتائج متطرفة ضد السلطة، لذلك انحسر العمل السياسي في قادة الاحـزاب الوطنية والقومية لقد انتهز بعض السياسيين الاوضاع المرافقة لعقد حلـف بغـداد والاحداث التي تزامنت مع أزمة السويس لرفع مذكرة الى جلالة الملك فيصل الثـاني ومما جاء فيها "... لقد بدأ نوري السعيد حكمـه الاخـير منـذ شـهر تمـوز ١٩٥٤ بغمط حقوق الشعب ومصادرة حرياته، فعطل الحياة الحزبية، والغـى امتيـازات

[٣٥٦] السيد عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات.... ج، ١، مصدر سابق، ص ١٣٦– ١٣٧.

[٣٥٧] ناجي شوكت : مصدر سابق، ص ٥٧٤ ـ٥٧٥

[٣٥٨] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ......، مصدر سابق، ص ٣٦٤ ـ٣٦٥.

الصحف، وسيطر على جميع وسائل النشر، ومنع دخول الكثير من الصحف والمطبوعات العربية، وحتى الاجنبية ومنع عقد الاجتماعات العامة وعطل سائر الحريات الدستورية .... لابد من وجود تجاوب بين سياسة أية حكومة ومطالب شعبها. فاذا إنعدم هذا التجاوب أصبح بقاء تلك الحكومة خطراً على مصالح الامة وسلامة أهدافها "[٣٥٩].وتضمنت مطالبهم تنحية نوري السعيد، والانسحاب من حلف بغداد واطلاق الحريات الدستورية. وقد حملت تواقيع الكثير من الشخصيات السياسية الحزبية والنيابية. [٣٦٠]لقد كانت مطالب مختلف القوى السياسية إقصاء نوري السعيد عن الحكم، والطلب منه الابتعاد عن العراق ولو مدة محددة وإجراء انتخابات حرة دون تدخل من اية جهة. لقد حمل هذه المطالب ناجي شوكت المعتزل العمل السياسي منذ أحداث ١٩٤١، الى ولي العهد عبد الاله، فوجده بعيدا عما يحدث فقد كان عبد الاله مهتماً بـ(ملء الفراغ) وإحلال الولايات المتحدة الأميركية محل بريطانيا بعد أزمة السويس، وبعد هذه المقابلة أيقن ناجي شوكت أن البلاد على (حافة الهاوية)[٣٦١].لقد بدأ قادة الاحزاب العمل على توحيد النشاط الحزبي من خلال التقارب بين حزبي الوطني الديمقراطي والاستقلال، وبالفعل تقدم قادة الحزبين بطلب الى وزارة الداخلية للحصول على اجازة للحزب الجديد حزب (المؤتمر الوطني) على وفق المراسيم التي أصدرها نوري السعيد الا أن طلب تأسيس الحزب قد رُفض لقد جاء في رفض الطلب أسباب عديدة ولعل أبرزها الاعتراض على المادة الخامسة من منهاج الحزب المتعلقة بالسياسة الداخلية فقد وجدت فيها السلطة إتهاماً ضمنيا بعدم تطبيق احكام القانون الاساسي وعدم

---

[٣٥٩] السيد عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. .... ج١٠، مصدر سابق، ص ١٢٩ ـ١٣٠.

[٣٦٠] المصدر السابق نفسه، ص ١٣١.

[٣٦١] ناجي شوكت : مصدر سابق، ص ٥٨٨ ـ ٥٨٩.

وجود نظام برلماني.[٣٦٢] لم يبق أمام هذه القوى سوى العمل الجبهوي السري، لقد كانت المعوقات التي تعترض العمل الجبهوي هـي إخـتلاف الـرؤى حـول أولويـة القضايا الوطنية أوالقومية، فهناك إخـتلاف في وجهـات نظـر الاحـزاب الوطنيـة والقومية، فالشخصيات الحزبية في هذه الاحزاب تختلف عن شخصيات الفئة الاولى من الادباء المثقفين، فقد استطاعت الاحزاب أن تستقطب الكثير منهم عن طريـق الانتماء الحزبي أوالولاء لافكار وسياسة حزب من الاحزاب ولكن كان مـن الـسهل التذبذب في تغيير الانتماءالحزبي فعلى سبيل المثـال مانجـده عنـد الـسياب أوعنـد ذوالنون أيوب فقد غير السياب إنتماءه من الحزب الشيوعي الى الاحـزاب القوميـة وكذلك الحال مع ايوب الذي تـرك الحـزب الـشيوعي وانتمـى الى الحـزب الـوطني الديمقراطي وغـيرهم الكثـير، امـا الشخـصيات البـارزة مـن الاحـزاب الوطنيـة والقومية، فكانـت متمـسكة في عـدم احـداث اي تغيـير في المواقـف ازاء القـضايا الوطنية أوالقومية. لقد تجاذبت الاراء حول أولوية المبادرة في قيام (جبهة الاتحـاد الوطني) الـسرية (١٩٥٧) فقـد اوكـل الـشيوعيون مهمـة الاتـصال بـالقوميين والمستقلين الى الحزب الوطني الديمقراطي ولاسيما عن طريـق كامـل الجـادرجي فقد كانت صعوبة الاتصال مع القوى الاخرى بأن العناصر اليـسارية مهمـا كـان منهاجها معتدلا سوف توصف أنها شيوعية فكانت المهمة تتركز على مـنح الثقـة للعناصر المكونة للجبهة أن لاتصبح آلة بيد جهة من الجهات، وازالـة الـوهم بـأن اليساريين أو التقدميين غير قوميين وأنهم لايهتمون بالقومية العربية، كما إتـصل الشيوعيون بالجماعات الاخرى مثل حزب البعـث وحـزب الاسـتقلال وعـدد مـن المستقلين.[٣٦٣] لقد تضمن المنهاج التنظيمي للجبهة تمثيل جميع الاحزاب المشتركة في لجانها المختلفة وان يكون لكل حزب صوت واحد، وأن تظل الاحـزاب الداخلـة في

[٣٦٢] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ....، مصدر سابق، ص ٣٦٦ ـ٣٧٠

[٣٦٣] المصدر نفسه، ص ٣٧٨ ـ٣٨٩.

الجبهة مستقلة عن بعضها سياسياً وكذلك العناصر غير الحزبية وغيرها من الاسس الاخرى ولاتختلف أهداف الجبهة عن مطالب القوى الوطنية المختلفة وهي تنحية نوري السعيد وحل المجلس النيابي والخروج من حلف بغداد واطلاق الحريات الدستورية والغاء الاحكام العرفية.[٣٦٤] ويجد (محمد مهدي كبة) أن اجتماعات الجبهة تعقد في بيوت أعضائها، بصورة تضلل السلطات وفي أوقات مختلفة حتى عجزت عن كشف هوية رجالها. [٣٦٥]

وفي الواقع أن السلطة على علم بما يدبر لها فأرادت ضرب القيادات الوطنية والقومية باعتقال (كامل الجادرجي،وحسين جميل،ومحمد صديق شنشل، وفائق السامرائي،وسامي باشعالم) بعد عودتهم من القاهرة لمشاركتهم في المؤتمر الشعبي فيها ولتوجيه الجادرجي انتقادات الى السلطة، فحكم على الجادرجي بالحبس الشديد ثلاث سنوات وصدرت احكام متفرقة بحق الاخرين لقد كان إطلاق سراح الجادرجي من السجن الذي قضى منه نحو سنة ونصف قبل عشرين يوما من ثورة (١٤ تموز/١٩٥٨).[٣٦٦] لقد اسر الجادرجي الى ناجي شوكت أثناء زيارته في السجن أواخر نيسان١٩٥٨، بأن هناك ضربة قاصمة ضد السلطة من خلال القضاء على عبد الاله ونوري السعيد وفيصل الثاني في وقت واحد وإعلان النظام الجمهوري. لقد جاء تعليق ناجي شوكت (لماذا يشركون فيصل الثاني في القتل وهو ما يزال حدثاً لم يظهر منه مايسيء الى البلاد؟).[٣٦٧]وفي الواقع لم يكن هذا سؤال ناجي شوكت فقط وإنما سؤال كل من اطلع على سيرة ذلك الحدث اليتيم.

---

[٣٦٤] د. عبد الامير العكام : تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦ ـ١٩٥٨، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٠، ص٢٢٩ـ٢٣٢.

[٣٦٥] محمد مهدي كبة : مصدر سابق، ص٣٧٤.

[٣٦٦] د.فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني. ......، مصدر سابق، ص ٣٨٥.

[٣٦٧] ناجي شوكت : مصدر سابق، ص٦٠٥.

نتعرف على الخطوة الاخيرة لانفصام علاقة المثقف بالسلطة من خلال التعـرف عـلى الفئة الاخيرة من فئات المثقفين في صفحات قادمة تُعلن فيها خطوات عنيفـة في توديـع كل تلك الممارسات التي عدت (ديمقراطية) عند الكثيرين على الرغم من كل سلبياتها.

ثالثا: الفئات العسكرية : يعد (بوتومور) الفئات العسكرية مـن الـضباط في البلـدان المتخلفة أشـد تـأثيراً مـن المثقفـين (المفكـرين) والـسياسيين، حيـث المؤسـسات السياسية في طور التكوين، فهم يمتلكون القـوة العليـا للـضغط المـادي المبـاشر، فلديها المجال للعب دور هام في تقرير مستقبل الدولة. وتتوقف قدرة هذه الفئة على التدخل في الشؤون السياسية على التقاليد التي نشأ عليهـا الـضباط العـسكريون، واصولهم الاجتماعية ومدى تأثيرهم في القوات التي بأمرتهم، ومن جهة أخرى قـوة القادة السياسيين وطبيعة علاقاتهم بالقادة العسكريين.[٣٦٨] لقد مكن توسع أبنـاء أهل الكفاية (الطبقـة الوسـطى)مـن مواقـع حـساسة في مراكـز الدولـة المدنيـة والعسكرية وكما مر معنا سابقاً، فأصبحت هذه الفئة (الجناح العـسكري) لهـذه الطبقة. فقد لعب (الانحدار الطبقي) و(المعيارالتعليمي) دوراً في التشكيل البنيـوي والسلوك السياسي لهذه الفئـة. فالانحـدار الطبقـي يجعلهـا قريبـة مـن الفئـات المسحوقة من فئات (أهل الكفاف) من فلاحين وغـيرهم مـن المعـدمين. و(المعيـار التعليمي) يجعلها قريبة من السلطة التي تحاول أن تخطب ود هذه الفئة بمختلف الوسائل فلـيس غريبـاً أن يـدعو(نـوري الـسعيد) (عبـد الكـريم قاسـم) تحبّبـاً (كرومي). فأبناء الاسماء التقليدية من طبقة (الذوات) بعيدون عن شظف العـيش والحياة الشاقة التي تمليها الحياة العسكرية فهي في مـأمن مـن مـشاق الحاجـة والعوز، بل لها (لو) أرادت جميع فرص التعلـيم داخـل العـراق أوخارجـه ولكنهـا تختار أنواعا من التعليم (الترف ـ الممتع) ومنح الشهادات (طوع بنانها) وفي سيرة

[٣٦٨] ت. ب. بوتومور: مصدر سابق، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

حياة الملك (غازي) و(صباح) إبن نوري الـسعيد مثـال واضـح عـلى أن أبنـاء ذوي السلطة بعيدون عن (نزق الثوار)[*] الذي تحدث عنه نزار قباني يوماً. وقـد فـشلت المحاولات المتكررة في إدخال أبناء شيوخ العشائر في الدراسات العسكرية على الـرغم من التسهيلات الكثيرة الممنوحـة لهـم، فقـد كـان يكفـي لقبـولهم في الدراسـات العسكرية أن يعرفوا القراءة والكتابة، لذلك"تعطى لهم دروس خاصة قبـل ان يـتم دمجهم مع الاخرين من الطلاب."[٣٦٩] أما أبناء أهل الكفاية(الوسطى) من الضباط فهم لايختلفون كثيراً في أصولهم الطبقية عن العناصر المستاءة في صفوف الـشعب الذي تنتمي إليه هذه الفئة ويجد (حنا بطاطو) أن التجنيد الاجباري جعل الجـيش يعكس المجتمع بطبقاته المختلفة وكان يعكس مشاعره وصراعاته، فالجيش خلافا لمؤسسات الدولة الاخرى مثل المجلس النيابي ومجلس الوزراء اللذين كانا قطـاعين لأصحاب الامتيازات،ولكن يبقى تمايز اخر داخل الجيش المتمثل في أن سلك الضباط كان عربيا سنيّاً في أكثريته، فقد استبعد الاكراد والشيعة عن تبوئ مراتب الـضباط من رتبة رائد ركن فما فوق.[٣٧٠] وفي الواقع أن السرعة التـي التقـى فيهـا الجنـاح السياسي المنسق مع تنظيمات الضباط عطلت العامل الطـائفي، وأن أخـذ العامـل الطائفي يتضح فيما بعد بصورة أوضح من خلال الصراع بين الاتجاهات الوطنيـة والقومية لقادة (لجنة الضباط الاحرار) و(جبهة الاتحاد الـوطني) وبالتـالي أخـذ ينعكس في الشارع العراقي، كما أن عظمة الامر جعل العامل الطائفي كامنـا مـدة وجيزة. لقد أثيرت تساؤلات عديدة عن تحول الجيش من أداة قمع بيـد الـسلطة الى محاولته في أن يكون (المنقذ) للـشعب، ولاسـيما أن الجـيش حـديث عهـد بقمـع انتفاضة (١٩٥٢) وانتفاضة (١٩٥٦). وفي الواقع أن النخب السياسية من الاحزاب

---

[*] النزق الذي اشار اليه الشاعر نزار القباني في قصيدة (أني خيرتكِ فاختاري).

[٣٦٩] د.رجاء حسين الخطاب : تأسيس الجيش العراقي......، مصدر سابق، ص ٩٨

[٣٧٠] حنا بطاطو : العراق. .... الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار، مصدرسابق، ص ٧٣ ـ٧٤.

الوطنية هي نفسها التي دبرت امر الثورة من خلال العمل على التقارب بين النخب السياسية الحزبية المختلفة من جهة والفئات العسكرية من جهة اخرى والصورة لاتختلف كثيراً عن (إنقلاب ١٩٣٦)، ولكن الفارق الكبير أن ضباط ثورة اليوم يختلفون عن ضباط انقلاب الامس،فضباط اليوم يحملون سخط مجتمعهم ولايمثلون طموحات رجال السياسة من الاسماء التقليدية، فقبل دخولهم الكلية العسكرية تلقوا تعليمهم الثانوي في مرحلة تصاعد المد الوطني والقومي خلال الثلاثينيات والتي تعد سنوات ميلاد قوى وتنظيمات الحركة الوطنية التي لعبت دوراً بارزاً في أحداث العراق السياسية والاجتماعية ومنها جماعة الاهالي وجمعية الاصلاح الشعبي والحزب الشيوعي، وشهدت وقوع أحداث (إنقلاب ١٩٣٦)، والبيئة العسكرية للضباط لم تعزلهم عن التيارات السياسية المحيطة بهم فقد عرف عنهم ان ميلهم السياسي كان لايخرج عن الاحزاب الوطنية المتمثلة بالحزب الوطني الديمقراطي وهذا الميل كان عند الزعيم الركن (عبد الكريم قاسم)،فقد كان يميل الى أفكار الحزب الوطني الديمقراطي وصحيفته الاهالي، كما عرف عن اخرين هذا الميل ايضا في حين أن فئة أخرى من الضباط مثل (رفعت الحاج سري) تميل الى الافكار القومية ويميل المقدم (وصفي طاهر) الى الافكار اليسارية[٣٧١]. ويرجح د. (فاضل حسين) العامل الشخصي من خلال تعاظم الطموح الشخصي للوصول الى السلطة عند هذة الفئة بعد أن وجدوا الضباط المصريين فعلوا ذلك، كما أن التقارب في التسمية (الضباط الاحرار) والتنظيم والمواقف لاتختلف عن تنظيمات التجربة المصرية[٣٧٢]. وفي هذا الرأي الكثير من الصحة ولاسيما فيما يتعلق بتنمية الطموح الشخصي والشعور الحماسي، ولاننسى خمسينيات القرن الماضي وطغيان المد

---

[٣٧١] ليث عبد الحسن جواد الزبيدي: ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨،وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٩، ص١١٨ و١٧٥.

[٣٧٢] د.فاضل حسين : سقوط النظام الملكي في العراق، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤، ص٥٤ ـ ٦٢.

الثوري ودور إذاعة (صوت العرب) المصرية و(أناشيد الثورة المصرية). ويبقى الطموح الشخصي للسلطة يمثل طموح أبناء أهل الكفاية (الوسطى)، ولاسيما أنهم يمتلكون الوسيلة في (إغتنام) السلطة. وهناك من يجد أن قيادة الضباط للثورة لم يكن مبعثها الاحتجاج والسخط الاجتماعي، وأنما جاءت رد فعل على سياسة نوري السعيد المؤيدة للغرب.[٣٧٣] وفي الواقع أن سياسة التحالف المؤيدة للغرب لم تجلب للعراق الملكي أي فائدة بقدر ما خدمت المصالح الغربية ومصالح ذوات السلطة، فهذا الرأي هو محاولة لتجزئة الحقيقة. لقد بقيت السلطة تعمل ضمن العقلية العثمانية من خلال شخصية نوري السعيد الذي حافظ على استخدام وسائله القديمة في التعامل مع المتغيرات الجديدة، فكان يبعد معارضيهِ بوسائل الاغراء فاذا عرف في بعضهم حب المال مهد له سبيل الاثراء، وإذا عرف في الاخرين حب الظهور مع إيثار العافية، أغراهم بالمناصب أو الاقصاء بوسائل متعددة.[٣٧٤] ولاتختلف وسائل السلطة في التعامل مع الفئات العسكرية فان "ضباط الجيش قد إشتروا بالترفيعات والرواتب الدسمة وهبات الاراضي والامتيازات الاخرى ... فالضباط يقبضون رواتب أفضل بكثير من أمثالهم في ايران أوتركيا ويبقى ولي العهد (عبد الاله) على إتصال جيد معهم، وفي يوم الجيش يعطيهم أرضاً من املاكه الخاصة لبناء بيوت لهم".[٣٧٥]وعلى الرغم من ذلك تغلب معيار الانحدار الطبقي على ميزات المعيار التعليمي فالطموح الشخصي يجد له سبيلا أفضل مع الانحدار الطبقي الذي يجعل أفراد هذه الفئة من الضباط (ابطالا) تتزعم الطبقات الفقيرة "فعبد الكريم قاسم كان من أصول متواضعة، بينما كانت أصول الاخرين اجمالاً متوسطة الحال، إذ أَنّ آباءهم كانوا ضباطاً صغاراً أو موظفين أو تجاراً صغاراً

---

[٣٧٣] د.فرهاد إبراهيم : مصدر سابق، ص٢٣٢.

[٣٧٤] عبد الرحمن البزاز: صفحات من الامس القريب. ....، مصدر سابق، ص٢٢ ـ٢٣.

[٣٧٥] حنا بطاطو: العراق. ... الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار.... ج٣، مصدر سابق، ص ٧٣.

باستثناء عضوين."[٣٧٦] لقد لخص الزعيم (عبد الكريم قاسم) في احـدى خطاباتـه القدرة على إمـتلاك الوسـيلة لتغيـير الـسلطة مـن خـلال قولـه "لـو إعتقـدنا أن بإستطاعة الشعب أن يزيل كابوس الظلم الجاثم عـلى صـدره لمـا تـدخلنا بـالقوة المسلحة".[٣٧٧]لم يكن في العراق حتى أوائـل الخمـسينيات مـن يستـسيغ التفكـير بــ(النظام الجمهوري) أذا استثنينا من ذلك الحزب الشيوعي وأفرادا من المنتمين الى الحزب الوطني الديمقراطي ومع تطـورات الاحـداث غـدت فكـرة إقامـة النظـام الجمهوري غاية مختلف القوى الوطنية. [٣٧٨]لاتختلـف أهـداف تنظـيم (الـضباط الاحرار)[*] عن أهداف الاحزاب والقوى الوطنية في إزالة النظام الملكي والقضاء عـلى الاقطاع من خلال تحقيق الاصلاحات الجذرية وتحقيق الوحدة الوطنية بـين أبنـاء الشعب، وأن العراق ملك للعرب والاكراد والاقليات المتآخية.[٣٧٩] وبهذا شكلت عوامل تردي الاوضاع السياسية والاقتـصادية والاجتماعيـة وهزيمـة الجـيش العربـي في فلسطين ١٩٤٨وسلسلة الاحداث الوطنية والطموح الشخـصي عوامـل مبـاشرة في تزعم الضباط حركة التغير الجذري للسلطة في (١٤ تموز/١٩٥٨)،لقد جـاء البيـان الاول للثورة (بعد الاتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من أبنـاء الـشعب والقـوات الوطنية المسلحة، أقدمنا على تحرير الوطن مـن سـيطرة الطغمـة الفاسـدة التـي نصبها الاستعمار لحكم الشعب والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم، وفي سـبيل المنـافع الشخصية".[٣٨٠]لقد طوح هذا البيان بالوزارة الاخـيرة مـن العهـد الملكـي الـوزارة

---

[٣٧٦] غسان سلامة: مصدر سابق، ص١٥٣.

[٣٧٧] حنا بطاطو: العراق. ... الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار.... ج٣، مصدر سابق، ص ١١٩.

[٣٧٨] ناجي شوكت: مصدر سابق، ص٦٠٢ – ٦٠٤.

[*] أنظر: أسماء اللجنة ولجان التنظيم الفرعية واسلوب عملها. المصدر : ليث عبد الحسن جواد : مصدر سابق، ص ١٢٧ ومابعدها.

[٣٧٩] د.فاضل حسين : سقوط النظام الملكي. ...، مصدر سابق، ص ٧٢.

[٣٨٠] السيدعبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات. ... ج١٠، مصدر سابق، ص٣١٦.

التاسعة والخمسين وزارة (أحمد مختار بابان) وبمشاريع (نوري السعيد) الاقليمية الاخيرة (وزارة الاتحاد العربي) مع الاردن وبصيغ التدخل في سوريا والكويت. لقد لخص (حنا بطاطو) جميع الفئات المشتركة في الثورة انها تمثل" ذروة نضال جيل كامل من الطبقات الوسطى والوسطى الدنيا والعاملة".[٣٨١]

ويبقى سؤال من هو المسؤول عن راديكالية هذه المرحلة المثقف أم السلطة ؟ لقد تعاملت السلطة مع جميع المشاكل التي واجهتها باسلوب العقلية العثمانية من خلال شخصية (نوري السعيد)، لقد استخدمت السلطة أنواعا مختلفة من صيغ العنف من خلال التعامل مع تطورات سياسية واجتماعية يشهدها المجتمع العراقي، فلم تدعْ مجالاً لتقبل هذا التغيير،فصيغ العنف جاءت مع قمع الانتفاضات الوطنية واعدام قادة الحزب الشيوعي واسقاط الجنسية عن معارضي السلطة بحجة (الشيوعية) التي غدت تهمة جاهزة لاي معارض، وقمع الاضرابات العمالية وتأتي في مقدمتها (كاووريـاغي)، التي مرت معنا سابقا فضلا عن التعامل العنيف مع السجناء من المعارضين وفي حادثتي سجني (بغداد والكوت)[*] مثل واضح على ذلك التعامل.كما شهدت هذه المرحلة عملية تهجير اليهود واسقاط الجنسية عنهم وتجميد أموالهم ومارافق ذلك من احداث عنيفة بين التهجير والسلب والنهب لاموالهم. تعرف المجتمع من خلالها على صيغ مبتكرة من العنف. وابتعدت السلطة عن صيغ الاصلاح المقدمة من قبل الشخصيات السياسية والمثقفة في البلد فضلا عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية. لقد طالب وعمل المثقف من أجل التغيير ولكنه لم يطالب (بسحل) جثث (نوري السعيد، وعبد الاله) في الشوارع التي يسجلها في كل مناسبة معارضو التغيير في (العهد الجمهوري)، ولسان حالهم يقول: (الي يشوف الموت يرضى بالسخونة)، ولكن (سخونة)العهد الملكي قادتنا

---

[٣٨١] حنا بطاطو: العراق..... الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار....ج٣، مصدر سابق، ص ١١٦.

[*] انظر تفاصيل الحادثتين: المصدر، السيد عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات. .. ج٩، مصدر سابق، ص ٣٩ و٤٥.

بان نرى (الموت الجمهوري). بكلمات شاعر مؤثرة ينقل لنـا (الجـواهري) نثـرا ولـيس شعراً مشاهداته لقصر الرحاب بعد أيام من الثورة وكيف عُبث بالقصر وسـاكنيه مـن العائلة المالكة(*). وفي الواقع لقد تحملت العائلة المالكة (وزر) سياسة (نـوري الـسعيد) الذي بقي محافظاً على دور الأب (فيودوركارامـازوف) في روايـة (الاخـوة كارامـازوف) لدوستويفسكي بكل مافي هذه الشخصية من سمات الذي يقف بقوة أمام كل إصـلاح أو تغيير لقد تمنى الجميع موته ولكن لم يُسحل على يد (السياب أو ذو النون أيوب أوعزيـز شريف) وغيرهم من الاسماء المثقفة التي كانت غايتها التغيير الى الافـضل، لقـد قـادت راديكالية السلطة الى راديكالية المثقـف التـي املتهـا المتغـيرات الثقافيـة والاقتـصادية والسياسية.

وبذلك تميزت كل مرحلة من مراحل السلطة بسمات واضحة أطرت علاقة المثقـف بالسلطة، ففي المرحلة الاولى جاءت العلاقة مع البنى التأسيسية للدولـة مـن فعاليـات برلمانية وصحفية عديدة لم تشهد تصعيد التوتر الذي يـصل الى القطيعـة. أمـا المرحلـة الثانية التي طغت فيها عوامل الاضطراب على مظـاهر النهـضة التـي شـهدتها الحيـاة الثقافية. وأخيرا المرحلة التي شهدت القطيعة النهائية بين المثقف والسلطة التي حملـت التغيير السياسي الذي املاه تعنت السلطة ورفضها الاصلاح والتغيير.

(*) انظر : محمد مهدي الجواهري : مذكراتي. .. ج٢، مصدر سابق، ص ١٩٥ ومابعدها.

الخاتمة

ونحن في صدد خاتمة الدراسة لابد أن يكون سؤالنا : لماذا استسلم المثقفون الذين يمثلون أصحاب السخطين الفكري والسياسي لفئة العسكريين مرة أخرى مع مقدمات ثورة (١٤تموز/ ١٩٥٨) وقد خبروا هذه الفئة بتجارب فاشلة سابقاً؟ هل هو إعلان صريح عن افلاس المثقف أو لنقل: فشل قدرة الكلمة أمام قدرة الرصاصة؟ لقد تابعنا تطور الفئات من أصحاب السخطين الفكري والسياسي منذ مراحل الانقلابين الايراني والعثماني عامي (١٩٠٦ و١٩٠٨)، فمع فسحة الحرية التي جاء بها الدستور العثماني مع جملة المؤثرات الاخرى تمكنت هذه الفئات من تأطير نشاطها السياسي والثقافي في الصيغ التي اتيح العمل فيها فجاءت الاحزاب والجمعيات واصدار الصحف، فلم يكن (العسكر والبيروقراطية الادارية) من أبناء الدولة العثمانية (الاصلاء او الذين تبنتهم) بعيدين عن الاشتراك في هذه التنظيمات، فأهدافهم تكاد تنحصر في محور السلطة فابتكروا الوسائل في الحصول عليها فتاريخ العراق حافل بالاسماء التي جعلت من السلطة هدفاً لاتحيد عنه قيد انملة. في حين جاء إهتمام الفئات من ذوي السخط الفكري مطبوعاً بطابع الاتجاه الاجتماعي - الاصلاحي الذي ناقش وضعا متخلفا في كل نواحي الحياة الا أن أماني هذه الفئة في الاصلاح اصطدمت بعقبتين:- اولاهما: عدم أهلية المجتمع لتقبل افكارهم الاصلاحية، فالمجتمع كان مفتقراً الى ممهدات التطورات الاقتصادية - والاجتماعية.أما العقبة الثانية : فكانت متمثلة في عدم النضج الفكري لهذه الفئة فهي خرجت لتوها من معطف السلطة العثمانية (المظلم) لتطلع على تيارات فكرية كان من الصعوبة البوح بها في ظل تقاليد إجتماعية ودينية موروثة منذ أمد

طويل. لم تشهد علاقة المثقف بالسلطة توترات تصل الى القطيعة التامة (الّا تلك القطيعة التي شهدت تحجيم دور علماء الدين الذي رافق مراحل عقد معاهدة ١٩٢٢)، فقد أطر المثقف نشاطه ضمن الفعاليات التي رافقت مرحلة التأسيس التي تعد عند الكثيرين المرحلة الليبرالية التي شهدها تاريخ العراق الحديث. وعلى الرغم من مظاهر النهضة التي شهدها المجتمع العراقي خلال الثلاثينيات بفعل مؤثرات موضوعية، وذاتية (اقتصادية واجتماعية وفكرية)، فخرج المثقف بكتابتهِ من الأطر الاصلاحية الى أطر الواقعية ضمن مفهوم (الفن للمجتمع)، لم يكن المثقف ضمن هذه الاهتمامات بعيداً عن السلطة فقد أخذت السلطة تحتل حيزا كبيرا عندما أخذت الأطر الدستورية للعملية السياسية تضمحل مع إعتماد رجالات السلطة على وسائل أخرى من أجل إغتنامها والمتمثلة بـ (العشائر والعسكر). وجاءت تجربة (المثقف الوطني) الفاشلة مع العسكر في إنقلاب (بكر صدقي) سنة ١٩٣٦، كما لحق هذا الفشل فشل ذريع آخر قاده (المثقف القومي) مع أحداث مايس / ١٩٤١ والتحالف بينه وبين العسكر مرة أخرى. واخيراً جاءت المطالبة باصلاحات جزئية الى ضرورة التغيير الجذري. فيظهر جلياً أن هناك إختلافا في الادوار التي لعبتها فئات المثقفين تحت تسميات عدة، فأصحاب السخط الفكري من الكتاب والشعراء والفنانين كانوا أكثر الفئات وعياً لحقيقة الواقع المتخلف الذي يعيشه المجتمع العراقي فجسدت رفض هذه الاوضاع قصة وشعراً ومسرحية وغيرها من الفنون الاخرى، أن رفضها للاوضاع المتخلفة جعلها تدخل في علاقات صراعية مع السلطة. في حين حصل تغير واضح في الادوار التي لعبتها الفئات المثقفة من أصحاب السخط السياسي ففي مرحلة التأسيس انحصر دورها في الحصول على السلطة، أما في المرحلة الثانية فظهرت أسماء غيرت دور هذه الفئة فجاءت الادوار المختلفة من خلال المثقفين (الوطني والقومي)، ثم تعاظم دور هذه الفئة تدريجياً من خلال العمل التنظيمي الحزبي ليصل ذروته في المرحلة الاخيرة. فمن خلال هذا

الاستعراض الذي يظهر أهمية الدور الذي لعبه مثقفو هذه الفئات، ولكن ثمرة هذا الدور قطفته الفئات العسكرية، فلا يختلف إثنان في القول أن ثورة (١٤ تموز / ١٩٥٨) التي مثلت الشكل العنيف للعلاقة الصراعية بين المثقف والسلطة (فجرها) العسكر. فهناك عدة عوامل أسهمت بشكل أو بآخر في تمكين الفئات العسكرية في أن يكون السلاح بيد القوى السياسية ثم لتكون القوى السياسية المثقفة تحت (رحمة) العسكر فيما بعد، فمن خلال المعيار التعليمي تعرفنا على غايات الانتساب للدراسة العسكرية في العهد العثماني التي أسهمت كثيراً بوفرة العدد الكبير من الخريجين الذين تمكنوا من أن يلعبوا الادوار المختلفة في السياسة العراقية، فضلاً عن أن الجيش لم ينشأ أو يستخدم من أجل غايات دفاعية خارجية، فكثيراً ما إستخدم الجيش في ضرب الحركات (التمردية) شمالا وجنوبا، فكان أداة السلطة في بسط نفوذها وضبط الامن لصالحها. لقد ولد هذا الاستخدام للجيش لتعزيز الطموحات الشخصية للقيادات العسكرية، فضلاً عن اطلاع القادة من العسكر على الاحوال الاقتصادية والاجتماعية العامة في العراق. ففي الوقت الذي يحصل قادة العسكر على اعلى الاوسمة في القضاء على (التمردات)، يغدو هؤلاء القادة المنقذ لعامة الناس الفقيرة وليعلن الزعيم (عبد الكريم قاسم) في خطبة من خطاباته "أنني ابن الفقراء، أنني فقير، وجدت وعشت في حي الفقراء وقاسيت زمنا طويلا من مرارة العيش "[*]. لاتختلف هذه الكلمات عما ردده أصحاب السخط الفكري من الرصافي، والصافي النجفي، والجواهري، والسياب في شعرهم ومارَدّدَهُ محمود أحمد السيد، وذو النون ايوب، وغائب طعمة فرمان في قصصهم، وما حملته الاعمال المسرحية والاعمال الفنية الاخرى، وما طالبت به بعض القوى السياسية من أصحاب السخط السياسي، ولكن الكلمة المدعومة بالقوة على

[*] أنظر: نص الخطاب، عبد الكريم قاسم ، جيشنا المظفر في ذكرى تأسيسه الحادية والاربعين ، وزارة الارشاد ، بغداد ١٩٥٩، ص ٢٠.

بساطتها لها تأثير كبير في عامة الناس الذين تفصلهم عن نتاجات المثقفين مسافات بعيدة. لقد سجلت نهاية العهد الملكي النقطة الحاسمة لنهاية دور المثقف من خلال وقائع موضوعية تجسدت في مرحلة حاسمة من تاريخ العراق المعاصر فقد (وحدت) نشاطات المثقفين على مختلف تسمياتهم ولاسيما أصحاب السخطين الفكري والسياسي قبل ثورة (١٤تموز /١٩٥٨)،كان هدفهم واحداً تقويض السلطة ضمن تسميات متعددة، فالمثقف القومي كان منطلق اهدافه القومية (الوحدة) مقابل (التجزئة).

والمثقف الوطني وأن تعددت مشاربه الفكرية فمنطلقه الاساس هو (العدالة الاجتماعية) في مواجهة الاستغلال، و(المشاركة السياسية) في مواجهة الاستبداد. ولكن أين هو المثقف (الخبير)، الذي يقوم أهداف الفئتين (الوطني) و(القومي) على وفق حاجات المجتمع العراقي الذي يفتقر الى متطلبات الحياة الاساسية من معيشية، وخدمية، وصحية، وتعليمية؟ فقد بقيت أهداف المثقف الوطني والقومي وصراعاتهم على (مسميات) دون محاولات البحث عن وسائل عملية للتطبيق. لقد عاش العراق في دوامة الاهداف الوطنية والقومية دون خطوة واحدة نحو هدف معين.

واخيراً نستنتج من خلال تتبع علاقة المثقف بالسلطة النتائج الاتية : ـ

١. مَجَّدَ المثقف السلطة العثمانية بموضوعات حافلة بالتزلف الى السلطة ورجال الدولة. منطلقاً من مبدأ الحفاظ على (الرابطة الاسلامية) مع افتقار (السلطان) العثماني الى مقومات المحافظة عليها. ومع تداعيات الانقلاب العثماني ١٩٠٨ تمرد المثقف على النسق العام للسلطة العثمانية ليعلن تأييده لقادة الانقلاب وليعلن مرة اخرى مع السلوك الاستبدادي لقادة الانقلاب نزعة (قومية) عربية موازية للنزعة القومية (الطورانية) لقادة الانقلاب، لقد اثمرت هذه النزعة عن عقد علاقة جديدة مع قوة أخرى أو لنقل محتل اخر متمثل بـ(المحتل البريطاني) من خلال التعاون في الثورة

العربية سنة ١٩١٦. لقد أفرز هذا التعاون خلق قيادات سياسية تمثل طموحها الاول بالحصول على (السلطة) باي شكل من الاشكال.

٢. إتسمت علاقة المثقف بسلطة الاحتلال البريطاني بالتذبذب بين (التعاون) الى إعلان (الثورة) التي أثمرت عن قيام السلطة الوطنية وقد أطر المثقف علاقته بها بملامح وطنية تحررية واضحة من خلال معالجة القضايا السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الاهتمام بموضوعات أخرى تدعو الى تحرير المرأة ومعالجة مشكلات الفلاح والفقر والمشكلات الاجتماعية المتعددة.

٣. شهد دور المثقف تطورا كبيراً من خلال الاطلاع والاتصال بالثقافات العالمية وتياراتها وما تركته من أثرٍ في نتاجاتهم ورؤيتهم الثقافية التي أضحت أكثر نضجاً. لقد أفرز هذا التطور فئتين من المثقفين المثقف (الوطني) الذي اعطى الاولوية للقضايا الوطنية الخاصة بالمجتمع العراقي، والمثقف (القومي) الذي اعطى الاولوية للقضايا القومية على حساب القضايا الوطنية، لقد فشلت تجربة المثقفين في تعاونها مع السلطة.

٤. قاد استبداد السلطة التي إتسمت بابعاد ثلاثة البعد الطائفي الموروث من السلطة العثمانية الذي رافق مكونات التأسيس الوزاري والبرلماني وهيمن على مرحلة التأسيس، والبعد العسكري الذي يعد العامل المهيمن على طبيعة السلطة في المرحلة الثانية، والبعد العشائري الذي ارتكزت عليه السلطة في المرحلة الاخيرة الى توحد القوى السياسية والثقافية والعسكرية في إطار عمل جبهوي واحد أضمرت خلاله (مؤقتا) الخلافات الجوهرية بين القوى المختلفة ضد السلطة فأدى الى إنهيارها بعمل عسكري لم يكن المثقف بعيداً عن هذا العمل.

٥. تتجاهل المصادر دور المثقف من أصحاب (السخطين الفكري والسياسي) في التغيير والتركيز على الفئات العسكرية في قيادة الاحداث العامة للمجتمع، وتهاون المثقف في أن يتصدر الاحداث المهمة ضمن الصراعات التي اضمرت مؤقتاً خلال العمل الجبهوي الممهد للتغيير فضلاً عن صراعات أولوية العمل الوطني والقومي.

٦. شكل العهد الملكي إنتصار المثقف الباهر في جميع ما تم تأليفه من دراسات تأريخية،وإجتماعية،واقتصادية،وروائية،ومسرحية،وأعمال تشكيلية وغنائية،وفعاليات صحفية فالاسماء كثيرة في هذه المجالات ولعل مصادر الدراسة خير شاهد على إنتصار المثقف، فيما سجلت السلطة تجربة فاشلة في المجالين النيابي والوزاري، فلم تعكس هذه التجربة حقيقة المجتمع العراقي، فضلاً عن تجاهل أصوات الاصلاح الذي عد السبب المباشر في إنهيار السلطة.

٧. غياب المثقف (الخبير) الذي يعد المثقف (المحايد) وله أولوية تقدير حاجات المجتمع العراقي،فوت على المجتمع فرصة دراسة حاجات المجتمع الاساسية، فهيمنة التطرف السياسي إحتلت أولوية جهد المثقف، كما قاد غياب الاذان الصاغية من السلطة لاستماع صيحات الاصلاح الى أن يمر العراق في دوامة حكم العسكر فدفع المجتمع العراقي ثمن ذلك باهظاً.

٨. لم تمتلك جميع القوى السياسية المثقفة (خطة) لمابعد التغيير، فقد حافظت على ادوارها لما قبل التغيير بل الاكثر من ذلك تراجعت ادوارها بكثرة الحديث عن عهد ولى وإنطمر، مما أدى الى بروز الصراعات الشخصية بين القيادات العسكرية من جهة والشخصيات المدنية السياسية المثقفة،ويبدو أن تجارب(النضال) اسهل من تجارب (البناء).

٩. فسحت بعض القوى المشاركة في التغيير للقوى الخارجية في التدخل في الشأن العراقي الخاص تحت (شعارات) قومية مبتعدة عن تقدير أوضاع العراق الداخلية ممــا أدى الى ازدياد حدة الصراعات الشخصية التي إنعكست في الشارع العراقي بصورة اوضح.

المصادر

اولاً: الوثائق غير المنشورة:

١. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفات البلاط الملكي،رقم د / ١١، لسنة ١٩٣٠ ـ ١٩٣١، وثيقة رقم ٣٧.
٢. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم ١٠٦٣/ ٣١١،ص ٦ / ١٤.
٣. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة،رقم ١٠٦٢ / ٣١١، ص ١٧ / ٣٠.
٤. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي ، رقم ١٠٦٠ / ٣١١، ص ١٥ / ٢٦.
٥. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم ١٠٦٠ / ٣١١، ص ٣١ / ٢٦.
٦. دارالكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي، رقم ١٠٦٣ / ٣١١، ص ١٢ / ٢٠.
٧. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي، رقم ١٠٦٠ / ٣١١، ٣/ ٥.
٨. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة بلاط ملكي، رقم ١٠٦٠ / ٣١١، ص ز / ٢١.
٩. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الملفة٥٧.
١٠. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة،رقم الملفة ٧٧.
١١. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الملفة، ٥٧ / ٣١.
١٢. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، ارقام الوثـائق،٤/ ٤١، ٣٧ / ٣، ٨٣، ١٠٩ / ١١٢،٨٦ / ٨٩، ٨٤ / ٧٨، ٨١ / ٣.
١٣. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الوثيقة ١٤٩ / ١٥٥.
١٤. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الوثيقة ١٧٤ /١٤.
١٥. دار الكتب والوثائق، بغداد، ملفة ثقافة، رقم الوثيقة، ٢٧/٥٧.

ثانياً : المحاضر:

١. مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي لسنة ١٩٢٤، ج٢.

٢. محاضر مجلس النواب، محضر الاجتماع الاعتيادي، التاريخ ٣١ مايس/ ١٩٣٧.

٣. محاضر مجلس النواب، الجلسة ١٢، التاريخ ٩ كانون الاول / ١٩٣١.

٤. محاضر مجلس النواب، الجلسة ١٤، التاريخ ٣١كانون الاول / ١٩٣٥.

٥. محاضر مجلس النواب، الجلسة ١٦، التاريخ كانون الثاني / ١٩٣٦.

٦. محاضر مجلس النواب، الجلسة الاعتيادية، التاريخ ٣١ مايس / ١٩٣٧.

٧. محاضر مجالس النواب، الجلسة الاعتيادية، التاريخ١٩٤٣.

٨. محاضر مجلس النواب، الجلسة الثالثة من الاجتماع الاعتيادي، التاريخ ١٩٤٥.

٩. محاضر مجلس النواب، الجلسة الثامنة عشر من الاجتماع الاعتيادي، التاريخ ١٩٤٥.

١٠. محاضر مجلس النواب، الجلسة ٢١، التاريخ ١٩٤٥.

١١. محاضر مجلس النواب، الجلسة ٢٣،التاريخ ١٩٤٥.

١٢. محاضرمجلس النواب ، الجلسة ٣٠، التاريخ ١٩٤٥.

١٣. محاضر مجالس النواب، الجلسة الاعتيادية، التاريخ،٨ مايس / ١٩٤٥.

١٤. محاضر مجلس النواب، الجلسة الاعتيادية، التاريخ ١٩٤٧.

١٥. محاضر مجلس النواب، الجلسة ٨، التاريخ ١٩٥٠.

١٦. محاضر مجالس النواب، الجلسة الاعتيادية،التاريخ ٦ مايس / ١٩٥١.

١٧. محاضر مجلس النواب، الجلسة الاعتيادية، التاريخ ٢٠ شباط / ١٩٥٢.

١٨. محاضر مجالس النواب، الجلسة الاعتيادية، التاريخ، ٧ نيسان / ١٩٥٤.

ثالثاً: التقارير:

١. تقرير بعثة البنك الدولي (باللغة الانكليزية)، جون هوبكز بريس، الولايات المتحدة ، ١٩٥٢.
٢. تقرير عن بحوث مؤتمر الاصلاح الزراعي المنعقد في بغداد(٢ ـ ١٢ / نيسان / ١٩٦٧)، وزارة الاصلاح الزراعي، منشورات الارض للفلاح.
٣. تقرير منظمة التغذية والزراعة الدولية (باللغة الانكليزية)،١٩٥٤.
٤. تقرير نتائج الاحصاء الزراعي والحيواني في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩، وزارة التخطيط، دائرة الاحصاء الزراعي والحيواني

رابعاً : المعاجم والموسوعات:

١. ابو بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
٢. احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٩.
٣. أحمد علي الفيومي المغربي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧.
٤. المنجد في اللغة والاعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٥.
٥. دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرين، المجلد السابع، طهرن، د. ت.
٦. دينكس ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد، ١٩٨٠.
٧. عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج ١وج٢، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥٦.
٨. عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩١.
٩. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مجلد ٩، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.

خامساً: الكتب باللغة العربية :

١. ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ ـ ١٩٣٢، مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٢.
٢. ابراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر،مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١.
٣. ابراهيم الوائلي، ثورة العشرين في الشعر العراقي، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٦٨.
٤. احسان سركيس،الادب والدولة، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٧.
٥. أحسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، مطبعة الجامعة، الموصل، ١٩٨٤.
٦. احمد الموصلي ولؤي الصافي، جذور ازمة المثقف العربي في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢.
٧. احمد سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٦٣.
٨. احمد عزت الاعظمي، تاريخ القضية العربية، ج٤، بغداد، ١٩٣٤.
٩. احمد كامل أبو طبيخ، السيد محسن ابو طبيخ، سيرة وتاريخ،بغداد، ١٩٩٩.
١٠. احمد محمود السيد، جلال خالد (قصة عراقية موجزة) ، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٨.
١١. ادوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة غسان غصن، دار النهار للنشر، بيروت، ط٣، ١٩٩٧.
١٢. اسحاق نقاش،الشيعة والدولة، من كتاب المجتمع العراقي حفريات سيسولوجية في الاثنيات والطوائف والطبقات، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ط١، ٢٠٠٦.
١٣. اسماعيل أحمد ياغي، حركة رشيد عالي الكيلاني، بيروت، ١٩٧٤.
١٤. اسماعيل صبري عبد الله، المقومات الاقتصادية والاجتماعية للديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط٢، ١٩٨٦.
١٥. اسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة... دراسة نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط١، ١٩٨٣.

١٦. الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٨٦.
١٧. المس بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧.
١٨. المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٧١.
١٩. أمين الريحاني، فيصل الاول، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٣٤.
٢٠. انطونيو غرامشي، قضايا المادية التاريخية، ترجمة فواز طرابلسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١.
٢١. انطونيو غرامشي، مختارات من كراسات السجن،ترجمة عادل غنيم، دارالمستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٤.
٢٢. انيس المقدسي، الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث، دار العلم، بيروت، ط٤، ١٩٦٨.
٢٣. انيس النصولي، الدولة الاموية، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٧.
٢٤. اوسيبرف. ج، قضايا علم الاجتماع، ترجمة احمد فرج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.
٢٥. باسل سليمان فيضي (تحقيق وتقديم)، مذكرات سليمان فيضي، من رواد النهضة العربية في العراق، مطبعة الاديب، بغداد، ط٤، ٢٠٠٠.
٢٦. بدر شاكر السياب، المجموعة الشعرة الكاملة ج١ و ج٢، دار مية، دمشق، ٢٠٠٦.
٢٧. برسي كوكس، تكون الحكم الوطني في العراق، ترجمة بشير فرجو، الموصل، ١٩٥١.
٢٨. بطرس بطرس غالي وخيري حماد، المدخل الى علم السياسة، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٦.
٢٩. بيتي ناسه فيبر وآخرون، برولتد برشت... النظرية السياسية والممارسة الادبية، ترجمة كامل يوسف حيسن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٦٨.
٣٠. ت. ب. بوتومور، النخبة والمجتمع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠.
٣١. تحسين العسكري، ذكرياتي عن الثورة العربية، ح١، بغداد، ١٩٣٦.
٣٢. ثروت بدوي، النظم السياسية، دار النهضة،القاهرة، ١٩٨٩.

٣٣. جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٣.

٣٤. جان توشار وآخرون، تاريخ الفكر السياسي، ترجمة، علي مقلد، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.

٣٥. جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج١، مطبعة الزهراء، النجف الاشرف، ١٩٦٣.

٣٦. جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج٢، دار التعارف، بغداد، ١٩٦٨.

٣٧. جعفر الخليلي، هكذا عرفتهم، ج٤، دار التعارف، بغداد، ١٩٧٢.

٣٨. جعفر الخياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج١، وزارة الاعلام، بغداد، ط١، ١٩٧١.

٣٩. جلال الخياط، الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.

٤٠. جورج هـ . سباين، تطور الفكر السياسي، ترجمة حسن جلال، ج١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣.

٤١. جوزيف شومبيتر، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، ج١، ترجمة خيري حماد، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥.

٤٢. جون هيلز واخرون، الاستبعاد الاجتماعي... محاولة للفهم، ترجمة محمد الجوهري،سلسلة عالم المعرفة، العدد٢٤٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ٢٠٠٧.

٤٣. جميل الجبوري، حبزبوز... في تاريخ صحافة الهزل والكاريكاتير في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٤٤. جميل الاورفلي، لمحات من ذكريات وزير عراقي سابق، مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٩٧١.

٤٥. جميل سعيد، نظرات في التيارات الادبية في العراق، القاهرة، ١٩٥٤.

٤٦. جميل صدقي الزهاوي، الفجر الصادق، القاهرة، ١٩٠٥.

٤٧. جميل صدقي الزهاوي، ديوان شعر، مطبعة، التفيض الاهلية، بغداد، ١٩٣٩.

٤٨. حسن حنفي، هموم الفكر والوطن... الفكر العربي المعاصر، ج٢، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨.
٤٩. حسين جميل، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ ـ ١٩٤٦ وموقف جماعة الاهالي منها، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٩٨٣.
٥٠. حسين جميل، العراق شهادة سياسية، ١٩٠٨ ـ ١٩٣٠، داراللام، لندن، ١٩٨٦.
٥١. حسين مؤنس، الحضارة : دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، رقم ٢٣٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،الكويت، ١٩٧٩.
٥٢. حنا بطاطو، الدور السياسي للشيعة وعملية الاندماج، من كتاب المجتمع العراقي حفريات سوسيولوجية في الاثنيات والطوائف والطبقات، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ط١، ٢٠٠٦.
٥٣. حنا بطاطو، العراق : الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني ج١، ترجمة عفيف الرزاز، مكتبة الغدير، قم، ط١، ٢٠٠٥.
٥٤. حنا بطاطو، العراق : الحزب الشيوعي، ج٢،ترجمة عفيف الرزاز، مكتبة الغدير، قم، ط١،٢٠٠٥.
٥٥. حنا بطاطو، العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الاحرار،ج٣، مكتبة الغدير، قم، ط١، ٢٠٠٥.
٥٦. حياة شرارة ومحمد يونس، مدخل الى الادب الروسي في القرن التاسع عشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٨.
٥٧. خليل احمد خليل و محمد الكبسي، مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠١.
٥٨. خيري امين العمري، شخصيات عراقية، مطبعة المعرفة، بغداد، ١٩٥٥.
٥٩. داود سلوم، أثر الفكر الغربي في الشاعر جميل صدقي الزهاوي... دراسة ونصوص، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٨٤.
٦٠. ديوان التدوين القانوني، القانون الاساسي وتعديلاته، بغداد، ١٩٥٣.

٦١. ذوالنون ايوب، رسل الثقافة، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٧.
٦٢. رجاء حسين الخطاب، المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٥.
٦٣. رجاء حسين الخطاب، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩.
٦٤. رجاء حسين الخطاب، مؤتمر القاهرة تأثيره على تطور الوضع السياسي في العراق، مطبعة الاديب، بغداد، ٢٠٠١.
٦٥. رشيد الخيون، المشروطة والمستبدة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ط١، ٢٠٠٦.
٦٦. رفائيل بطي، صحافة العراق، ج١، مكتبة رفائيل بطي، بغداد، ١٩٨٥.
٦٧. روجية غارودي، البديل،ترجمة جورج طرابشي، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٢.
٦٨. روجية غارودي، كارل ماركس، ترجمة جورج طرابيشي، دار الاداب، بيروت، ١٩٧٠.
٦٩. روجية غارودي ـ واقعية بلا ضفاف، ترجمة حليم طوسون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.
٧٠. رودلفو ستفاغن، الطبقات الاجتماعية في المجتمعات الزراعية، ترجمة ناجي أبوخليل،دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٧٢.
٧١. رياض رشيد الحيدري، الاثوريون في العراق ١٩١٨ ـ ١٩٣٦، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٧.
٧٢. ريمون آرون، أفيون المثقفين، ترجمة عادل زيتوني، المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٦٨.
٧٣. زاهدة ابراهيم، كشاف الجرائد والمجلات العراقية، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٢.
٧٤. زكي مبارك، ملامح المجتمع العراقي، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة، ١٩٤٢.
٧٥. ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٠.
٧٦. ساطع الحصري، حول الوحدة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
٧٧. ساطع الحصري، مذكراتي في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٤١ ، ج١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٧.
٧٨. سامي عبد الحافظ القيسي، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢ـ ١٩٣٦، مطبعة العاني، بغداد،١٩٧٥.

٧٩. ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة، جعفر الخياط، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد، ١٩٤٧.

٨٠. ستيفن همسلي لونكريك، العراق الحديث ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠، ج١، ترجمة سيلم طه التكريتي، دار الفكر، بغداد، ١٩٨٨.

٨١. سر ارنلد ويلسون، بلاد مابين النهرين بين ولاءين، ج١، ترجمة فؤاد جميل، دار الجمهورية، بغداد، ط١، ١٩٦٩.

٨٢. سر ارنلد ويلسون، بلاد مابين النهرين بين ولاءين ج٢، ترجمة فؤاد جميل ، دار الجمهورية، بغداد، ط١، ١٩٧١.

٨٣. سعاد خيري، من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق، ج١، بغداد، ١٩٧٥.

٨٤. سعد الدين ابراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٨٦.

٨٥. سعيد ناصر المجتمع والسلطة في نظريات العقد الاجتماعي، ج١، مكتبة طرابلس، طرابلس، ١٩٩٦.

٨٦. سليمان فيضي، في غمرة النضال، بغداد، ١٩٥٢.

٨٧. سماح ادريس، المثقف العربي والسلطة... بحث في روايات التجربة الناصرية، دار الاداب، بيروت، ط١ ن ١٩٩٢.

٨٨. سندرسن باشا، مذكرات سندرسن باشا طبيب العائلة الملكية في العراق، ترجمة سليم طه التكريتي، مطبعة المثنى، بغداد، ط١، ١٩٨٠.

٨٩. سيار الجميل، انتلجنسيا العراق : التكوين... الاستنارة... السلطة، من كتاب الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

٩٠. سيار الجميل، زعماء وافندية،.. الباشوات العثمانيون و النهضويون االعرب.. البنية التاريخية للعراق الحديث، (الموصل نموذجاً) الاهلية، عمان، ط١، ١٩٩٩.

٩١. صادق الاسود، علم الاجتماع السياسي اسسه وابعاده، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠.

٩٢. صالح يوسف عجينة، ضريبة الدخل من الوجهة الفنية والاقتصادية، القاهرة، ١٩٦٥.
٩٣. طالب مشتاق، أيام النكبة، بيروت، ١٩٣٧.
٩٤. طلعت الشيباني، واقعة الملكية الزراعية في العراق، بغداد، ١٩٥٨.
٩٥. طه باقر، ملحمة كلكامش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٥، ١٩٨٦.
٩٦. طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، مطبعة المعارف، القاهرة ـ ط٢، ١٩٤٤.
٩٧. عامر حسن فياض، جذور الفكر الديمقراطي في العراق الحديث ١٩١٤ ـ١٩٣٩، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.
٩٨. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين أحتلالين، ج٨، وزارة المعارف، بغداد، ١٩٥٦.
٩٩. عباس العزاوي، تاريخ الادب العربي في العراق ج ١ وج٢، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٢.
١٠٠. عباس بغدادي، بغداد في العشرينيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠.
١٠١. عباس توفيق، نقد الشعر العراقي الحديث ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٨.
١٠٢. عبد الجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨ ـ ١٩٥٨. دار الحرية، بغداد، ١٩٧٨.
١٠٣. عبد الحسين مهدي عواد، الشيخ علي الشرقي.... حياته وأدبه، وزارة الثقافة و الاعلام، بغداد، ١٩٨١.
١٠٤. عبد الحميد الرشودي، الرصافي... حياته.... ادبه، شعره،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
١٠٥. عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال الى الاستقلال، مطبعة العاني، ط٢، ١٩٧٢.
١٠٦. عبد الرحمن البزاز، صفحات من الامس القريب... ثورة العراق... هل كانت حتمية، دار العلم للملاين، ط١، ١٩٦٠.
١٠٧. عبد الرحمن الشرقاوي، الارض، القاهرة، ١٩٥٤.
١٠٨. عبد الرزاق الحسني، احداث عاصرتها، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.
١٠٩. عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، مطبعة العرفان، صيدا ـ بيروت، ط٢،

.١٩٧٢

١١٠. عبد الرزاق الحسني، الاسرار الخفية في حركة السنة ١٩٤١ التحررية، دار الكتب، بـيروت، ط٢، ١٩٧٦.

١١١. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الصحافة العراقية ج١، مطبعة العرفان، بيروت، ط٣، ١٩٧١.

١١٢. عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق الـسياسي الحـديث، ج١، مطبعـة العرفـان، صـيدا ـ بيروت، ط٢، ١٩٥٧.

١١٣. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب العراقية ١٩٠٨ ـ ١٩٥٨، الأبجدية للطباعـة والنـشر، بيروت، ١٩٨٣.

١١٤. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، الاجـزاء :ج١، ج٢، ج٣، ج٤، ج٥، ج٦، ج٧، ج٨، ج٩، ج١٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٧، ١٩٨٨.

١١٥. عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعلـيم في العـراق العثمـاني ١٦٣٨ ـ ١٩١٧، شركـة الطباعـة الاهلية، بغداد، ١٩٥٥.

١١٦. عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية ١٩٠٨ ـ ١٩٤٥، وزارة الاعلام، ط٣، ١٩٨٠.

١١٧. عبد الرضا الطعان وصادق الاسود، مدخل الى علم السياسة، مطـابع الجامعـة، الموصـل، ١٩٨٦.

١١٨. عبد الكريم الدجيلي، محاضرات عن الشعر العراقـي الحـديث، جامعـة الـدول العربيـة، القاهرة، ١٩٥٩.

١١٩. عبد الكريم غلاب، سلطة المؤسسات بين الشعب والحكـم، دراسـة دسـتورية سياسـية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧.

١٢٠. عبد الكريم غلاب، تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي، من كتـاب الـشعر والفكـر المعاصر، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٤.

١٢١. عبد الكريم فرحان، ثورة ١٤ تموز في العراق، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨.

١٢٢. عبد الاله احمد، الادب القصصي في العراق منذ الحـرب العالميـة الثانيـة، ج١و ج٢، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٧.

١٢٣. عبد الاله أحمد، نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩٣٩، مطبعة شفيق، بغداد ط١، ١٩٦٩.

١٢٤. عبد الله اسماعيل البستاني، حرية الصحافة دراسة مقارنة، القاهرة، ١٩٥٠.

١٢٥. عبد الله العروي، الايديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة عيتاني، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٠.

١٢٦. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، مطبعة دار السلام، بغداد، ط ٢، ١٩٧٥.

١٢٧. عبد الامير العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٣٣،مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٩٧٥.

١٢٨. عبد الامير العكام تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨، وزارة الثقافة والاعلام، بغدا د، ١٩٨٠.

١٢٩. عبد الهادي الفضلي، دليل النجف الاشرف، النجف، ١٩٦٥.

١٣٠. عربية توفيق لازم، حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث منذ ١٨٧٠ وحتى قيام الحرب العالمية الثانية، مطبعة الايمان، بغداد، ط١، ١٩٧١.

١٣١. عزيز السيد جاسم، معروف الرصافي... قصة خمسين عاما في كبرياء الشعر، مطبعة الديواني، بغداد، ١٩٩٠ .

١٣٢. عزيز السيد جاسم، مقالات، منشورات دار النهضة، بغداد، ط١، ١٩٧٢.

١٣٣. عصام الخفاجي، الدولة والتطور الرأسمالي قي العراق ١٩٦٨ ـ ١٩٧٨، دار المستقبل العربي، ١٩٨٣.

١٣٤. علي البزركان، الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، بغداد، ١٩٥٢.

١٣٥. علي الدين هلال، مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث، من كتاب أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

١٣٦. علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط٥، ١٩٨٧.

١٣٧. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقـي، مكتبـة الـسيدة المعـصومة، قـم، ط١، ٢٠٠٤.
١٣٨. علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحـديث، ج٣ و ج٤ و ج٥ (القـسم الاول والثاني) و ج٦(القسم الاول والثاني)، مكتبة الصدر، قم، ٢٠٠٤.
١٣٩. علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان، لندن، ط١، ١٩٩٥.
١٤٠. عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي ١٩٢١ ـ ١٩٨٥، دار الـشؤون الثقافيـة العامة، ط٢ ، ٢٠٠٥.
١٤١. عمر الطالب، الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧١.
١٤٢. عناد اسماعيل الكبيسي، الادب في صـحافة العـراق، مطبعـة النعمـان، النجـف الاشراف، ١٩٧٢.
١٤٣. غائب طعمة فرمان، النخلة والجيران، بيروت ـ ١٩٦٦.
١٤٤. غائب طعمة فرمان، خمسة أصوات، بيروت، ١٩٦٧.
١٤٥. غسان العطية، نشأة الدولة العراقية ١٩٠٨ ـ ١٩٢١، ترجمةعطا عبد الوهاب، دار الـلام، لندن، ١٩٨٨.
١٤٦. غسان سلامة، المجتمع والدولة في المشرق العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
١٤٧. ف. أ. لينين، في الثقافة والثورة الثقافية، دار التقدم، موسكو، ١٩٦٨.
١٤٨. فائق بطي، صحافة الاحزاب والحركة الوطنية، مطبعة الاديب، بغداد، ١٩٦٩.
١٤٩. فاروق سعد، تراث الفكر السياسي قبل الامير وبعده، دار الافاق، بيروت، ط١، ١٩٨٠.
١٥٠. فاضل الجمالي، العراق الحديث، د. ت، د. م، د. س.
١٥١. فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ١٩٧٤.
١٥٢. فاضل حسين، تاريخ الاحزب الـوطني الـديمقراطي، ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨،مطبعـة الـشعب / بغداد، ١٩٦٣.
١٥٣. فاضل حسين، تاريخ العراق المعاصر، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٠.

١٥٤. فرانز فانون، معذبوا الارض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الاتاسي، المطبعة الجديدة، دمشق، ١٩٧٠.
١٥٥. فرهاد ابراهيم، الطائفية والسياسة في العام العربي نموذج الشيعة في العراق، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
١٥٦. فيليب برو،علم الاجتماع السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
١٥٧. فيليب ويلارد آيرلاند، العراق.... دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر الخياط، دار الكشاف، بيروت، ١٩٤٩.
١٥٨. فهمي المدرس، مقالات... سياسية، تاريخية، اجتماعية، ج١،مطبعة الشعب،بغداد، ١٩٣١.
١٥٩. فهمي المدرس، مقالات.... سياسية، تاريخية، اجتماعية، ج ٢، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٣٢.
١٦٠. فيصل دراج، في معنى التنوير من حصيلة العقلانية والتنوير في الفكرالعربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
١٦١. فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، الموصل، ١٩٧٥.
١٦٢. قدري قلعجي، مدحت باشا، دار الكشاف، بيروت، ١٩٥١.
١٦٣. قيس عبد الحسين الياسري، الصحافة العراقية والحركة الوطنية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.
١٦٤. كارل ماركس، نقد الاقتصاد السياسي، ترجمة عناني، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٦.
١٦٥. كاظم حبيب، دراسات في التخطيط الاقتصادي، بيروت، ١٩٧٤.
١٦٦. كامل الجادرجي، مذكرات كامل الجادرجي وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي، بيروت، ط١، ١٩٧٠.
١٦٧. لطفي جعفر فرج، الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي ١٩٣٣ ـ ١٩٩٣، مكتبة اليقظة، بغداد، ١٩٨٧.

١٦٨. لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية،ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، موسكو، ١٩٧١.

١٦٩. لويس دوللو، الثقافة الفردية وثقافة الجمهور، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢.

١٧٠. ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٨٥، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٧٩.

١٧١. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ندوة مالك بن نبي، بيروت، ١٩٧١.

١٧٢. ماوتسي تونغ، أربع مقالات فلسفية، دارالنشر اللغات الاجنبية، بيكن، ١٩٦٨.

١٧٣. مجيد خدوري، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٢.

١٧٤. مجيد خدوري، نظام الحكم في العراق، ترجمة فيصل نجم الدين الاطرقجي، مطبعة، بغداد، ١٩٤٦.

١٧٥. محسن عبد الحميد، الامام أبو الثناء الالوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢.

١٧٦. محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، ط٣، ١٩٨٥.

١٧٧. محمد الدرة، الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٦٩.

١٧٨. محمد أنيس و محمد حسين الزبيدي، أوراق ناجي شوكت..... رسائل ووثائق، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٧٧.

١٧٩. محمد الشافعي أبو راس، نظم الحكم المعاصرة... دراسة مقارنة في أصول الحكم، ج ١، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٨.

١٨٠. محمد الميلي وآخرون، الخطة الشاملة للثقافة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٩٦.

١٨١. محمد توفيق حسين، نهاية الاقطاع في العراق، دار العلم للملاين، بيروت، ١٩٨٠.

١٨٢. محمد حسين الزبيدي، العراقيون المنفيون الى جزيرة هنجام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط٢، ١٩٨٩.

١٨٣. محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق (التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ ـ ١٩٥٨)، ج١، صيدا ـ بيروت، ١٩٦٥.

١٨٤. محمد طه بدوي، أمهات الافكار السياسية الحديثة وصداها في نظم الحكم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥.

١٨٥. محمد طه بدوي وطلعت الغنيمي، النظم السياسية والاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٥.

١٨٦. محمد عابد الجابري، إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

١٨٧. محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠.

١٨٨. محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي... مراجعة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦.

١٨٩. محمد عبد العزيز الذهب، التربية والمتغيرات الاجتماعية في الوطن العربي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٢.

١٩٠. محمد مبارك، مقاربات في العقل والثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤.

١٩١. محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، دراسة تاريخية ..سياسية، وزارة الاعلام، بغداد، ط١، ١٩٧٦.

١٩٢. محمد مهدي البصير، البركان، بغداد، ١٩٥٧.

١٩٣. محمد مهدي البصير، المجموعة الشعرية الكاملة، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧.

١٩٤. محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، بغداد، ١٩٢٤.

١٩٥. محمد مهدي الجواهري، مذكراتي،ج١ و ج٢، دار المجتبى، قم، ط١، ٢٠٠٥.

١٩٦. محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الاحداث ١٩١٨ ـ ١٩٥٨، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٦٥.

١٩٧. مدحت باشا، مذكرات مدحت باشا، ترجمة، يوسف كمال، مطبعة أمين، القاهرة، ط١، د. ت.

١٩٨. مظفر عبد الله الامين، جماعة الاهالي... منشؤها، عقيدتها ودورها في السياسة العراقية ١٩٣٢ ـ ١٩٤٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١، ٢٠٠١.

١٩٩. معروف الرصافي، الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس، دار الجمل، المانيا، ٢٠٠٢.

٢٠٠. معروف الرصافي، ديوان الرصافي، ج٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٤٩.

٢٠١. معروف الرصافي ، ديوان الرصافي، القاهرة، ١٩٤٧.

٢٠٢. مكي الجميل، تعليقات على نظام دعوى العشائر وتعديلاته، مطبعة الكرخ، بغداد، ١٩٣٥.

٢٠٣. منير بكر التكريتي، الصحافة العراقية وإتجاهاتها السياسية والاجتماعية ١٨٦٩ــ ١٩٢١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩.

٢٠٤. ميربصري، أعلام السياسة في العراق، الحديث، ج١، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٥.

٢٠٥. مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، ج٢، دار الحكمة، لندن، ط١، ٢٠٠٤.

٢٠٦. ناجي شوكت، سيرة وذكريات ثمانين عاماً ١٨٩٤ ـ ١٩٧٤، مطبعة سليمان الاعظمي، بغداد، ١٩٧٤.

٢٠٧. ناجي صادق شراب، السياسة دراسة سيسيولوجية، دار الجليل، دمشق، ١٩٨٤.

٢٠٨. نجدت فتحي صفوت، العراق في مذكرات الدبلوماسين الاجانب، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩.

٢٠٩. نديم البيطار، المثقفون والثورة : الانتلجيسيا كظاهرة تاريخية، دار بيسان، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

٢١٠. نوري السعيد، مذكرات نوري السعيد عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ ـ ١٩١٨، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٢١١. هادي العلوي، المرئي واللامرئي في الادب والسياسة، دار المدى، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣.

٢١٢. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٧.
٢١٣. هنري.أ فوستر، تكوين العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جويدة، مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٦.
٢١٤. وائل عزت البكري، تطور النظام الصحفي في العراق ١٩٥٨ـ ١٩٨٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٤.
٢١٥. وميض عمر نظمي،ثورة العشرين.... الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية الاستقلالية في العراق، الكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٥.
٢١٦. وميض عمر نظمي، شيعة العراق وقضية القومية العربية... الدور التاريخي قبل الاستقلال، من كتاب دراسات في القومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤.
٢١٧. يحيى حقي، فجر القصة المصرية،القاهرة، ١٩٦٠.
٢١٨. يوسف الصائغ، الشعر العراقي الحر منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦.
٢١٩. يوسف عبد الله الصائغ، إقتصاديات العالم العربي (التنمية بعد ١٩٤٥، البلدان الاسيوية) ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢.
٢٢٠. يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٦٠.
٢٢١. يوسف عزالدين، الشعر العراقي : أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٤.
٢٢٢. يوسف عز الدين، تطور الفكر الحديث في العراق، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦.
٢٢٣. يوسف عزالدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٦.
٢٢٤. يوسف عزالدين، في الادب العربي الحديث... بحوث ومقالات نقدية، دار المناهل، بغداد، ١٩٦٥.

سادساً: البحوث والندوات :

١. سامي شوكت، هذه اهدافنا من امن بها فهو منا (محاضرة)، وزارة المعارف، بغداد، ١٩٣٩.
٢. سعد الدين ابراهيم،تجسير الفجوة بين صانعي القرارات والمفكرين العرب، (ندوة) منتدى الفكر العربي، عمان ١٩٨٤.
٣.عبد الله العروي، أزمة المثقف العربي، دراسات في التاريخ والسياسة والقانون والاقتصاد، (الندوة) الدبلوماسية الثامنة لعام ١٩٨٠، دولة الامارات العربية.
٤.فؤاد زكريا، (بحث) في المبادىءالاساسية للتخطيط الثقافي من زاوية عربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الكويت، ١٩٨٢.
٥.محمود امين العالم، اشكالية العلاقة بين المثقف والسلطة،(ندوة) المعرفة والسلطة في الوطن العربي، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٨.
٦.مصطفى التير، الود المفقود بين الباحث وصانع القرار... ملاحظات حول علاقة الموظف بالسلطة، (ندوة)، معهد الانماء العربي، ١٩٨٨.

سابعاً :الرسائل والاطاريح الجامعية :

١. اسماعيل نوري الربيعي، تاريخ العراق الاقتصادي في عهد الانتداب البريطاني ١٩٢١ ـ ١٩٣٢، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية / ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
٢. افرام داود شبيرا، دور المثقفين في التحولات الاجتماعية، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية القانون والسياسة،جامعة بغداد، ١٩٧٩.
٣. غانم وحيد الجبوري، اثر المثقفين العرب في تطور العراق المعاصر ١٩٢١ ـ ١٩٤١ (اطروحة دكتوراة غير منشورة) كلية الاداب / قسم التاريخ، جامعة الموصل، ١٩٩٥.
٤. عباس أمين الجادرجي، دراسة مقارنة للتأمين الصحي والانظمة الصحية في العراق مع مختلف اقطار العالم (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الطب/ طب المجتمع، جامعة

بغداد، ١٩٨٠.

٥. علي ناصر حسين، الادارة البريطانية في العـراق ١٩١٤ـــ ١٩٢١(اطروحـة دكتـوراة غـير منشورة)، كلية الاداب / قسم التاريخ،جامعة بغداد، ١٩٩١.

ثامناً: االصحف:

١. جريدة العرب / اعداد السنة / ١٩١٨.

٢. جريدة الانقلاب / اعداد نيسان ومايس / ١٩٣٧.

٣. صحف البلاد / السنة الاولى / ١٩٣١ و١٩٣٦.

٤. صحف الاخاء / السنة الاول/ ١٩٣١.

٥. صحف الاستقلال / السنة الاولى / ١٩٣١.

٦. صحف العراق / السنة الحادية عشر/ ١٩٣١.

٧. جريدة الوقائع العراقية للسنة ١٩٥٤.

٨. صحف صوت الاهالي، صوت السياسة، صوت الاحرار، الـوطن، الـشعب للـسنوات ١٩٤٧ ـ١٩٥٤.

تاسعاً : المجلات :

١. احمد مجدي حجازي، المثقف والالتزام الايديولوجي، مجلة المستقبل العربي،بيروت، العدد، ٨١، تموز / ١٩٨٥.

٢. الحبيب الجنحاني، المفكر والسلطة في التراث العربي الاسلامي، مجلة المنار،لندن، العدد ٢٩، مايو / ١٩٨٧.

٣. امين عز الدين، هل يتمرد الخبراء العرب، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٥٧، تشرين الثاني، ١٩٨٥.

٤. انستاس ماري الكرملي، سنتنا الرابعة، مجلة لغة العرب، بغداد،العدد ١، تموز / ١٩٢٦.

٥. ايليا حريق، السراتية والتحول السياسي والاجتماعي في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العد ٨٠، تشرين الاول / ١٩٨٥.

٦. حليم بركات، المثقفون في المجتمع العربي : ملاحظات حول أصولهم وإنتماءاتهم الطبقية، مجلة المنار، لندن ، العدد، ٢٩، مايو / ١٩٨٧.

٧. رفائيل بطي، تاريخ الطباعة في العراق، ج١، مجلة لغة العرب، بغداد، العدد ٣، ايلول / ١٩٢٦.

٨. رفائيل بطي تاريخ الطباعة في العراق، ج٢، مجلة لغة العرب، بغداد،العدد ٤، تشرين الثاني / ١٩٢٦.

٩. ستيفن لونكريك، العراق في ظل الانتداب البريطاني، ترجمة مصطفى نعمان، مجلة آفاق عربية، بغداد، تشرين الاول / ١٩٩١.

١٠. سعيد زيداني، اطلالة على الديمقراطية الليبرالية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد، ١٣٥، مايو / ١٩٩٠.

١١. سيار الجميل، النخبة العراقية المثقفة وتكوين الدولة ١٩٢١ ـ ١٩٤١، مجلة آفاق عربية، تشرين الثاني / ١٩٩١.

١٢. سيارالجميل،انتلجيسيا العراق التكوين والاستنارة القومية، مجلة آفاق عربية، بغداد ،

ايلول / ١٩٩١.

١٣. سيار الجميل، دور المثقفين العرب في تكوين العراق المعاصر، مجلة آفـاق عربيـة، بغـداد، كانون الاول/ ١٩٩٣.

١٤. عامر حسن فياض، هشاشة الطبقة الوسطى وشـقاء الديمقراطيـة في العـراق،، مجلـة المواطنة والتعايش،بغداد، العدد الاول، كانون الاول، ٢٠٠٧.

١٥. عبد الرزاق حسن، الخبراء والتمرد، مجلة المـستقبل العربـي،بيروت، العـدد ٥٧، تـشرين الثاني /١٩٨٥.

١٦. محمد أنيس، جماعة الاهالي ونشأة اليسار في العراق، مجلـة الهـلال، القـاهرة، العـدد ١، يناير / ١٩٦٥.

١٧. محمد برادة، المثقف والسلطة في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد٧٤، نيسان / ١٩٨٥.

١٨. نادر فرجاني، عن أحراق الكتب وعلاقة المثقف بالسلطة، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٥٧، تشرين الثاني/ ١٩٨٥.

عاشراً: مواقع الانترنت:

١. لطيف حسن فصول من تاريخ المسرح العراقي .

. www.masraheon.com

٢. ليث عبد الكريم الربيعي، تاريخ السينما العراقية.

. www.cinemaion.com

٣. موقع وزارة الثقافة، تاريخ الفن العراقي.

. www.minsteryofculture

احدى عشر: الموسوعات والكتب باللغة الانكليزية:

1. A.K.Gella, The intelligentsia and the intellectual, theory, method, and case study. New York, 1976.

2. A. S. Hornby, oxford advanced learner of current English, o.u.co., London, 1975.

3. David l.silis, international Encyclopedia of social science, TM co.N.y, 1968.

4. Dorothylee, freedom and culture, free press, N.y, 1965.

5. E.N.Taylor, primitive culture, J.MCO, London.

6. The new Encyclopedia Britannica; 15 the end, vol 14, 1987.

7. J. G old &Kolb, Dictionary of social science u.n, n.y

8.j. Asmp &E.seweiner, The oxford dictionary, London, 1991.

9. K. M. long, the industrial of Iraq Cambridge, 1966.

10 International Encyclopedia of social science, vol 7. Free press, N.y, 1972.

11- .M.V Williams, Britain &Arab States ,Survey of Angel - Arab Relation 1920-

- 1940,L.C,London,1948.

12. o. Spengler, The decline of west. London, 1967.

13. R. Linton, The tree of culture, free press, N.Y, 1955.

الفهرست